مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله

المعروف بسبط ابن الجوزي

٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء الثالث

١ - ٦٠ هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

محمد بركات

عمار ريحاوي

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

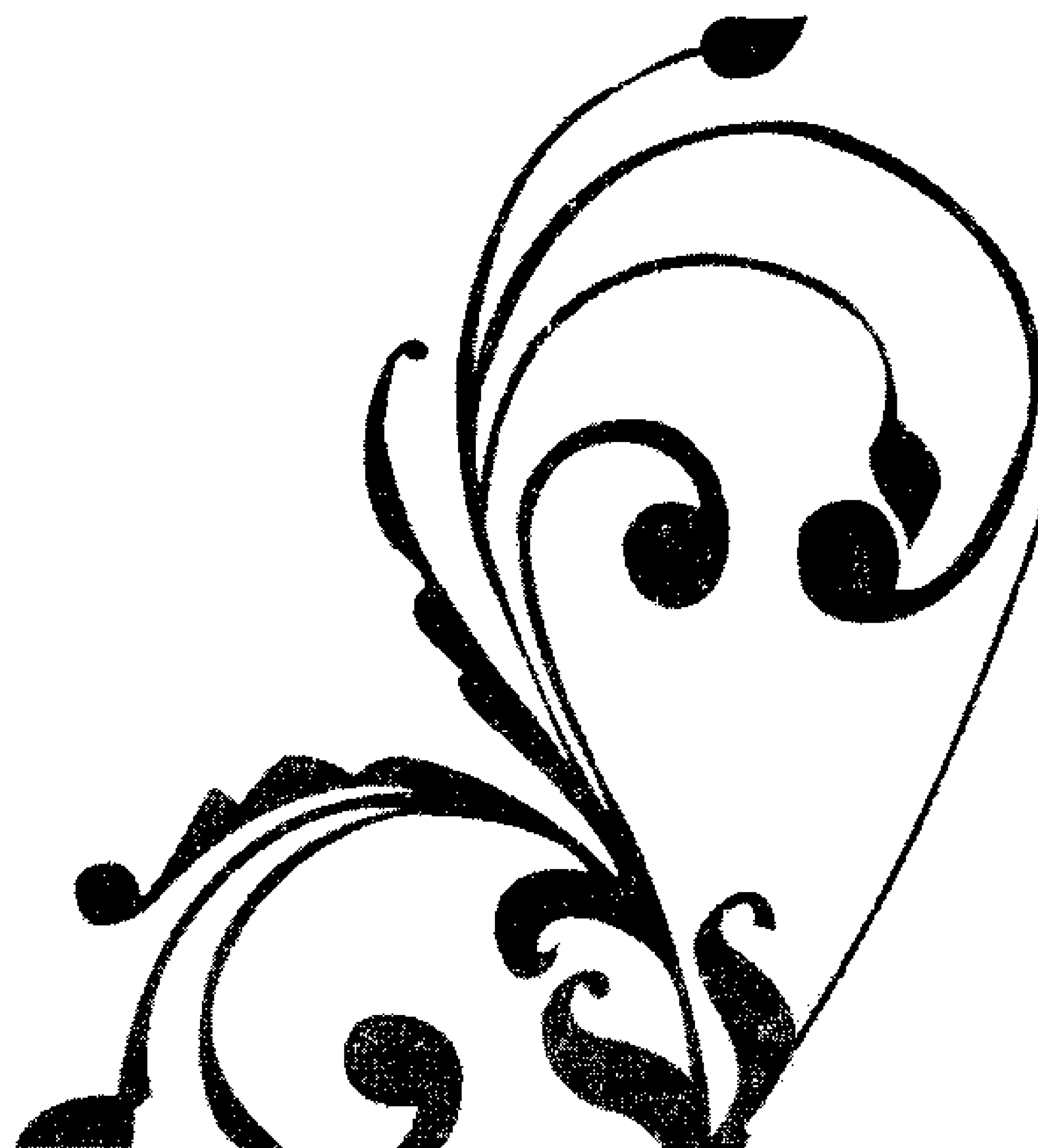
دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460



النسخ المعتمدة في هذا الجزء وتاليه:

١ـ نسخة المتحف البريطاني، وهي من أول الكتاب إلى ذكر أبي النبي ﷺ.

٢ـ نسخة كوبريللي (ك) وهي في جزأين:

ا ـ من ذكر الأمم الماضية إلى سنة (٦هـ).

ب ـ من سنة (٩ـ ٣١هـ).

٣ـ نسخة الخزائنية (خ)، وهي في جزأين:

ا ـ من قصة زكريا ويحيى إلى أثناء سنة (٦هـ).

ب ـ من أثناء سنة (٦هـ ـ ٢٩هـ).

٤ـ نسخة أحمد الثالث (أ) من سنة (٢هـ ـ ٢١ هـ).

وانظر وصفاً مطولاً لها في مقدمة الجزء الأول من الكتاب.

فصول ذكر نبيِّنا ﷺ

فصل في ذكر نسبه وأجداده

هو محمد بن عبد الله بنِ عبد المطَّلب بنِ هاشم بنِ عبد مَناف بنِ قُصي بنِ كلاب بنِ مُرَّة بنِ كعب بنِ لؤيٍّ بنِ غالب بنِ فِهْر بنِ مالك بنِ النَّضْر بن كِنانَة بن خُزيمةَ بنِ مُدْرِكَة ابنِ الياس بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدنانَ. متَّفق على صِحَّته، وما بعده مُخْتَلَف فيه.

قال عبد الملك بن هشام: عدنان بن أُدَد بن المُقَوَّم[1] بن ناحُور بن تارَح بن يَعْرُب ابن يَشْجُب بن نابِت بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وقيل غير ذلك.

فصل في ذكر أبيه عبد الله

قال الزُّبير بن بكَّار: كان عبد الله، والزبير، وأبو طالب، وعبد الكعبة، وعاتِكة، وبرَّة، وأُمَيمة أولادَ عبد المطلب بن هاشم، وأمُّهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن مَخْزوم، وعبد الله بن عبد المطلب أصغر ولد أبيه وأمه، وهو الذَّبيح.

ذكر القصة:

قال الشيخ موفق الدين رحمه الله [2]: يروى أنه لم يكن لعبد المطَّلب إلا الحارث، فجرى بين عبد المطلب وبين ابن عمه عَدِيّ بن نَوْفَل ما يكون بين بني العمّ، فقال له عَدِي: وهل أنت إلا غلامٌ من غِلمان قومك، لا لك عَددٌ ولا مالٌ ولا وَلَد، ولقد كنتَ بيَثْرِب عند غير أبيك حتى رَجَعَك عَمُّك المطَّلب، فحَمِي عند ذلك وقال: أبِقِلَّةِ العرب تُعَيِّرني، فلله عَلَيَّ النَّذْرُ والدِّماء لئن رَزَقني الله عز وجل عشرةً ذكوراً أن أجعلَ أحدَهم

(١) «سيرة ابن هشام» ١/ ٥، وجاء في النسخ زيادة بين أدد والمقوم، وهي: «ابن زَنْد بن محثوم» وهذه الزيادة لم يذكرها ابن هشام في سيرته، ولا غيره من أصحاب السير والتواريخ المعتبرين، اللهمَّ إلا ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها في حق «زند» فأخرج الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٧١، والطبراني في «الصغير» (٩٤٦)، والحاكم ٢/ ٤٠٣، ٤٦٥ عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «معدُّ بن عدنان بن أدِّ بن أُدَد بن زَنْد بن يَرَى بن أعرق الثرى» قالت أم سلمة: وأعرق الثرى: إسماعيل بن إبراهيم، وزند: هَمَيْسع، ويرى: نَبْت. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٩٣: وفيه عبد العزيز بن عمران من ذرية عبد الرحمن بن عوف، وقد ضعفه البخاري وجماعة، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الدارقطني: لا نعلم زنداً إلا في هذا الحديث، وزند بن الهون وهو أبو دلامة الشاعر. وأما الاسم الآخر فلم نقف عليه عند أحد.

(٢) في التبيين ٩٧.

لله نَحيرة، ثم افترقا على ذلك، حتى إذا كان بعد أعوام وُلِد لعبد المطلب عشرةُ ذكور سوى الحارث، وإنما كان النَّذْر في غيره، وست بنات، فلما بلغ الذُّكورُ عشرة، ذكر نَذْرَه، فجمعهم وأخبرهم بنَذْره، وأدخلهم الكعبة، وأعطى صاحبَ القِداح رِشْوَتَه وقال: أجِلْ عليهم القِداح، فلما أُجيلت الأَزْلامُ عليهم خرج على عبد الله، فأخرجه ورداؤه على عُنقه، وقال: هذا ابنُك الذي خرج عليه القِداح، ففَزِع لذلك وأعظمه لأنه كان يُحِبُّه، ثم عَزم على إمضاء نَذْره، فأخذ بيده وجاء به إلى إساف ونائلة، فأضْجَعه بينهما، وربطه والمُدْيَة في يده، فجاء أخوالُه من بني مَخزوم وقالوا: والله ما أحسَنْتَ عِشْرةَ أُمِّه.

وأمروه بخروجه إلى الكاهِنة، وخرجوا معه إلى خيبر، وقَصُّوا لها القصة، فقالت لهم: اذهبوا بصاحبكم إلى الكعبة، وقَرِّبوا عشرةً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح، فإن خرجت القُرْعَةُ على صاحبكم فزيدوا فيها إلى أن تخرجَ على الإبل، فذلك علامةُ رِضى ربِّكم ونجاةِ صاحبكم، فرجع عبد المطلب، ودخل على هُبَل، وقام صاحبُ القِداح وضرب على عبد الله وعلى عشرة، فخرج على عبد الله، فلم يزل يزيد حتى صارت الإبلُ مئةً، فخرجت القُرعةُ على الإبل، فكبَّر عبد المطلب والناس، وقالوا: قد رضيَ عنك ربك، فنحر الإبلَ وتركها لا يصدُّ عنها إنساناً ولا طائراً ولا وَحْشاً.

فصارت المئةُ أصْلاً في باب الدِّيَة بعد أن كانت عشراً، ولما جاء الإسلام قرَّرها على ما قرَّرها عبد المطلب؛ ولذلك رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا ابن الذَّبِيْحَين»(١). يعني إسماعيل عليه السلام وعبد الله. وفي ذلك نظر.

وقد رُوي أن سببَ النَّذْر كان مع قريش لعبد المطلب من حَفْرِ زَمْزَم، وهو الأظهر، والله أعلم.



---

(١) تقدم تخريجه في قصة إسماعيل.

قصة عبد الله مع الخَثْعَمِيَّة(١)

لما رجع عبد المطَّلب من ضَرْبِ القِداح ونَحْرِ الإبل، أخذ بيد عبد الله وهو يبكي ويقول: اليوم وُهِبْتَ لي يا بُنيَّ. فمرَّ بامرأةٍ من خَثْعَم يقال لها: فاطمة بنت مرّ، وكانت من أجمل النساء وأعفِّهنَّ، وكانت قد قرأت الكتب، وكان شبابُ قريشٍ يَجلسون إليها ويَتحدَّثون عندها، فرأت نورَ النُّبوَّة بين عَينيه، فقالت له: يا فتى، مَن أنت؟ فقال: عبد الله بن عبد المطَّلب، فقالت: هل لك أن تقعَ عليَّ وأُعطيكَ مئةً من الإبل مثلَ ما نحر أبوك؟ فنظر إليها وقال: [من الرجز]

أمَّـا الـحـرامُ فـالـمَـمَـاتُ دونَـهُ

والـحِـلُّ لا حِـلّ فـأسْـتَـبـيـنُـه

فـكَـيـفَ بـالأمـرِ الـذِي تَـنـويـنَـهُ

ثم مضى مع أبيه عبد المطلب إلى وَهْب بن عبد مَناف بن زُهْرة، وهو يومئذٍ سيِّدُ بني زُهْرة نسباً وسِنّاً وشَرفاً، فخطب إليه ابنَته آمنة، وهي يومئذٍ أفضلُ نساء قريش، فزوَّجه إياها، فأقام عندها ثلاثاً، وعمره يومئذ سبع عشرة سنة، وقيل: ثلاثون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة.

وحملَتْ آمنةُ برسول الله ﷺ، ثم ذكر عبد الله الخثعميَّةَ وجمالَها وما عرضت عليه، فأقبل يُريدها، فلم يرَ من إقبالها عليه أخيراً ما رأى منها أولاً، فقال: هل لك فيما عرضْتِ عليَّ؟ فنظرت إليه وقالت: «قد كان ذلك مرَّةً، فاليوم لا». فذهبت مثلاً، ثم قالت له: ما الذي صنعتَ بعدي؟ قال: واقعتُ امرأتي آمنة، فقالت: والله يا هذا لستُ بصاحبةِ رِيبة، ولكنيّ رأيتُ نورَ النبوَّة بين عينيك مثل غُرَّة الفَرَس ساطعاً إلى السماء، فأردتُ أن يكون ذلك فيَّ، وأبى الله إلا أن يَجعله حيث شاء، ثم عذْتَ وليس في

(١) اختلف في المرأة التي لقيها عبد الله على قولين: أولهما ما ذكر ابن هشام في السيرة ١/ ١٤٣ عن ابن إسحاق أنها امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي أخت ورقة بن نوفل.
والثاني: ما ذكره المصنف، وانظر كلا الروايتين عند ابن سعد في «الطبقات»١/ ٩٥، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٤٣، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (قسم السيرة) ص٢٠٤ ـ ٢٠٦، وابن الجوزي في «المنتظم» ٢/ ٢٠١، وابن الأثير في «الكامل» ٢/ ٧ ـ ٨، وابن كثير في «البداية» ٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.

وجهك منه شيء، فأخبِرْ زوجتَك أنها قد حَمَلَتْ بخير أهلِ الأرض، وإني لأحسِبُك أبا النبي المبعوث الذي قد أظلَّ زمانُه.

وحملت آمنةُ برسول الله ﷺ في الليلة التي أقام فيها عبد الله عندها.

قال الزُّبير: حَملتْ به في شِعْبِ أبي طالب عند الجَمْرَة الوُسْطى.

وكان عبد المطلب إذا قدِم اليمن نزل على عظيم من عُظَماء حِمْيَر، فوجد عنده مرةً رجلاً قد قرأ الكتب، فقال: أتأذن لي يا عبد الله أنْ أفتِّشَ مكاناً منك؟ فقال: ليس كلّ مكانٍ آذَنُ لك في تفتيشه، فقال: إنما هو مِنْخَراك، فقال: انظر، فنظر في مِنْخَرَيْه وقال: أرى نُبَوَّةً ومُلْكاً، وأحدهما في بني زُهرة.

فرجع عبد المطلب فتزوَّج هالةَ بنت وَهب، وزوَّج ولده عبد الله آمنةَ بنت وهب، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة، وولدت آمنةُ رسول الله ﷺ(١).

وكان عبد المطلب يخرج في رحلة الشتاء إلى اليمن، فنزل مرَّةً على يهوديٍّ قد قرأ الكُتُب، فنظر إليه فقال: أرى في أحد مِنْخَرَيك نبوَّةً وفي الآخر مُلْكاً، فهل لك من شاعة، أي: زوجة ؟ فرجع عبد المطلب فتزوَّج هالةَ، وزوَّج عبد الله آمنة.

فصل في ذكر هاشم

وأمه عاتكة بنت مُرَّة بن هِلال، وهاشم لقبٌ له، واسمه عمرو، وفيه يقول عبد الله ابن الزِّبعرَى: [من الكامل]

عمرو العُلَى هشمَ الثَّريدَ لقومه ... ورجالُ مكةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ

من جملة أبيات(٢).

وقال مَطْرود بن كعب الخزاعي(٣): [من الكامل]

يا أيُّها الرجُلُ المحوِّلُ رَحْلَه ... هلَّا نزلْتَ بآلِ عبد مَنافِ

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٨٦، والحاكم ٢/ ٦٠١ ، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٠٦.

(٢) البيت في ديوانه ص٥٣، ومسنتون: أصابتهم سَنَةٌ مُجْدِبة.

(٣) اختلف في قائل هذه الأبيات على قولين: أحدهما: مطرود كما أورده المصنف هاهنا، وابن هشام في «السيرة» ١/ ١٦٣ ، و«أنساب الأشراف» (قسم السيرة) ص٦٨، و«الحماسة البصرية» ١/ ١٥٥ . والثاني: =

هَبِلَتْك أُمُّك، لو نزلت عليهم ضَمِنُوكَ من جُوعٍ ومن إتْلاَفِ[١]
والمُطْعمينَ إذا الرِّياحُ تناوَحَتْ لِمُوَقَّصِين ومُسْنِتِينَ عِجافِ[٢]
والمُفْضِلين إذا المُحُولُ تَرادَفَتْ والقائلينَ هَلُمَّ للأضيافِ
والخالِطينَ غنيَّهمْ بفقيرِهم حتى يكونَ فقيرُهُم كالكافي

وذلك لأن قومَه أصابهم قَحْطٌ شديد، وسَنَوات أذهبت المال، فرحل إلى الشام، فاشترى الدَّقيق والسَّمْنَ والزَّيت، وحَملَه إلى مكة، وكان يَنْحَر الجَزُوْرَ، ويَصنع الثَّريد وَيلُتُّه بالسَّمْنِ والزَّيت، ويَهشِمُه، ويجمعُ الناس عليه فعاشوا.

وكنية هاشم: أبو ثَرِيد، وقيل: أبو نَضْلة، وقيل: أبو أَسَد.

فَصْلٌ في ذِكر رحلة الشتاء والصيف

كانت العربُ تَعْتَفِد[٣] في الجاهلية، واعتِفادُها أن أهلَ البيت منهم إذا هَلَكت مواشيهم، ولم يَبْقَ لهم شيء؛ خرجوا إلى البَرِّيَّة يَضربون على نفوسهم الأَخْبِيَة، ثم لَزِموها حتى ماتوا قبل أن يُعْلَمَ بِخَلَّتِهم، فلما عَظُم قَدْرُ هاشم قال: يا معشرَ قريشٍ، إن العِزَّ مع كثرة العَدَدَ، وقد أصبحتُم أكثرَ العرب مالاً وأعزَّها نَفَراً، وإن هذا الاعتفادَ قد أتى على كثيرٍ منكم، وإني قد رأيتُ رأياً. قالوا: ما هو؟ فإن رأيَكَ رشيدٌ، فمُرْنا بأَمْرِك نأتمِرْ.

قال: رأيتُ أن أَخْلِطَ فقراءكم بأغنيائكم، فأضمَّ إلى كل غنيٍّ فقيراً يعيش في ظِلِّه يؤاكله، ويكونَ ذلك قاطعاً للاعتفاد، ثم تَرحَلون رحلَتين رحلةً للشتاء والأخرى للصيف، فنساعدهم على ذلك، فقالوا: نِعْمَ ما رأيت. فأَلَّف بين الناس، وأحيى

= عبد الله بن الزبعرى، والأبيات في ديوانه ص٥٤ س، وقال في «الحماسة»: ويروى لعبد الله بن الزبعرى، والأول أكثر.

(١) هبلتك: ثكلتك.

(٢) تناوحت: تقابلت، وهي الرياح التي تهب في الشتاء، فهي تهب من جهات متعددة، وقوله: «الموقصين»كذا جاءت في نسخنا، ولم نقف على هذه الرواية، وجاء البيت في ديوان عبد الله بن الزبعرى:

والمطعمون إذا الرياح تناوحت ورجال مكة مسنتون عجاف

وهو كذلك في الحماسة ١/ ١٥٥ لمطرود بن كعب.

(٣) في النسخ: «تحتقد»، والمثبت من «لسان العرب»، و «القاموس»: (عفد).

الفقراءَ، فأخبر الله عن ذلك فأنزل: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾. السورة[1].

وكان هاشمٌ إذا قَدِم على ملوك اليمن والرومِ أكرموه، وأحسنوا إليه، وربّما بلغ إلى أَنقِرة، وهي موضع فيه قلعةُ الرُّوم[2]، ولمَّا جاء الإسلام انتسخ ذلك.

وقال سعيد بن جبير: مرَّ رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ؓ بملأ وهم ينشدون: [من الكامل]

قُل للذي طَلَب السَّماحةَ والنَّدى ... هلاَّ نزلتَ بآلِ عبد الدَّارِ
هلاَّ مرَرْتَ بهم تُريد قِراهُمُ ... مَنَعوك من جَهْدٍ ومن إقتارِ

فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أهَكَذَا قالَ الشَّاعرُ»؟ قال: والذي بعثَك بالحقِّ إنما قال:

قُل للذي طَلَب السَّماحة والنَّدى ... هلاَّ مررتَ بآلِ عبد مَنافِ
هلاَّ مررتَ بهم تريد قِراهمُ ... مَنَعوك من فقْرٍ ومن إجْحافِ
الرَّائشِينَ وليس يُوْجَدُ رائِشٌ ... والقائلين هَلُمَّ للأضيافِ
والقائمين بكلِّ وَعْدٍ صادقٍ ... والرَّاحلين لرِحْلةِ الإيلافِ
عَمرو العُلا هَشَم الثَّريدَ لقومِه ... ورجالُ مكةَ مُسْنِتونَ عِجافُ
سَفَرَيْن سنَّهما له [ولقومه][3] ... سَفَرَ الشتاء ورِحْلَة الأصيافِ

وكان هاشم إذا حضر الموسم قام فقال: يا معاشر قريش، أنتم جِيران الله، وأهلُ بيته، وسكانُ حَرَمه، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوَّارُ الله يعظِّمون بيتَه، فهم أضيافُه، وأحقُّ مَن أكرمَ أضيافَ الله أنتم، فاقْرُوْهُم، واسقوهُم. ثم يَنصب حِياضَ الأُدْم في موضعِ زمزمَ، ثم يُخرج أموالاً كثيرة، وتُرافِدهُ قريش، فيُطعِمُ الحاجَّ ويَسقيهم قبل يوم التروية بيوم وبمنىً وبجَمْع، وبعَرَفة، مدَّةَ مُقامِهم في أيام الموسم، يَثْرُدُ لهم الخبز،

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٩٧ إلى الموفقيات للزبير بن بكار ـ وليس فيما طبع منه لأنه مخروم ـ عن عمر بن عبد العزيز، قوله.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٧٥.

(٣) ما بين حاصرتين ليس في النسختين، والمثبت من «الكشف والبيان» للنيسابوري ٦/ ٥٥٨.

ويَجعلُ عليه فِدَرَ اللَّحم، ويذرُّ عليه السَّويق، ويَخلِطُه بالسَّمْن إلى أن يَصدُرَ الناس إلى بلادهم.

ذكر مُنافَرَة هاشم وعبد شَمْس

وكانا وُلِدا تَوْأمين، وإصبعُ أحدهما مُلتصقةٌ بجبهة الآخر، فانفصل منها دمٌ، فقال الناس: يكون بينهما دَم[١]. ووُلِدَ بعدهما المطلب وهو أصغرهم، واسم أمِّ الثلاثة: عاتكةُ بنت مُرَّة السُّلَمية، وآخرهم نَوفلٌ وأمُّه واقدة، وكان لعبد مَناف أولادٌ أُخَرُ، إلا أن المشار إليه منهم هؤلاءِ الأربعة، فإنهم سادوا بعد أبيهم، فلما توفي عبد مَناف ولي بعده هاشم، فأخذ السِّقايةَ والرِّفادَة، وساد قومَه، فحَسَده أميةُ بنُ عبد شمس وكان ابنَ أخيه، فتكلَّفَ أن يَصنعَ صنيعَ هاشم فعَجَزَ، فعَيَّرتهُ قريش وقالوا: تتشبَّهُ بهاشم؟ فغَضِب وقال: ومَن هاشمٌ؟ ثم دعا هاشماً إلى المُنافَرَة، فأبى لسِنِّه وعِظَم قَدْرِه، فلم تَدَعْه قريش، فقال هاشم: أُنافِرُك على خمسين ناقةً سُودِ الحَدَقِ تُنْحَر بمكة، والجَلاءِ عن مكة عشرَ سنين. فرضي أميَّةُ بذلك، وجعلا بينهما الكاهِنَ الخُزاعيّ وهو جدُّ عمرو بن الحَمِق كان يَنزِلُ بعُسْفان، فخرج هاشم في نفر من قريش، وخرج أمية ومعه أبو هَمْهَمة ابن عبد العزَّى وكانت ابنته تحت أمية، فنزلوا على الكاهن، فعلم ما جاؤوا فيه ولم يُعَرِّفوه، فقال: والقَمَرِ الباهر، والكوكبِ الزَّاهِر، والغَمام الماطِر، وما بالجوِّ من طائر، وما اهتدى بعَلَم مُسافرٌ من مُنجِدٍ وغائر، لقد سَبَقَ هاشمٌ أميةَ إلى المفاخِر، وأبو هَمْهَمَةَ بذلك خابر. فنفَّر هاشماً على أمية، وعاد هاشم إلى مكة، وأخذ الإبلَ فنَحَرها، وأَطعم الناس، وخرج أميةُ إلى الشام، فأقام بها عشرَ سنينَ، فكانت هذه أولَ عداوةٍ وقعت بين هاشم وأميةَ، وتوارَثَ ذلك بَنُوهُما[٢].

ذِكر حِلْفِ المُطَيَّبين[٣]

وكان في أيام هاشم، وذلك أن هاشماً وعبدَ شمس والمطَّلبَ ونَوفلاً، بني عبد

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٥٣.

(٢) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ٦٩، و «الطبقات الكبرى» ١/ ٧٦، و«تاريخ الطبري»، و«المنتظم» ٢/ ٢١٢.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٧٧، و«سيرة ابن هشام» ١/ ١٣٠، و«تاريخ اليعقوبي» ١/ ٢٤٨، و«البدء =

مناف، أجمعوا بأن يأخذوا ما بأيدي بني عبدِ الدار بنِ قُصيّ مِمَّا كان جعل قُصيٌّ إلى عبدِ الدارِ من الحِجابةِ والسِّقايةِ واللّواءِ والنَّدْوةِ والرِّفادةِ، ورأَوا أنهم أحقُّ بذلك لِشَرَفهم وفَضْلِهم على قومهم، وكان القائمَ بالأمر هاشمٌ، وأبى ذلك بنو عبدِ الدَّار، وانضمَّ إلى بني عبد مَناف بنو أَسَد بنِ عبد العُزَّى، وبنو زهرة[١]، وبنو تميم بن مُرَّة، وبنو الحارث بن فِهْر، وانضمَّ إلى بني عبد الدَّار بنو مَخْزوم، وبنو سَهْم، وبنو جُمَح، وبنو عَدِيّ بن كعب، وعَقَدَ كلُّ قوم حِلفاً مؤكّداً على أنهم لا يتخاذلون، وأخرجت بنو عبد مناف جَفْنةً مملوءةً طِيباً، فوضعوها عند الكعبة، وغَمَسوا أيديَهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا، ومَسَحوا الكعبة بأيديهم تأكيداً[٢]، فسُمُّوا المُطَيَّبين.

ولما رأت ذلك بنو عبد الدار نحروا جَزُوراً، وجعلوا دمَه في جَفْنة، وغمسوا أيديَهم فيها، وتحالفوا، فسُمُّوا لَعَقَةَ الدَّم، ووقع الشرُّ بينهم، وتهيَّأ الفريقان للقتال، فقال أعيانُ قريش: هذا سببُ هلاك الفريقين، وطمعِ العدو في بيت الله وحَرَمِه، ودخلوا بينهم، فاتَّفقوا على أن يُعطوا لبني عبد مَنافٍ الرِّفادةَ والسِّقايةَ، وتكون الحِجابةُ واللواءُ ودارُ النَّدْوَة في يدِ بني عبد الدار، فلم تَزَلْ دارُ الندوة في أيديهم حتى باعها عكرمةُ بنُ عامر من معاوية بن أبي سفيان، فجعلها دارَ الإمارة، وهي اليوم على ذلك.

ذكر أشراف قريش في الجاهلية[٣]

وانتهى الشَّرَفُ في قُريش إلى عشرةِ رَهْطٍ من عشرة أبطُن، وهم: هاشمٌ، وأميةُ، ونوفلٌ، وعبدُ الدار، وأسدٌ، وتَيم، ومَخزوم، وعَدي، وجُمَح، وسَهْم.

فكان من بني هاشم العباسُ بن عبد المطلب يسقي الحجيجَ في الجاهلية، وبقي له

= والتاريخ» ٤/ ١٢٨، و«أخبار مكة» ٥/ ١٧٥، و«المنتظم» ٢/ ٢١٨، و«الكامل» ١/ ٣٥٠ و ٥٥٨، و«البداية والنهاية» ٢/ ١٩٤، ٢٧٠.

(١) في «النسخ»: «زهير» والمثبت من السيرة، والمصادر.

(٢) جاءت العبارة في (ك): «وتعاقدوا ومسحوا بالكعبة تأكيداً»، وجاءت في (خ): «وتعاقدوا بالكعبة تأكيداً» والتصويب من «السيرة» ١/ ١٣٢.

(٣) انظر «العقد الفريد» ١/ ٣١٣ـ٣١٤، و«المنتظم» ٢/ ٢١٦، و«جمهرة النسب».

ذلك في الإسلام، وكان إليه أمرُ المسجد الحرام، فلا ينطِقُ فيه أحد بِهُجْرٍ ولا رَفَث، ولا يرفع صوتَه فيه إلا وللعباس أن ينهاهُ عن ذلك، وكانت إليه عِمارتُه وأسبابُه، واتصل ذلك بِبَنيهِ في الإسلام.

وأمَّا أميَّةُ: فمن بنيه أبو سفيان، كانت عنده راية تُسمَّى «العُقاب» وكانت لقريش يسيرون تحتها، وجاء الإسلام وهو على ذلك.

وأمَّا نوفل: فمن بَنيه الحارثُ بن عامر، كان إليه الرِّفادةُ، وهي ما تُخرِجُه قريش من أموالها، ترفِدُ به مُنْقَطِع الحاجِّ.

وأمَّا عبد الدار: فمن بَنيه عثمان بن طَلْحة، كان إليه اللِّواء، والسَّدَانة، والحِجابة، ودار النَّدْوَة، وبقي ذلك إلى أول الإسلام، فزال اللواءُ ودارُ الندوة، وبقيت الحِجابةُ.

وأما أَسَدٌ: فمن بنيه يزيد بن ربيعة بن الأسود، وكانت إليه المشورةُ، واستُشهِدَ يومَ الطائِف مُسلِماً.

وأما تَيْمٌ: فمنها أبو بكر ﷺ، كانت إليه في الجاهلية الأشناقُ، وهي الدِّياتُ والمغارِم.

وأما مخزومٌ: فمنها خالدُ بن الوليد، كانت إليه أعِنَّةُ الخيل في الحرب دون غيره، وما يَجمعونه لتجهيز الجيوش[(١)].

وأما عَدِيٌّ: فمنها عمرُ بن الخطاب ﷺ، كانت إليه السِّفارة في الجاهلية، إذا وقعت بين قريش وبين غيرها مُنافَرَة، أرسلوه فأَصلَحَ بينهم[(٢)].

وأما جُمَحُ: فمنهم صفوانُ بن أمية، كانت إليه الأزْلامُ، وهي الأَيْسار.

وأما سَهْمٌ: فمنها الحارثُ بنُ قيس، كانت إليه الحكوماتُ في المالِ الذي يجعلونَه لآلهتهم.

---

(١) جاء في «العقد الفريد» ٣/ ٣١٤، و«المنتظم» ٢/ ٢١٧: أن له القبة والأعنة، فأما الأعنة فقد ذكرها المصنف، وأما القبة: فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش.

(٢) جاء في «العقد الفريد» ٣/ ٣١٤، و«المنتظم» ٢/ ٢١٧: أنه كان سفيراً لقريش في الحرب، وإن نافرهم حي لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به.

فهذه المكارم التي كانت لقريش ، ولهاشم أعْظَمُها، ثم جاء الإسلام فَوَصَل ما يَصْلُح وَصْلُه، قال شَرِيك بن عبد الله: سُئِل عليٌّ عليه السلام عن بني أمية وبني هاشم؟ فقال: هم أكبرُ وأمكرُ وأشكر، ونحن أفصحُ وأصبحُ وأنصحُ[(١)].

ذِكر وَفاة هاشم

اتفقوا على أنه مات بغَزَّة بساحل البحر، وهو ابن عشرين سنة، وقيل: ابن أربع أوخمس وعشرين سنة، ولما احتُضِر أوصى إلى أخيه المُطَّلب، فبنو هاشم وبنو المطَّلب يدٌ واحدة إلى اليوم، وبنو نوفل وبنو عبد شمس ابني عبدِ مَناف يد واحدة إلى اليوم.

ذكر أولاد هاشم

كان له من الولد عشرة، خمسة ذكور وخمس إناث، فالذكور: أبو صَيْفي واسمه عمرو وكان أكبرَ ولده، وصيفيٌّ[(٢)]، وشَيْبَةُ وهو عبد المطلب، وأسدٌ، ونَضْلَة. وأما الإناث: فرُقَيَّةُ، والشِّفاء، وضَعيفة، وخالِدة، وحَيَّة.

فأما أبو صيفي فسمَّاه هاشم عَمراً لمحبته إياه، فوَلَد أبو صيفي الضَّحاكَ ورُقَيْقةَ، وهي أم مَخْرمة بنتُ نوفل الزُّهْري صاحبة حديث استسقاء عبد المطلب.

وأما صيفيٌّ فلم يُعقِب. وأمه أم أبي صيفي واسمها هند بنت عمرو بن ثَعْلَبة الخَزْرَجي. دَرَج[(٣)] ولم يولد له.

وأما شيبةُ فسنذكره.

وأما أسدٌ فأمه قَيْلةُ بنت عامِر خزاعية، وهي بنت هَرِم بن رَواحة من بني عامِر بن لؤي، فولدت له فاطمة بنتَ أسَد أمَّ علي عليه السلام وأخوته.

وأما نَضْلةُ بن هاشم فأمُّه أُمَيْمة بنت عدي من قُضاعة، وُلد له الأرْقَم بن نَضْلة،

---

(١) انظر «العقد الفريد» ٣/ ٣١٥.

(٢) صيفي وأبو صيفي، جعلهما البلاذري في «أنساب الأشراف» (قسم السيرة) ص٩٩ رجلاً واحداً.

(٣) درج: مات.

ووَلَدَ الأرقمُ زيْنَبَ، تزوَّجها عبدُ يَغُوثِ بن وَهب الزُّهري ووَلَد الأرقمُ هِنْداً، تزوَّجها جَميل بن مَعْمرَ الجُمَحيّ، وليس لنَضْلةَ عَقِبٌ من الذكور.

وأما رُقيَّةُ، فهي شقيقةُ عبد المطلب وأمها سلمى، ماتت وهي بِكْرٌ.

وأمَّا الشِّفاءُ، فتزوجها عُبيد بنُ عبد يَزيد بن هاشم بن المطلب، فأولدها السائبَ بنَ يزيد. وكان السائبُ يُشْبه رسول الله ﷺ، وقد رثت أباها هاشماً فقالت[١]: [من الخفيف]

عـيـنِ جُـودي بـعَـبْـرةٍ وسُـجـوم ... واسْفَحي الدَّمعَ للجَواد الكريم
عيـنِ واسْتَعْبِري وسُحّي دُموعاً ... لأبـيـكِ الـمُـسـوَّد الـمَـعْـلـومِ
وربـيـعٍ لـلـمُـجْـدبـيـن وحِـرْزٍ ... ومُـرامٍ لـكـلِّ أمـرٍ عـظـيـم
شَـيْـظَـمـيٍّ مُـهَـذَّبٍ ذي أيـادٍ ... أرْيَحيٍّ مثلِ القناةِ وَسيم[٢]
غـالِـبـيٍّ سَـمَـيْـدَعٍ أحْـوَذيٍّ ... باسِقِ المجْدِ ذي رُواءٍ حَليم[٣]
صادقِ البأسِ في المواطن شَهْمٍ ... ماجِدِ الخِيْم غيرِ نِكْسٍ ذَميم

وأمَّا ضعيفةُ وخالدةُ فأمهما واقِدة بنت أبي عَدِيٍّ من بني مازِن، كانت تحت عبد مَناف، فلما مات خَلف عليها ولدُه هاشم.

وأما حيَّةُ فأمها أمُّ عدي[٤] بنت حُبَيِّب ثَقَفِيَّة.

وقالت خالدة ترثي أباها هاشماً[٥]: [من الكامل]

بَكَرَ النَّعِيُّ بخير مَن وَطِئَ الْحصَى ... ذي المكرُمات وذي الفِعالِ الفاضِلِ
بالسيِّد الغَمْرِ السَّمَيدَعِ ذي النُّهى ... ماضي العَزيمةِ غير وَغْدٍ واغِلِ[٦]
زيـنِ الـعَـشـيـرةِ كُـلِّـهـا، ورَبـيـعِـهـا ... في الضَّيِّقات[٧] وفي الزَّمان الماحِلِ

---

(١) الأبيات في «الطبقات الكبرى» ١/ ٨١.

(٢) الشيظمي: الطويل الجسيم الفتي.

(٣) السميدع: السيد الكريم الشريف السخي، والأحوذي: الحاذق.

(٤) سقطت كلمة (أم) من النسخ و«الطبقات» ١/ ٨٠، والمثبت من «تاريخ اليعقوبي» ١/ ٢٤٤، و «توضيح المشتبه» ٣/ ١٠٠، وانظر «الروض الأنف» ١/ ١٣٠.

(٥) الأبيات في «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٠.

(٦) الوغل: النذل الساقط.

(٧) جاء في «الطبقات»: «المطبقات».

بأخي المكارمِ والفَواضلِ والعُلى ... عَمرو بن عبد مَنافِ غيرِ الخاذلِ
إنَّ المهذَّبَ من لُؤَيٍّ كُلِّها ... بالشَّام بين صفائحٍ وجَنادلِ
أبكي عليه ما بَقيتُ بعَوْلةٍ ... فلقد رُزئتُ أخا ندىً وفوَاضلِ
ولقد فَقَدْتُ قَريعَ فِهْرٍ كلِّها ... ورئيسَها في كلِّ أمرٍ شاملِ

فَصْلٌ في عبد مَناف

واسمه المُغيرة، وكان يلقَّب بالقَمَر لجمَاله. وأمُّه حُبَّى بنت الحُلَيْل الخُزاعي، وقيل: عاتكة بنت هِلال من بني سُلَيْم[(١)]. وكان قُصيّ أبو عبد مناف يقول:

وُلد لي أربعةُ أولاد سمَّيتُ منهم اثنين باسم إلهي، وواحداً بداري، وواحداً بنفسي، وهم: عبدُ مناف، وعبدُ العُزَّى، وعبدُ الدارِ، وعبد قُصَيٍّ[(٢)].

ذكر أولاد عَبْد مَناف

وُلد له ستَّة ذكورٍ وستُّ إناث. فالذكور: هاشمٌ، والمطَّلب، وعبد شَمسٍ، ونَوفل، وأبوعمرو، وأبو عُبيد[(٣)].

والإناثُ: تمُاضِر ،وحَيَّة، ورَيْطة، وقِلابة، وبَرَّة، وهالة[(٤)].

فأمَّا هاشمٌ فكان أكبَرَ ولده، وهو الذي عقد الحِلف لقريشٍ من النَّجاشي[(٥)].

وأما عبد شمس فأمه عاتِكةُ أم هاشم.

ذكر أولاد عبد شَمس

وهم أمَيَّة الأكبر، وأمَيَّة الأصغر، وحبيب، وعبد العزَّى، وسُفيان، وربيعة، وعبد أمية، ونَوْفل، وعبد الله، وأُميْمة[(٦)].

---

(١) انظر «أنساب الأشراف» ص٦٦.
(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٥٤
(٣) انظر «الطبقات الكبير» ١/ ٥٦ وجاء في «أنساب الأشراف» ص٧١: أبو عمرو واسمه عبيد، وانظر «البداية والنهاية» ٢/ ٢٣٧.
(٤) انظر «أنساب الأشراف» ص٧١.
(٥) جاء عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٥٢ ، و«المنتظم» ٢/ ٢١٢ أن الذي أخذ الحلف هو عبد شمس.
(٦) انظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٥ ـ٦.

فأما أُمَيَّةُ الأكبر فكان عبد شمس يُكنى به، وأمه تَعْجُز بنتُ عُبيد بن رُؤاس بن كلاب. ويقال لها أيضاً عاتكة، وهي أم حَبيب بن عبد شمس. وذهَبَ بَصَرُ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمس.

ذكر أولاد أُميَّةَ الأَكبر

فوُلِد لأَمَيَّة الأكبر: حَرْبٌ، وأبو حَرْب، وسُفْيان، وأبو سُفْيان، وعَمرو، وأبو عمرو، وهم العَنابِسُ من قريش، والعاص، وأبو العاص، والعِيص، وأبو العِيص، وهم الأَعْياص من قريش.

وفيهم يقول فَضالةُ بن شَريك الأسَدي[1]: [من الوافر]

مِـنَ الأعـيـاصِ أو مـن آلِ حَـرْبٍ ... أغَـرُّ كـغُـرَّة الـفَـرَسِ الـجَـوادِ

وأمهم آمنةُ بنت أبانِ بن كُلَيْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة، وفي ذلك يقول النابِغةُ الجَعْدِي[2]: [الوافر]

وشـارَكْـنـا قُـرَيـشـاً فـي تُـقـاهـا ... وفـي أحْـسـابِـهـا شِـرْكَ الـعِـنـانِ
بـمـا وَلَـدت نـسـاءُ بـنـي هِـلالٍ ... ومـا وَلَـدت نـسـاءُ بـنـي أَبَـانِ

فأمَّا حرب بن أُمَيَّةَ الأكبر فكُنيتُه أبو عمرو، وهو أبو أبي سفيان صخرِ بنِ حَرْب، وأمِّ جميل حَمَّالة الحَطَب بنت حرب، وكان شريفاً في قومه، وكان ينادِم عبدَ المطلب، فجرى بينهما كلام فتنافرا، فَنفر عبد المطلب عليه، وأبى النجاشيُّ أن يدخل بينهما، فجعل بينهما نُفَيْل بن عبد العُزّى بن رَباح العَدَوي.

فقال نُفَيْل لحرب: أَتُنافِرُ رجلاً هو أطولُ منك قامةً، وأعظمُ هامةً، وأوسمُ وَسامة، وأقلُّ مَلامة، وأكثر منك وَلداً، وأعظمُ مَدَداً، وأعزُّ والداً، وأجزلُ صَفَداً[3] وأطول يَداً؟ فنفَّره عليه. فقال حرب: من انتكاثِ الزمان أنْ جُعِلْت حَكَماً[4]. والنَّكِيثَة: خطة صعبة.

(١) انظر «جمهرة النسب» ص٣٨، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٧، و«الأغاني» ١٢/ ٧٢.
(٢) الأبيات في ديوانه ص١٦٤، وأنساب الأشراف ٤/ ٧، وانظر «جمهرة النسب» ص٣٨.
(٣) الصفد: العطاء.
(٤) انظر الخبر في «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٢٥٣.

ولما مات حرب، كُنَّ نساءُ قُريش كلما مات مَيِّتٌ بَكَيْنه وقُلْن: واحَرْباه ـ بإسكان الراء ـ يُشِرْنَ إلى حرب بن أمية، من عِزَّته وشَرَفه، فأقَمْن مدَّة على هذا، فمات ابنٌ لامرأةٍ، فَجَعَلْنَ النساءُ يقلن: واحرْباه، فقالت أمُّه: وما أصْنَعُ بحرب؟ افْتَحن الراءَ، وقُلْنَ: واحرَباه من الحرَبِ، فقلن ذلك فصار سُنَّةً للنساء.

ذكر أولاد حَرْبِ بن أمية

وهم: أبو سفيانَ والفارِعةُ، وأمهما صفيَّةُ بنت حَزْن هِلاليَّة. وأمُّ جَميل بنتُ حرب أمها فاخِتَة بنتُ عامر بن مُغيث الثَّقفي. وأميمةُ وأُمُّ الحكم ابنتا حرب، أُمُّهما أمُّ وَلَد، والحارث[1] بنُ حرب، وأمُّه يمانِيَّةٌ دَرَج، وعَمرو بنُ حرب [وأبو عمرو بن حرب][2]، والصَّهباء بنت حرب.

فأمَّا أبو سفيانَ، فسنذكره في ترجمته.

وأمَّا الفارعةُ فكانت تحت شيبةَ بن ربيعةَ بن عبد شمس، فخلف عليها الأَسْودُ بن المطَّلب بن أسَد بن عبد العُزّى.

وأمَّا أم جميل فتزوجها أبو لَهَب بن عبد المطلب.

وأمَّا فاخِتةُ، فتزوجها جَثَّامةُ اللَّيْثي، ثم خلف عليها عُتْبةُ بن غَزْوانَ المازني.

وأمَّا الصَّهْباء فتزوجها بِشْر بنُ عبد الملك السَّكوني. فهؤلاء أولاد حرب بن أمية الأكبر.

وأمَّا سفيانُ بن أميةَ الأكبر فلا عَقِب له.

وأمَّا أبو سفيان بن أمية فاسمه عَنْبَسة، وهو أكبر ولده، ولا عَقِبَ له.

وأمَّا عمرو بن أمية، فلا عَقِبَ له، وأمه بنت أبي هَمْهَمَةَ من وَلَدِ الحارث بن فِهر.

وأمَّا أبو عمرو بن أمية، فأُمه من لَخْم. وولد عمرو بن أمية أبا مُعَيط جَدَّ الوليد بن عُقبةَ بنِ أبي مُعَيط.

(١) في النسخ: «الحرب» والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٩.
(٢) ما بين معقوفين زيادة من «نسب قريش» ص١٢٣.

ومن وَلد أمية الأكبر العاصُ بن أمية، كان سيداً حكيماً، قال له قومه: اهْجُ بني أسَد بن عبدِ العُزّى، فقال[١]: [مجزوء الكامل]

أنَّى أُعادي معشَراً كانوا لنا حِصْناً حَصينا
خُلقوا من الجَوزاء إذ خُلقوا ووالدُهم أَبونا
أبْلِغْ لديك بَني أُميةَ آيةً نُصحاً مُبينا[٢]
أنَّا خُلِقنا مُصْلِحين وما خُلِقْنا مُفْسدينا

وولد أبو العِيص بنُ أُمَيَّة الأكبرِ أَسيداً أبا عَتَّاب بن أَسيد، عامل رسول الله ﷺ على مكة.

وأمَّا العاص بن أمية، فولد سعيد بن العاص، وكنيته أبو أُحَيْحَة.

وأمَّا أبو العاص بن أمية فولد عفَّاناً أبا عثمان - رضي الله عنه -، والحكَمَ أبا مروان.

عدنا إلى أولاد عبد شمس

فمنهم: أمية الأصغر، وعبد أمية، ونَوْفَل، وأمهم: عَبْلةُ بنت عُبيد بن جاذِل من بني تميم من البَراجِم[٣]، ويُدْعَون العَبَلات لأجل أمهم. وأولادُ أميةَ الأصغر بمكةَ، ومنهم الثُّريا التي شبَّبَ بها عُمر بن أبي ربيعةَ. وبنو عبد أُمَيَّةَ ونَوْفل بالشام.

ومنهم: حَبيبُ بنُ عبدِ شمس، فوَلَدُه ربيعةُ جد عامر بن كُرَيْز بن ربيعة، وسَمُرة بن حبيب، وكان له أَمَةٌ سوداء يقال لها: زَبيبة[٤]. وأخوه لأمِّه أبو جُمعة الشاعر جد كُثَيِّر ابن عبد الرحمن بن أبي جُمْعَة[٥].

---

(١) الأبيات في «نسب قريش» ص٩٩، و«جمهرة نسب قريش» ص٤٣١، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٦.

(٢) الآية: الرسالة.

(٣) البراجم: هم قوم من بني حنظلة بن مالك، قال لهم حارثة بن عامر بن عمرو بن حنظلة: أيتها القبائل التي ذهب عددها، تعالوا فلنجتمع فنكن كبراجم كفي هذه، ففعلوا فسموا بذلك.

(٤) كذا جاءت العبارة في النسخ، وفي «المعارف» ص٧٣: وسمرة بن حبيب وكانت أمه سوداء تسمى زبيبة.

(٥) كذا جاءت العبارة في النسخ، وفي «المعارف» ص٧٣: وأخوه لأمه أبو جمعة، جد كُثيِّر بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الشاعر. وانظر «الإصابة» ٤/ ٣٧.

ومنهم: أميمة بنت عبد شمس، وأمها تَعْجُز بنت عُبيد، تزوَّجها حارثةُ بنُ الأوْقَص السُّلَمي، ثم خلَف عليها عَمرو بن ثَعلبة[١] الكِناني.

ومنهم: سُفْيان بن عبد شمس، لا عَقِب له.

ومنهم: ربيعةُ بن عبد شمس، وهو أبو عتبةَ وشيبةَ. وربيعةُ يقال له: جَرْوُ البطحاء.

ومنهم: عبد العُزَّى بن عبد شمس. وُلد له ربيع وربيعة. فأما ربيع: فهو أبو أبي العاص بن الرّبيع زوجِ زينبَ عليها السلام بنت رسول الله ﷺ، وأمُّ عبد العُزَّى بن عبد شمس فاطمةُ[٢] أزْديَّة.

ومنهم: عبدُ الله بنُ عبد شمس الأعرَج. وأمُّه عَمْرةُ كِنْديَّة[٣].

عدنا إلى أولاد عبد مَناف

ذِكر أولاد نوفل بن عبد مناف

وهم: عَدِيٌّ أكبرُ ولده، وبه يكنى، وعامرٌ وعَمْرو وأبو عمرو وعبد عمرو، وضَعيفَة وأَمَة.

فَوَلَد عَدِيٌّ المُطْعم وطُعَيْمة، والخيار والبذَّال، والصَّالح واسْمُه عُبيدُ الله، والمبارَك واسمُه عبدُ الله.

وأمَّا أبو عمرو بن عبد مناف فلا عَقِب له، وأبو عبيد بنُ عبدِ مَناف[٤]، أُمُّهُما واقِدةُ بنت أبي عَدِيٍّ من بني صَعْصَعة.

وأمَّا بنات عبد مناف؛ تُماضِر وحَيَّة وقِلابة وبَرَّة وهالَة فأُمُّهُنَّ عاتكةُ الكبرى بنت مُرَّةَ بنِ هِلالٍ من وَلَد نَضْرةَ.

ورَيْطَةُ بنت عبد مَناف أُمُّها واقِدةُ[٥] ثقَفيَّة.

---

(١) انظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٦، وجاء في «نسب قريش» ص٩٧: ثعلبة بن عمرو.

(٢) انظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٥، واسمها في «نسب قريش» ص٩٨: عمرة بن واثلة.

(٣) انظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٥-٦، واسمها في «نسب قريش» ص٩٨: أمامة بنت الجودي من كندة.

(٤) تقدم في ذكر عبد مناف أنه أبو عمرو واسمه عبيد وانظر «أنساب الأشراف» ١/ ٧١.

(٥) انظر «أنساب الأشراف»، واسمها في «نسب قريش» ص١٥: هند بنت كعب من ثقيف.

وأمَّا المُطَّلب بن عبد مناف، فكان له من الولد: الحارثُ، وعَبَّادٌ، وهاشمٌ، وعِكْرمةُ، وأَنيسٌ، وأبو عمرو، وأَبو رُهْم[1] الأكبر، وأبو عِمران، ومِحْصَن، وعلقمة، وبنات.

وكان الحارث أكبرَ ولده، ووَلَد عَبيدةَ بن الحارث، وهو الذي قتل يوم بدر شهيداً رضي الله عنه.

وأول من مات من ولد عبد مناف هاشمٌ بغزة، وعبدُ شمس بمكة وقبره بأَجْياد، ونَوْفلُ بالسَّلْمان، منزلٌ على طريق العراق من منازل الحُجَّاج، والمطَّلبُ برَدْمان من أرض اليمن، ونَوْفَل آخرهم موتاً، وفيهم يقول مطرود بنُ كعبٍ الخُزَاعي: [من السريع]

قبرٌ بِرَدْمانَ وقبرٌ بِسَلْـ ـمانَ وقبرٌ عند غَزَّاتِ

فصل في ذكر قُصَيٍّ بن كِلاب

كان له أربعة أسامي: قُصَيٌّ، وزيدٌ، ومُجَمِّع، والنَّدى، والمشهور زيدٌ، وغيره ألقاب، وفيه يقول القائل: [من الطويل]

هُمامٌ له أسماءُ صِدْقٍ وسُؤدُدٍ قُصَيٌّ وزيدٌ والنَّدى ومُجَمّعُ

وفيه يقول حُذافَة بن غانم العَدَوي يخاطب أبا لَهَب[2]: [من الطويل]

أبوكم قُصَيّاً كان يُدعى مُجَمِّعاً به جَمَّعَ الله القبائلَ من فِهرِ

ذكر السبب في تسميته قُصَيًّا:

وإنما سمي قُصياً لتَقَصِّي أمه به، وذاك لأن أباه كِلابَ بن مرة كان قد تزوج فاطمةَ بنت سعد بن سَيَل من بني عذرة من أزد السَّراة، فوَلَدت له زيداً وزُهْرة، ثم مات كِلابٌ وزيدٌ صغير، فتزوجَ أمَّه ربيعة بن حَرَام بن ضِنَّة، وقصي فطيمٌ، وزُهرةُ رجل قد بَلَغ، فاحتملها ربيعةُ إلى بلاده من أرض بني عُذرةَ من مشارف الشام، فاحتملت قُصياً معها، [فسمي قصياً] لتقصي أمِّه به، وبُعْدِه عن ديار قومه. ونشأ بأرض قُضاعةَ لا يَعرِفُ له أباً

(١) جاء في «نسب قريش» ص٩٢ أن اسمه أنيساً.

(٢) جاء في «نسب قريش» أبو حذافة بن غانم، والبيت في «الطبقات الكبير» ١/ ٥٣، و «أنساب الأشراف» ١/ ٥٨، و«نسب قريش» ص٣٧٥.

إلا ربيعةَ بنَ حَرام، فجرى بينه وبين رجل كلام، فقال له: الحَقْ بقومك فلستَ مِنَّا، فسأل أمَّه عما قال الرجل، فقالت: أنت واللهِ أكرمُ نَفْساً ووالِداً، أنت ابنُ كلابِ بن مُرَّة، وقومُك عند الكعبةِ بمكة.

فأجمع رأيُ قُصَيٍّ على الخروج إلى مكةَ وكَرِه الغُربة، فقالت له أمه: يا بُنيَّ، لا تَعْجَل حتى يدخلَ الشهرُ الحرامُ، فتخرُجَ مع الحاجِّ فتأمنَ على نفسك، فإني أخاف عليك. فأقام حتى تجهَّزَ جماعةٌ من قُضاعةَ، فخرج معهم، وقَدِم مكةَ وعليها يومئذ حُلَيلُ بنُ حُبْشيَّةَ بنِ سَلولِ بنِ كعبٍ الخُزاعي، وإليه حِجابةُ البيت، فخطب إليه ابنته حُبَّى فزوجه إياها، فولدت له عبدَ الدار، وعبدَ مناف، وعبدَ العزى، وعبدَ قصي، فلما انتشر ولدُه، وكَثُر مالُه، وعَظُم شَرَفُه، هَلَك حُلَيْل، فحَجَب البيتَ ابنُه المُحتَرِش وهو أبو غَبْشان.

وقال الواقدي: لما احتضر حُلَيْل أوصى بولاية البيت إلى ابنته حُبّى فقالت: أنا امرأة فكيف أفْتَح الباب وأُغلِقُه؟ فقال: أنا أجعل ذلك إلى رجل. فجعله إلى أبي غَبْشان واسمه سليم بن عمرو، وكانت العرب تجعل له جُعلاً في كل سنة، فقَصَّروا عنه فغضب، فسقاه قُصي الخمر حتى سَكِر وقال له: يا أبا غَبْشان لا خير في العرب، فقال له: اشْتَرِ مني البيت. فباعه إياه بزِقِّ خمرٍ وقَعودٍ وكَبْشٍ، وقيل: بزقِّ خَمر لا غير، فقال الناس: أخْسَرُ من صَفْقَة أبي غَبْشان. فذهبت مثلاً.

وقيل: إن حُلَيْلاً لما رأى ولد قصي قد كثروا سُرَّ بهم، فأوصى بالبيت إلى قُصَيٍّ وقال: أنت أَحَقُّ به وهؤلاء أولادك من ابنتي، والأول أشهر.

ثم إن قُصَيّاً رأى أنه أَولى[1] بالبيت من خُزاعةَ وبَكْر، وأن قريشاً صريحُ وَلَدِ إسماعيلَ، فعاهد رجالاً من كِنانةَ وقُريشٍ على إخراج خُزاعَةَ وبَكرٍ من مكة، وكتب إلى أخيه لأمه رِزاح بن ربيعةَ يَستَنْجده عليهم، فأنْجَدَه في نَفَر من خُزاعةَ، وكانت صوفَةُ ترمي الجِمار قبل الناس وتُفيضُ قَبْلهم، وكانوا يقفون بعرفةَ والناسُ تَبَعٌ لهم، فلا يَدْفَعون حتى يقول قائل: أَجيزي صوفةُ، فإذا عَبروا العقبةَ تَبِعَهم الناس، فلما أراد

(١) في النسخ: «أوصى» والمثبت من «طبقات ابن سعد» ١/ ٥٠.

قُصَيٌّ في العام الذي حج فيه أن يرميَ ويُفيض منعته صُوفةُ وقالوا: حتَّى نرميَ نحن ونُفيضُ. فلما كان العام القابل قَدمَت قُضاعةُ وفيهم أخوةُ قُصَيٍّ لأمه، وهم: رزاحٌ، ومحمودٌ، وجُلْهُمةُ، وحُنٌّ أولاد ربيعة، واجتمع إلى قصي قبائل مُضَر وقريش وكِنانة عند العَقَبة، فمنعتهم صوفةُ عن رمي الجِمار واقتتلوا، فهزم قصيٌّ صوفةَ، فقال رِزاح لأخيه: أَجِزْ قُصيٌّ بالناسِ، فأنت أوْلى، فأجازهم، فلم تزل الإفاضة في وَلَد قُصَيٍّ، وإلى هلمَّ جراً.

ثم انحازت عنه خُزاعةُ وبَكْر إلى الأبطح، فقاتلهم قصي، وكثرت الجراحات والقتلى بين الفريقين، فحكَّموا بينهم يَعْمر بن عوف بن كعب من ولد كِنانة، ورضوا بحكمه، فحَكَم لِقُصَيٍّ بالبيت والحُكْمِ على مكة، وأن كلَّ دَمٍ أصاب قريشاً يَشدَخُه تحت قدميه من دماء خُزاعةَ وبَكْر، وما أصاب خُزاعةَ وبني بكر من قريش ففيه الدِّيَة، فسُمِّيَ يعمر يومئذٍ الشَّدَّاخ، ولما فرغ قُصَيٌّ من أمر مكة انْصَرف أخوه رِزاحٌ وأخوته وقومه إلى الشام، وكانوا ثلاث مِئة رجلٍ، بعد أن أكرمهم قصي وأحسن إليهم، وكانوا يوافون الموسم كل عام، فينزلهم في دار النَّدوة، ويكرمهم، ويَصِلُهم.

ولما استقام أمره بمكة أجْلى خُزاعة من الأباطح، وأنزل قريشاً في أماكنهم، وكانوا في الجبال والشِّعاب، وهو أول من أصاب مُلكاً من بني لؤَي بن غالب، وأطاعه قومه وملَّكوه عليهم، وكان شريفاً، وهو الذي بنى دار الندوة، وجعل بابها إلى المسجد، وما كانوا يتشاورون في أمر ولا يتناكحون ولا يعقِدون لواءَ الحرب ونحوَه إلا فيها(١).

وأول من أوقد النار بالمُزْدَلِفة قصي، فكان يراها الناس من عَرَفةَ، وكان يُضيِّفُ الناسَ أيامَ الموسم طول مُقامهم بمكة ومِنىً وعرفة(٢)، والنِّسبةُ إليه قُصَوِيٌّ.

ذكر أولاده:

وهم: عبدُ مناف، وعبدُ الدار، وعبدُ العزى، وعبدُ قُصَي، وكان يُحِبُّ عبدَ الدار،

---

(١) انظر «طبقات ابن سعد» ١/ ٤٨ ـ ٥٤، و«أنساب الأشراف» ١/ ٥٤ وما بعدها، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٢٦٥

(٢) انظر «طبقات ابن سعد» ١/ ٥٤، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٢٦٥.

ولما كَبُرَ ورقَّ عظْمُه، أعطى ولدَه عبدَ الدار الحجابةَ، والسِّقايةَ والرِّفادةَ، واللِّواءَ ودارَ النَّدوة.

وكان عبد الدار بِكْرَ قُصيٍّ وكان ضعيفاً، وكان إخوته قد شَرُفوا عليه؛ فقال قصي: والله لأُلحِقَنَّك بهم، وإن كانوا قد شرُفوا عليك، فلا يدخل أحدهم الكعبةَ حتى تكون أنت الذي تفتَحُها له، ولا يُعْقد لقريش لواءُ الحرب إلا وأنت الذي تعقِدُه بيدك، ولا يشرب رجل ماءً بمكة إلا من سِقايتك، ولا يأكل أحد بمكة طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمراً إلا في دارك[1].

ذكر وفاته:

وتُوفي قصي بمكة وهو ابن عشرينَ ومئةِ سنةٍ، وقيل: لم يبلغ المئةَ، ولما احتُضِر أوصى بَنِيهِ، فقال: اجتنبوا الخمرةَ، فإنها تُصلحُ الأبدانَ، وتُفسِدُ الأذهانَ.

فصل في كِلاب بنِ مُرَّة

وأمُّه هند بنت سُرَيْر بن ثعلبةَ بن الحارث بن فِهْر بن مالك، وقيل: نُعيمٌ بنت سُرَير[2].

ومن ولد كلاب بن مرة: زُهْرة بنت كلاب، وهي امرأةٌ[3] نُسِبَ ولَدُها إليها دون الأب، منهم أخوال رسول الله ﷺ.

وكان لكلاب أخوان من أبيه، وهما: تَيمٌ ويَقَظة، وأمهما هند بنت حارثةَ البارِقيَّة، وقيل: أسماءُ بنت عَدِيّ بن حارثة.

فصل في مُرَّةَ بن كعب

وأُمُّه وَحْشِيَّة بنت شيبان، من وَلَد النَّضْر بن كِنانة، وأخواه عَدِيٌّ وهُصَيْص.

---

(١) انظر «طبقات ابن سعد» ١/ ٥٥.

(٢) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤.

(٣) بل زهرة اسم رجل كما هو مصرح به عند ابن هشام في السيرة ١/ ٩٦.

فصل في كعب بن لؤي

واسم أمِّه ماوِيةُ بنت كعبٍ من قُضاعةَ، وقيل: سَلْمى بنت محارِب من بني فِهر، وأخواه لأمه عامرٌ وسامةُ.

وكعبٌ أول من سمَّى يومَ الجُمُعة يومَ الجُمُعة، وكان قبل ذلك يسمى يوم عَروبَة، وإنما سماه يومَ الجُمُعة لأن قريشاً اجتمعت عليه وإليه فيه.

وكعب أول من خَطَب من العرب، وقال في خطبته: أما بعد.

وسبب خُطبته أنه لما مات لُؤَيٌّ تفرقت العرب، فجمعها كعْبٌ، وقال في خُطبته: أيها الناس، اسمعوا وعوا، وافهموا، وتعلموا، ليل ساجٍ، ونهارٌ داجٍ، والأرض مهاد، والجبال أوتاد، والسماء سقف مرفوع، والشمس والقمر والنجوم من قُدرة القادر، وصَنْعَةِ الفاطر، صِلوا أرحامَكم، وعظِّموا حَرَمَكم، فسيأتي له نبأ عظيم، ويخرج منه نبِي كريم. وذكر خطبة بليغةً عظيمةً، وله الخُطَب البالغة.

وكان له إخوة من أبيه دون أمه: خُزَيْمةُ ويُسَمّى عائذةَ قريش، وأمه عائذةُ[١] بنت الخِمْس بن قُحافة خَثْعَمية، وسعْدٌ: وأمُّه بُنانةُ، وكان لكعب من الولد: مُرَّةُ، وهُصَيْصٌ، وعَدي.

فمن مرَّةَ: رهطُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق - رضي الله عنه - لأنه من تيْم بن مُرَّة. ومن هُصَيْص بن كعب: بنو سَهْم وجُمَحٍ. ومن عَديٍّ: عمرُ بنُ الخطاب - رضي الله عنه - وزيد بنُ عمرو بنِ نُفَيل.

فصل في لؤَيِّ بنِ غالب

وأمُّه عاتكةُ بنتُ يَخْلُد بنِ النَّضْر بن كِنانة، وهي أول العواتك اللاتي وَلَدْنَ رسولَ الله ﷺ من قريش[٢].

وغالب بنُ فِهْر، أُمُّه ليلى بنت الحارث، هُذَلية.

---

(١) في النسخ: «عائذة الله» وانظر «الإكمال» ٦/ ٢٤.

(٢) انظر «طبقات ابن سعد» ١/ ٤٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ٦٢٤، و«المنتظم» ٢/ ٢٢٥.

وفِهْر بن مالكٍ: أُمُّهُ جَنْدَلة بنت عامر[١]، جُرْهُمِيَّة، وكان فِهرٌ سيِّدَ العرب بالحجاز وتِهامة، وكان ذو جَدَن حسانُ بنُ عبدِ كُلالٍ الحِمْيَري قد سار من اليمن إلى مكة ليخرِّب الكعبة، وينقلَ أحجارَها إلى اليمن يبني بها بيتاً، ويجعل حجَّ الناسِ إليه، فنزل بطنَ نَخْلة في جيوشٍ عظيمة، فجمع فِهْر قبائل العرب من قريش وكِنانة وأسَد وخُزَيْمة وجِذام وغيرهم، وخرج إليه والتقوا، وكانت الدائرة على ذي جَدَن، فقُتِل أكثر أصحابه، وأُسِر هُوَ، استأْسَره الحارثُ بنُ فِهْر، وانهزمت حِمْيَر، فأقام حَسَّان بمكةَ أسيراً ثلاثَ سنين، فافتدى نفسه بمال كثير، وخَرَج من مكة متوجهاً إلى اليمن فمات في الطريق. وهابت العرب فِهْراً، وعظَّموه، وعلا أمره واستَفْحَل[٢].

ومالك بن النضر أمه عِكْرشة بنتُ عَدوان، وقيل: عاتِكةُ، وعِكرشةُ لقبٌ لها، وذكرها البلاذِرِيُّ في العواتك[٣].

والنَّضر بنُ كِنانة اسمه قَيْس، والنَّضْرُ لَقَبٌ له لحسنه وجماله، أمُّه بَرَّة بنت مُرِّ بن أُدِّ ابن طابِخَة، أخت تَميم بن مُرّ، وكانت تحت جَدِّه خُزَيْمة، فخلف عليها كِنانة.

وقد اختُلِف في قريش، هل هو فِهرُ بن مالِك أو النضرُ بن كِنانة، ومن لم يكن من ولد النَّضْر بن كنانة فليس بقُرَشي، وبطون قريش خمسة وعشرون بطناً. وكنانةُ بنُ خُزَيْمةَ [أمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان. وقيل: بل أمه هند بنت عمرو بن قيس.

وخزيمة بن مدركة][٤] أمه سَلْمى بنت أَسْلم قُضاعِيَّة، كنيته أبو الأسَد لِشجاعته، وهو أول من وضع هُبَلَ في جوف الكعبة.

ومُدرِكةُ بن الياس اسمُه عَمرو، وكنيتُه أبو الهُذَيْل، وأمه ليلى بنت حلوان قُضاعية، ولقبها خِنْدِف.

---

(١) جاء في «السيرة» ١/ ٨٨: «جندلة بنت الحارث بن مضاض» وفي «جمهرة النسب» ١/ ٢٢، و«الطبقات الكبرى» ١/ ٤٧: «جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاض».

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٦٢-٢٦٣، و«المنتظم» ٢/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) «أنساب الأشراف» ١/ ٦٢٥.

(٤) ما بين معقوفين زيادة من «المنتظم» ٢/ ٢٣٠، وانظر «جمهرة النسب» ص٢١، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٠.

والياس بن مضر اسمه الحُسَيْن(١)، وأُمُّهُ الرَّباب بِنْت حَيْدَةَ بنِ مَعَدِّ بن عدنانَ، والياسُ أوَّلُ من أهْدى إلى البيت البُدْنَ، وأول من وضع الرُّكن في البيت بعد الطُّوفان، وكانت بنو إسماعيل عليه السلام قد غيَّرت معالم إبراهيم عليه السلام لما طال الزمان، فرفعوا الركن من البيت وتركوه في أبي قُبَيْس، فَرَدَّه إلياسُ إلى مَوْضِعِه، وقيل: إنما رَدَّ الحَجَر الأسْود إلى البيت، وكان في العرب مِثْلَ لقمانَ الحكيم في قومه، وكانوا يُعظِّمونه لأنه أول من أحيا سُنَن الخَليلِ عليه السلام، وهو أول من مات من العرب بِعِلَّةِ السِّل، فَجَزِعَت عليه زوجته خِنْدِف جَزَعاً أخرجها إلى الوَلَه، فخرجت عن مكةَ لم يُظلَّها سقفٌ حتى ماتت سائحةً، فضربوا بها المثل، فقالوا: حُزْن خِنْدِف(٢)، وفيها يقول الشاعر(٣):

[من الطويل]

ولـو أنَّـه أَغْـنـى لـكـنـت كَـخِـنـدفٍ على الياس حتى أعْجَبَت كلّ مُعْجَب
إذا مُـؤْنِـسٌ لاحَـت خـراطـيـمُ شَـمْـسِـه بكت غُدوةً حتى ترى الشمس تَغْرُب

ومعنى مؤنِس، لأنه ماتَ يومَ الخميس، وكانوا يسمُّونه مُؤْنِساً، فكانت تبكي من غُدوَةَ إلى الليل.

ومُضَر بنُ نِزار أمُّه سودةُ بنتُ عَك، وهو أول من حدا.

ونزار بن مَعَدّ أمُّه مُعانةُ بنتُ جَوْشَم(٤)، وكان عظيماً وافِرَ المال، حاكماً على العرب، مُنفذَ الأحكام، وكان له من الولد: مُضَر، وإيادٌ، وربيعةُ، وأنْمار. وكان ربيعةُ ومُضَر من أعيان أولاده، ويقال لهما: الصَّريحان من وَلَد إسماعيل عليه السلام، ولما حَضَرت الوفاة نزار بن معد، قسم ماله بين بنيه وكانوا أربعة، وقال: هذه القُبَّةُ وما أشبهها من مالٍ لِمُضَر، وكانت قبةً حمراءَ فسُمِّيَ مضرَ الحمراء، قال: وهذا الخِباء الأسودُ وما أشْبَهه من الخيل الدُّهْم لربيعة، فسمي ربيعةَ الفَرَس، وهذه الخادم وما

(١) وفي «سبل الهدى والرشاد» ١/ ٣٤١: اسمه: حبيب.

(٢) انظر «تاريخ اليعقوبي» ١/ ٢٢٨.

(٣) البيتان في «تاريخ اليعقوبي» ١/ ٢٢٨، و«أنساب الأشراف» ١/ ٣٧.

(٤) جاء في النسخ: «حوشب»، والمثبت من «جمهرة النسب» ص١٩، و«نسب قريش» ص٥، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٧.

أشبهها من مال ـ وكانت شمطاء ـ لإياد، فأخذ البُلْقَ. وهذه البَدْرَةُ والمجلسُ لأَنْمار، فأخذ العَيْنَ وما أشبهها، وأوصاهم أن يَتناصَفوا في الغَنيمة، وقال: إن أَشكل عليكم شيءٌ من ذلك، أو اختلفتم في القسمة، فعليكم بالأفعى الجُرْهُمي، وكان كاهناً بنجران اليَمَن من بيت المُلك.

ثم مات نِزارٌ، واختلفوا في القِسْمة، فخرجوا يريدون الأفعى الجُرْهُمي، فبينما هم يسيرون إذ مروا بأرض فيها كلأٌ قد رُعِي، فقال مُضَرُ: إن البعير الذي رعى هذا لَأعورُ، وقال ربيعةُ: وإنه لأزْوَرُ[1]، وقال إياد: وإنه لأبْتَرُ، وقال أنْمار: وإنه لَشَرودٌ، فبينما هم كذلك إذا برجل تُوضِعُ به راحِلَتُه فسألهم عن البعير؟ فقالوا: ما رأيناه. فقال مضر: أهو أعْورُ؟ قال: نعم، وقال ربيعة: وهو أزْورُ؟ قال: نعم، وقال إياد: وهو أبْترُ؟ قال: نعم، وقال أنمار: وهو شَرود؟ قال: نعم، ثم قال الرجلُ: أنتم أخذتم بَعيري فلا أفارِقُكم إلا به.

ثم سار بهم حتى نزلوا على الأفعى الجُرْهمي، فسألهم عن أخبارهم؟ فعرَّفُوه بنفوسهم، فأكرمهم وأنْزَلهم. فقال له صاحبُ البعير: إن هؤلاء أخذوا بعيري، قالوا: ما رأيناه. فقال: قد وَصَفوه؟ قالوا: نعم وَصَفْناه، فقال: كيف تَصِفونه ولم ترَوْه؟ فقال مُضر: رأيتُه وقد كان يرعى جانباً ويَدَعُ جانباً فعلمت أنه أعْوَر. وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتةَ الأثَر والأخرى فاسدةَ الأثر، فعلمت أنه أزْوَر. وقال إياد: رأيت بعرَه مُجْتَمِعاً فعلمت أنه أَبتَرُ، ولو كان ذَيَّالاً لَمَصَعَ به. وقال أنمار: رأيته يرعى الجانب الرقيق ويَدَع الجانب الكثيف، فعلمت أنه شَرودٌ. فقال الأفعى لصاحب الجملِ: اذهب انشُد بَعيرك، فليس هؤلاء بأصحابه.

ثم سألهم عن مقدَمِهم؟ فأخبروه بِحالهم، فقال: أتحتاجون إليَّ وأنتم على ما أرى؟ فقسم التركةَ بينهم على ما قال نِزار، فَرَضُوا بحُكْمه، وقال لهم: إن العصا من العُصيَّة. يعني أنهم أولاد نزار، وكان نزارٌ فَطِناً. وقال الأفعى لقَهْرَمانه: أنزِلهم دارَ الضيافةِ وأكرِمْهم، فأنْزَلَهم وجاءهم بطعام فأكلوا، وبخمر فشربوا، وبقُرص من شَهْد،

(١) الأزور: من أشرف أحد جانبيه على الآخر.

فقال مضر: لم أرَ لحماً أطيبَ من هذا، لولا أنه رُبِّي بِلَبَن كَلْبَةٍ، وقال ربيعة: لم أرَ خَمْراً أجودَ من هذا، لولا أنه نبت على قبرٍ، وقال إياد: لم أر شَهْداً ألذَّ من هذا، لولا أن نَحْله عشَّشَ في رأس جبَّان، وقال أنمار: لم أر رجلاً أسْرى منه لولا أنه يدعى لغير أبيه. يعني الأفعى. وكان الأفعى يسمع كلامهم ولا يَرَوْنه، فقال: إنَّ هؤلاءِ لشياطينُ، ثم دعا بقَهْرَمانه فسأله عن اللحم؟ فسأل الراعي؟ فقال الراعي: إن هذه الشاةَ وضَعتْها أمها وليس لها لبن، فأرضعَتْها كَلْبة. وقال للقَهْرَمان: وهذه الخمرة من حَبَلَة عُشْب نَبَتَت على قبر أبيك، وهذا الشَّهد من نحل عَشَّشَ في جُمْجُمَةِ إنسان.

ودخل الأفعى على أمه، فقال: أخبريني من أبي؟ وتوعَّدها، فقالت: كان أبوك شيخاً كبيراً لا يُولدُ له، وخفت أن يذهبَ المُلْك، ووفد علينا شابٌّ فأمكنتُه من نفسي، فعلقت بك. ولما انفصلوا عن الأفعى، قيل لِمُضر: من أين علمت أن اللحم ربِّي بلبن كلبة، قال: وجدت له زُهَمَة. وقيل لربيعة: من أين علمت أن الخمر نبتت على قبر؟ قال: أصابني عطشٌ شديد. وقيل لإياد: من أين علمت أن النحل عَشَّش في رأس جبَّان[١]؟ فقال: لأنه كان ضعيفاً. وقيل لأنمار: من أين علمت أنه لِغيرِ أبيه؟ فقال: ما رأيت عليه مَخايِلَ السؤدُدِ والشَّرَف[٢].

والأفعى: هو ابن الحُصَيْن بن غَنْم بن رُهم بنِ مُرَّة بنِ أُدَدْ بن زيْد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكانت العرب تتحاكم إليه، وهو أول من قال: الشرطُ أمْلك. وسببُه أن مُرَتِّع بنَ معاويةَ بنِ ثورٍ الكِنْدي ـ إليه ينسب كِندة ـ تزوج امرأة من حَضْرَمَوْت، وشرط عليه أبوها أنْ لا يتزوجَ عليها ولا تلدَ إلا في دارِ قومِها، فلم يَفِ لها بالشرط، فتحاكموا إلى الأفعى وأثبتوا الشرطَ عنده، فقال الأفعى: الشرطُ أمْلَك. فأخذ الحضرمِيون المرأةَ وابنَها من مرتِّع، واسم الابن مالك، فقال مُرَتِّع: أما ابني مالك فصدف عنِّي، فسمي الصدف[٣].

(١) الجبان: المقبرة.

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٦٨ـ٢٧٠، و«المنتظم» ٢/ ٢٣٣ـ٢٣٥، و«الأذكياء» ص١١٠، والحبلة: شجرة العنب.

(٣) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ١١.

ومعدٌّ بن عدنان كنيته أبو نزار، وأمه مَهْدَد بنت اللِّهْم[١] من جَديس، وكان معدّ مع بُخْتَنَصَّرَ لما غزا اليمن، ولما بلغ بنو سعدٍ عشرين ومئةَ رجلٍ؛ أغار بالشامِ على قومِ موسى عليه السلام، فدعا عليهم موسى عليه السلام، فلم يُستَجَبْ له فيهم، فقال: يا رب، ما هذا؟ فأوحى الله إليه: دعوتني على قومٍ هم خيرتي في آخر الزمان، إنه يكون منهم نبيٌّ أُحبُّه وأُحبُّ أمَّتَه، أمَّا حُبي إياه فأغفرُ له ما تقدم من ذنْبه وما تأخَّرَ، وأما حُبي لأُمَّته فإن استَغْفروني أو استغفَرني واحدٌ منهم؛ غَفَرْتُ له، وإن دعاني أَجَبْتُه. فقال: يا رب اجعلني منهم؟ فقال الله تعالى: إنك تقدَّمْت واستأْخَروا.

وعدنانُ كنيتُه أبو مَعَدٍّ، وإليه انتهى نَسَب رسول الله ﷺ، وما بعدَه مُختلَف فيه، واتفقوا على أنه من ولد إسماعيل عليه السلام بغير شك.

فصل

وأمُّ رسول الله ﷺ: آمنةُ بنتُ وهْب بنِ عبدِ مَنافٍ بنِ زُهْرةَ بنِ كِلاب بنِ مُرَّة بنِ كعب بنِ لُؤَي بنِ غالب بنِ فِهْر بن مالِك بن النضر بن كِنانة، ففي كِلاب يجتمع نَسَب أبيه وأمِّه. وأمُّ آمنة: بَرَّةُ بنتُ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ. [وأم برَّة أمُّ حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كِلاب][٢] وأمُّ أمِّ حَبيب: بَرةَ بنت عوفٍ بن عُبَيْد بن عَوِيْج بن عدي ابن كعبٍ بن لُؤَي. وأم بَرَّةَ: قِلابَةُ بنت الحارث بن مالك من وَلَدِ مُدرِكة بنِ الياس. وأمُّ قِلابة: أميمةُ بنتُ مَلَك بن غَنم بن لَحيان. وأم أميمة: دُبٌّ بنت ثعلبة بن الحارث بن تميمٍ من ولد مُدرِكة. وأم دب: عاتكة بنت غاضرة من وَلَد الياسِ بنِ مُضَر. وأم عاتكةَ: ليلى بنتُ عوف، ثَقَفِيَّة.

فصل في العَواتِك

قال هشامُ بنُ محمَّد: كَتَبْتُ للنبيِّ ﷺ خَمْس مئة أُم، فما وجدتُ فيهن سِفاحاً ولا شيئاً من أمْرِ الجاهلية[٣].

---

(١) في النسخ: «اللهيم»، والمثبت من «جمهرة النسب» ص١٨، و«الطبقات الكبرى» ١/ ٤٨. وضبطه الشامي في «سيرته» ١/ ٣٤٧ بكسر اللام وسكون الهاء.

(٢) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق، انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٤١-٤٢

(٣) انظر «الشفا» ١/ ١٧.

وقال ﷺ: «أنا ابنُ العواتِك»(١). يعني: جَدّاته من قبل النساء، وهن تسع: عاتكة بنتُ هِلال أم جَدِّ هاشم(٢)، وعاتكةُ بنت مُرَّةَ بن هلال أمُّ وهبِ بن عبدِ مَناف بن زُهرة جد رسول الله ﷺ من قِبَل أمِّه آمنة. وقال الهيثم: العواتك(٣) إحدى عشرة. وقال ابن الرقي: هن أربعَ عشرة: ثلاثٌ قُرَشِيَّات، وأربعٌ سُلَميات، وعَدَوِيَّتان، وهُذَلِيَّةٌ، وقَحْطانِيَّةٌ، وقُضاعيةٌ، وثَقَفِيَّةٌ، وأَسَدِيَّةٌ أسد خُزَيْمة.

فصلٌ في الفواطِم

وهُنَّ: ثمانٍ.وقيل: عشر.وقيل: سِتٌّ.وقيل: خمسٌ، واحدةٌ قُرَشية وقيسِيَّتان ويمانِيَّتان، فاطمة أم عبد الله بن عبد المطلب، وهي بنت عمرو بن عائذ بن عِمرانَ بنِ مَخْزوم. وأم عمرو بن عائذ: فاطمة بنتُ عبد الله بن رِزام من هَوازِن وأمها: فاطمة بنتُ الحارِثِ بنِ بُهْثة. وفاطمةُ بنتُ سعدٍ أمُّ قُصَيٍّ من أزْدِ شَنوءةَ، وجَدَّةُ عبد مناف لأبيه. وأمه: حُبَّى بنتُ حُلَيْل بنِ حُبْشية الخزاعي، وأمها: فاطمةُ بنت نَصْر بن عوف من خُزاعة(٤).



(١) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٤١)، والطبراني في «الكبير» (٦٧٢٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٣٦ من حديث سِيَابة.

(٢) الصواب: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان أم هاشم «جمهرة النسب» ص٢٦.

(٣) ذكر المصنف هنا جدتين من جدات النبي ﷺ واحدة من طرف والده، وواحدة من طرف والدته، وأما العواتك: فهن ثلاث من قريش: عاتكة بنت وهيب، وعاتكة بنت عُتوارة بن الظَّرِب، وعاتكة بنت يخلد بن النَّضْر. وثلاث من سليم: عاتكة بنت مرة بن هلال بن سليم، وعاتكة بنت مرة بن عدي بن سليمان، وعاتكة بنت عصية بن خفاف بن امرئ القيس، وثنتان من عدوان: عاتكة بنت عامر بن الظرب بن عمرو، وعاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس وهي عكرشة، وواحدة من قضاعة: عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جهينة، وأسدية: عاتكة بنت دودان بن أسد بن خزيمة، وهذلية: عاتكة بنت سعد بن هذيل. وأزدية: عاتكة بنت الأزد بن يغوث. انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٤٣، و«المحبر» ص٤٧ـ٥١، و«تاريخ اليعقوبي» ٢/ ١٢٠ـ١٢١.

(٤) انظر «المحبر» ص٥١ـ٥٢، و«طبقات ابن سعد» ١/ ٤٣.

فصل
في ذكر ولادته ﷺ

قالت آمنةُ: لما حَمَلْتُ به لم أجد له ثِقَلاً كما تجدُ النساء، إلا أني قد أنكرتُ رفْعَ حَيْضي، وأتاني آتٍ في منامي وأنا بين النوم واليقظة، فقال: أشَعرْتِ أنك قد حَمَلتِ بسيِّد هذه الأمةِ ونَبِيِّها؟ وذلك في يوم الإثنين، فلما دنت وِلادتي؛ أتاني ذلك الآتي فقال: إذا ولدتِه فقولي: أُعيذه بالواحدِ من شرِّ كلِّ حاسد، ثم قال: سمِّيهِ مُحَمَّداً أو أحمَد(١).

وَوُلِدَ ﷺ بمكة، في الدار التي كانت له ﷺ بمكان يقال له: زُقاق المَوْلد، وهذهِ الدار كان ﷺ وَهَبَها لعَقيلِ بن أبي طالب، فباعها ورثَتُه من محمد بن يوسف أخي الحجاج، فأدخلها في دارِه، ثم اشترت الخيزُرانُ جاريةُ المهدِيِّ الدارَ، وأخرجت منها ذلك البيتَ الذي وُلد فيه رسول الله ﷺ فجعلته مسجداً(٢).

ولد ﷺ يوم الاثنين في ربيعِ الأوَّل لاثْنتي عشرةَ ليلةً خلتْ منه، عامَ الفِيل بعد قدومِه بخمسٍ وخمسينَ ليلةً في اليوم الثاني والعشرين من نَيْسان سنة اثنتين وثَمانِ مِئةٍ من تاريخ الإسكندرِ الروميّ في أيام كِسرى أَنُوشِروانَ لِأَربعينَ سنةً خلتْ من مُلْكِه. قال: واتَّفق أهلُ السِّيَر على أنَّ مِن هُبوطِ آدم عليه السلام إلى عام الفيل ستةَ آلافِ سنةٍ وثلاثاً وتسعينَ سنة.

واختلفوا في زمان حَمْله عليه السلام على أقوال: أحدها: تسعةُ أشْهُر، والثاني: عشرٌ، والثالث: ستةٌ، والرابع: سبعةٌ، والخامس: ثمانيةٌ.

قالت آمنة: لقد عَلِقْت به فما وَجَدْتُ له مشَقَّة، ولما فُصل عني؛ خرج مني نورٌ أضاء له ما بين المَشْرق والمَغْرب، ووَقَع إلى الأرض ساجِداً معتمداً بيديه على

---

(١) ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٧٨، وانظر «السيرة» ١/ ١٤٥ـ١٤٦.

(٢) «المنتظم» ٢/ ٢٤٧، و«نهاية الأرب» ١٦/ ٦٧.

الأرض، ثم رفع رأسَه إلى السماءِ وأشار بإصْبَعه، وظهر منه شهابُ نورٍ أضاءت له قصورُ الشام حتى رأيت أعناقَ الإبِل ببُصرى(١).

وقالت آمنة: فما رأيتُ إلى شيء إلا نُوِّر لي، ورأيتُ النجوم تدنو من الأرض حتى أقولَ إنها لَتَقَعُ عَلَيَّ(٢).

وقالت: ولدتُه جاثِياً على رُكْبَتيه ينظر إلى السماء، ويشير بإصبَعه الإبهام، ثم قَبَض قَبْضةً مِن الأرض وأهوى ساجداً، فغطيته ببُرْمَة أو بإناءٍ فانفلقَ عنهُ، وإذا به يَمَصُّ إبهامَه وهو يشخُبُ لَبَناً، وسمعت قائلاً يقول: أبشري يا آمنة فقد وَلَدت سَيِّد هذه الأمة.

وقال العباس - ﷺ - : ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً - أي مقطوعَ السُّرةِ - فَسُرَّ به عبد المطلب، وقال: ليكونَنَّ لِولَدي شأنٌ من الشَّأْن. قال ابن عباس: فكان واللهِ كما قال عبد المطلب(٣).

وقال ابن الجوزِيّ: وُلِد جماعةٌ من الأنبياء عليهم السلام مختونين: آدمُ، وشِيثٌ، وإدريسُ، ونوحٌ، وسامٌ، وهودٌ، وصالحٌ، ولوطٌ، ويوسفُ، وموسى، وشُعَيبٌ، وسُلَيمانُ، وزكَرِيَّا، ويَحيى، وعيسى، وحنظلة بن صفوان نبي(٤) أصحاب الرَّس.

وقال كَعب الأحبار: كُلُّهم وُلِدوا مَخْتونينَ إلا إبراهيمَ عليه السلام لِيكونَ إماماً لِلنَّاس.

وقال علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة، عن أبيه، عن عمته(٥) قالت: لما وَلَدتْ آمنةُ رسولَ الله ﷺ، أرسلت إلى عبد المطلب وهو في الحجر مع أولاده، فجاءه البشير فَسُرَّ به وقام، فدخل على آمنة فأخبرته بكلِّ ما رأت، وما قيل لها، وما أمرت به، فأخذه عبد المطلب على يديه وجاء به إلى الكعبة، فدخل به إليها وقام يدعو ويقول:

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٢.
(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي ١/ ١١١، و«المنتظم» ٢/ ٢٤٧.
(٣) «الطبقات الكبرى»١/ ٨٣، و «دلائل النبوة»١/ ١١٤والمنتظم ٢/ ٢٤٨، وقال ابن كثير في « البداية النهاية»٣/ : ٤٠ وهذا الحديث في صحته نظر.
(٤) في (ك): «بن»، وفي (خ): «من»، والمثبت من «المنتظم»٢/ ١٤٦.
(٥) في النسخ: بن وهب بن ربيعة ، عن عمته، والمثبت من الطبقات ١/ ٨٣ ، والمنتظم٢/ ٢٤٩.

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلامَ الطيِّبَ الأردانِ
قد ساد في المَهْدِ على الغِلمان
أُعيذُه بالبيت ذي الأركانِ
حتى أراه بالغَ البُنيانِ
أُعيذُه من شرِّ ذي شَنْآن
من حاسِدٍ مُضطَرِبِ العِنان

وقال الهيثم: لما دخل على آمنة قالت له: يا أبا الحارث، ولد لك اليوم مولود أمرُه عَجَب، قال: وما ذاك؟ قالت: خرج معه نورٌ أضاءت منه قصورُ الشام، ومدائنُ كسرى، وقصورُ صَنعاء، ونوديتُ: سمِّيه محمداً، فإنَّ اسمه في التوراة أحمد، فقال عبد المطلب: وأنا والله رأيتُ الساعة عجباً، كنتُ أطوف بالبيت، فرأيتُ هُبَل قد مال حتى كاد أن يسقط، فجعلتُ أمسح على عيني وأقول: أنا نائم أم يقظان؟ ثم أخذه وانصرف إلى الكعبة، فطاف به وقال:

يا ربَّ كلِّ طائفٍ وجاهدِ
وربَّ كلِّ غائبٍ وشاهدِ
أدعوكَ يا ربِّ دعاءَ جاهدِ
لا هُمَّ فاصرفْ عنه كيدَ الكائدِ
واحطِمْ به كلَّ عدوٍّ حاسدِ

وكان بمكة يهوديٌّ قد قرأ الكتب كلَّها، فأصبح ذات يوم فقال: يا معاشر الناس، ولد الليلة نبي العرب، قالوا: وما علامتُه؟ قال: بين كَتفيه شامةٌ سوداء فيها شَعرات. فقيل له: ولد لعبد المطلب مولود، فجاء فرأى الشَّامة، فقال: ذهبت والله نُبُوَّة بني إسرائيل، أفرحتم يا معاشر قريش، والله ليَسْطُونَّ عليكم سَطوةً تخرج أبناؤها من

المشرق إلى المغرب[1].

وقال حسان: إني لغلامٌ يَفَعةٌ ابن سبع سنين ، وإذا بيهوديٍّ يصرخ بيثرب: يا معاشر يهود، طلع والله نَجْمُ أحمد في هذه الليلة، ولدته أمه[2]. قال حسان: فأدركه والله اليهودي، ولم يؤمن به حسداً وبَغياً.

حديث مَخزوم بن هانىء عن أبيه:

وكان قد أتت عليه خمسون ومئة سنة، قال: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتَجَّ إيوان كسرى، فانشق وسقط منه أربع عشرة شُرفة، وغاضت بُحيرة ساوة، وخَمدت نيرانُ فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى موبذ موبذان رؤيا هالته، ولما رأى كسرى انشقاق الإيوان، ووقوع الشرفات؛ هالته وجلس على سريره ودعا وزراءه، فاجتمعوا. فقال لهم: قد رأيتُ ما أفزعني. فبينما هو كذلك؛ إذ جاء الموبذ خائفاً، فقال له: ما لك؟ فقال: رأيت رؤيا هالتني، قال: وما هي؟ قال: رأيتُ إبلاً صِعاباً تقود خَيلاً عِراباً قطعتْ دجلة، وانتشرت في بلاد فارس، وبينا هم على ذلك؛ إذ ورد كتاب يُخبر فيه بخمود النيران، وذهاب بحيرة ساوة، فازدادوا غمًّا، قال لهم: ما عندكم؟ فلم يَردُّوا عليه شيئاً، فقال للموبَذ: فما تأويل رؤياك؟ فقال: حادثة تكون من ناحية العرب.

فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر ـ وهو على الحيرة ـ : وَجِّه إليَّ رجلاً من العلماء أسأله عما أريد، فبعث إليه بعبد المسيح بن عمرو بن قيس الغَسَّاني، فلما قدم على كسرى أخبره بما حدث، فقال: عِلْمُ ذلك عند خالٍ لي يسكن مَشاريقَ الشام يقال له: سَطيح، قال: فاذهب إليه وأخبره بما حدث، وعجِّل لي بالجواب. فركب عبد المسيح راحلته وسار مجدّاً حتى قدم الشام، وسطيح بالجابية قد أشرف على الموت، فسلم عليه، فلم يُحِرْ جواباً فقال عبد المسيح: [من الرجز]

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٦٠١ـ٦٠٢، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ١٠٨ـ١٠٩. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وخالفه الذهبي.

(٢) انظر «السيرة» ١/ ١٤٧، والمستدرك ٣/ ٤٨٦، و«دلائل النبوة» ١/ ١١٠.

أَصُـمَّ أم يـسْـمَـعُ غِـطـريـفُ الـيَـمـنْ
يـا فـاضـل الـحـكـمـة أَعـيَـتْ مَـن وَمَـنْ
أتـاكَ شـيـخُ الـحـيِّ مِـن آل عَـسَـنْ
وأُمُّـه مـن آل ذِئـبِ بـنِ حَـجَـنْ
أبـيـضُ فـضـفـاضُ الـثـيـاب والـبَـدَنْ
رسولُ قَيْلِ العُجْمِ مَسْلوبِ الوَسَنْ(١)

فلما سمع سطيح كلامه، رفع رأسه وقال: جاء عبد المسيح على جمل مُشِيح(٢) إلى سطيح، وقد أشرف على الضريح، بعثك ملك ساسان لارتجاج الإيوان، ورؤيا الموبذان، وخمود النيران، رأى الموبذ إبلاً صِعاباً تقود خيلاً عِراباً، قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس، ثم قال سطيح: يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نيران فارس، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات، عدد الشرفات، وكُلُّ ما هو آت آت، ثم مات سَطيح. ورجع عبد المسيح إلى كسرى وهو يقول(٣): [من البسيط]

(١) هكذا جاءت الأبيات عند المصنف مختزلة متداخلة كما سيتبين لك، وهي كذلك في «العقد الفريد» والأبيات في المصادر كالآتي:

أَصُـمَّ أم يَـسـمـعُ غِـطْـريـفُ الـيـمـنْ ... أَمْ فـادَ فـازْلَـمَّ بـه شـأْوُ الـعـنَـنْ
يـا فـاصِـل الـخُـطَّـة أعـيـت مَـن ومَـن ... وكـاشـف الـكُـربـة عـن وجـهِ غَـضِـنْ
أتـاكَ شـيـخُ الـحـيِّ مـن آلِ سَـنَـنْ ... وأُمُّـه مـن آلِ ذئـبِ بـنِ حَـجَـنْ
أَزْرَقُ بَـهْـمُ الـنَّـابِ صـوَّار الأُذُنْ ... أبـيـضُ فـضـفـاضُ الـرِّداءِ والـبَـدَنْ
رسـولُ قَـيْـلِ الـعجـم يَـسري بـالـرَّسَـنْ ... لا يَـرْهـبُ الـرَّعـدَ ولا ريـبَ الـزَّمـنْ
تـجـوبُ بـي الأرضَ عَـلَـنْـداة شَـزَنْ ... تَـرْفـعُـنـي وجـنـاً وتَـهـوي بـي وَجَـنْ
حتـى أَتَـى عـاري الـجـآجي والـقَـطَـنْ ... تَـلِـفُّـه فـي الـرِّيـح بَـوْغَـاء الـدِّمَـنْ
كـأنَّـمـا حُـثْـحِـثَ مِـن حِـضْـنَـي ثَـكَـنْ

(٢) مشيح: جاد مسرع.

(٣) جاء في المصادر بيت قبل هذه الأبيات وهو:

شـمِّـر فـإنَّـك مـاضـي الـهـم شِـمِّـيـرُ ... لا يُـفـزعـنَّـك تَـفْـريـقٌ وتَـغـيـيـرُ

إنْ يُمْسِ مُلْكُ بني ساسانَ مُنْقَرضاً ... فــإن ذا الــدَّهــرَ أَطــوارٌ دَهــاريــرُ
وربَّـمـا أصْـبَـحـوا يَـومـاً بـمـنـزلـةٍ ... يَـهـاب صَـوْلَـتَـهـا أُسْـدٌ مَـهـاصـيـرُ
مـنـهـم أَخـو الـصَّـرح بَـهـرامٌ وإخـوتُـه ... والـهُـرْمـزانُ وشـابـورٌ وسـابـورُ
والـنـاس أولادُ عَـلَّاتٍ فَـمـن عَـلِـمـوا ... أنْ قـد أقـلَّ، فـمـحـقـورٌ ومَـهـجـورُ
فـهـم بـنـو الأم إلا إن رَأَوا نَـشَـبـاً ... فـذَاك بـالـغـيـبِ مـحـفـوظٌ ومـنـصـورُ
والـخـيـرُ والـشَّـر مـقـرونـانِ فـي قَـرَنٍ ... فـالـخـيـرُ مـتَّـبـعٌ والـشَّـرُ مـحـذورُ

فلما قدم على كسرى، أخبره بما قال سطيح، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً تكون أمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى أيام عثمان ابن عفان[1] رضي الله عنه.

ذكر سَطِيح

واسمه الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب، ولد في زَمَن سَيل العَرِم، وعاش إلى زمن كسرى أنو شروان، وذلك نحواً من عشرة قرون، وقيل: عاش ألف سنة. وقال الشيخ جمال الدين ابن الجوزي رحمة الله عليه: عاش ست مئة سنة[2]. وقيل: خمس مئة سنة، وقيل: ثلاث مئة سنة، ونزل البحرين، وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى الشام فنزل بمشاريقه، وكان في زمنِه: شِقٌّ كاهِنٌ آخر، فكلما سُئِلَ واحدٌ منهما عن شيء أخبر عنه بكلام مسجوع يقذفه إليه تابعه من الجن، وكان سَطيح لحماً على وَضَم، وكان يُحمل على شريحة من جَريد النَّخْل، فيؤتى به حيث شاء، ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمة والعنق والكفين، وكان يُطوى من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الثوب، ولم يكن فيه شيء يتحرك سوى لسانه. وأنشد أبو سهل الرازي لسطيح: [من الطويل]

عـلـيـكُـمْ بـتقوى اللهِ في الـسِّـر والـجـهْـرِ ... ولا تَـلـبـسـوا صِـدقَ الأمـانـةِ بـالـغـدْرِ

---

(١) «تاريخ الطبري» ٢/ ١٣١ـ١٣٢، و«العقد الفريد» ٢/ ٢٨ـ٣١، و«دلائل النبوة» ١/ ١٢٦ـ١٢٩ و«المنتظم» ٢/ ٢٤٩ـ٢٥٢، و«البداية والنهاية» ٢/ ٢٤٩ـ٢٥١.
(٢) «أعمار الأعيان» ص١٢٥.

وكونوا كجار الجَنْبِ حِصناً وجُنَّةً إذا ما عَرَتْه النَّائباتُ من الدَّهر[١]

وروى عروة[٢] بن الزبير - رضي الله عنهما - ، عن أبيه، قال: خرج نفرٌ من قريش فيهم وَرَقة بن نَوفل، وزيد بن عمرو بن نُفَيل، وعُبيد الله بن جَحْش، وعثمان[٣] بن الحُوَيْرِث، إلى صنم لهم في يوم عيد كانوا يجتمعون إليه، وينحرون له، ويعظِّمونه، فدخلوا عليه فرأوه على وجهه مكبوباً، فردوه إلى حاله فوقع، وفعلوا ذلك مراراً، فقال عثمان بن الحُوَيْرِث: هذا لأمر حدث في هذه الليلة، وكان رسول الله ﷺ قد ولد في تلك الليلة، فهتف بهم هاتف من الصنم يقول: [من الطويل]

تردّى لمولودٍ أنارت بنوره جَميعُ فجاجِ الأرضِ بالشَّرق والغربِ
وخرَّت له الأوثانُ طُرّاً وأُرعِدَتْ قلوبُ ملوكِ الأرضِ طُرّاً من الرُّعبِ
ونارُ جميع الفرسِ باخَت وأظْلَمَتْ وقد بات شاه الفُرْس في أعظمِ الكَرْبِ
وصدَّتْ عن الكُهَّان بالغيبِ جِنُّها فلا مُخْبِر عنهمْ بصدْقٍ ولا كذبِ
فيا لَقُصَيٍّ ارجعوا عن ضلالِكُم وهُبوا إلى الإسلامِ والمنزلِ الرَّحبِ

فلما سمعوا ذلك خَلصوا نَجيًّا، وقال لهم ورقة بن نوفل:

ما قومكم على دين، ولقد أخطؤوا واللهِ الحُجَّةَ، وتركوا دين إبراهيم، وعبدوا حجراً لا يضر ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين.

وقال عثمان بن الحويرث يخاطب الصنم: [من الطويل]

أيا صَنَمَ العِيد الذي صُفَّ حوله صناديدُ وَفْدٍ من بعيدٍ ومن قُرْبِ
تكوكَسْتَ مقلوباً فما ذاك قُلْ لَنَا أذاك سفيه أم تكوكَسْتَ للعُتْبِ
فإن كان من ذنبٍ أتَيْنا فإنَّنا نَبُوءُ بإقرارٍ ونَلْوي عن الذَّنبِ
وإن كنتَ مغلوباً تكوكَسْتَ[٤] صاغِراً فما أنتَ في الأربابِ بالسَّيدِ الرَّبِّ

ثم خرجوا يضربون في الأرض، فرجع ورقة إلى مكة وقد تنصّر، وأما زيد بن عمرو

(١) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٩٥ - ٢٩٧.
(٢) في النسخ: «عكرمة»، والخبر في تاريخ دمشق ١/ ٣٤٢ (السيرة) من طريق يحيى بن عروة، عن أبيه عروة.
(٣) في النسخ: «عمار» في الموضعين، والصواب ما أثبتناه، انظر المصادر.
(٤) في تاريخ دمشق: تكوست، في المواضع الثلاثة.

فخرج إلى الجزيرة، فلقي راهباً فسأله عن الدين؟ فقال: هو أمامك وقد أظلَّك نبي، وأما عُبيد الله بن جحش فإنه أقام بمكة حتى ظهر رسول الله ﷺ، ثم هاجر إلى الحبشة فتنصَّر، وأما عثمان بن الحويرث فتنصر، وحَسُنَت مكانتُه عند قيصر، وأقام عنده فأطمَعَه في ملك تِهامة والحجاز واليمن، فأجابه قيصر إلى ذلك، وقال: أنت نائبي هناك، فرجع إلى مكة فأطاعه الناس، وهمُّوا بتمليكه، وأن يضعوا التاج على رأسه، فقال لهم أبو زَمْعة الأسود بن المطَّلب بن أسد، وكان ابن عم عثمان بن الحويرث: يا معاشر قريش، أَتُملِّكون عليكم، وهل يكون ملِك بتِهامة؟ إن الحجاز لا يُملك، فرجع الناس عنه، فخرج ابن الحويرث إلى قيصر خوفاً على نفسه، فمات عنده.

فصل

في وفاة عبد الله بن عبد المطلب

ولد عبد الله في أيام كسرى أنوشروان لأربع وعشرين خلت من ملكه، وكنيته: أبو أحمد[١]، ومات ورسول الله ﷺ حمل، قبل ولادته بشهر أو شهرين.

وكانت وفاته بالمدينة في دار النابغة عند أخواله من بني النَّجار، بعثه أبوه يمتار له تمراً من المدينة[٢].

وقيل: خرج في تجارة إلى الشام في عير لقريش، ثم انصرفوا ومروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض، فأقام عند أخواله مريضاً شهراً، ثم توفي، فحزن عليه عبد المطلب حزناً شديداً، وَوَجِدَ أخوته لفقده[٣].

قال الواقدي: وتوفي عبد الله وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين سنة، وترك أم أيمن واسمها بركة، فكانت تحضن رسول الله ﷺ، وترك خمسة أجمال وثلاثة من غنم، ورَثَتْهُ آمنة بنت وهب زوجته، فقالت[٤]: [من الطويل]

(١) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ١٠٤.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٠.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٧٩.

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٠، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٠٥.

عَفا جانبُ البَطْحاءِ من اِبن هاشِمٍ ... وجاوَرَ لحداً بعد موتِ الغَماغِمِ
دَعَتْه المنايا دعوةً فأجابَها ... وما تَرَكَتْ في الدَّار مثلَ ابنِ هاشِمِ
عَشِيَّةَ راحوا يحملونَ سَرِيرَه ... تَعاوَرَه أصحابُه في التَّزاحُمِ
فإن تكُ غالتْهُ المنايا ورَيْبُها ... فقد كان مِفْضالاً شديدَ الدَّعائمِ

فصل في ذكر أسمائه ﷺ وكنيته

قال الواقدي: كان له ﷺ سبعون اسماً، ذكرها الله في كتبه السالفة والقرآن العزيز، فقال جبير بن مطعم: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسةُ أسماءٍ: أنا مُحمَّدٌ، وأنا أَحمدُ، وأنا الماحِي يَمْحُو اللهُ بيَ الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحشَرُ النَّاسُ على قَدَمِي، وأنا العاقِبُ الذي ليسَ بَعْدَه نبيٌّ». أخرجاه في «الصحيحين»(١).

ذكر أسماء المحمدين

قال علماء السير: إن الله صان هذا الاسم أن يتسمَّى به أحد في الجاهلية، كما فعل بيحيى بن زكريا ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، إلا أنه لما قرب أوان ظهوره مرَّ جماعة من العرب براهب بالشام قد قرأ الكتب، فأخبرهم باسم نبي مبعوث من العرب اسمه محمد، فسموا أبناءهم بهذا الاسم طمعاً في النبوة.

وقال ابن إسحاق: خرج عدي، وسفيان، وزيد بن عمرو بن ربيعة، وأسامة بن مالك بن حبيب يريدون الشام، فنزلوا بدير وهم يتحدثون، فأشرف عليهم راهب وقال: ما هذه اللغة ليست لأهل هذه الأرض، ممن أنتم؟ قالوا: من العرب. قال: ممن؟ قالوا: من مُضر، فقال: أما إنه سيبعث فيكم نبيٌّ، فبادروا إليه فإنه خاتمُ النبيين، قالوا: فما اسمه؟ قال: محمد. فلما رجعوا إلى أهاليهم، فكانوا معهن، فولد لكل واحد ولداً، فسماه محمداً طمعاً في ذلك.

وقال البلاذري: كانوا ستة: محمد بن سفيان، ومحمد بن الحِرْماز بن مالك بن عمرو، ومحمد بن بَرٍّ(٢) بن طَرِيف بن عُتْوَارة، ومحمد الشويعر بن حُمران الذي يقال

(١) صحيح البخاري (٣٥٣٢)، وصحيح مسلم (٢٣٥٤).
(٢) في النسخ: «بشر»، والمثبت من «أنساب الأشراف» ١/ ٦٢٩-٦٣٠، وهكذا ضبطه صاحب السيرة الشامية ١/ ٥٠٤.

له: امرؤ القيس بن حُجر(١)، ومحمد بن [عقبة بن] أُحيحة بن الجُلاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري.

قال القاضي عياض: هم ستة لا سابع لهم(٢)، والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وأما أحمد فلم يَتَسَمَّ به أحد قبل رسول الله ﷺ(٣).

فصل

وكنيته: أبو القاسم، وبعده: أبو إبراهيم، وأول ولد ولد له من خديجة عليها السلام: القاسم(٤)، فكني به.

قال حسان(٥): [من السريع]

لِلّهِ مِمَّنْ قد بَرَا صفوةٌ ... وصَفْوَةُ الخَلْقِ بَنو هاشمِ

وَصَفوةُ الصَّفوةِ مِن هاشمٍ ... محمدُ النُّور أبو القاسم



(١) كذا في النسخ؟! وفي أنساب الأشراف١/ ٦٢٩، والاشتقاق ٩٠٨ أن امرأ القيس هو الذي سماه الشويعر لقوله:

أبلغا عنِّي الشويعرَ أنِّي ... عمدَ عينٍ حللتُهنَّ حريماً

(٢) «الشفا» ١/ ٣١٣-٣١٤.

(٣) انظر«الشفا» ١/ ٣١٣.

(٤) في النسخ: «أبو القاسم»، وانظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١١٠.

(٥) مروج الذهب ٤/ ١١٩ دون نسبة.

فصل

فيما حدث من سنة مولده إلى زمن هجرته

وما لقي من أهله وعشيرته

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وذريته وأزواجه والتابعين إلى يوم الدين وسلم تسليماً

في السنة الأولى

يوم جَبَلة(١)، وهو من أعظم أيام العرب، وقصة الفيل(٢).

ذكر إرضاعه ﷺ:

أرضعته أمه ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أرضعته ثويبة جارية أبي لهب ـ وهو الأشهر ـ بلبن ابنها مَسْرُوح أياماً قبل قدوم حليمة مكة، وكانت قد أرضعتْ قبله حمزةَ بن عبد المطلب رضي الله عنه، ثم أرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي(٣).

وأعتق أبو لهب ثويبة، فكانت تدخل على النبي ﷺ بعد ما تزوج خديجة رضي الله عنها، فكان يكرمها وتكرمها خديجة(٤). وكلم يوماً خديجةَ رسولُ الله ﷺ فيها، فوهبت لها غنماً(٥).

وقيل: إنما أعتقها أبو لهب بعد ما هاجر رسول الله ﷺ، وسألته خديجة رضي الله عنها أن يَبيعها منها فأبى، وكان رسول الله ﷺ بعدما هاجر يبعث إليها بكُسْوَةٍ وصِلَةٍ، وتوفيت ثويبة في سنة سبع من الهجرة(٦).

وذكر أبو نعيم الأصبهاني في إسلامها قولين.

وقال عروة: كانت ثويبة مولاة أبي لهب فأعتقها، فأرضعت رسول الله ﷺ، فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في منامه بِشَرِّ حِيْبَة، فقال له: ما لقيتَ أبا لهب؟ فقال:

---

(١) انظر «تاريخ الطبري»، و«المنتظم» ٢/ ٢٥٩، و«الكامل» ١/ ٥٨٣.

(٢) انظر «السيرة» ١/ ٤١، وقد سرد ابن الجوزي في الوفا ص٩٧ جملة أمهات الحوادث في سنيه ﷺ.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٧، و«المنتظم» ٢/ ٢٦٠.

(٤) انظر «المنتظم» ٢/ ٢٦٠.

(٥) كذا جاء في النسخ، والصواب أن التي كلم رسول الله ﷺ في شأنها، إنما هي حليمة، أتت إليه فشكت جدب بلادها وهلاك الماشية، فكلم رسول الله ﷺ خديجة، فأعطتها أربعين شاة وبعيراً. انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٠٨ـ١٠٩، وسيأتي الخبر عند المصنف قبل السنة السادسة من مولده ﷺ.

(٦) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ١٠٩.

ما لقيت بعدكم روحاً غير أني سُقيت في هذه ـ وأشار إلى نقرة بين إبهامه وسبابته ـ قال: بعتقي ثويبة[1].

ذكر إرضاع حليمة إيَّاه ﷺ:

وهي: حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن سِجْنَة[2] بن جابر بن رِزَام بن ناصرة بن [فُصَيَّة بن نصر بن] سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار، وزوجها: الحارث بن عبد العزى بن رِفاعة بن ملّان ابن ناصرة بن فُصَيَّة بن [نصر بن] سعد بن بكر بن هوازن. وكنيته: أبو ذؤيب، وكان له من الولد: عبد الله، وهو الذي أَرْضَعت حليمةُ رسولَ الله ﷺ بلِبانه. [وأنيسة وجُدامة بنت الحارث] ولقبها: الشَّيماء، وكانت تحضن رسول الله ﷺ مع أُمِّها، وهي التي سُبيت يوم حنين، وقالت: إني أخت نبيكم[3].

قال ابن إسحاق: عن الجَهْم بن أبي الجَهْم قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب يقول عن حليمة ابنة الحارث السعدية أُمِّ رسول الله ﷺ التي أرضعته قالت: خرجت في نِسوة من سعد بن بكر بن هوازن نلتمس الرُّضعاءَ بمكة، فخرجت على أَتانٍ لي قمراء قد أَذَمَّت بالرَّكْب[4]، وخرجنا في سنة شهباء لم يبق لنا شيء أنا وزوجي الحارث بن عبد العزى ومعنا شارفٌ لنا، والله لم تَبِضَّ علينا بقطرة من لبن، ومعي صبي لنا، والله ما ننام ليلنا من بكائه، وما في ثديي لبن يغنيه ولا في شارفنا من لبن يُغَذِّيه إلا أَنا نرجو، فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة إلا عُرِض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، وإنما كنا نرجو الكرامة في رضاعة من نُرضع له من والد المولود، وكان ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٥١٠١). وهذا هو الصحيح أن إعتاقها كان عند ولادة النبي ﷺ، انظر «السيرة الشامية» ١/ ٤٥٨. وقوله: بشر حيبة، أي: سوء حال.

(٢) هكذا هي في (ك)، وفي (خ) غير منقوطة، وضبطها ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٢٧٤: بالشين المعجمة، وضبطها صاحب «السيرة الشامية» ١/ ٤٦١ بالسين المهملة.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٩ـ٩٠، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٠٦. وما بين معقوفين زيادة منهما.

(٤) يروى: «أَدَمتُ» أي: أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها، وروي: «أَذَمَّتْ» أي: تأخرت بالركب والضمير في «أَذَمَّت» يرجع إلى الأتان.«إملاء المختصر» ١/ ١٣٤.

يتيماً، فقلنا: ما عسى أن تصنع أمه؟ حتى لم يبق من صواحباتي امرأة إلا أخذت رضيعاً، غيري، فكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئاً، وقد أخذوا صواحباتي، فقلت لزوجي الحارث: والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فأتيته فأخذته، ثم رجعت به إلى رَحْلي، فقال لي زوجي: قد أخذتيه؟ قلت: نعم، وذاك أني لم أجد غيره، قال: قد أصبت، عسى أن يجعل الله فيه خيراً، قالت: فوالله ما هو إلا أن وضعته في حِجْري، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من اللبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي، فقام زوجي إلى شارفنا من الليل فإذا هي تَسِحُّ علينا ما شئنا من اللبن، فشربنا حتى روينا، ومكثنا ليلتنا بخير شباعاً رِواء، فقال زوجي: يا حليمة، ما أراك إلا قد أصبت نَسَمَةً مُباركة، قد نام صبياننا وروينا.

قالت: ثم خرجنا فوالله لخَرجَتْ أتاني أمام الركب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها أحد منهم، حتى إنهم ليقولون: ويحك يا بِنْتَ الحارث، كُفِّي علينا، أليست هذه أتانك التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله، فيقولون: إن لها لشأناً. حتى قَدِمتُ منازِلَنا من حاضرِ منازل بني سعد بن بكر، فقدمنا على أجدب أرض الله، فوالذي نفسُ حَليمةَ بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا، وأُسَرِّحُ راعي غُنَيْمَتي، وتروح غنمي حُفَّلاً بِطاناً، وتروح أغنامهم جياعاً هالكة ما لها من لبن، ونشرب ما شئنا من اللبن وما مِنَ الحاضرين أحد يحلب قطرة ولا يجدها، فيقولون لرُعاتِهم: ويلكُم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة. فيسرحون في الشِّعب الذي يسرح فيه، وتروح أغنامهم جياعاً، وتروح غنمي حُفَّلاً، قالت: وكان يشب في اليوم شباب الصبي في [الشهر ويشبُّ في الشهر شباب الصبي في] سنة، فبلغ سنتين وَهو غلام جَفْر، فقَدِمْنا به على أُمِّه ومكةُ وَبِيْئَة، فقلنا أو قال لها زوجي: دعي ابني فلنرجع به، فإنا نخشى عليه وَباء مكة. قالت: ونحن أضَنُّ شيء به لِما رأينا من بركتِه. فلم يزل بها حتى قالت: ارجعي به. قال: فمكث عندنا شهرين.

وقال ابن قتيبة: إنما أقام عندهم خمس سنوات(١).

(١) «المعارف» ص١٣٢.

فبينما هو يلعب يوماً مع الغِلمان خلف البيوت إذ جاء أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القُرَشي، فقد جاءه رجلان فأضجعاه وشقَّا بطنه، قالت: فخرجنا نشتد نحوه، فانتهينا إليه وهو قائم ممتقع لونه، فاعتنقته واعتنقه أبوه وقال: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقَّا بطني، ووالله ما أدري ما صنعا. قالت حليمة: فاحتملناه فرجعنا به، قالت: يقول زوجي: يا حليمة، والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب، فانطلقي فلنَرُدّه إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه. فرجعنا به إلى أمه، فقالت: ما ردَّكما به وقد كنتما حريصين عليه؟ فقلنا لها: قد كفلناه وأدَّينا ما علينا من الحق فيه، ثم تخوفنا عليه الأحداث فقلنا: يكون عند أمه. فقالت: والله ما ذاك بكما، فأخبراني خبره، فأخبرناها. فقالت: أتخوفتما عليه، والله إن لابني هذا لشأناً[1].



السنة الثالثة من مولده ﷺ

فيها ولد أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ودخلت السنة الرابعة وبعض الخامسة، وهو ﷺ عند حليمة السعدية رضي الله عنها.



السنة الخامسة من مولده ﷺ

وفيها شق بطنه.

قال شداد بن أوس: جاء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ فقال: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ فأخبرني عن بدء أمرك، فقال: «يا أَخا بني عامر، بَدْءُ أَمري دَعوةُ أخي إبراهيمَ، وبُشرى أخي عيسى، وإنِّي كنتُ مسترضعاً في بني سعدٍ، فبينا أنا ذاتَ يومٍ مُنْتَبِذٌ مع أتراب لي من الغِلمان في وادٍ بعيدٍ عن أهلي، إذا بثلاثة رهطٍ معهم طَسْتٌ من ذَهب قد

(١) «السيرة» ١/ ١٤٨ـ١٥٣، والنقل عن «المنتظم» ٢/ ٢٦١ـ٢٦٣.

مُلئ ثلجاً، فأَخَذني واحدٌ منهم، فَهَرب أَتْرابي ووَقَفوا على شَفير الوَادِي، ثم أقبلُوا على القومِ وقالوا: يا قومُ، إنَّ هذا الغُلام ليس منَّا إنما هو مستَرْضَع فينا، وهو ابن سيد قريش وهو يتيمٌ، فماذا يَرُدُّ عليكم قَتْلُه؟ فإن كنتم لا بدَّ قاتليه فاختاروا أَيَّنا شِئتُم منَّا فاقتلوه عِوَضَهُ، فلم يردوا عليهم جواباً، فانطلقوا هاربين يستصرخون الحي، فعَمد أحدُهم فأَضجَعَني إضجاعاً رفيقاً، ثم شقَّ ما بين مَفرِق صَدْري إلى منتهى عانتي، ولم أجد لذلك مسّاً، ثم أَخرج أحشاءَ بطني فغسَلَها بماء وثلج، فأنعم غسلها، ثم ردها إلى مكانها، ثم جاء آخر فأخرج من قلبي مُضْغَةً سوداء فرمى بها، وإذا بيده خاتم النبوة من نور فختم به قلبي، فامتلأ نوراً ثم ردَّه إلى مكانه، فوجدت بَرْدَ الخاتم في قلبي دهراً، ثم أَمَرَّ الثالث يده على صدري فالْتَأَم ذلك الشَّق بإذن الله، ثم أخذ بيدي فأنهضني، ثم قال لصاحبه: زِنه، اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة، ففعل وأنا أنظر إلى الألف، فرجحت عليهم، فانطلقوا وهم يقولون: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم أقعدوني وقبَّلوا رأسي وقالوا: يا حبيب، لا تُرَعْ؛ إنك لا تدري ماذا يُراد منك ـ أو بك ـ لو علمت لقَرَّت عَيْناك، قال: فبينا نحن كذلك، وإذا بالحي قد أقبلوا بحذافيرهم ـ أي بأسرهم ـ وإذا بأمي وهي تهتف في أوائلهم وتقول بأعلى صوتها: واضعيفاه. فقال أحدهم: حبذا أنت من ضعيف، فقالت: يا يتيماه. فقال الآخر: حبذا أنت من يتيم، فقالت: ياوحيداه[1]. فقال الآخر: حبذا أنت من وحيد، ثم ضمتني إلى صدرها وجَعَلت تقول: استُضْعِفْتَ من بين أترابك وتبكي، فوالذي نفسي بيده إني لفي حِجرها وإن يدي في يد بعض القوم، وأنا ألتفت إليهم أظن أنَّ القوم يبصرونهم، فقال له بعض أهل الحي: هذا الغلام قد أصابه لَمَم، فانطلقوا به إلى الكاهن لينظر إليه، فذهبوا بي إلى الكاهن، فسألني عن قصتي؟ فأخبرته، وضمني إلى صدره وصاح بأعلى صوته: يا معاشر العرب، اقتلوه واقتلوني معه، فواللات والعزى لئن تركتموه ليبدِّلن دينكم، فقالت أمي: انظر لنفسك قاتلاً غيري، فإن ولدنا ما به مما قلت شيء، ولقد شبه عليك[2].

(١) في النسخ: «ياواحداه» والمثبت من «المنتظم» و«تاريخ دمشق».

(٢) انظر «تاريخ دمشق» (قسم السيرة) ١/ ٣٨٠ـ٣٨٣، و«المنتظم» ٢/ ٢٦٥ـ٢٦٧. وضعفه ابن عساكر، وقال ابن كثير في «البداية» ٢/ ٢٥٦: وفيه عمر بن الصبح وهو متروك كذاب متهم بالوضع.

قال الواقدي: لما تم له خمس سنين؛ قدمت به حليمة مكةَ، وقد رأت غمامة تُظله في الطريق، إن سار سارَتْ، وإن يقف وقفت، فأفزعها ذلك، فلما قربت من مكة؛ نامت في بعض الأباطح، ثم انتبهت فلم تجده[١].

وذكر الثعلبي في «تفسيره» القصة عن كعب الأحبار قال: لما قضت حليمة حق الرضاع أتت بالنبي ﷺ إلى مكة لترده إلى عبد المطلب، قالت: فأتيت به إلى الباب الأعظم من أبواب مكة، فسمعت منادياً ينادي: هنيئاً لك يا بطحاء مكة، اليوم يرد عليك النور والدين والجمال والبهاء، قالت: فوضعته عند الباب وذهبت لأصلح من شأني، فسمعت هدَّةً شديدة فالتفت فلم أره، فقلت: يا معاشر الناس، أين الصبي؟ فقالوا: أي الصبيان تعنين؟ قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، نضر الله به وجهي، وأغنى عَيْلَتي، ربيته حتى إذا أدركت فيه سروري وأملي، اختلس من يدي قبل أن تمس قدماه الأرضَ، واللَّاتِ والعُزَّى لئن لم أره لأرمين نفسي من شاهق هذا الجبل فلأُقَطِّعَنَّ إرْباً إرْباً، فقالوا: ما رأينا أحداً. قالت: فلما آيسوني وضعت يدي على أم رأسي وقلت: وامحمداه، واولداه، فأبكيت الجواري والأبكار ببكائي، وإذا بشيخ فانٍ يتوكأ على عصاه، قال: ما لك يا سعدية؟ فقلت: فقدت ابني محمداً.

فقال: لا تبكي أنا أدلك على من يَعْلَمُ عِلْمَه، وإن شاء أن يرده عليك فعل، قلت: فدتك نفسي من هو؟ قال: الصنم الأعظم هبل. فقالت: فدخل، وطاف بهبل، وقبَّل رأسه، وناداه: أيها الإله الأعظم، لم تَزَلْ مِنَّتُكَ على قُريش عظيمةً، وهذه السعدية تزعم أن محمداً قد ضَلَّ، فَرُدَّه عليها. قالت: فأكب هبل على وجهه، وتساقطت الأصنام وقالت: إليك عنا يا شيخ، إنما هلاكنا على يد محمد. فأقبل الشيخ وأنا أسمع لأسنانه اصطكاكاً، ولركبتيه ارتعاداً، وقال: يا حليمة، إن لابنك ربّاً لا يضيعه، فاطلبيه على مهل. قالت: فأتيت إلى عبد المطلب، فلما رآني على ذلك، قال: أَسعْدٌ نزل بك أم نحس؟ قلت: نحس. ففهم وقال: لعل ابنك قد ضل منك؟ قلت: نعم. فسلَّ سيفه ـ وكان لا يثبت له أحد ـ [ونادى بأعلى صوته] : يا آل غالب يا آل غالب، فأجابته

(١) انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد ١/ ٩١، وأخرج ابن سعد أيضاً ١/ ١٢٦ـ١٢٧ : أن أخته هي التي رأت الغمامة تظله.

قريش بأجمعها، فأخبرهم الخبر وركب وركبوا معه، وقالوا: إن تسنَّمت جبلاً تسنمناه معك، وإن خُضْتَ البحر خضناه، ثم خرج إلى أعلى مكة وأسفلها فلم يجد شيئاً. فأتى إلى الكعبة، وطاف أسبوعاً، ثم قال: [من الرجز]

يا ربِّ أُرْدُدْ ولدي محمداً رُدَّهْ إليَّ واتَّخِذْ عندي يدا

فسمع منادياً من السماء: أيها الناس، إن لمحمد رباً لا يضيعه. فقال عبد المطلب: وأين هو؟ قال: بوادي تهامة عند شجرة اليمن، فخرج عبد المطلب ولقيه ورقة بن نوفل، وسارا جميعاً إلى ذلك المكان، وإذا به تحت الشجرة، فاحتمله عبد المطلب على قَرَبوس سَرْجِه، وعاد به إلى مكة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضّحى:٧] على أحد الأقوال[(١)].

وأما حليمة، فإنها أسلمت وأسلم زوجها، وقدمت مكة بعد ما تزوج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها، فشكت إليه جَدْبَ البلاد، فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيراً، ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت.

قال الواقدي: لما قدمت عليه، قال: أمي أمي، وبسط لها رداءه فجلست عليه[(٢)].



السنة السادسة من مولده ﷺ

وفيها توفيت والدته ﷺ.

قال الزهري: لما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين، خرجت به أمه إلى المدينة إلى أخواله من بني عَديِّ بن النجار، فنزلت دار النابغة[(٣)] الجعدي التي مات فيها أبوه،

(١) تفسير الثعلبي١٠/ ٢٢٦ـ٢٢٨، وانظر«دلائل النبوة» للبيهقي ١/ ١٤٢ـ١٤٣، وقد أخرج القصة مختصرة، ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٩١ـ٩٢، والبلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ٩٣ـ٩٤، وابن الجوزي في «المنتظم» ٢/ ٢٦٩. وانظر «سمط النجوم العوالي» ١/ ٢٦٧.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٣.

(٣) كذا هي في الأصول الخطية، وضبطها صاحب «السيرة الشامية» ١/ ٤٠٠: التابعة بالتاء، وعند الطبري ٢/ ٢٤٦بالروايتين، وانظرالمنتظم٢/ ٢٧٢، والوفا ١١٤.

فأقامت عندهم شهراً، واختلف قوم من اليهود إلى الدار ورأوا رسول الله ﷺ، وجعلوا يقولون: هذا نَبيُّ هذه الأمة، وهذه دار هجرته. ولما رجعت به إلى مكة؛ توفيت بالأبواء، فقبرها هناك، وكانت معها أم أيمن فرجعت بالنبي ﷺ إلى مكة. ولما مرَّ رسول الله ﷺ بالأبواء في عمرة الحديبية؛ زار قبرها[(١)].



السنة السابعة من مولده ﷺ

فيها كَفِله جده عبد المطلب بعد وفاة أمه آمنة.

قال الزهري: إن عبد المطلب ضمَّه إليه، ورقَّ عليه رِقَّةً لم يَرِقَّها على أولاده، فكان لا يفارقه، ويدخل عليه، ويجلس على فراشه عند الكعبة، فإذا نهاه أحد يقول: دعوا ابني، فإنه ليُؤنِسُ مُلْكاً. وما كان أحد يجلس على فراش عبد المطلب من ولده إجلالاً له إلا رسول الله ﷺ، وقدم مكة قوم من القافة من بني مُدْلج، فلما نظروا إليه، قالوا لعبد المطلب: احتفظ بهذا الغلام، فإنا لم نجد قدماً أشبه بالقدم الذي في المقام من قدميه، فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء واحتفظ به، وقال عبد المطلب لأم أيمن: احتفظي بابني، فإن اليهود تزعم أنه نبي هذه الأمة[(٢)].



السنة الثامنة من مولده ﷺ

وفيها توفي عبد المطلب.

ولما احتُضِرَ عبد المطلب، أوصى به إلى أبي طالب، فقبضه وضمه إليه وأحبه حباً شديداً، وقدَّمه على أولاده، وكان لا يفارقه، وكان عيال أبي طالب إذا لم يأكل معهم رسول الله ﷺ لم يشبعوا، وإذا أكل معهم شبعوا، فيقول له أبو طالب: إنك لمبارك[(٣)].

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٥، و«المنتظم» ٢/ ٢٧٢.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٦-٩٧، و«المنتظم» ٢/ ٢٧٤.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٨، و«المنتظم» ٢/ ٢٨٣.

وكان شقيقَ عبد الله.

وقال الشيخ موفق الدين رضي الله عنه في «الأنساب»: إن عبد المطلب أوصى برسول الله ﷺ إلى أبي طالب، وقال له[١]: [من الرجز]

أوصيكَ يا عبدَ منافٍ بَعْدي

بمُفْرَدٍ بعدَ أبيه فَرْدِ

فارقَه وهْو ضجيعُ المَهْدِ

فكنتُ كالأُمِّ له في الوَجْدِ

تُدنيه من أَحْشَائها والكِبْدِ

فأنت من أَرْجى بنيَّ عِنْدي

لرفع ضيم أو لشدِّ عَقْدِ

وقيل: إن الزُّبير بن عبد المطلب وأبا طالب اقترعا عليه، فطارت القرعة للزُّبير، وكان الزُّبير أيضاً شقيقَ عبد الله، ويحتمل أن الاثنين كفلاه، لأن الزبير كان وصي عبد المطلب.

فصل وفيها توفي:

أنوشروان

كسرى العادل، وولي بعده ولده هُرمز، وكان في أول مُلكه عادلاً مُحسناً إلى الرعية، كان إذا سافر نادى مناديه: من تعرّض لزرع ضمن قيمته، إلا أنه أساء السيرة في آخر أمره، فتغيرت قلوب الرعية عليه، فقتلوه[٢].

حاتِم

ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي[٣] وبه يضرب المثل في الجود، قال

(١) التبيين ١٠٩، وانظر «تاريخ اليعقوبي» ٢/ ١٣، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٢٢.

(٢) «تاريخ الطبري»٢/ ١٧٢، و«المنتظم» ٢/ ٢٨٩، و«الكامل» ١/ ٤٦٩.

(٣) «تاريخ اليعقوبي» ١/ ٢٦٤، و«تاريخ دمشق» ١١/ ٣٥٧، و«المنتظم» ٢/ ٢٨٥، و«البداية والنهاية» ٢/ ١٩٧.

الشاعر[١]: [الطويل]

على حالةٍ لو أن في القوم حاتماً على جُوده ما جاد بالماءِ حاتمُ

وكنيته: أبو عدي[٢]. وأم حاتم: عِنَبَةُ بنت عفيف بن لحي، وابنه عدي من الصحابة.

قال الواقدي: كان حاتم سيد الأجواد، فاضلاً، عاقلاً، فصيحاً، شاعراً، يقري الأضياف ويبالغ في إكرامهم، وأخباره مشهورة.

قال عدي بن حاتم: قلت: يا رسول الله، إن أبي كان يصل الرحم، ويُطْعمُ الطعام، ويعتق الرقاب، فهل له في ذلك من أجر؟ فقال: «إن أباك التمس أمراً فأدركه»[٣].

قال سماك بن حرب: هو حُسْنُ الذكر[٤].

وقال الشعبي: خلَّف حاتماً أبوه في إبله، وهو في إبله، فمر به جماعة من الشعراء فيهم: عَبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، والنابغة الذُّبياني، يريدون النعمان بنَ المنذر، فقالوا لحاتم: هل من قِرىً ولم يعرفهم؟ فقال: تسألوني عن قرىً وأنتم تَرَوْنَ الإبل والغنم، انزلوا فنزلوا. فنحر لكل واحد منهم جزوراً، وسألهم عن أسمائهم؟ فأخبروه، ففرق فيهم الإبل والغنم، وجاء أبوه فقال: ما فعلت؟ فقال: طوقتك مجد الدهر وحسن الذكر تطويق الحمامة، فقال أبوه: فإذاً لا أُساكنك. فقال حاتم: فإذاً لا أبالي. ورحل عنه، فقال حاتم: [من الطويل]

وإنِّي لعفُّ الفقر مُشْتَرَكُ الغنى تَروكٌ لشَكْلٍ لا يُوافقُه شَكْلِي

ولي نِيَّةٌ في الجود والبذلِ لم يكن لِيألفَها فيما مَضَى أحدٌ قَبْلي

وما ضرَّني أن سار سَعْدٌ[٥] بأهله وخلَّفَني في الدارِ ليسَ معي أهلي

وما مِن كريمٍ عَاله الدَّهر مرَّةً فيَذكُرها إلَّا تزيَّد في البَذْلِ

وما مِن بخيلٍ عَاله الدَّهر مرَّةً فيَذكُرها إلَّا تزيَّد في البُخْلِ

---

(١) هو للفرزدق والبيت في ديوانه ص٢٩٧.

(٢) ويكنى أيضاً أبا سفَّانة، وهي ابنته، انظر «المنتظم» ٢/ ٢٨٥.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٢٦٢).

(٤) انظر «مسند أحمد» (١٨٢٦٣).

(٥) في النسخ: «عبد» والمثبت من الديوان ٧٦، والمنتظم.

وقال الشعبي: مر حاتم في مسير له ببني عَنَزَةَ وفيهم أسير، فاستغاث به، فقال له حاتم: لقد أسأتَ إليَّ حيث نَوَّهْتَ باسمي، وليس معي ما يفديك، ولستُ ببلاد قومي، ولكن طِب نَفْساً، وجاء إلى الذي أسره فاشتراه منه بمئة ناقة، وفك القيد من رجليه وجعله في رجل نفسه، وقال: اذهب إلى أهلي، وأعطاه أمارة إليهم بالتسليم، ومضى الرجل، وأقام حاتم في قيوده حتى عاد الرجل بالإبل، وأطلق حاتم(١).

وقال الشعبي: سأل رجل حاتماً: هل في العرب أكرم منك؟ فقال: كل العرب أكرم مني، نزلتُ على غلامٍ يتيم، وكان له مئة شاة، فذبح لي شاة، فقلت: ما أطيب مخها أو دماغها. فلم يزل يأتيني بدماغ دماغٍ حتى ذبح المئة، فأصبح ولا شيء له، قيل له: فما صنعت مع الغلام؟ قال: وما عساني أن أبلغ شكره، والله لو خرجت معه من جميع مالي ما جازيته، كان لي مئة من الإبل سودُ الحدَق، دفعتها إليه(٢).

ولما احتضر حاتم قال لابنه عدي: يا بني، والله ما خنت جارة لي لريبة، ولا ائتُمنت على أمانة إلا أدَّيتها، ولا بَدَا مني إلى أحد مكروه قط، ولا قصدني قاصد فخيبتُه.

ودفن حاتم على جبل يقال له: عوارض.

فصل

وأجواد الجاهلية ثلاثة(٣): حاتم، وهَرِم بن سِنان، وكعب بن مامة.

فأما هَرِم، فكان أبوه سنان سيِّدَ غطفان، وماتت أمه وهي حامل به، وقالت: إذا مت؛ فشقوا بطني، فإن فيها سيد غطفان. فلما ماتت، شقوا بطنها واستخرجوا سناناً، فولد هَرِماً. وفي هرم يقول زهير: [من البسيط]

مـتـى تـلاقِ عـلـى عِـلاتـه هَـرِمـاً   تـلـق الـنـدى منه في خَلْقٍ وفي خُلُقِ

وفيه وفي إخوته يقول زهير ـ وقيل: إنها لغيره ـ: [من البسيط]

---

(١) انظر «المنتظم» ٢/ ٢٨٥، والعقدالفريد ١/ ٢٨٧.

(٢) انظر «البداية والنهاية» ٢/ ٢٠٠-٢٠١.

(٣) انظر خبرهم في «العقد» ١/ ٢٨٧.

قَومٌ أبُوهمْ سنانٌ حين تَنْسِبُهم ... طَابُوا وطَابَ منَ الأولادِ ما وَلَدُوا
لو كانَ يَقْعُد فوقَ الشَّمسِ مِن كَرَمٍ ... قومٌ بأوَّلهم أو مجدِهم قَعَدُوا
محسَّدون على ما كان من نِعمٍ ... لا ينزع الله عنهم ما له حُسدوا

وفي هَرِمٍ يقول زهير وفي أهل بيته، ويصف ما فيه من أبيات: [من البسيط]

حَتى دَفعْنَ إلى حُلْوٍ شمائلُه ... كالغيث يَنبت في آثاره الوَرَقُ
من أهل بيتٍ بَرى ذو العرش فَضْلَهم ... يُبنى لهم في جنانِ الخُلْدِ مُرْتَفَقُ
المطعمين إذا ما أَزْمَةٌ أَزِمَت ... والطيِّبين ثياباً كلما عَرِقوا
كأنَّ آخرهم في المجد أولهم ... إن الشمائلَ والأخلاقَ تَتَّفِقُ
إن فوخروا فَخَروا أو طوعنوا طَعَنوا ... أو نوضلوا نَضَلوا أو سوبقوا سَبَقوا

وفيه يقول زهير أيضاً: [من الطويل]

وأبيضَ فيَّاضٍ يداه غَمامةٌ ... على مُعْتَفيه ما تُغِبُّ نَوافِلُهُ
تراه إذا ما جئتَه مُتَهلِّلاً ... كأنك تُعطيه الذي أنت سائلُهْ

أخذه أبو تمام فقال: [من الطويل]

ولو لم يكن في كفِّه غيرُ نفسِه ... لجاد بها فليتَّقِ اللهَ سائلُهْ

وقال زهير منها: [من الطويل]

أخو ثقة لا يُذهِبُ الخمرُ مالَه ... ولكنه قد يُذهِب المالَ نائِلُهْ

أخذه أبو نواس فقال: [من الطويل]

فتى لا تَلوكُ الخَمْرُ شَحْمَةَ مالِه ... ولكن أيادٍ عُوَّدٌ وبَوادِ

وأما كعب بن مامة الإيادي، فإنه رافق رجلاً من بني سعد في مفازة ومعهما ماءٌ يسير فعطشا، فآثر كعبُ بنُ مامة السعديَّ ومات عطشاً، ونجا السعديُّ. وهذا أبلغ ما يوصف من الجود، لأنَّ حاتماً وغيره آثروا بالمال، وكعب آثر بالروح.

وفي كعب وحاتم(١) يقول أبو تمام الطائي: [من الكامل]

كعبٌ وحاتمٌ اللذان تقاسما ... خُطَط العُلى من طارفٍ وتَليدِ

(١) في (خ) و(ك): كعب بن حاتم، وهو خطأ.

هذا الذي خلَفَ السَّحابَ ومات ذا ... في المَجْد مِيَتَة خِضْرِمٍ صِنديدِ
إن لم يكن فيها الشَّهيدَ فقومُه ... لا يَسمحون له بألف شهيد[(١)]

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

واسمه: شَيْبَة، وقيل: عامر، وكنيته: أبو الحارث، وأمه: سلمى بنت زيد بن عمرو بن أُسَيد بن حزام بن خداش بن جندب بن عدي[(٢)] بن النجار، وكانت قبل هاشم عند أُحيحة بن الجُلاح الأوسي، فمات عنها وترك ولدين منها وهما: عمرو ومَعْبد، فَزَوَّجها أبوها من هاشم بن عبد مناف.

قال الواقدي: خرج هاشم في تجارة إلى الشام، فمر بالمدينة، فنزل سوق النَّبَط فباعوا واشتروا، فنظر هاشم إلى امرأة حازمة جَلْدَة تبيع وتشتري، فسأل عنها فقيل: هي سلمى كانت تحت أحيحة، وكانت لا تتزوج حتى تشترط على الزوج أن يكون الأمر بيدها، متى اشتهت فارقت، وذلك لشرفها، فخطبها هاشم وعرفت شرفه، فتزوَّجَتْه، فأولم عليها، ودعا رجالاً من الخزرج فأطعمهم، وأقام أياماً فعلقت بعبد المطلب، وسار إلى غزة، فمات بها، ورجع أبو رُهم بن عبد العزى العامري وأصحابه إلى المدينة بِتَرِكَتِه[(٣)].

وقال البلاذُري: إنما تزوجها هاشم وشرط عليه أبوها أنها لا تلد إلا في أهلها، فرجع بها من المدينة إلى مكة، فلما دنت ولادتها، خرج بها إلى المدينة إلى منزل أبيها ومضى إلى الشام، وتوفي بغزة فولدت عبد المطلب[(٤)] وسمته: شيبة[(٥)].

---

(١) العقد الفريد ١/ ٢٩١_٢٩٣.
(٢) كذا هي في النسخ، وفي «نسب قريش» ص١٥، و«أنساب الأشراف» ١/ ٧٤: عمرو بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي، وانظر الطبري ٢/ ٢٤٧.
(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٦٠.
(٤) في النسخ: «عبد الملك»، والمثبت من «أنساب الأشراف» ١/ ٧٤ وغيره.
(٥) «أنساب الأشراف» ١/ ٧٤.

ذكر تسميته بعبد المطلب:

قال هشام: أقام عبد المطلب في أخواله مُكرَّماً، فبينا هو يناضل الصبيان ويقول: أنا ابن هاشم، فسمعه رجل من قريش فقدم مكة، فقال للمطلب: إني مررت بدور بني قَيْلَةَ، فرأيت غلاماً يعتزي إلى أخيك، وما ينبغي تركُ مثله في الغُرْبَةِ. فرحل إلى المدينة في طلبه، فلما رآه عرفه ففاضت عيناه، وضمه إليه، وأنشد يقول: [من البسيط]

عرفتُ شيبةَ والنَّجارُ قد جَعَلَت ... أبناؤها حَوْله بالنَّبْلِ تَنْتَضِلُ

عَرفْتُ أجلادَه فينا وشيمَته ... فَفاضَ منِّي عليه وابلٌ هَطِلُ

فركب المطلب، فلما قدم يثرب أردفه على راحلته، فقال: يا عم ذلك إلى الوالدة، فجاء إلى أمه وسألها أن ترسل به معه، فامتنعت، فقال لها: إنه يمضي إلى مُلْك أبيه وإلى حرم الله، فأذنت له فقدم به مكة، فقال الناس: هذا عبد المطلب؟ فقال: ويحكم، إنما هو ابن أخي هاشم. وروي غير ذلك[1].

ولما قدم المطلب بشيبة مكة، أقام عنده حتى ترعرع، فسلَّم إليه ملك هاشمٍ من أمر البيت، والرِّفادة، والسقاية، وأمرَ الحجيجِ، وغير ذلك[2].

وكان المطلب شريفاً مُطاعاً، وكانت قريش تسميه: الفيَّاض لسخائه، وهو عَقَد الحلف بين النجاشي وبين قريش، فلما أدرك عبد المطلب، خرج المطلب إلى اليمن تاجراً، فتوفي بمكان يقال له: رَدْمان[3]، فولي شيبة مكانه، وكان للمطلب من الولد: الحارث، وهاشم، ومَخرَمَة، وعبَّاد، وأُنيس، وأبو عمرو، وأبو رُهم الأكبر، وأبو عمر[4]، ومحصن، وعلقمة، وبناتٌ.

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٦٣ـ٦٤، و«أنساب الأشراف» ١/ ٧٤ـ٧٥، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٢٤٧ـ٢٤٨ و«المنتظم» ٢/ ٢٠٦ـ٢٠٧.

(٢) انظر «السيرة» ١/ ١٣١، و«الطبقات الكبرى» ١/ ٦٤، و«المنتظم» ٢/ ٢٠٧.

(٣) في النسخ: «رمدان» والمثبت من «الطبقات» ١/ ٦٤، وانظر «معجم البلدان» ٣/ ٤٠.

(٤) في «ك»: «أبو عمران»، وانظر «نسب قريش» ص٩٢.

ذكر وثوب نَوْفل بن عبد مناف على أخيه شيبة[١]:

ولما مات المطلب، وثب نوفل على أركاحٍ[٢] لشيبةَ فغصبه إياها، فسأل عبد المطلب رجالاً من قومه النُّصرةَ على عمه فأبوا، وقالوا: لا ندخل بينك وبين عمك، فكتب إلى المدينة إلى أخواله من بني النجار يذكر ما فعل به عمه نوفل، وقال: [من السريع]

مَن مُبلغٌ قومي على بُعدِهم ... أنيَ منهم وابنُهُمْ والخميسْ
بأنَّ عمي نوفلاً قد أبَى ... إلَّا التي يُغضي عليها الخسيسْ

وقال هشام بن الكلبي: إنه كتب أبياتاً منها: [من البسيط]

يا طُول لَيْلي لأحزاني وأَشْغالي ... هَل منْ رسولٍ إلى النَّجار أَخْوالي
يُنبي عَديّاً وديناراً ومازِنَها ... ومالِكاً عِصْمةَ الجيرانِ عن حالي
قد كنتُ فيهم وَما أَخْشَى ظُلامةَ ذي ... ظُلْم، عزيزاً مَنِيعاً ناعمَ البالِ
حتَّى ارتحلْتُ إلى قَوْمي وأَزْعَجَني ... لذاكَ مُطَّلِبٌ عمي بتَرْحالي
فغاب مُطَّلِبٌ في قَعْرِ مُظْلِمةٍ ... ثم انبرى نَوْفَلٌ يعدو على مالي
أَأَنْ رَأَى رجلاً غابَتْ عمومتُه ... وَغَاب أَخوالُه عنه بلا والِ
أَخْنَى عليه ولم يحفظ له رَحِماً ... ما أمنع المرءَ بين العمِّ والخالِ
فاستَنْفِروا وامنعوا ضَيْمَ ابن أختكمُ ... لا تَخذُلوه فما أنتم بخُذَّال

فلما وقف خاله أبو سعد بن عدي[٣] النجاري على كتابه بكى، وسار من المدينة في ثمانين راكباً حتى نزل مكة ونزل الأبطح، فتلقاه عبد المطلب وقال له: المنزل يا خال، فقال: لا والله حتى ألقى نوفلاً، فقال: تركته في الحِجْر جالساً في مشايخ قريش، فأقبل أبو سعد حتى وقف عليهم، فقام نوفل قائماً وقال: يا أبا سعد أنعم صباحاً، فقال له أبو سعد: لا أنعم الله لك صباحاً، وسلَّ سيفه وقال: ورب هذه البَنِيَّةِ لئن لم تردَّنَّ على ابن أختي أركاحه لأملأن منك هذا السيف، فقال: قد رددتها عليه، فأشهد عليه

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٤٨-٢٥١، و«أنساب الأشراف» ١/ ٧٩-٨٠.
(٢) الأركاح: الساحات والأفنية.
(٣) في تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٩: أبو أسعد بن عدس.

مشايخ قريش، ثم نزل على شيبة وأقام عنده ثلاثاً، ثم اعتمر ورجع إلى المدينة، فقال عبد المطلب:

ويــأبــى مــازن وبــنــو عَــدِيّ ودينــارُ بــن تـيْــم اللهِ ضَـيْـمـي
بــهــم رَدَّ الإلــه عــلــي رُكْــحـي وكـانـوا فـي انـتـسـابٍ دون قـومـي

ذكرُ الحِلْفِ الذي جرى بين نوفل وبين عبد شمس على بني هاشم

وحالفت بنو هاشم خزاعة على بني عبد شمس وبني نوفل، وكان ذلك سبباً لفتح مكة لما نذكر، ولما رأت خزاعة نصر بني النجار لعبد المطلب، قالوا: نحن ولدناه كما ولده بنو النجار، فنحن أولى بنصرته. ومعنى هذا: أن عبد مناف جد عبد المطلب، أمُّه حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشِية سيد خزاعة، فقالوا لعبد المطلب: هلم فلنتحالف. فدخلوا دار الندوة، وتحالفوا، وتعاقدوا، وكتبوا بينهم كتاباً كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، ولم يحضره أحد من بني نوفل ولا من بني عبد شمس، وعلقوه في الكعبة، وصورته: باسمك اللهمَّ، هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة، ما بلَّ بحر صوفة، وما أشرقت الشمس على ثبير، وحنَّ بفلاةٍ بعير، وما أقام الأَخشبان، واعتمر بمكة إنسان. وتزوج عبد المطلب يومئذ لُبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر، فولدت له: أبا لهب، وتزوج ممنعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل[1]، فولدت له: الغَيداق.

حديث الاستسقاء بعبد المطلب[2]:

قال مخرمة بن نوفل: عن أمه رُقَيْقَةَ بنت [أبي] صَيْفي ـ وكانت امرأة عبد المطلب ـ قالت: تتابعت على قريش سنون، أقحلتِ الضَّرْعَ، وأدقَّت العظم، فبينا أنا نائمة بالهمِّ ـ أو مهمومة ـ إذا بهاتف يصرخ بصوت صَحِلٍ[3] يقول: يا معاشر قريش، إن هذا النبي

(١) في أنساب الأشراف ١/ ٨٣: مؤمّل.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٧٠ـ٧١، و«أنساب الأشراف» ١/ ٩٤ـ٩٥، و«دلائل النبوة» ٢/ ١٥، و«المنتظم» ٢/ ٢٧٥، والسيرة الشامية ٢/ ١٧٨.
(٣) الصوت الصحيل: الذي فيه بحة.

المبعوث فيكم، قد أظلتكم أيامه، وهذا إبَّانُ نُجومه، فحيَّ هلا بالحيا[١] والخِصْب، ألا فانظروا رجلاً منكم وسيطاً، عُظاماً، جُساماً، أبيضَ بضّاً[٢]، أَوْطَفَ[٣] الأهدابِ، سَهْل الخَدَّين، أَشمَّ العِرْنين[٤]، له فخر يَكْظم عليه[٥]، وسُنَّةٌ تَهْدي إليه، فليخلص هو وولده، وليهبط إليه من كل بطن رجل، فليشنوا من الماء، وليمسُّوا من الطيب، ثم ليستلموا الركن، ثم ليرتقوا أبا قُبَيس، فليستسق الرجل، ولْيُؤَمِّنِ القَومُ، فغِثْتُم ما شئتم.

قالت رُقَيْقَةُ: فأصبحتُ والله مَذعورة، قد اقشعرَّ جلدي، ووَلِهَ عقلي، واقتَصَصْتُ رؤياي، فوالحرمة والحرم ما بقي أبطحي إلا وقال: هذا لِشيبة الحمد، وتتامت إليه رجالات قريش، وهبط إليه من كل بطن رجل، فَشَنُّوا، ومَسُّوا، واستلموا، ثم ارتقوا أبا قبيس، وطبَّقوا جانبيه فما يبلغ سعيهم مهله، حتى إذا استووا بذروة الجبل، قام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ، غلامٌ قد أيفع أو كَرَب، فقال: اللهمَّ سادَّ الخَلَّةِ، وكاشفَ الكُرْبَةِ، أنت تعلم غير مُعَلَّم، ومسؤول غير مبخَّل، وهذه عِبِدَّاؤك وإماؤك بعَذِراتِ[٦] حَرَمك يشكون إليك سَنَتهم، أذهبتِ الخُفَّ والظِّلفَ، اللهمَّ فأمطر علينا غَيْثاً مُغيثاً مُغْدِقاً مَريعاً، فَوَالكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء بمائها، واكتظ الوادي بثَجيجه فلسمعت [شيخان] قريش وجلتها: عبدُ الله بن جُدعان[٧]، وحَرْب بن أميَّة، وهاشم بن المُغيرة المخزومي، يقولون لعبد المطلب: هنيئاً لك أبا البطحاء، أي: عاش بك أهل البطحاء.

وفي ذلك تقول رقيقة بنت أبي صيفي: [من البسيط]

بشَيْبةِ الحمْدِ أسْقى الله بَلْدتَنا ... لـمَّا فَقَدنا الحَيَا واجْلَوَّذ المَطَرُ
مُبَارَكِ الأمرِ يُستَسْقى الغَمامُ به ... ما في الأَنَامِ له عِدْل ولا خَطَرُ

(١) الحيا: الغيث.
(٢) البضاضة: رقة اللون وصفاؤه الذي يؤثر فيه أدنى شيء.
(٣) الوَطَف: طول شعر العين مع سعتها.
(٤) العرنين: الأنف.
(٥) يكظم عليه: لا يبديه ولا يظهره.
(٦) العذرات: جمع عَذِرة، وهي فناء الدار
(٧) في (خ) بدل هذه العبارة: فجاءت إليه قريش يهنئون: عبد الله بن جدعان.

مَنّاً مِنَ الله بالميمونِ طائرُهُ   وخيرُ من بُشِّرت يوماً به مُضَرُ

ولما سقى الله الناس، لم تصل الحياة إلى بلاد قيس ومضر، فاجتمعوا إلى زعمائهم وقالوا: قد أصبحنا في جدب وجهد، وقد سقى الله الناس بعبد المطلب، وإنه استسقى فسقي، وشفع فشُفِّع، فاقصدوه لعله يسأل الله فيكم. فقدموا مكة، ودخل خطباؤهم وساداتهم عليه فَحيَّوه بالسلام فقال: أَفْلحت الوجوه. وقام خطيبهم وقال: نحن ذو رحمك الواشجات، وقد أصابتنا سنون مجدبات، وقد بان لنا أثرك، ووضح عندنا خبرك، فاشفع لنا إلى من شفَّعك، وأجرى الغمام لك ومعك، فقال عبد المطلب: سمعاً وطاعة يا أقربَ القَرابات، موعدكم عرفات. ثم أصبح غادياً إليها، وخرج الناس معه وولده ورسول الله ﷺ غلام، فَنُصِبَ لعبد المطلب كرسيٌّ أو سريرٌ، فجلس عليه، وأخذ رسول الله ﷺ فوضعه في حجره، ثم قال عبد المطلب ورفع يديه ثم قال: اللهمَّ رب البرق الخاطف والرعد القاصف، رَبَّ الأرباب، ومُلَيِّنَ الصِّعاب، هذه قيس ومضر من خير البشر، قد شعثت رؤوسُها، وحدبت ظهورها، يشكون إليك شدة الهُزال، وذهاب النفوس والأموال، اللهمَّ فأسحَّ لهم سحاباً خوّارة، وسماءً خَرّارة، لتضحك أرضهم، فيزول ضُرهم. قال: فما استتم كلامه حتى نشأت سحابةٌ دَكْناءُ لها دَوِيٌّ، وقصدت نحو بلادهم، فقال عبد المطلب: يا معاشر قيس ومضر، انصرفوا فقد سُقيتم. فرجعوا وقد سقوا.

قصة عبد المطلب مع ابن ذي يزن[١]:

قال محمد بن السائب الكلبي: لما ملك سيف بن ذي يزن اليمن، وأباد عنها الحبشة، وفد عليه أشراف العرب للتهنئة، وكان من أشرافها خمسة: عبد المطلب بن هاشم، وأميَّة بن عبد شمس، وعبد الله بن جُدعان، وخويلد بن أسد، ووهب بن عبد مناف بن زهرة[٢]، وكان ابن ذي يزن بغُمْدان وهو قصره بصنعاء، فلما علم بهم جلس لهم على سريره ـ وكان من الذهب ـ، ولبس ثياب الملك، ووضع على رأسه التاج،

(١) انظر «تاريخ اليعقوبي» ٢/ ١٢، و«أخبار مكة» للأزرقي ١/ ١٤٩، و«تاريخ دمشق» ١/ ٣٥٧، و«المنتظم» ٢/ ٢٧٦، و«البداية والنهاية» ٢/ ٣٠٥.

(٢) في النسخ: «زهيرة» والصواب ما أثبتناه، انظر «نسب قريش» ص٢٦١.

وتضمَّخ بالغالية، وجعل بين يديه[١] سيفاً مسلولاً، واستدعى بهم، فدخلوا عليه وملوك حمير عن يمينه وشماله، ووضع الكرسي فاستأذنه عبد المطلب في الكلام وقام قائماً، فقال له سيف: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم. فقال عبد المطلب:

أما بعد، فإن الله أحلَّك أيها الملك محلًّا رفيعاً، باذخاً شامخاً منيعاً، وأنبتك نباتاً طابت أُرومتُه، وعَزَّت جُرْثومته، وثبت أصله، وبسق فَرْعُه بأكرم معدن وأطيب موطن، فإنك ـ أبيت اللَّعن ـ رأس العرب الذي تنقاد إليه، وعمودها الذي تَعتَمدُ عليه، وسائسها الذي يقوم بأمرها، ومعقلها الذي تلتجئ إلى ذُراه، سلفك لنا خير سلف، وأنت لنا منهم خير الخلف، ولن يجهل من تقدم سلفه، ولم يهلك من أنت خلفه. أيها الملك، نحن أهل بيت الله وسُكَّان حرمه وسَدَنَةُ كعبته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كَشْفِ الكَرْبِ الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المَرْزئة[٢].

فقال له ابن ذي يزن: من أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم. فقال: ابن أختنا؟ قال: نعم. فقال: ادنه، فدنا منه، فأقبل عليه وقال: مرحباً وأهلاً، وناقة ورحلاً، ومستناخاً سهلاً، ومُلْكاً رِبَحْلا[٣]، يعطى عطاءً جزلاً، قد سمع الملِك مقالتك، وعرف قرابَتَك، أنتم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحِباءُ إذا ظعنتم، أنتم قريش الأباطِح، أهل الشرف والفضل، والسناء والمجد، وأنت يا عبد المطلب ربيع الأنام وسيد الأقوام.

ثم أنزلهم دار الضيافة، وأجرى عليهم الإنزال، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه، ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب من بينهم خاصة، فأتاه فأجلسه معه على سريره، وقال له: يا ابن هاشم إني مفض إليك من سري ما لو كان غيرك لم أبح به، ولكني رأيتك أهلاً له وموضِعَه، فليكن عندك مطوياً حتى ينفذ الله أمره، ثم قال: إني لأجد في الكتاب الناطق، والعلم الصادق الذي اخترناه لأنفسنا واحْتَجَنَّاهُ[٤] دون

(١) في (خ): «عينيه».

(٢) المرزئة: جمع رُزْء، وهو المصيبة بفقد الأعزة. «اللسان»: (رزأ).

(٣) الربحل: العظيم الشأن.

(٤) احتجن الشيء: احتوى عليه «اللسان»: (حجن).

غيرنا، خبراً عظيماً وخَطْباً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، هو لك خاصة، ولقومك عامة.

فقال: أيها الملك، لقد أُبْتُ بخير ما آب به [وافد][1] فخبِّر، ولولا هيبة الملك لسألته من كشف بشارته إياي ما أزداد به سروراً، فقال: نبيٌّ هذا حينه الذي يولد فيه، اسمه محمد وأحمد، خَدَلَّجُ الساقين، أكحل العينين، في عينيه علامة، وبين كتفيه شامة بيضاء[2]، كأَنَّ وجهه فلقة قمر، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، وقد ولدناه مراراً واللهُ باعِثُه جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً يُعِزُّ بهم أولياءَه، ويَخْذِل بهم أعداءَه، يضربون دونه الناسَ عن عرض، ويفتح الله بهم كرائم الأرض، يكسر به الأوثان، ويُعْبد الرحمن، ويُدْحَضُ به الشيطان، وتخمد النيران، قولُه فصل، وحكمه عَدل، فقال له عبد المطلب: عَزَّ جَدُّكَ، وعلا كَعْبُك، وطال عُمُرُك، أفصح لي إفصاحاً، وأوضح لي إيضاحاً.

فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحُجُب، والعلامات على النُّصب، إنك لجده يا عبد المطلب من غير كذب. فخر عبد المطلب ساجداً، ثم رفع رأسه، فقال له الملك: ثلَجَ صدرُك، وعلا أمرُك، وبلغت أمَلَك في عَقِبِك، هل أحسست مما قلتُ شيئاً؟ قال: نعم، كان لي ولد كنتُ عليه شفيقاً، وبه رفيقاً، زوجته كريمة من كرائم قومي اسمها آمنة بنت وَهْب، فجاءت بغلام فيه كلُّ ما ذكَرَ الملك. فقال له: فاحتفظ به من اليهود فإنهم أعداؤه ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، والله مُظهِرُ دعوته، وناصر شريعته، فأَغِضَّ على ما قلت لك، واستره دون هؤلاء الرهط الذين معك، فلست آمن أن تدخلهم النفاسة في أن تكون لك الرياسة، فينصبوا لك الحبائل، ويغتالوا لك الغوائل، وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم، ولولا علمي أن الموت مجتاحي قبل مخرجه، لسرت إليه بخيلي ورجلي، وصيَّرت يثرب دار ملكي حيث يكون فيها خبره، فأكون وزيره وصاحبه، ومشيره وظهيره على من عاداه وعانده وناوأه، فإنَّا نجد في العلم المصون والسر المكنون، أن يثرب دار مُلكه، وبها استحكام أمره، وتربتها موضع قبره، ولولا الذمامة بعد الزعامة،

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من المصادر.

(٢) في (ك): «أبيض بض».

وصغر سنه، لأظهرت أمره وأَوْطأتُ العرب كعبه.

ثم أمر لكل واحد من القوم بمئتي بعير وعشرة أعبُد وعشرة إماء، وعشرة أرطال فضة، وخمسة أرطال ذهب، وكِرش مملوءة عنبراً، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: إذا كان في رأس الحول، فأتني بخبره وما يحدث من أمره. فتوفي الملك قبل رأس الحَوْل، وكان عبد المطلب يقول لأصحابه: لا تغبطوني بعطاء الملك وجزيله، ولكن اغبطوني بما أسرَّه إلي، فيقولون: وما الذي أسرَّه إليك؟ فيقول: ما شاء الله و يسكت. وكان كلما رأى من النبي ﷺ مخايل ما قال له الملك، يقول: أنا أبو الحارث، ما رميت غَرضاً إلا أصبته.

وكانت هذه الوفادة ولرسول الله ﷺ ثلاث سنين.

وقال ابن سعد: أول من خضب بالسواد من قريش: عبد المطلب، كان قد سافر إلى اليمن، فنزل على رجل من حِميَر ـ وكان قد شاب ـ فعلَّمه الخضاب، فلما قدم مكة، كأنَّ شعره من حَلَك الغراب، فقالت له زوجته نُتَيْلَة بنت جَناب بن كُلَيب أم العباس: يا شيبة[1]، ما أحسن هذا لو دام، فقال عبد المطلب: [من الطويل]

لـو دَامَ لـي هـذا الـسَّـواد حـمِـدتُـه ... وكـانَ بَـديـلاً مِـن شَـبـابٍ قـدِ انـصَـرَمْ
تـمـتَّـعـتُ مـنـه والـحـيـاةُ قَـصِـيـرةٌ ... ولا بُـدَّ مـن مَـوْتٍ يُـواتـي ومِـنْ هَـرَمْ
وماذا الذي يُجدِي على المَرْءِ خفضه ... ونـعـمـتُـه يـومـاً إذا عَـرْشُـه انـهَـدَمْ

ثم خضب أهل مكة بالسواد.

وقال ابن إسحاق: كان عبد المطلب من سادات قريش جسيماً وسيماً محافظاً على العهود والأمانات، متخلِّقاً بمكارم الأخلاق، يحب المساكين، ويعظم الظلم، ويقمع الظالمين، ويقوم بالحجيج، ويُطعم في الأزمان، ويكثر الصدقة والطواف، إذا أهلَّ رمضان دخل غار حراء يتعبد فيه طول الشهر، ورأى رجلاً يضرب رجلاً وليس له ناصر، فقال: يوشك أن يكون لنا دار أخرى، وقال: إن كان للقطيع راعٍ، فسيقتصُّ للجَمَّاءِ من القَرْناء، وإن لم يكن فالمصيبة بفقده أعظم. وكان يطعم حتى الوحوش

(١) في (خ): شبيب، وفي (ك): شيب، والمثبت من «الطبقات الكبرى» ١/ ٦٧ـ٦٨.

والطيور في رؤوس الجبال، وفيه يقول أبو طالب: [من الطويل]

ونطعمُ حتى يأكل الطيرُ فَضْلَنا إذا جُعِلت أيدي المُفيضين تُرْعِد

ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام، ووحد الله، وسن سنناً كثيرة نزل القرآن بأكثرها، وجاءت السنة من رسول الله ﷺ بها، فمنها: الوفاء بالنذر، ومئة من الإبل في الدية، ولا تنكح ذات محرم، ولا تؤتَى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزنا والحد عليه، ولم يشرب الخمر، وسن أن لا يطوف بالبيت عُرْيان، ولا ينفقون في الحج إلا من طَيِّب أموالهم، وإضافة الضيف، وتعظيم الأشهر الحرم إلى غير ذلك(١).

ودخل دَغْفَل النَّسابةُ على معاوية بن أبي سفيان، وكان من المُعَمَّرِين، فقال له: من رأيت من عِلْيَة قريش؟ فقال: عبد المطلب وأمية بن عبد شمس، فقال: صفهما، فقال: كان عبد المطلب أبيض بضّاً مديد القامة، حسن الوجه، شديد العارضة، في جبينه نور النبوة، وعِزُّ المُلْك، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أُسْدُ غاب، قال: فَصِف لي أميَّة؟ فقال: رأيته شيخاً قصيراً أعمى، نحيف الجسم، يقوده عبده ذكوان، فقال معاوية: مَهْ، ذلك ابنه عمرو؟ فقال دَغْفَل: هذا شيء أحدثتموه أنتم، فأما الذي رأيت أنا فقد أخبرتك.

ذكر وفاة عبد المطلب:

توفي في السنة الثامنة من مولد النبي ﷺ.

سئل رسول الله ﷺ: أتذكر يوم وفاته؟ قال: «نعم، كانَ ذَلكَ وأَنا ابنُ ثمانِ سِنينَ»(٢).

وقال مَخرَمة بن نوفل الزهري: توفي عبد المطلب وقد قاربتُ عشرين سنة، وإن أمي رُقَيْقَةُ بنت أبي صيفي لتقول لي: شق ثوبك على خالك، فمن تستبقيه بعده. ونظرت إلى نساء بني عبد مناف قد جززن شعورهن(٣).

---

(١) انظر «تاريخ اليعقوبي» ٢/ ١٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ١/ ٥١، وانظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٧.

(٣) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ٩٦.

واختلفوا في سنه على أقوال:

أحدها: أنه عاش ثمانين سنة[١]، والثاني: مئة وعشر سنين وعشرة أشهر. والثالث: مئة وعشرين سنة.

ودفن بالحجون عند جده قصي.

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعَثُ جدِّي عبدُ المطَّلب في زيِّ الملوكِ وأُبَّهةِ الأشرافِ»[٢].

ذكر أولاده:

كان لعبد المطلب ثلاثة عشر ذكراً، وقيل: هم اثنا عشر، وقيل: أحد عشر، وقيل: عشرة، وست بنات. فالذكور: الحارث كان أكبر ولده، وبه كان يُكْنى، توفي في حياة أبيه في السنة التي نحر فيها أبوه الإبل عن عبدالله، وأمه صفية بنت جُنْدَب بن عامر بن صَعْصَعة، ولم يدرك الإسلام، وأسلم من أولاده نوفل، وربيعة، وأبو سفيان، وعبدالله.

وقُثَم بن عبد المطلب شقيق الحارث، مات صغيراً في حياة أبيه قبل مولد رسول الله ﷺ بثلاث سنين، فَوَجِدَ عليه أبوه وَجْداً شديداً، فلما ولد رسول الله ﷺ سماه عبدالمطلب قُثَماً لحبه لِقُثَمٍ، فأخبرته آمنة أنه قيل لها: سميه محمداً، فسماه محمداً.

والزبيرُ بن عبدالمطلب، كان شقيق عبدالله والد رسول الله ﷺ، وكان أشد قريش شكيمةً، ورئيس بني هاشم وبني المطلب في حروب الفجار وغيرها شريفاً شاعراً، وأوصى إليه عبدالمطلب ولم يدرك الإسلام، وكان له من الولد: عبدالله، أسلم وصحب رسول الله ﷺ، وجاهد في سبيل الله، وكان رسول الله ﷺ يحبه ويقول: ابن عمي وحِبِّي. واستشهد بأَجنادين. وحَجْل بن الزبير[٣]، واسمه: المغيرة، دَرَج،

---

(١) في «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٧، و«المنتظم» ٢/ ٢٨٢: اثنتين وثمانين.

(٢) ذكره اليعقوبي في تاريخه ٢/ ١٤.

(٣) هكذا جاء عندنا في النسخ، وهو كذلك عند الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ٨٠٧، وابن ماكولا في «الإكمال» ٢/ ٥٠، وابن حجر في «التبصير» ١/ ٢٤٤، و «نزهة الألباب» ١/ ١٩٦، ولم يرد عند ابن =

وضُباعة، ومُرَّة، وقُرَّة، وأم الحكم، وصَفية، وعاتكة.

وحمزةُ بن عبد المطلب ﷺ، أمه: هالة بنت أهيب بن عبدمناف بن زُهرة أخت آمنة أم رسول الله ﷺ.

والعباسُ بن عبد المطلب: كنيته: أبو الفضل، وأمه، نُتَيْلَةُ بنت جَنَاب الكلبية.

وأما أبو طالب بن عبد المطلب فاسمه: عبد مناف وهو شقيق عبد الله بن عبد المطلب.

وأما أبو لهب فاسمه عبد العزى، وكنيته أبو لهب لجمال وجهه، أمه: لبنى بنت هاجر من عبد مناف بن ضاطِر خزاعية، مات عقيب يوم بدر بيسير.

وكان له من الولد: عتبة، وبه كان يكنى، ومعتِّب أسلم هو وعتبة يوم الفتح، فسرَّ رسول الله ﷺ بإسلامهما، ودعا لهما، ومشيا إلى جانبه وهو بينهما، وقال: «الحمدُ لله الذي أَيَّدني بِكُما»[(١)]. وشهدا الطائف وحنيناً مسلمين، وفُقئت عين معتِّب يومئذ، وأقاما بمكة مسلمين، وعُتيبة أكله السبع بالشام كافراً[(٢)] في سنة اثنتي عشرة من النبوة. ومن أولاد عتبة: العباس بن الفضل بن عتبة الشاعر، وكان لمعتِّب ابنٌ اسمه: مسلم، يُشَبَّه برسول الله ﷺ، وشهد معه وقعة حنين.

ودُرَّةُ بنت أبي لهب، وغرة بنت أبي لهب، وخالدة بنت أبي لهب.

وحَجْل، وكان ابن عبد المطلب، واسمه: المغيرة وهو شقيق حمزة ﷺ يُكْنى

= الكلبي في «جمهرة الأنساب» ١/ ١٦، ومصعب في «نسب قريش» ص١٧، والبلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ١٠٣ إلا حجل بن عبدالمطلب، واسمه المغيرة. ولكن ذكر صاحب كتاب «الإيناس بعلم الأنساب» أن للزبير ولداً اسمه حجل فقال: ومن قول الزبير:

تذكرتُ ما شفني إنما ... يهيج ما شفه الذاكر
ويمنعه النوم حتى يقال ... به سقم باطن ظاهر
فلو أن حجلاً وأعمامه ... شهود وقرة والطاهر

حجل وقرة والطاهر، بنو الزبير، وقد كان له أخ يقال له: حجل أيضاً. اهـ. والله أعلم.

(١) لم نقف عليه في حق عتبة ومعتِّب، وإنما هو في حق أبي بكر وعمر ﷺ، كما أخرجه الحاكم ٣/ ٧٤، وضعفه الذهبي في «التخليص» والحافظ في «الإصابة» ٤/ ٥.

(٢) انظر «نسب قريش» ص٨٩.

أبا قُرَّةَ، وكان حَجْلٌ أصغر من المقوِّم بسنة فاستكمل عمره.

وضِرار بن عبدالمطلب شقيق العباس، وكنيته: أبو عمرو[١]، وكان من فتيان قريش، وكان أسنَّ من العباس بسبع سنين، ومات ضرار في أيامِ أُوْحِيَ إلى النبي ﷺ، وكان شاعراً، ولم يتزوج ولم يولد له.

والمُقَوِّم بن عبد المطلب شقيق حمزة رضي الله عنه، وكنيته: أبو بكر، مات عبد المطلب وهو ابن خمس عشرة سنة. ومات المقوِّم قبل المبعث بثلاث سنين، وقيل: بست سنين، وكان له بنات: هند، وأروى، وأم عمرو[٢]، وفاختة.

والغَيْداق بن عبد المطلب، واسمه: مصعب، وقيل: نوفل، وكان أجود قريش، وأمه: ممنّعة[٣] بنت عمرو بن مالك الخزاعي، وأخوه لأمه: عوف بن عبدعوف الزهري والد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وأم حكيم وهي البيضاء وقُبَّة الدِّيباج[٤]، كانت في الجاهلية عند كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب[٥] بن عبدشمس، فولدت له: عامراً، وطلحة، وأم طلحة، وأروى.

فتزوج أروى عَفَّانُ بن أبي العاص بن أمية، فولدت له: عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، ثم خلف عليها عُقبة بن أبي مُعَيْط، فولدت له: الوليد بن عقبة وخالداً وأمَّ كلثوم، ولم تُسلم أم حكيم، وكانت توأمة عبدالله، ووُلِدا في بطن واحد، أَمَّ عبد الله أولاً، ثم ولدت بعده، وعاشت ابنتُها أروى أم عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى خلافة ابنها، وتوفيت فصلى عليها، ثم انصرف عن قبرها وهو يقول: اللهمَّ اغفر لأمي.

ماتت أم حكيم بعد المبعث ولها سبعون سنة، وهي القائلة: إني لحَصَانٌ فما أُكَلَّم، وصَناعٌ فما أُعَلَّم[٦].

---

(١) في (خ): «أبو عمر».

(٢) في (خ): «أم عمر».

(٣) في (ك): «ممتعه»، والمثبت من (خ)، و«الطبقات الكبرى» ١/ ٧٤ ، و«أنساب الأشراف » ١/ ١٠٣ .

(٤) انظر «الكامل» للمبرد ٢/ ٩١٦، ونسب قريش ١٧ ، وطبقات ابن سعد ١/ ٧٣ و١٠/ ٤٥، وأنساب الأشراف ١٠٠ ، والمعارف ١١٨ ، والتبيين ١٧٣.

(٥) في النسخ: «جندب»، والصواب ما أثبتناه انظر «نسب قريش» ص٧٩ و١٤٧ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٠٠.

(٦) انظر «تاريخ دمشق» ٣٩/ ٧ .

وبرَّةُ بنت عبد المطلب: كانت عند عبد الأَسد بن هلال المخزومي، فولدت له أَبا سَلَمة، وبَرَّةُ شقيقةُ عبدالله.

وعاتكةُ بنت عبد المطلب شقيقة عبدالله، وكانت عند أَبي أُمية بن المغيرة المخزومي، فولدت له عبد الله ، أسلم وله صُحبةٌ، وزهيراً وقريبة. وعاتكةُ هذه هي صاحبةُ المنام قُبيل يوم بدر، واختلف في إسلامها.

وصفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، شقيقة حمزة رضي الله عنه، أَسلمت وهاجرت وهي أمُّ الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه، وروَت الحديث عن النبي ﷺ.

وأروى بنت عبدالمطلب، اختلف في إسلامها.

وأُمَيمةَ بنت عبد المطلب كانت عند جحش بن رِئاب حليفِ بني أُميَّةَ، فولدت له عبد الله وأَبا أحمد، وعبيد الله وزينب وحَمنة[١].

فأما عبد الله فَقُتِل يوم أُحدٍ شهيداً، وشهد بَدْراً، وأما أبو أحمد فكان شاعراً وكان أعمى، واسمه: عَبْد، وأما عبيد الله فأسلم ثم تنصَّر بالحبشة، فمات كافراً. وأما زينب فتزوجها رسول الله ﷺ. وأما حَمْنَةُ فَحَدَّها رسول الله ﷺ في قذف عائشة رضي الله عنها.



السنة التاسعة من مولده ﷺ

وفيها خرج أبو طالب إلى الشام في تجارة، وأوصى أولادَه برسول ﷺ، فلما وصل إلى بُصرى نظر في أمر اليهود فخاف عليه منهم، فرجع إلى مكة[٢].



(١) وزاد في «نسب قريش» ص١٩: حبيبة بنت جحش.

(٢) كذا ، وفي المنتظم ٢/ ٢٨٩ أن أبا طالب خرج برسول الله ﷺ إلى بصرى وهو ابن تسع ولم أقف على من أورد سياق المصنف .

السنة العاشرة من مولده ﷺ

وفيها كانت الفجارات، وكانت الدائرة فيها لقريش على قيس، وإنما سميت هذه الحروب فِجاراً، لأنها كانت في الأشهر الحرم. قال أبو عبيدة: لأنهم فجروا فيها فاستباحوا الأموال والنفوس. قال خداش بن زهير: [من الطويل]:

فلا تُوعِدُوني بالفِجَار فإنَّه أَحَلَّ بِبَطْحاء الحجازِ المحارِما

وقال هشام بن محمد: كان الفجار الأول: بين كنانة وهوازن، والثاني: بين قريش وكنانة، والثالث: بين نصر بن معاوية وبين كنانة، والرابع: بين قريش وهوازن.

الفجار الأول: وسببه أن بدر بن معشر الكناني كان منيعاً، وورد سوق عُكاظ، وكان له مجلس يجلس فيه ويفتخر، ويشمخ على الناس ويقول: [من الرجز]

نحن بنو مُدركةَ بن خِنْدِفِ
مَنْ يطْعَنوا في عَيْنِه لم يطرفِ
ومن يكونوا قومَه يُغَطْرفِ
كأنَّهم لُجَّةُ بَحْرٍ مُسْدِفِ(١)

وكان يمد رجله وكان [يقول: أنا](٢) أعزُّ العَربِ، فمن ادَّعى أنه أعز مني فليضربها، فوثب عليه رجل من هوازن ـ وقيل: من بني نصر بن معاوية ـ يقال له: الأُحيمر بن مازن، فضربه بالسيف على ركبته، فجرحه جرحاً يسيراً ـ وقيل: إنه أَنْدَرَها، والأول أصح ـ ثم قال:

خذها إليك أيها المُخَنْدِف
نحن بنو دهمان ذو التَّغَطْرُف
نحنُ ضربْنَا ركبَةَ المعجْرِفِ
إذ مدَّها في أَشْهُرِ المعرَّفِ(٣)

(١) مسدف: مظلم.
(٢) ما بين معقوفتين زيادة من «العقد الفريد» ٥/ ٢٥١.
(٣) جعله ابن الجوزي في «المنتظم» ٢/ ٢٩٠ من كلام رجل آخر من هوازن.

ونشبت الحربُ، ثم نظروا فإذا الخطب يسير فكفوا.

الفجار الثاني: اجتمع شباب من كِنانة في سوق عُكاظ، وفيه امرأة من بني عامر وَسيمةٌ جَسيمة، جالسة وعليها دِرْعُها، فسألوها أن تُسْفِرَ عن وَجْهِها فأبت، فجاء أحدهم من خلفها فحل طرف درعها وشده إلى ما فوق عَجُزِها بشوكة، فلما قامت ارتفع درعها، فبدت عورتها فضحكوا، وقالوا: منعتينا النظر إلى وجهك، وَجُدْتِ لنا بالنظر إلى دُبْرِك. فنادت: يا آل عامر، فأجابوها. ونادى الشباب: يا آل كِنانة. وتثاوَر الحيَّانِ واقتتلوا، ووقعت بينهم دماءٌ كثيرة، فتوسطها حرب بن أمية، وأرضى بني عامر من مُثْلَةِ صاحبتهم.

الفجار الثالث: وسببه أن رجلاً من بني كِنانة كان له على رجل من بني نَصْر بن معاوية دَيْن، فوافى النَّصْري الكناني، فطالبه به وذكر قومَه بسوء، وسمعه رجل من بني كنانة، فقام إليه فضربه فقتله، وثار الحيان واقتتلوا، ثم حمل الدين عبدالله بن جُدْعان من ماله واتَّفقوا.

الفجار الرابع: وكان أَعظَمَها، وكان الذي أهاجه: أنَّ النعمان بن المنذر اللخمي ملكُ الحيرة كان يبعث[1] في كل سنة إلى سوق عكاظ بِلَطيمة ـ وهي التي تحمل الطيب وَبَزَّ التجار ـ في جوار رجل شريف من أشراف العرب يُجيرها له، فتباع ويُشترى له بها من أَدَم الطائف، وما يحتاج إليه، وكانت سوق عكاظ تقوم في كل يوم من ذي القعدة إلى انسلاخ المحرم، وقيل: أول يوم من ذي الحِجة، يتسوَّقون بحضور الحج، ثم يحجون وينفصلون، وعكاظ بين نخلة والطائف، وكانوا إذا اجتمعوا أَمِن بعضهم بعضاً.

فلما جهز النعمان اللطيمة وعنده جماعة من العرب فيهم: البَرَّاضُ بن قيس أحد بني بكر بن عبدمناف بن كنانة، والرَّحَّال، وهو عروة [بن عتبة]بن جعفر بن كلاب، فقال البَرَّاض: أجيرها على بني كنانة؟ فقال النعمان: ما أريد إلا من يجيرها على أهل نجد وتِهامة، فقال الرَّحَّال ـ وهو يومئذ رجل من بني هوازن[2]: أنا أجيرها لك. فقال

---

(١) في النسخ: «يُبعث إليه» والمثبت من العقد ٥/ ٢٥٣ وما سبق فيه، وما سيرد بين معكوفين منه.

(٢) في النسخ: «كنانة» والمثبت من العقد الفريد.

البَرَّاض: أَعَلى بني كنانة تُجيرها؟ قال عروة: نعم، وعلى أهل الشِّيح والقَيْصوم. ونال من البَرَّاض، وقال: أجيرها على الناس كلهم، فدفعها إليه النعمان وخرج بها الرَّحَّال، وتبعه البَرَّاض والرَّحَّال لا يخشى منه ولا مِن غيره شيئاً، فسار حتى نزل جانب فَدَك بأرض يقال لها: أُوَارة[1]، فشرب الخمر وغنَّته القَيْنات وسَكِر، فنام، وجاءه البَرَّاض فاستيقظ فحمل عليه، فقال الرَّحَّال: ناشدتك الله لا تقتلني فقد كانت منِّي زلَّة وهفوة، فلم يلتفت إليه وقتله، واستاق اللَّطيمة نحو خيبر وقال: [من الرجز]

قَدْ كانَتِ الغَفْلَةُ منِّي ضَلَّه
هلَّا على غيري جَعَلْتَ الزَّلَّه
فسوفَ أعلو بالحسام القُلَّه

وتبعه المُساوِر بن مالك الغَطَفاني وأسد بن خُثَيْم الغَنَوي، ولم يعلم بهما البَرَّاض حتى دخل خيبر فرآهما، فقال: من أنتما؟ فانتسبا له، فقال: وما شأنكما بهذه الأرض التي ليست لكما بأرض؟ قالا: ومن أنت؟ قال: أنا من أهل خيبر. قالا: هل لك عِلْمٌ بالبَرَّاض؟ قال: نعم، دخل علينا طريداً، فلم يأْوِه أَحدٌ منا، قالا: فدُلَّنا عليه. فقال: هو نائم خلف هذا الجدار، فنزلا وعقلا راحلتيهما، ودخلا فدخل وراءهما فقتلهما وأخذ راحلتيهما وسلاحهما، ثم إن البَرَّاض لقي بشر بن أبي خازم الأَسَدي الشاعر فأخبره الخبر، وقال: أخبر عبدالله بن جُدعان وقريشاً، ومُرْهم يوافوا سوق عكاظ، وخبر قيس بن عيلان خبر البَرَّاض، وما فعل الرَّحَّال، فثاروا وأجمعوا، وعليهم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر، ودريد بن الصِّمة، ومسعود بن مغيث الثقفي أبو عروة، وكانت رايتهم بيد أبي براء، وهو المقدَّمُ عليهم، وخرجت قريش وعليهم عبدالله بن جُدْعان، وهشام بن المغيرة، وحرب بن أمية، وعتبة بن ربيعة، وانضافت إليهم كِنانة، وأسد، وخزيمة، والأحابيش، والقارة، وعُضَل، وعلى الجميع عبدالله بن جُدْعان، ولما اجتمعوا طلبوا قريشاً، فدخلوا الحرم ونادى حرب بن أمية ـ وقيل: رجل من بني عامر يقال له: الأدرم بن شعيب ـ: يا معاشر قريش، موعدكم هذا المكان من قابل،

(١) في النسخ: «امرى»؟!

فقال خداش بن زهير: [من البسيط]

يـا شـدَّةً مـا شـدَدْنـا غـيـرَ كـاذبـةٍ علـى سَخينـةَ لـولا اللَّيـلُ والـحَرَمُ
لـمَّـا رأوْا خيـلـنـا تُـزْجـي أَعِـنَّتَـهـا آسـادُ غِـيـلٍ حَـمـى أشبـالَـهـا الأَجَـمُ

وأقامت قريش تتأهب سنةً حتى التقوا في العام القابل، وقيل: التقوا في هذا العام، واقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت الدائرة في أول النهار على قريش فقتلتهم قيس قتلاً ذريعاً، ثم كانت الدائرة في آخر النهار على قيس فقتلت منهم قريش مقتلة عظيمة، وحضر رسول الله ﷺ آخر النهار مع عمومته، ورمى فيه بأَسْهُم وقال ﷺ: «كنتُ أُنبِّل فيه لأَعْمامي - أي: أُناوِلُهم النَّبْلَ - وما أُحبُّ أنِّي لم أَحْضُر». ولما حجز بينهم الليل، باتوا على راياتهم، فلما أصبحوا نادى عُتبة بن ربيعة - وهو يومئذ شابٌّ لم يبلغ ثلاثين سنة -: الصُّلْح أَصْلَح. فأجابوا وعدوا القَتلَى، ووَدَتْ قريشٌ قتلى قيس، ووضعت الحرب أوزارها.

وقال أبو عبيدة: أَبت بنو كلاب أن تقتل البَرَّاض بالرَّحَّال، لأنَّ البَرَّاض كان خليعاً في كنانة، وكان الرَّحَّال سيد هوازن، فأرادوا أن يقتلوا به سيداً من قريش[1].

وكان لرسول الله ﷺ يومئذ عشر سنين، وقيل: أربع عشرة سنة، وقيل: عشرون سنة، والأول أصح.

* * *

السنة الثانية عشرة من مولده ﷺ

فيها سمع رسول الله ﷺ كلاماً من فوق رأسه[2].

* * *

(١) «السيرة» لابن هشام ١/ ١٦٨، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٤، و«الكامل» ١/ ٥٨٩، و«المنتظم» ٢/ ٢٩٦.
(٢) انظر «المنتظم» ٢/ ٢٩١.

السنة الثالثة عشرة من مولده ﷺ

فيها خرج أبو طالب برسول الله ﷺ إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل: عشرون سنة، والأول أصح، فنزل الركبُ ببُصرى، وبها راهب يقال له: بَحِيرَى في صومعة له، وكان ذا علم بالنصرانية، [ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ـ فيما يزعمون ـ يتوارثونه كابراً عن كابر][(١)]، وكان كثيراً ما يمرُّ به الركب فلا يُكلِّمُهم حتى إذا كان في ذلك العام نزلوا مَنْزِلاً قريباً من الصومعة كانوا ينزلونه، فصنع لهم طعاماً ودعاهم إليه، وإنما حمله على ذلك، أنهم حين طلعوا رأى غمامة تُظِلُّ رسول الله ﷺ دون القوم، ولمَّا نزلوا نزلوا تحت ظلِّ شجرة، فنظر إلى الغمامةِ قد أظلت تلك الشجرةَ فاخضلَّت أغصانها على رسول الله ﷺ دون القوم، ولما رأى ذلك بَحِيرى نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام، فحضر وأرسل إلى القوم يقول: يا معاشر قريش، أحب أن تحضروا طعامي ولا يتخلف منكم صغير ولا كبير، ولا حُرٌّ ولا عبد، فإن هذا شيء تكرموني به. فقال رجل منهم: إن لك لشأناً يا بَحِيرى، ما كنت تصنع بنا قبل هذا اليوم مثل هذا؟ فقال: إني أحب أن أكرمكم فلكم حق، فاجتمعوا، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لِصِغَرِ سنِّه، فنظر بَحِيرى إلى الغمامة فلم يرها على رأس أحد من القوم وهي على رأس رسول الله ﷺ، فقال: ألم أقل لا يتخلَّفَنَّ أحد عن طعامي؟ فقالوا: ما تخلف أحد إلا غلام صغير وهو أوسطنا نسباً، وهو ابن أخي هذا الرجل ـ يعنون أبا طالب ـ، فقال أبو طالب[(٢)]: والله إنه لَلُؤْمٌ أن يتخلف عنا محمد. فقام الحارث فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه بين القوم، والغمامة على رأسه وبَحِيْرى يلاحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى جسده فيجد ما يجد عنده من الصفة، فلما تفرقوا قام إليه الراهب، فقال: يا غلام، أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضتُ شيئاً كبِغْضَتي لها، قال: فبالله أخبرني، قال: سلني؟ فسأله عن أشياء حتى عن نومه والنبي ﷺ يخبره، فوافق ما عنده. فكشف عن ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، فقبَّله. وجعلت قريش

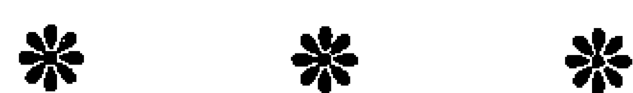
---

(١) جاء في النسخ: «وكان ذا علم بالنصرانية صاغراً عن كابر، وفيها كتب يدرسونها» والمثبت من «سيرة ابن هشام» ١/ ١٦٥، والمنتظم ٢/ ٢٩٢، وانظر طبقات ابن سعد ١/ ١٢٨.

(٢) في «سيرة ابن هشام» أن القائل رجل من قريش، وعند ابن سعد أنه: الحارث بن عبد المطلب.

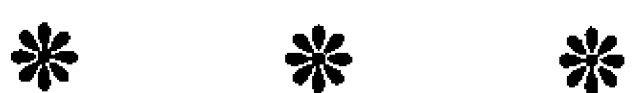
تقول: إن لمحمداً عند هذا الراهب قَدْراً، وجعل أبو طالب يخاف عليه من الراهب، فقال بَحِيْرَى لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال: ما هو ابنك، وما ينبغي أن يكون أبوه حيًّا، قال: فإنه ابن أخي، قال: ما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حامل به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: هلكت قريباً، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من اليهود. والله لئن عرفوا منه ما أَعرفُ لَيَبْغُنَّه عَنَتاً[١]، وإنه كائن لابن أَخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا، ونرويه عن أكابرنا. فلما فرغوا من التجارة عاد به أبو طالبٍ سريعاً إلى مكة.

وكانت رجال من اليهودِ قد رأوا رسول الله ﷺ، وعرفوا صفته في التوراةِ فأرادوا أَن يغتالوه، فذكروا ذلك لبَحِيرى فنهاهم عنه أَشدَّ النَّهي وقال: قد وجدتم صِفَتَه في التوراة، وأنه كائن لا محالةَ فلا سبيل لكم عليه، فتركوه، فما خرج به بعدها في سَفَرٍ خَوفاً عليه[٢].



السنة الرابعة عشرة من مولده ﷺ

فيها تحرّكت قيس لحربِ قريش، فخرج إليها عبدالله بن جُدعان وشِيخان قريش، فذكَّروهم الله فرجعوا[٣].



السنة الخامسة عشرة من مولده ﷺ

فيها رُوي أن النبي ﷺ رأى قُس بن ساعدة الإيادي في سوقِ عكاظ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قدم وَفْدُ عبد قيس على رسول الله ﷺ فقال لهم: «ما فَعَل قُسٌّ»؟ قالوا: هلك. قال: «ما أَنْسَاه على جملٍ أَوْرقَ يَخطُبُ بسوقِ عُكاظٍ ويَقُول: أيُّها

(١) في (خ): «والله لئن عرفوا منه ما أعرف لتبعته حيث كان وقتلوه».

(٢) انظر «سيرة» ابن هشام ١/ ١٦٥، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٢٨، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٢٦، و«المنتظم» ٢/ ٢٩٢.

(٣) هو حرب الفجار الأخير وقد تقدم ذكره قريباً، انظر «المنتظم» ٢/ ٢٩٦ .

النَّاسُ، اجتَمِعوا واسْتَمِعوا وَعُوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آت، إنَّ في السماءِ لخبرا، وإنَّ في الأرضِ لعِبَرا، مهادٌ موضوعٌ، وسَقْفٌ مَرفوعٌ، ونجومٌ تَمورُ، وبحارٌ لا تَغُورُ، أَقسم قُسٌّ قسماً حقاً أن لله تعالى ديناً هو أَحبُّ إليه من دينكم الذي أَنتم عليه، مالي أرى النَّاس يذهبونَ فلا يَرجعونَ، أَرَضُوا فأقاموا، أَم تُرِكوا فنامُوا؟» ثم قال: «أيكم يَروِي شعرَه؟»، فأنشدوه: [من مجزوء الكامل]

فــي الــذَّاهــبــيــن الأولــيــ ... نَ مــن الــقــرونِ لــنــا بــصــائــرْ
لــمــا رأيــتُ مــوارداً ... لــلــمــوتِ لــيــس لــهــا مــصــادر
ورأيــت قــومــي نــحــوهــا ... يــمــضــي الأكــابــرُ والأصــاغِــر
لا يــرجــع الــمــاضــي إلــيَّ ... ولا مــن الــبــاقــيــن غــابــر
أيــقــنــت أنــي لا مــحــالــةَ ... حــيــث صــار الــقــوم صــائــر[١]

* * *

السنة السادسة عشرة من مولده ﷺ

شَعَّثَت الملوك على هُرْمز بن أَنُو شروان واتفقوا على قصده[٢].

* * *

السنة السابعة عشرة من مولده ﷺ

فيها وصل ملك الترك ويقال له: شابةُ إلى هَراة في أربع مئة ألف فارس يريد المدائن لقتال هُرْمُز، وقصده ملك الروم في مئة ألف فارس ووصل إلى الضواحي، وقصده ملك الخزر وباب الأبواب في ست مئة ألف، وقصده من العرب رجلان: عباس الأحول، وعمرو الأزرق في جموع العرب والقبائل، ونزلا على شاطئ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٥٦١)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٠٢، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٤٢٤). وقال ابن الجوزي: وهذا الحديث من جميع جهاته باطل، قال أبو الفتح الأزدي: هو حديث موضوع لا أصل له. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٤١٨ وقال: وفيه محمد بن الحجاج اللخمي، وهو كذاب. وانظر «اللآلي المصنوعة» ١/ ١٨٤.

(٢) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٠١.

الفرات، وشنَّا الغارات على السواد، وأرسل ملك الترك يقول لهرمز: أصلِح لي القناطر والجسور لا أُغير عليك. فعزَّ على هُرْمُز ذلك، وبعث إليه بَهْرام جوبين مرزبان الري سَرِيَّةً في اثني عشر ألفاً، وأقام هُرْمُز بالمدائن في سبعين ألفاً على عزم المسير لقتال [ملك] التُّرك وبنيه بأرض هراة، والتقى القوم، فرماه بَهْرام بسهم فذبحه، وانهزمت الترك، وغنم بَهْرام أموال ملك الترك وخزائنه، وأخذ ابنه أسيراً، فبعث به إلى هُرْمُز، وبعث معه بالجواهر والأموال بحيث إنها كانت على ألف بعير، ثم وقع بين هُرْمُز وبَهْرام بسبب هذه الأموال(١).



السنة الثامنة عشرة من مولده ﷺ

عاد أَبْرُوِيز إلى المدائن من عند قيصر، وكان قد خرج مستصرخاً به على بَهْرام فأنجده، فهرب بَهْرام من المدائن إلى الترك فقتل هناك.



السنة التاسعة عشرة من مولده ﷺ

هلك هُرْمُز بن أَنُوشروان بعد خَلْعِه وسَمْلِه، وولي ابنه أَبْرُويز مكانه. ومعنى أَبْرُويز: المُظَفَّر(٢).



السنة العشرون من مولده ﷺ

وفيها كان حلف الفُضُول، وحضره رسول الله ﷺ.

وقال الزبير بن بكار: كان مبدأ الحِلْف في جُرْهم، نزل منهم ثلاثة رجال: فضل، وفضالة، ومفضل، فلذلك سمي حلفَ الفُضول، ثم جَدَّدَتْه قريش.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١٧٤، والمنتظم ٢/ ٣٠١-٣٠٣، مع خلاف في سبب الخلاف بين هرمز وبهرام.

(٢) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٠٣-٣٠٤.

وقال ابن إسحاق: إنما سماه حلف الفضول الأحلاف والأحابيش[١]، لأنهم ما سرهم وقوعه، وقالوا: هذا فضول ما نوافق عليه.

وقال الواقدي: كانت قريش تتظالم في الحرم، فقام عبد الله بن جُدعان والزبير بن عبد المطلب، فدعا كل واحد إلى التناصر والتعاون، والأخذ من الظالم للمظلوم، فأجابوهما إلى ذلك، فتحالفوا وتعاقدوا، والذي جمعهم الزبير بن عبد المطلب، ثم أكدوه في دار عبد الله بن جُدعان.

وفي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب[٢]:

حَلَفْتُ لنَعْقِدَنْ حِلْفاً عليهم وإنْ كنَّا جميعاً أهلَ دارِ
وَيَعلمُ مَنْ حَوالي البَيْت أنَّا أُباةُ الضَّيم نَهْجُر كلَّ عارِ

وقال وهب: باع قيس السُّلَمي متاعاً من عمرو بن أمية بن عبد شمس بمكة فمطله، فصعد على أبي قُبيس ونادى:

يالَ قُصيٍّ كيفَ في هذا الحَرَمْ
وحُرْمةِ البَيْتِ وأَحْلافِ الكَرَمْ
أُظلَمُ لا يُمنَعُ منِّي مَن ظَلَمْ

فقام العباس وأبو سفيان بن حرب فردوا عليه ماله، وتحالفا على رد المظالم[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لَقَد شَهِدتُ حِلْفاً في دارِ ابن جُدْعانَ، ما أُحِبُّ أَنَّ لي به حُمْر النَّعَم، ولو دُعِيتُ إلى مِثلِه لأجبتُ»[٤].

ولم يتجدد من الحوادث في السنة الحادية والعشرين من مولده ﷺ إلى آخر سنة أربع وعشرين ما يذكر.

---

(١) جاء في «المنتظم» ٢/ ٣١٠-٣١١ : «المطيبين»، وانظر «الاكتفاء» ١/ ٨٩ .

(٢) انظر «أخبار مكة» للفاكهي (١٣٣)، و«البداية والنهاية» ٢/ ٢٧٠-٢٧١ .

(٣) انظر «أخبار مكة» للفاكهي (١٢٩)، و«تاريخ اليعقوبي» ٢/ ١٧ ، و«المنتظم» ٢/ ٣٠٩ .

(٤) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٢٩) مع القصة، وأخرج الحديث أحمد في «مسنده»(١٦٥٥)، والبزار في «مسنده» (١٠٢٤) من حديث عبدالرحمن بن عوف.

السنة الخامسة والعشرون من مولده ﷺ[١]

قالت نَفيسةُ بنت مُنْية أخت يعلى بن مُنْية: لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، قال له أبو طالب: يا ابن أخي، أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد علينا الزمان، وهذه عِيْر قومك قد حضر خروجُها، وهذه خديجة بنت خُويلد تبعث رجالاً من قومك، فلو أتيتها فتعرضت لها، لأسرعت إليك.

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه إياه، فبعثت إليه وقالت: أنا أعطيك ضِعْفَيْ ما أعطي رجلاً من قومك، فقال له أبو طالب: هذا رزق ساقه الله إليك.

فخرج مع مَيْسرةَ غلامِ خديجة ﵂، فقدما بُصرى من الشام، فنزلا في ظل شجرة هناك، فرآه نَسْطُور الراهب، فدعا مَيْسرَة فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبيٌّ، ثم قال لمَيْسرة: أفي عيني صاحبك حُمْرة؟ قال: نعم. فقال: لا تفارقه، فهو نبيٌّ، وهو آخر الأنبياء[٢]. ثم إنَّه باع ما كان معه من المتاع، فوقع بينه وبين رجل تلاحٍ في سلعة، فقال له الرجل: احْلِف باللَّات والعزَّى، فقال رسول الله ﷺ: والله ما حلفتُ بهما قط، وإنِّي لأَمرُّ بِهما، فأعرض عنهما. فقال الرجل: القول قولك، ثم قال لميسرة: هذا والله نبيٌّ نجده في كتبنا منعوتاً. وكان ميسرة إذا اشتد الحرُّ رأى مَلكين يُظلَّان رسول الله ﷺ من الشمس، فصار كأنه عبد له، وألقى الله عليه حبَّ رسول الله ﷺ، ثم إنهم باعوا وربحوا ضِعفَيْ ما كانوا يربحونه، وعادوا إلى مكة، واتفق دخولهم إليها في وقت الهاجرة، وخديجة ﵂ في عِلِّيةٍ لها، فرأت مَلَكَيْن يظلان رسول الله ﷺ وهو على بعيره، فأرته نساءها فعجبن، ودخل عليها مَيْسرَة فأخبرها بما ربحوا، وحدثها بما رأى وبما قال نَسْطُور الراهب، فسرت بذلك، وأضعفت له ما كانت سَمَّته له[٣].

---

(١) جاء العنوان في (خ): «ذكر تزويجه ﷺ خديجة ﵂».

(٢) هكذا هي العبارة في النسخ، وفي «الطبقات» ١/ ١٠٨: «أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم لا تفارقه، قال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء.

(٣) انظر «سيرة ابن هشام» ١/ ١٧١، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٧-١٠٩، و«المنتظم» ٢/ ٣١٣-٣١٤، و«الاكتفاء» ١/ ١٩٥، وقال الذهبي في «السيرة» ١/ ٦٢: هو حديث منكر.

ذكر تزويجه ﷺ بخديجة ﵄[(١)]:

قالت نَفِيسَةُ بنت مُنْيَة: كانت خديجة بنت خُويلد بن أَسد بن عبدالعزى بن قصي امرأةً حازمةً جَلْدةً شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخَير، وهي أوسطُ قريش نسباً، وأعظمهم شَرَفاً وأكثرهم مالاً، وكل قومها حريصٌ على نكاحها لو قدروا على ذلك، وبذلوا لها الأموال، فلم تُجِب.

قالت نَفِيسةُ: فأرسلتني خديجة إلى النبي ﷺ لما رجع من الشام دسيساً، فقلت له: يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي شيء أتزوج به. قلت: فإن كفيتُكَ ذلك، ودُعِيتَ إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، أتجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ فقلت: علي. قال: فأنا أفعل ذلك، فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه: أنِ ائتِ في ساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها منه فحضر، وأقبل رسول الله ﷺ في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة[(٢)].

وذكر ابن إسحاق: أنَّ حمزة ﵁ هو الذي خطب خديجة لرسول الله ﷺ من عمها عمرو[(٣)].

وذكر بعض العلماء: أن أبا طالب حضر العَقْد ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر، فخطب وقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرعِ إسماعيل، وضِئْضِئ مَعَدٍّ، وعُنصر مُضر، وجعلنا حَضَنَةَ بيته، وسُوَّاسَ حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكَّام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلا رجح به، وإن كان في المال قُلّ، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد مَن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنتَ خُويلدٍ، وبَذَل لها من الصداق ما آجله وعاجله من ماله، وهو والله له بعد هذا نبأ عظيم، وخطب جليل. فتزوجها رسول الله ﷺ[(٤)].

---

(١) جاء في (خ): «السنة الخامسة والعشرون من مولده ﷺ». وما أثبتنا في هذا العنوان والذي قبله من (ك)، وهو موافق لما في «المنتظم» ٢/٣١٣، وانظر «الطبقات الكبرى» ١/١٠٧-١٠٩.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/١٠٩، و«المنتظم» ٢/٣١٤-٣١٥.

(٣) «سيرة ابن هشام» ١/١٧٤، و«أنساب الأشراف» ١/١١١.

(٤) انظر «المنتظم» ٢/٣١٥.

وقال ابن سعد: إن أبا طالب ذكر ثلاثين بكرة، واثنتي عشرة أوقية.

ولم يتجدد من سنة ست وعشرين إلى سنة إحدى وثلاثين ما يستطرف.



السنة الثانية والثلاثون من مولده ﷺ

فيها قتلت الروم ملكها موريق لظلمه وفساده، وكان له ولد اسمه: موق[1]، فهرب إلى كسرى مستصرخاً به، فأنجده كسرى أبرويز بثلاثة من مرازبته: ريمون[2]، وشاهين، وفُرُّخان، فساروا في جيوش عظيمة.

فأما ريمون فدوَّخ بلاد الشام، ونزل على القدس فطلب من الأساقفة صليب الصَّلَبوت، وهدَّدهم - وكانوا قد دفنوه في تابوت من ذهب في مَبْقَلة - فخافوا منه القتل[3]، فاستخرجوه وناولوه إليه، فبعث به إلى كسرى[4].

وأما فُرُّخان فإنه سار حتى أناخ على خليج القُسْطَنْطينية، فدوّخ البلاد، وقتل وسبى، فلم يستقم لابن موريق أمر، لأن الروم ملكوا عليهم رجلاً صالحاً يقال له: هِرَقْل. فلما رأى ما الرومُ فيه، سأل الله أن ينقذهم من الفرس، فرأى في المنام رجلاً ضخماً في عنقه سلسلة، وآخر يقوده ويقول: هذا كسرى قد دفعناه إليك. فخرج بالجيوش، فانهزم بين يديه فُرُّخان وجنود فارس، وسار حتى أناخ على مدائن كسرى، فحصر كسرى فيها، ودوخ البلاد فقتل وسبى، ولم يكن لكسرى به طاقة، فأقام مدة وعاد إلى الروم سالماً غانماً.

ولم يتجدد في السنة الثالثة والرابعة والثلاثين ما نذكره.



---

(١) في «المنتظم» ٢/ ٣١٧: «فوقا»، وفي الطبري ٢/ ١٨١: قوفا.

(٢) في الطبري و«المنتظم»: «رميوزان».

(٣) في (خ): «فخافوا على أنفسهم منه».

(٤) وجاء بعدها في «المنتظم»: وأما القائد الآخر، وكان يقال له: شاهين، فسار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلاد النوبة، وبعث إلى كسرى بمفاتيح مدينة الإسكندرية.

السنة الخامسة والثلاثون من مولده ﷺ

فيها هدمت قريش الكعبة. قال علماء السير: كان أمر البيت بعد إسماعيل عليه السلام إلى ولده نَبْت، ولم يكثر ولد إسماعيل عليه السلام، فغلبت جُرْهُم على البيت، فأول من وليه منهم: مُضاض الجرهمي الذي يقول ولد ولده عمرو بن الحارث بن مُضاض: [من الطويل]

كأن لم يكن بين الحَجون إلى الصفا

البيت المشهور، فلم يزل البيت في أيديهم حتى استحلُّوا حرمته، وأكلوا ما يُهْدى إليه، وظلموا من دخل مكة، ولم يقنعوا بهذا حتى إن الرجل منهم كان إذا أراد أن يزني ولم يجد مكاناً، دخل البيت فزنى فيه، وكان رجل من جُرهم يقال له: إسافٌ، ونائلةُ زنيا في الكعبة، فمُسِخا حجرين، وسلط الله الرُّعاف والنمل على جُرهم فأفناهم.

ثم وليت خُزاعة البيت بعد جُرهم، إلا أنه كان إلى قبائل مضر ثلاث خلال: الإجازة بالناس من عرفة يوم الحج إلى مزدلفة تجيزهم صوفة[(١)]. والثانية: الإفاضة من جَمْع غَداة يوم النحر إلى منى، وكان ذلك إلى [بني][(٢)] زيد بن عَدْوان وكان آخر مَن وَلي ذلك منهم: أبو سَيَّارة، واسمه: عُمَيلة[(٣)] بن الأعزل. والثالثة: نَسيءُ الأشهر الحرم، وكان ذلك إلى القَلَمَّسِ واسمه: حُذَيفة بن فُقيم من ولد كنانة، ثم صار ذلك إلى أبي ثمامة جُنادة بن عوف في آخر الأمر.

وجاء الإسلام، وكانت الكعبة رَضَمةً فوق القامة، وكان كنز الكعبة في بئر في جوفها، وكان في حيطانها صور الأنبياء عليهم السلام بأنواع الأصباغ، وصورة إبراهيم عليه السلام وفي يده الأزلام يستقسم بها[(٤)]، وإسماعيل عليه السلام إلى جانبه فرس يجيز الناس، وصورة أولاده إلى عدنان وسيرة كل واحد، وكانت ستين صورة، فَسَرق كَنْزَ الكعبة دُوَيكٌ مولى

---

(١) الصوفة: كل من ولي شيئاً من عمل البيت.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ٢/ ٢٨٦، والمنتظم ٢/ ٣٢٣.

(٣) في النسخ: «عمير» والمثبت من المصادر، وانظر «الإصابة» ٤/ ٩٧-٩٨.

(٤) أخرج البخاري (٣٣٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام، فقال: «قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط».

بني مُلَيح، فقطعت قريش يده، ولم تكن الكعبة مُسقَّفة، فعزموا على تسقيفها، وكان فيها حَيَّةٌ تأوي إلى البئر التي يُطرح فيها ما يُهدى إلى الكعبة، وكانت تخرج من البئر فتمتد على جدار الكعبة، فإذا قصدها أحد فتحت فاها وطلبته فانهزم، فامتنعوا من رفع جدار الكعبة وتسقيفها، فبعث الله طائراً فاختطف الحية ومضى، فقالت قريش: إن الله قد رضي عنا وقَبِلَ ما قد عزمنا عليه لأنه كفانا أمر الحية(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان السيل يأتي مكة فيدخل الكعبة فانصدعت، فخافوا أن تنهدم، وكان باب البيت موضوعاً لاصقاً بالأرض، فأقبلت سفينة في البحر فيها روم، ورأسهم رجل يقال له: باقوم، فألقتها الريح إلى الشُّعيبة، وكانت مرمى السفن قَبْلَ جُدَّة فتحطمت، فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش فابتاعوا خشبها، وكلموا باقومَ أن يَقْدُمَ مكة معهم فقدم، وقال: هذه السفينة بعث بها قيصر إلى الحبشة في بحر القُلزُمِ ليبنيَ بها هناك كنيسة(٢).

وأجمعوا على هدم الكعبة، فقام أبو وهب بن عَمْرو المخزومي فأخذ حجراً من الكعبة، فوثب من يده حتى رجع إلى مكانه فقال: يا معشر قريش، لا تُدْخِلوا في بنائها من كسبكم إلا طَيِّباً، ولا يكون فيه مهر بَغيٍّ ولا ربا ولا مظلمة.

وهاب الناس هدمها، فأخذ الوليد بن المغيرة المِعْوَل، وصعد عليها وقال: اللهمَّ لم تُرَعْ(٣) فما نُريدُ إلَّا الخَيْرَ، ثم هدم ناحية منها فتربَّص الناس وقالوا: ننتظر هذه الليلة فإن نزل بالوليد أمر وإلا هدمناها، فأصبح الوليد غادياً إليها وقريش معه، فنزعوا منها حجراً فتحركت مكة بأسرها، ثم هدموا فظهر في الأساس حجارةٌ خضر، كأنَّهما أسْنِمة البُخْت، ثم شرعوا في جمع الحجارة ورسول الله ﷺ ينقل معهم، وكانوا يرفعون أُزُرَهم على عواتقهم ويحملون الحجارة على رؤوسهم، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فليط

---

(١) انظر «سيرة ابن هشام» ١/ ١٧٨-١٧٩.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٢٠، و«أخبار مكة» للفاكهي (١٩٩)، و«أخبار مكة» للأزرقي ١/ ١٥٧، و«المنتظم» ٢/ ٣٢٥.

(٣) ترع: بمثناة فوقية فراء مفتوحة، أي: لم تفزع، أي: الكعبة. ويروى: «نَزِغ» بفتح النون وكسر الزاي وبالغين المعجمة أي: لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه. «السيرة الشامية» ٢/ ٢٣٥.

به - أي: انكب على وجهه -، ونودي: عورتَك، فكان ذلك أَوَّلَ ما نودي به من النبوة، فقال له أبو طالب: اجعل إزارك على رأسك. فقال: ما أصابني ما أصابني إلا في تعرِّيَّ. فما رُئيت لرسول الله ﷺ بعد ذلك عورة، ثم اقترعوا على بناء البيت بعد هدمه، فوقع لبني عبدمناف وبني زهرة ما بين الركن الأسود إلى ركن الحجر، وجه البيت، ووقع لبني أسد بن عبدالعُزَّى وبني عبدالدار ما بين ركن الحِجْر إلى ركن الحِجْر الآخر، ووقع لبني تيم [ومخزوم][1] ما بين ركن الحِجْر إلى الركن اليماني. ووقع لبني سَهْم وبني جُمَح ما بين الركن اليماني إلى الحجر الأسود. فلما بلغوا موضع الركن، اختصمت القبائل كل قبيلة تريد أن ترفعه، وشرعوا في القتال وأقاموا أياماً على ذلك، وكان أبو أمية بن المغيرة أسنَّ قريش يومئذ فقال: اجعلوا بينكم أوَّلَ داخل من باب المسجد، فرضوا. وكان رسول الله ﷺ أول داخل، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا به، فقال لهم: هلموا ثوباً، فجاؤوا به فوضعوا [الركن] فيه، وقال: ليأخذ كلُّ سَيِّدِ قبيلة بناحية منه فليرفعوه جميعاً، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه أخذه رسول الله ﷺ فوضعه مكانه.

وقال الواقدي: كان في ربع بني عبدمناف: عتبة بن ربيعة، وفي الربع الثاني: أبو زمعة، وفي الثالث: أبو حذيفة بن المغيرة، وفي الرابع: قيس بن عدي، فلما بلغوا خمسة عشر ذراعاً، سقفوه على ستة أعمدة، فذهب رجل من أهل نجد ليناول رسول الله ﷺ حجراً يشد به الركن، فقال: لا[2] ونحّاه. وناول العباس رسول الله ﷺ حجراً فشد به الركن، فغضب النجدي، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّه ليسَ يبني مَعَنا في هذا البيت إلا رجل منَّا». وكان ذلك أول تحكيمهم رسول الله ﷺ، فقال النجدي: قد حكموا أصغرهم سناً، واللات والعزى ليكونن له شأن وليفوتنهم سبقاً. وقيل: إن النجدي كان إبليس تصوّر بصورة رجل من أهل نجد، وبه يُضرب المثل، فيقال: الشيخ النجدي، وأخرجوا الحِجْر من البيت لقلة نفقتهم[3].

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من المصادر.

(٢) في النسخ: «كذا» ولعلها محرفة عن: «كلا» والمثبت من المصادر.

(٣) انظر «سيرة ابن هشام» ١/ ١٧٨-١٨٤، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٢٠-١٢٢، و«المنتظم» ٢/ ٣٢٠-٣٢٧.

قالت عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ: «إنَّ قومَك استقْصَروا مِن بُنْيانِ البَيتِ، ولَوْلا حَدَاثة عَهدِهم بالشِّركِ لأَعَدتُ فيه ما تَركوا منه، وَجَعَلْتُ له بَابَيْن مَوضُوعَيْن في الأَرضِ، وبَاباً شَرقيًّا وبَاباً غَربيًّا، فإنْ بَدَا لقَومِك أنْ يَبنُوهُ، فَهلُمّي أُريكِ ما تَرَكُوه منه، فأرَاهَا قَريباً من سَبعةِ أَذرُعٍ في الحِجْر» ثُم قال: «أَتَدرِينَ لِمَ رَفَع قومُك البَابَ»؟ قلتُ: لا. قال: «تعزُّزاً أنْ لا يَدخُلَها إلا مَن أَرادُوا، وكانَ الرَّجُل إذا كَرِهوا أنْ يَدخُلَ تَرَكُوه حتى إذا كادَ أن يَدخُلَ دَفَعوه فَسَقط[(١)]».

ولما تمَّ بناؤها، كساها الزُّعَماءُ أرديتهم، وكانت من الوصائل[(٢)]، وأعادوا الصور إلى ما كانت عليه، ولم يكسها أحد بعد ذلك حتى كساها رسول الله ﷺ الحِبَرات في حجة الوداع.

وفي هذه السنة: ولدت فاطمة عليها السلام.

فصل وفيها توفي

زيد بن عمرو بن نُفَيْل

قال هشام بن محمد، عن أبيه: خرج زيد بن عمرو وورقة بن نوفل إلى الشام يسألان عن الدين الصحيح، فالتقيا راهباً، فسألاه، فقال لهما: بعد قليل يبعث نبي من مكة، فرجعا فأقاما. فأما ورقة فقال: أنا ثابت على نصرانيتي حتى يظهر هذا الدين. وأما زيد فقال: أنا أعبد رب هذا البيت حتى يظهر هذا الدين.

وكانت صفية بنت الحَضْرمي امرأة زيد، كلما عزم زيد على الخروج إلى الشام، آذنت الخَطَّاب فمنعه، فخرج إلى الشام وطاف الجزيرة والمَوْصِل، ثم عاد إلى البلقاء فلقي راهباً انتهى إليه عِلْمُ النصرانية، فسأله عن الحَنَفيَّة، فقال له: إنك لتسأل عن دين ما أنت عليه وقد درس، وقد أظلك خروج نبي يبعث بأرض مكة التي خرجت منها، فارجع إلى بلادك التي خرجت منها فإنه مبعوث الآن وهذا زمانه. فخرج سريعاً يريد مكة، حتى إذا كان بأرض لَخْم عَدَوْا عليه فقتلوه[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن سعد ١/ ١٢٢، وأصله عند البخاري (١٥٨٦)، ومسلم (١٣٣٣) (٤٠٣).

(٢) انظر «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ١٧٢.

(٣) ساق الخبر بتمامه ابن عساكر في «تاريخه» ٩/ ٤٩٨، وابن كثير في «البداية والنهاية» ٢/ ٢٢١-٢٢٢، =

وقال هشام: قتل زيد بن عمرو بالبلقاء بمكان يقال له: مَيْفَعةُ، وقيل: مات بمكة في أصل حراء[١].

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بُكَير، حدثنا اللَّيث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن ابن المسيَّب، عن نافع، عن ابن عمر قال: لقيَ رسول الله ﷺ زيد بن عمرو بن نُفيل والد سعيد بن زيد بأسفل بَلْدَح، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقدَّم إليه رسول الله ﷺ سُفرةً فيها لحم، فأبى زيد أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما يذكر اسم الله عليه[٢].

وأخرج البخاري: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: رأيت زيد بن عمرو قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول: والله يا معاشر قريش، ما منكم على دين إبراهيم غيري، قالت: وكان يحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها وأنا أكفيك مؤنتها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت فدعها[٣].

وقال ابن المسيب: توفي ابن عمرو وقريش تبني الكعبة قبل المبعث بخمس سنين، ولقد نزل به الموت وإنه ليقول: أنا على دين إبراهيم، وأسلم ابنه سعيد، وهو من العشرة، قال: وسأل سعيد رسول الله ﷺ عن أبيه؟ فقال: «غَفَر الله له ورَحِمَه، فإنَّه ماتَ على دِينِ إبراهيمَ» فكان المسلمون يستغفرون له[٤].

وقال ابن سعد: حدثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن عامر بن ربيعة، قال: قال زيد بن عمرو: أنا منتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب ما بقي غيره، وما أراني أدركه، وأنا أومن به، وأشهد أنه نبي، وإن طالت بك يا عامر مدة ورأيته فأَقْرِئه مِنّي السلام، وسأخبرك بنعته: ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكَثِّ الشعر ولا بقليله، وليس

= وانظر «السيرة» لابن هشام ١/ ٢٠٤، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٣٦، وأخرجه البخاري (٣٨٢٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٢٤.

(١) انظر «تاريخ دمشق» ١٩/ ٥١٦.

(٢) هذا الحديث بهذا الإسناد ليس في شيء من الكتب الستة، انظر تحفة الأشراف ٦/ ٩٦-٩٩، وأخرجه البخاري (٣٨٢٦) عن محمد بن أبي بكر، عن فضيل بن سليمان، عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر، به.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٢٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٣٥٣-٣٥٤، وابن عساكر في «تاريخه» ١٩/ ٥١٢.

تفارق عينيه حمرة، وخاتَمُ النبوة بين كتفيه، واسمه محمد وأحمد، وهذه البلدة مولده، وبها مبعثه، ثم يخرجه قومه منها، ويكرهون ما جاء به فيهاجر إلى يثرب، فيظهر الله أمره، وإياك أن تخدع، فإني طفت البلاد كُلَّها أطلب الدين، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقول: هذا الدين وراءك. قال: فلما نُبِّئ رسول الله ﷺ أخبرته بقول زيد، وأقرأته منه السلام، فترحَّم عليه وقال: «رَأَيتُه في الجنَّة يَسْحبُ ذُيولاً»(١).

وخرجت سنة ست وثلاثين، وسبع وثلاثين ولم يتجدد فيها من الحوادث شيء.



السنة الثامنة والثلاثون من مولده ﷺ

فيها رأى الضوء، وسمع الصوت.

قال ابن مسعود: أقام بمكة ثلاث سنين يسمع الصوت ولا يدري ماهو، ويرى الضوء، وأقام ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ـ يعني بمكة ـ(٢).



السنة الأربعون من مولده ﷺ

وفيها قتل كسرى أَبَرْويزُ النُّعمانَ بنَ المنذر. قال الواقدي: قتل قبل المبعث بتسعة أشهر(٣).

وفيها كان يوم ذي قار، وكان لبني شيبان على كسرى، وهو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم. وفي حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «وبي نُصِرُوا»(٤).

---

(١) «الطبقات الكبير» ١/ ١٣٥-١٣٦ و ٣/ ٣٥٢عن الواقدي، عن علي بن عيسى الحكمي، عن أبيه، عن عامر. ولم نقف فيه على الإسناد الذي ذكر المصنف، وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٤١٩)، والطبري ٢/ ٢٩٥، وابن عساكر في «تاريخه» ١٩/ ٥٠٤ ،وابن الجوزي في المنتظم ٢/ ٣٢٨ من طريق ابن سعد.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٥٣)(١٢٣) من حديث ابن عباس، ولم نقف عليه من حديث ابن مسعود.

(٣) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٣٢.

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ٦٣ من حديث الأخرم عن النبي ﷺ، والطبراني في «الكبير» (٥٥٢٠) من حديث سعيد بن العاص مطولاً.

ويسمى: يوم قُراقر، ويوم الجُبابات، ويوم ذي العُجْرُم، ويوم بَطحاء، ويوم الحِنْو. وكلها أماكن حول ذي قار، وقد ذكرتها الشعراء في أشعارها[١].

قال الجوهري[٢]: ويوم ذي قار يوم لبني شيبان، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً، فظفرت بنو شيبان، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم.

وسبب يوم ذي قار: أن النعمان بن المنذر لما قصد باب كسرى، أودع حلقته وكانت عشرة آلاف شِكَّةٍ[٣] وابنتيه حُرَقَة وهنداً، وزوجته المُتَجرِّدة عند هانئ بن قبيصة ابن هانئ بن مسعود الشيباني، فبعث كسرى إلى هانئ يطلب شِكَّةَ النعمان، وما أودع عنده، فامتنع هانئ من تسليمها وقال: هي عندي أمانة ووديعة، والحر لا يضيع أمانته، فغضب كسرى وقطع الفرات، ودعا إياس بن قَبيصة الطائي، وكان قد أقطعه ثمانين قرية على شاطئ الفرات، وملَّكه على الحيرة، فشاوره في أمر هانئ، قال: إن أطعتني فلا تُخبرنَّ أحداً لأي شيء قَطَعْتَ الفراتَ لئلا تَقِلَّ حرمتك عند الناس، ولكن ارجع إلى المدائن وابعث إليهم حَلْبَة[٤] من العَجَم، فيها بعض القبائل من العرب التي تليهم من أعدائهم فيواقعونهم، فقال كسرى: قد بلغني أنهم أخوالك، وأنك لا تألوهم نصحاً، فقال: هذا رأيي، ورأي الملك أفضل. فاستشار النعمانَ بنَ زُرعة التَّغلبي، وكان قد قدم عليه، فقال: الرأي أن تتركهم على ما هم عليه، وتظهر الإضراب عن ذكرهم، فإذا جاء القَيْظُ دَنَوْا من بلادك، واجتمعوا على ماءٍ يقال له ذو قار، يتساقطون عليه تساقط الفراش في النار، فإذا نزلوا عليه فدونك وإياهم، ففعل أبرويز ما قال التغلبي، فلما نزلوا بذي قار أرسل إليهم أبرويز مع النعمان بن زرعة هذا يُخَيِّرهم بين ثلاث: إما أن يُسلموا الحَلْقَةَ، وإما أن يخرجوا من هذه الديار، وإما أن يأذنوا بالحرب، فقال هانئ للنعمان: لولا أنك رسول ما أُبْتَ إلى قومك، انصرف.

فلما انصرف، أشار هانئ بن قبيصة على بكر بركوب الفلاة، وقال: لا طاقة لكم بكسرى، ولم يُرَ لِهانئٍ سَقْطَةٌ قبلها، فقال حنظلة بن ثعلبة العِجْليُّ: إن ركبنا الفلاة متنا عطشاً، وإن أعطينا بأيدينا قَتَلَ مقاتلتَنا وسبى ذرارينا، وما أرى غير الحرب. فنزلوا بذي

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٠٦، و«العقد» ٥/ ٢٦٢.

(٢) في الصحاح (قور).

(٣) الشِّكَّة: السلاح.

(٤) رسمت في النسخ: «حسله» وما أثبتناه من الأغاني ٢٤/ ٦١، وفي «المنتظم» ٢/ ٣٣٥: قبيلة.

قار، ورؤساء بكر يومئذ ثلاثة نفر: هانئ بن قبيصة الشيباني، ويزيد بن مُسْهِر الشيباني، وحنظلة بن ثعلبة العِجْلي، ولم يشهدهم أحد من بني حنيفة ولا غيرهم، وجهز إليهم كسرى إياس بن قَبيصة الطائي، وكان قد ملَّكه بعد ما قتل النعمان بن المنذر على العرب، فسار في طيئ، واللَّهازم، وسائر العرب.

وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن ذي الجَدَّين، وأمره أن يوافي إياس بن قَبيصة، فوافاه في جمع عظيم، وانضم إليهم ألف من إياد، وألف من بَهراء، عليهم خالد البَهراني، وجهَّز كسرى الهرمزان في ألفين من العجم والأساورة، فدخلوا البرية وإياس ابن قبيصة في المقدمة، ولما علم القوم، أرسل يزيد بن مُسْهر الشيباني إلى هانئ بن قبيصة: أن ابعث إلينا بحلقة النعمان فانثرها في بني شيبان، وكانت عشرة آلاف، فقال هانئ: وكيف أصنع بأمانتي؟ فقال يزيد: إنَّكم إن هلكتم، فسيأخذون الحلقة وغيرها، وإن ظهرتم فما أقدركم على استردادها من قومكم، فنثرها هانئ في بني شيبان، ودنا إياس والأعاجم من بني شيبان، فقال حنظلة بن ثعلبة: يا معاشر بكر، إن نُشّاب الأعاجم يُفَرِّقكم، فبادروهم باللقاء وعاجلوهم بالقتال، ونادى هانئ: يا قومِ، هالكٌ معذور خير من ناجٍ مغرور، والصبر من أسباب الظَّفَر، والمنية خير من الدَّنِيَّة، واستقبال الموت في عِزٍّ خير من استدباره في ذلٍّ، والجِدَّ الجِدَّ فما من الموت بدّ، ثم ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته وولده، فقالوا: طب نفساً، فنحن نمشي إلى الموت، وكان على الميمنة يزيد بن مُسْهِر الشيباني، وعلى الميسرة حنظلة بن ثعلبة العِجْلي، وهانئ بن قبيصة في القلب، وكان على ميمنة الأعاجم الهرمزان، وعلى الميسرة عسكر السواد في مقدم من الأساورة، وفي القلب إياس بن قبيصة الطائي في العرب، والتقى الجمعان فكان يوماً لم يُرَ في الجاهلية مثلُه. ثبتت العرب على نُشَّاب العجم، وقطعت بنو شيبان أكمام أقبيتها من المناكب ليتمكنوا من ضرب السيوف، وأعطى الله النَّصر لبني شيبان، فانهزمت الفرس، وأَتبعهم بنو شيبان حتى دخلوا في السواد، واستدلوا عليهم قتلاً، وأُسر عامةُ الفرس، ونجا الهرمزان وَحْدَه وإياس بن قبيصة على فرس يقال لها: الحمامة، وغنموا أموالهم وخيولهم وسلاحهم، وكان أولَ من قدم على كسرى إياسُ بن قبيصة، وكان كسرى لا يخبره أحد بهزيمة جيش إلا نزع أكتافه، فلما أتاه إياس قال له: ما الخبر؟ قال: هزمنا بكراً، وقتلنا رجالهم، فأعجب به وأعطاه مالاً وكسوة، فاستأذن إياس في الانصراف إلى عين تمر وقال: أخي مريض. فلهذا

سارَعْتُ، فأذن له، ثم سار كسرى من المدائن، فنزل الخَوَرْنَقَ والسَّدير ينتظر الغنائم والأسارى، ثم ركب إلى ظاهر الخورنق يتنسَّمُ الأخبار، فأتاه رجل فسأل: هل دخل على كسرى أحد؟ قالوا: نعم، فظن أنه قد أخبره الخبر لأنه لم يكن أحد يجترئ أن يخبر كسرى بمثل ذلك، فأخبر كسرى فنزع كتفيه.

وقد أكثرت الشعراء في يوم ذي قار، قال جرير: [من البسيط]

مِنّا فوارسُ ذي بَهْدى[1] وذي نَجَبٍ والمُعْلَمونَ صَباحاً يوم ذي قار

وقال العُدَيْل بن الفَرْخ العِجْلي[2]: [من البسيط]

ما أَوْقَدَ الناسُ من نار لِمَكْرُمةٍ إلا اصطلينا وكنا موقدي النار
وما يَعُدُّون من يوم سَمِعْتَ به للناس أعظَمَ من يومٍ بذي قار
جئنا بأسلابِهِمْ والخيلُ عابسةٌ لَمّا استلبنا لكسرى كل إسوار

وقد قال بعضهم: إن يوم ذي قار كان في سنة سبع من الهجرة، والأول أصح.

وفيها: ظهرت أمارات النبوة قبل أن يوحى إليه ﷺ. قال أبو طالب: وكنت بذي المَجَاز ومعي ابن أخي - يعني: رسول الله ﷺ - فأدركني العطش، فشكوت إليه، فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء، فقال: اشرب يا عم، فشربت[3].

وقالت بَرَّةَ: لما ابتدأه الله بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يَرَى بيتاً، ويُفْضي إلى الشِّعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً[4].

وقال ﷺ: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن. انفرد بإخراجه مسلم[5].



(١) في (خ) و (ك) وأصول العقد الفريد ٥/ ٢٦٥: ذي نهد، والمثبت من مطبوع العقد وديوانه ٢٣٥.
(٢) الأبيات في «الشعر والشعراء» ١/ ٤١٤، و«العقد» ٥/ ٢٦٦.
(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٢٧.
(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٣٢، والحاكم ٤/ ٧٠.
(٥) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة ﷺ.

السنة الحادية والأربعون من مولده ﷺ

وفيها: اختصه الله برسالته وبعثه إلى كافة خليقته، ولم يزل منذ شبَّ يكلؤه الله ويحرسه من أَقْذاءِ الجاهلية ومعايبها لما يريده الله من كرامته.

واتفقوا على أنه بعث في أيام كسرى أبرويز في يوم الاثنين.

واختلفوا أي الأثانين على أقوال:

أحدها: لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، ظهر له جبريل بالرسالة، قاله جمهور الصحابة: عمر، وعلي، وابن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأنس، وأبي بن كعب، في آخرين.

والثاني: لثماني عشرة ليلة خلت من ربيع.

والثالث: لسبع وعشرين خلت من رجب.

والرابع: لأربع وعشرين خلت من رمضان. وقال مجاهد: سبع وعشرين خلت منه.

والقول الأول أشهر، وعليه العمل عند أهل العلم.

فصل في مبادئ الوحي:

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: أخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: أولُ ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصادقة ـ أو الصالحة ـ في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل[1] فَلَقِ الصُّبحِ، ثم حُبِّبَ إليه الخَلاء، فكان يأتي غار حراء فيتحنَّثُ فيه ـ والتحنُّثُ هو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها ويتزود لمثلها حتى جاء ـ أو فَجَأَهُ ـ الحق في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. فقال: «ما أَنَا بقارِئٍ» قال: «فأخذني فَغَطَّني الثَّانية والثَّالثة حتى بَلَغ منِّي الجَهْدُ، ثم أَرسَلَني

---

(١) من هنا بدأ سقط في (ك) ينتهي بعد صفحتين.

وقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾ حتى بلغ ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[العلق: ١-٥]، قالت: فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ـ وللبخاري: بوادره[١] ـ فدخل على خديجة فقال: «زَمِّلوني زَمِّلوني» فزمَّلُوه حتى ذهب عنه الرَّوْع، فأخبر خديجةَ بالخبر، وقال لها: «لَقَد خَشيتُ على نَفْسِي» فقالت له: كلا، أَبْشِر، فوالله لا يخزيك ـ أو لا يحزنك ـ الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَصْدُقُ الحديث، وَتكْسِبُ المعدوم، وتَقْري الضيف، وتُعين على نوائب الحق.

ثم انطلَقَت به خديجة إلى وَرَقة بن نَوْفَل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي، وهو ابن عمها أخي أبيها. وكان امرءًا تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فكتب من الإنجيل بالعربي أو بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ. فقالت له خديجة: يا ابن عمٍّ، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بالخبر، أو خبر بما رأى. فقال ورقة: هذا النَّاموس الذي أُنزل على موسى، يا ليتني أكون حيًّا إذ يخرجُك قومك. فقال: «أوَ مُخْرجيَّ هم»؟ قال: نعم، ولم يأت رجل قط بمثل ما أتيت به إلا عُودي، وإن يدركْني يومك حياً، أنصرْك نصراً مُؤَزَّراً.

ثم لم يلبث ورقة أن مات، وفتر الوحي فَتْرَةً حزن فيها رسول الله ﷺ مراراً حتى كاد يتردَّى من شواهق الجبال، فكان كلما أَوْفى بِذِرْوَةِ جبل لكي يُلقِيَ نَفْسه منه تبدَّى له جبريل فقال: يا محمدُ إنك لرسول الله حقًّا. فيسكن لذلك، وتقوى نفسه ويرجع، فإن طالت عليه الفترة عاد لمثل ذلك، فيتبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك. أخرجاه في «الصحيحين»[٢].

ولورقة في ذلك أشعار كثيرة منها: [من الطويل]

فإن ابن عبد الله أحمدَ مُرسَلٌ ... إلى كل من ضُمَّت عليه الأباطحُ
وظني به أن سوف يُبْعث مرسلاً ... كما أُرسلَ العَبْدان هودٌ وصالحُ
وموسى وإبراهيم حتى يُرى له ... هنالك منشور من الذكر فائحُ
فإن أَبْقَ حتى يدرك الناسُ دهرَه ... فإني به مُسْتَبْشِرُ القلبِ فارحُ

(١) البخاري (٤٩٥٣).
(٢) أحمد في «مسنده» (٢٥٩٥٩)، والبخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)(٢٥٣).

وقال[1]: [من الطويل]

إن يك حقاً يا خديجة فاعلمي حديثُك إيانا فأحمدُ مرسلُ
وجبريلُ يأتيه وميكالُ مَعْهُما من اللهِ وَحْيٌ يشرح الصَّدْرَ مُنزَلُ
يفوز به من فاز يوماً بصِدْقِه ويَشْقى به العاني الغَوِيُّ المُضَلَّلُ
فريقان منهم فِرقةٌ في جِنانه وأُخرى بنيران الجحيم تُذَلَّلُ
فسبحان من تجري الرياحُ بأمره ومن هو في الأيامِ ما شاء يفعلُ
ومَنْ عرشه فوق السماوات كلها وأحكامه في خلقه لا تبَدَّلُ

فصل في السابقين إلى الإسلام[2]:

اتفقوا على أن أول من أسلم من النساء: خديجة رضي الله عنها. واختلفوا فيما عداها على أقوال:

أحدها: أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[قال أحمد:] حدثنا يعقوب، عن أبيه، عن ابن إسحاق، حدثنا يحيى بن أبي الأشعث، عن إسماعيل بن إياس بن عَفِيف الكندي، عن أبيه، عن جده، قال: كنت امرءاً تاجراً، فقدمت الموسم فأتيت العباس بن عبدالمطلب وهو بمِنى لأبتاع منه بعض التجارة، وكان تاجراً. فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خِباء قريب منه فَنَظر إلى الشمس، ثم قام يصلي، ثم خرجت امرأة من ذلك الخِباء فقامت تصلِّي خلفه، ثم خرج من ذلك الخباء غلام حين راهَق الحُلُمَ فقام يصلي خلفه، قال: فقلت للعباس: من هذا؟ فقال: محمد[3] بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن أخي. قلت: من هذه المرأة؟ قال: امرأته خديجة. قلت: فمن هذا الفتى؟ قال: علي بن أبي طالب ابن أخي. قلت: فما هذا الذي يصنع؟ قلت: يصلِّي ويزعم أنه نبيٌّ، ولم يتابعه على أمره إلا امرأته وابن عمه، وهو يزعم أنه ستُفتح عليه كنوز كسرى وقيصر، وايم الله، ما أعلم على وجه الأرض كلها أحد على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

---

(١) الشعر هذا وسابقه في سيرة ابن إسحاق برواية يونس بن بكير ١١٥ ـ١٢٣.
(٢) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٥٨.
(٣) هنا ينتهي السقط في (ك).

فكان عَفِيف ـ وهو ابن عم الأشعث بن قيس ـ يقول: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ لكنت ثالثاً أو رابعاً. ثم أسلم وحسن إسلامه[١].

وقال جابر: بُعِثَ النبي ﷺ يوم الاثنين، وصلى [علي] يوم الثلاثاء[٢].

وقال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: حدثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن حَبَّة العُرَني قال: رأيت علياً كرم الله وجهه ضحك على المنبر حتى بدت نواجذه، ولم أره ضحك أكثر منه. فقيل له في ذلك، فقال: ظهر علينا أبي أبو طالب وأنا مع النبي ﷺ ببطن نَخْلَة نصلِّي، فقال: ماذا تَصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام. فقال: لا والله لا تعلوني استي أبداً. فذلك الذي أضحكني. ثم قال علي ﷺ: اللهمَّ إني لا أَعرف عبداً من هذه الأمة عَبَدَكَ قبلي غيرَ نبيِّك ﷺ، لقد صلَّيت قبل أن يصلِّي الناس بسبعِ سنينَ[٣].

والثاني: علي، وخديجة، وزيد بن حارثة ﷺ.

والثالث: أبو بكر ﷺ وبلال.

وفي حديث عمرو بن عَبَسة الذي أخرجه مسلم: أنه لما لقي النبي ﷺ بمكة، قال: فمن معك على هذا؟ قال: حُرٌّ وعَبدٌ، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال[٤].

وقد وفَّق بعض العلماء بين هذه الأقوال، فقال: أول من أسلم من الرجال: أبو بكر، ومن الفتيان: علي، ومن الموالي: زيد، ومن النساء: خديجة ﷺ.

ثم أسلم على يد أبي بكر ﷺ بعد إسلامه جماعة، منهم عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عُبيد الله ﷺ[٥].

وفيها تغيَّرت أحوالُ كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان.

قال علماء السير: كانت دجلة تجري قديماً في أرض جُوخا، فأَعْوَرت وتفرَّقت،

---

(١) مسند أحمد (١٧٨٧)، وما بين معقوفتين زيادة من «المنتظم» ٢/ ٣٥٩.

(٢) أخرجه الطبري ٢/ ٣١٠ وما بين معكوفين منه، وأخرجه الترمذي (٣٧٢٨) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٧٦).

(٤) أخرجه مسلم (٨٣٢).

(٥) انظر «سيرة ابن هشام» ١/ ٢٣٢.

فأنفق عليها أبرويز أموالاً عظيمة، وأسكرها مراراً، والماء يقلع السَّكْر، وكان عنده ثلاث مئةٍ من الحزاةِ ـ وهم: السحرة، والكهنة، والمنجمون ـ فجمعهم كسرى، وكان فيهم رجل من العرب يقال له: السَّائب، يعتافُ اعتيافَ العَربِ فلا يخطئ، وكان بعث به بَاذَان إليه من اليمن، وكان لأبرويز طاق في الإيوان يضع فيه تاجه، فلما كانت الليلة التي بعث فيها رسول الله ﷺ، انفصم الطاق، وانقطع السكْرُ، فانخرقت دجلة فأصبح كسرى حزيناً، ودعا القوم فقال لهم: انفصم طاق تاج ملكي، وانخرق الماء عن بلادي «شاه بِشْكَسْت» أَي: انكسر الملك، فانظروا.

فنظروا، فأظلمت الدنيا عليهم وتحيَّروا، فلم ينتفع كاهن بكهانته، ولا ساحر بسحره، ولا منجم بنجومه، فقام السَّائب عنهم، وبات على رابية يَرْمُقُ نجوم الحجاز، فرأى في موضع قدميه روضة خضراء، فقال: لئن صَدَق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ ملكه المشرق والمغرب، تخصب الأرض في زمانه، واجتمعت الحُزاةُ وقالوا: والله ما حال بينكم وبين علومكم إلا أمر سماوي، وإنه لنبيٌّ بُعِثَ يَسلب كسرى ملكَه، ولئن أخبرتم كسرى بذلك، ليأتين على آخركم، فاتَّفِقُوا على أمر تدفعوا به عنكم. فقالوا له: قد نظرنا، فإذا وَضْعُ الطاق والسكر كان في طالع النحوس، ونحن نبصر لك طالعاً سعيداً تعيد فيه الطاق والسكر.

وعيَّنوا له وقتاً، فشرع في السَّكْر على دجلة، وغرم عليه أموالاً عظيمة، فلما فرغوا منه فرش عليه الفُرُشَ، وأحضر الأساورة والمرازبة والأشراف والأعيان، وجميع من في مملكته، ثم جلس على السَّكر وأخذ في اللعب والشرب، فبينما هم على ذلك انقطع السَّكر نصفين، وغَرِق جميع من كان عليه، واستخرجوا كسرى في آخر نفس، فقتل من الحُزاةِ مئة رجل، فقال الباقون: أخطأنا كما أخطأ مَنْ قبلنا، ونحن نحسب حساباً صحيحاً، فقال: افعلوا، وحسبوا وأمروه بوضع السَّكر فوضعه، وجلس عليه فانقطع نصفين وأصابه أعظم من الأول، فقال لهم: والله لئن لم تصدقوني لأرمينكم تحت أرجل الفيلة، كم تُلَفِّقونَ عليَّ؟ فقالوا: نحن نصدقك، إنا نظرنا في علومنا فرأينا أنه قد ظهر نبيٌّ، وأظهر له السَّائب ما رأى، فلها عنهم وعن دجلة، وذلك قبل أن يأتيه

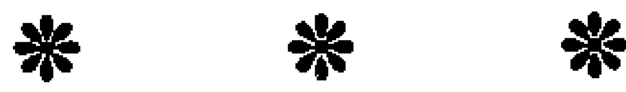
كتاب النبيِّ ﷺ(١).

قال الحسن البصري: إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، ما حجة الله على كسرى فيك؟ فقال النبي ﷺ: بعث الله إليه ملكاً، فأخرج يده من سور جدار بيته تتلألأ نوراً، فلما رآها فزع، فقال له: يا أبرويز، لا تُرَع فإن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً، فاتبعه تسلم لك دنياك وآخرتك، فقال: سأنظر في ذلك(٢).

وقال الواقدي: بعث الله إليه ملكاً وقت الهاجرة وهو في بيت لا يدخل عليه أحد، فلم يَرُعْه إلا وهو قائم على رأسه، وفي يده عصا، فقال له: يا أبرويز، أسلم وإلا كسرت هذه العصا على رأسك، فقال: بِهِل بِهِل ـ أي اصبر ـ، ثم انصرف عنه، فدعا حجابه وحراسه، وقال: من أين دخل هذا؟ قالوا: ما رأيناه. ثم جاءه بعد سنة، فقال له كذلك. ثم انصرف وجاءه في السنة الثالثة، فكسر العصا على رأسه. فكان ذلك سبباً لقتله، فقتله ابنه شيرويه(٣).

وفي رواية: نام كسرى يوماً فرأى في منامه كأنه رُمي به إلى السماوات، وأوقف بين يدي الله تعالى، وإذا رجل عليه إزار ورداء، والله تعالى يقول له: «يا أبرويز، سلم مفاتيح خزائن الأرض إلى هذا». فسلمها إليه، ثم أراد أن يستردها فأيقظه بعض حجابه لأمر دَهَمه.

قال حاتم بن عطاء: والذي حكى المنام: خالد بن وَيْدَة، وكان مجوسياً فأسلم، والرجل الذي كان عليه الإزار والرداء: محمد ﷺ(٤).



(١) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٦٠-٣٦٢، وتاريخ الطبري ٢/ ١٨٨، و«السيرة الشامية» ١/ ٤٢٨.
(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ١٩٠ ، وانظر «المنتظم» ٢/ ٣٦٢ .
(٣) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ١٩١ .
(٤) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٦٣-٣٦٤ ، والوفا (٢٣٨).

السنة الرابعة من النبوّة

وفيها نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝﴾[الشعراء: ٢١٤].

قال علماء السير: وأقام رسول الله ﷺ بعد النبوة ثلاث سنين مستخفياً يدعو إلى الله سرّاً في الجبال والأودية والشِّعاب[١]، ولما دعا إلى الله تعالى، استجاب له مَنْ شاء الله من الأحداث وَضَعفَةِ الناس والنِّساءِ، وكَثُرَ من آمن به، وكفَّار قريش غير مكترثين بأمره ولا بما يقول. وكان إذا مر على مجالسهم، أشاروا عليه وقالوا: إن غلام عبد المطلب لَيُكَلَّمُ من السماء. فكان على ذلك حتى عاب آلهتهم، وسفَّه آباءهم الذين ماتوا على الكفر. فشنَّفوا[٢] له عند ذلك، وعادوه، وحسدوه[٣].

وقام بنصرته عمُّه أبو طالب أحسن قيام، ومنعهم من التعرض له.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝﴾[الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتى علا المَروَةَ، ثم قال: يا آل فهر، فجاءَتْه قريش وفيها أبو لهب فقال: هذه فهر عندك فقل . فقال: يا آل غالب. فرجع بنو محارب وبنو الحارث ابنا فهر. فقال: يا آل لؤي بن غالب. فرجع بنو الأدرم. فقال: يا آل كعب بن لؤي. فرجع بنو عامر بن لؤي. فقال: يا آل مرة بن كعب. فرجع بنو عدي بن كعب، وبنو سَهْمٍ، وبنو جُمَح، أبناء عمرو بن هُصَيص بن كعب، ثم قال: يا آل كلاب ابن مرَّة. فرجع بنو مخزوم وبنو تميم بن مرة. فقال: يا آل قُصي. فرجع بنو زهرة بن كلاب. فقال: يا آل عبد مناف. فرجع بنو عبدالدار بن قصي، وبنو أسد بن عبدالعُزَّى بن قصي، فناداه أبو لهب: هذه بنو عبد مناف عندك فقل. فقال: «إنَّ اللهَ قد أَمَرني أَنْ أُنْذِرَ عَشيرتي الأَقْرَبين، وأنتم الأَقرَبُون من قُريشٍ، وإني لا أملك لَكُم مِنَ الله حَظًّا، ولا مِنَ الآخِرَة نصيباً، وإلَّا أن تَقُولوا: لا إلَه إلَّا اللهُ، فأَشْهَدُ لَكُم بها عندَ اللهِ، وتَدينُ لَكُم بها

(١) في (خ) و(ك): والشعوب، والمثبت أقرب للصواب.

(٢) في النسخ: «فسيفوا» والمثبت من «الطبقات الكبرى»، ومعنى شنفوا له: أبغضوه.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٦٩ .

العَرَبُ والعَجَمُ». فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ السورة(١).

وقال عبدالله بن كعب بن مالك: أقام رسول الله ﷺ بمكة في كل موسم يتبع الحاج في منازلهم بعُكاظٍ، ومَجَنَّة، وذي المَجاز، يدعوهم إلى الله وأن يمنعوه حتى يبلِّغ رسالات ربه، ولهم الجنة فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه. وأبو لهب يمشي خلفه ويقول: لا تطيعوه فإنه كذّاب صابئ. فيردون على رسول الله ﷺ أقبح ردٍّ ويقولون: أُسْرَتُك وعشيرَتُك أعلم بكَ حيث لم يمنعوك(٢).

وفي رواية طارق المحاربي: ورأيت خلفه رجلاً قد أدمى عقبيه بالحجارة وكعبيه، قال طارق: من هذا؟ قالوا: غلام بني عبد المطلب. قلت: والذي خلفه؟ قالوا: عمه أبو لهب(٣).

وقالت عائشة ﵂: قال رسول الله ﷺ: «كُنتُ بَين شَرِّ جارَيْنِ: أبي لَهَبٍ وعُقبَةَ بنِ أبي مُعَيْط، إنْ كانَ لَيأتيانِ بالفُروثِ فَيطرَحانِها على بابي، فَأَخرجُ فأقُولُ: يا بَنِي عبد مَناف، أيُّ جِوَارٍ هذا؟ ثُم أُلقِيْها في الطَّريق»(٤).

وفيها: ضَرب سعد بن أبي وقاص ﵁ رجلاً من المشركين فشجه. وسببه: أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجتمعون في الشِّعاب والأودية فيصلُّون، فبينا سعد ﵁ في جماعة من المسلمين يصلُّون إذ رآهم رجل من الكبار ومعه جماعة من قريش، فسبُّوهم وعابوهم، فضرب سعد ﵁ رجلاً منهم فأسال دمه، فكان أول دم أُهريق في الإسلام(٥).

وكان النبي ﷺ إذا جلس في المسجد وحوله المستضعفون من أصحابه مثل: عمار

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٥٥-٥٦ ، والبلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ١٣٦ ، وأخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) مختصراً.

(٢) كذا في النسختين (خ) و(ك)، وفي «الطبقات» ١/ ١٨٤ : يتبعوك، وهو الصواب ، وأورده ابن هشام في «السيرة» عن ربيعة بن عباد ٢/ ٥٠ .

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٥٦٢).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/ ١٧١ ، والبلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ١٤٩ .

(٥) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٣١٨، و«المنتظم» ٢/ ٣٦٧ .

ابن ياسر، وخَبَّاب بن الأَرَتِّ، وصهيب بن سنان، وبلال بن رباح، وعامر بن فُهَيرة، وأشباههم. فإذا مرت بهم قريش استهزؤوا بهم وقالوا: هؤلاء جلساؤه قد منَّ الله عليهم من بيننا. فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[١] [الأنعام: ٥٣].

وقال هشام: أول من أظهر الإسلام بمكة: أبو بكر رضي الله عنه وبلال وعمار وصهيب وخبَّاب رضي الله عنهم. فأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الباقون فلم يكن لهم عشائر يمنعونهم، فعذبوا عذاباً شديداً، وفيهم نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾[النحل: ٤١]، كانوا يُلْبِسونهم أدراع الحديد، ويصهرونهم في الشمس في وقتِ الهاجرة[٢].

فَقَد أبو طالب رسولَ الله ﷺ، فقال لفتيان بني هاشم: خذوا سلاحكم، وكونوا على مكاناتكم حتى أرجع. وخرج إلى الجبل ونادى: يا محمدُ. وإذا بالنبيِّ ﷺ قائم يصلي في أسفل مكة، فقال له: مالك يا عم؟ فقال: ظننت أنك قد اغتلت، فكدت أن تجرِّمني فأقتل قومي اليوم. وأن النبي ﷺ عرض عليه الإسلام، فقال: أريد آية. فقال: ترى تلك الشجرة؟ فقال: نعم. فقال: أدعو ربي أن يأتيك بها؟ قال: فافعَل، فدعا الله، فأقبلت تهتز بإذن الله تعالى، فقال لها: ارجعي بإذن الله. فرجعت. فقال: يا ابن أخي، لهذا يقول قومُك بأنك ساحر. فانطلق به أبو طالب إلى مجالس قريش وقال: اليوم أؤيسهم منك، ووقف عليهم وقال: قد كنت أُراكم قتلتم ابن أخي، ورب البيت الحرام والبلد الحرام لو فعلتم ذلك؛ لقتل كل واحد من هؤلاء الفتيان جليسه، ثم قال: أخرجوا أشفاركم، فأخرجوها. فلما رأت قريش ذلك يئسوا من رسول الله ﷺ[٣].

ولما اشتد الأمر وعلمت قريش أن أبا طالب لا يُسْلمه إليهم ولا يخذلُه، مَشَوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ـ وكان من أجمل فتيان قريش وأَسْراهم ـ فقالوا له: يا أبا طالب، هذا أَنْهَدُ فتى في قريش وأجمله، فخذه واتخذه ولداً وسلّم إلينا محمداً، فإنه قد

---

(١) انظر «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٩، و«حلية الأولياء» ٢/ ٢٤-٢٥، و«الاكتفاء» ١/ ٣٧٤.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٢١٤، و«المنتظم» ٤/ ٢٩٨.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ١٧٢ نحوه، أما انصياع الشجرة لأمره ﷺ فقد ورد بذلك عدة أحاديث، انظرها في «دلائل النبوة» ٦/ ٧، و«سبل الهدى والرشاد» ١٠/ ١١٧.

خالف دينك ودين آبائك، وفرَّق جماعتنا، وإنما هو رجل برجل، فقال أبو طالب: ويحكم، لبئس والله ما سمتموني، أتعطوني ولدكم أَغْذوه لكم، وأعطيكم ولدي تقتلونه، والله ما أنصفتموني، فرقوا بين النوق وفصلانها، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها، دفعته إليكم[1]، ثم قال[2]:

والله لن يصلوا إليكَ بجَمْعِهم ... حتى أُوَسَّدَ في التُّرابِ دَفِينا
فاصدعْ بأمرِكَ ما عليكَ غضاضةٌ ... وَابْشِر وقَرَّ بذاكَ منك عُيونا
وعَرضتَ ديناً لا مَحَالةَ أنه ... من خير أديانِ البريَّة دينا
لولا الملامةُ أو حِذارُ مذمَّةٍ ... لَوَجَدْتني سَمْحاً بذاك ظنينا

فصل وفيها توفي

أَكْثَم بن صَيْفي[3]

من تميم، حكيمُ العرب، كان من بطن يقال لهم: بنو شُرَيف بن جُرْوَةَ، أدرك مبعث رسول الله ﷺ، وأوصى قومه باتِّباعِه، وعاش مئتي سنة، وقيل: مئة وتسعين سنة، واسودَّ شعره، ونبتت أضراسه، وعاد شابًّا، ولا يُعرف في العرب أعجوبة مثله، وكان حكيماً فصيحاً لبيباً فاضلاً سيداً في بني تميم، وهو القائل: [من الطويل]

وإن امرَأً قد عاشَ تِسعين حجَّةً ... إلى مِئة لم يسأمِ العيشَ جاهِلُ

ولما بلغه خَبر رسول الله ﷺ، عزم على قصده، فمنعه بنو تميم، وقالوا: أنت سيدنا وكبيرنا، فابعث إليه. فكتب إلى رسول الله ﷺ مع ابنه حُبَيش بن أكثم: باسمك اللهمَّ، من العبد أَكْثَم إلى العبد. أما بعد: فأخبرنا من أنت، وبم جئت؟ وقد بلغنا عنك خبر، فإن كنت أريت، فأرنا، وإن كنت عُلِّمْتَ، فعلِّمنا، وأشركنا معك في خير والسلام.

---

(١) انظر القصة دون الشعر في «السيرة» لابن هشام ١/ ٢٤٠-٢٤١، و«أنساب الأشراف» ١/ ٢٦٦-٢٦٧، و«المنتظم» ٢/ ٣٦٩.

(٢) انظر الأبيات في «تاريخ اليعقوبي» ٢/ ٣١، و«البداية والنهاية» ٣/ ٤١، ولم نقف على سياق للقصة يجمع الشعر مع الحادثة.

(٣) انظر «المعارف» ص٢٩٩، و«المنتظم» ٢/ ٣٧٥، و«الإصابة» ١/ ١١٠.

فكتب إليه: «من محمد رسول الله إلى أكثم. أما أنا فمحمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، عبدُ الله ورسوله. وأما الذي جئت به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾الآية [النحل: ٩٠] ، وإن الله أمرني أن أقول: لا إله إلا الله، ولتعلمَنَّ نبأه بعد حين، والسلام».

فلما قرأ كتابه، قال: نسب وسيط، وأراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً، ولا تكونوا أذناباً.

ثم جمع أَكْثَم بني تميم، وقال: لا يحضرني سفيه، فإن السفيه واهي الرأي وإن كان قوي البدن، ولا خير فيمن كان كذلك، وإن بتمام العقل تتم الأمور، ثم أمرهم بالإسلام، واتباع رسول الله ﷺ. فقام مالكُ بنُ نُويرةَ اليربوعي وهو يقول: إن هذا الشيخ قد خَرِفَ، إنه ليدعو إلى الفناء والتعرض للبلاء، فإن أجبتموه فَرَّق جمعكم، وذَلَّل عِزّكم، وأظهر أضغانكم. وسمعه أَكْثَم فقال: دعوا كلام هذا الأحمق، فويل للشجي من الخَليِّ، إن الحَقَّ إذا قام دمغ الباطل.

وخرج أَكْثَم إلى مكة يريد لقاء رسول الله ﷺ، فلما كان ببعض الطريق عمد ابنه حُبيش إلى الرواحل فنحرها، وإلى المَزادة فشقها، ثم هرب. فمات أَكْثَم بالعَطَش، ولما أيقن بالموت، أوصى من معه باتباع رسول الله ﷺ، وأشهدهم على نفسه أنَّه مسلم.

روي عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه نزل فيه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[النساء: ١٠٠].

ومن كلام أَكْثَم: أوصيكم بتقوى الله، وصلة الأرحام، وإياكم ونكاح الحمقى. وإنَّ العُدْمَ عُدْمُ العقل، لا عُدْم المال. وإنَّ مقتل الرجل بين فكَّيه، وإنَّ قولَ الحق لا يدع لقائِله صديقاً. ومن صَحِبَ الدُّنيا رأى الهوان، وفي طلب المعالي يكون العز، ومن قنع بما هو فيه قَرَّت عينُه. والتغافُلُ من أَخلاق الكرام، والمَنُّ يُذْهِبُ الصَّنيعةَ. ومن ظلم يتيماً ظلم أولاده، ومن سل سيف البغي أُغْمِدَ في رأسه.

وقال لبنيه: يا بني، ذَلِّلوا أخلاقكم للطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلموها المكارم، ولا تقيموا على خُلُقٍ تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتَحلَّوْا بالجود تلبسكم المحبة، ولا تلبسوا البخل فتتعجلوا الفقر.

وصَيْفي بن تميم، كنيته أبو أَكْثَم، عاش مئتي سنة وستًّا وخمسين سنة.

وحَنظلة الكاتب هو ابن أخي أَكْثَم، لأنه حَنظلة بن ربيعة بن صَيفي، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وعاش إلى أيام معاوية.

وَرَقة بن نوفل

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي، ابن عم خديجة ﷺ، ولما رأى النبي ﷺ، وسمع كلامه، وانصرف عنه، قال ورقة لخديجة ﷺ: قدوس قدوس، والله لئن صدَقْتِني فإنه نَبي هذه الأمة، ولقد جاءه النَّاموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى، فقولي له: ليثبت. فرجعت خديجة ﷺ، فأخبرت رسول الله ﷺ، فسُرِّي عنه بعض ما كان فيه من الغم[(١)].

وسئل رسول الله ﷺ عن ورقة، فقال: «رَأَيتُه في المَنَام وعَلَيه ثِيَابٌ بيضٌ»[(٢)].

ومن شعره[(٣)]: [من البسيط]

يا للرجال وصَرْف الدَّهْر والقَدَرِ ... فما لِشيءٍ قضاه الله من غِيَرِ
جَاءت خديجةُ تَدعُوني لأُخْبِرها ... ومالنا بخفيِّ الغَيْبِ من خَبَرِ
بأنَّ أحمدَ يأتيهِ فيُخْبِرُه ... جبريلُ أنَّك مبعوثٌ إلى البَشَرِ
فقال حين أتانا منطقاً عجباً[(٤)] ... تَقِفُّ منه أعالي الشعْر والبَشَرِ
إني رأيت أمينَ الله واجَهَني ... في صورةٍ كَمُلَت من أَهْيَبِ الصُّوَرِ
فقلتُ ظني وما أدري يُصَدِّقُني ... أن سَوفَ يُبعثُ يتلو مُنْزَل السُّوَرِ

واختلفوا على أيِّ دين مات على أقوال: أحدها: على النصرانية، والثاني: مُوَحِّداً على دين عيسى وموسى ﷺ، والثالث: على الإسلام. وورقة آخر من مات في الفترة، ودفن بالحَجون.

---

(١) انظر «سيرة ابن هشام» ١/ ٢٢٢.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٣٦٧) من حديث عائشة ﷺ.

(٣) انظر الأبيات في «السيرة» لابن إسحاق ص١٠٤، و«أخبار مكة» للفاكهي ٤/ ٨٩، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ١٥٠.

(٤) في النسخ: «فقلت حين أتانا معطفاً عجباً» والمثبت من المصادر.

السنة الخامسة من النبوة

فيها أَمَر النبي ﷺ أَصْحابَه بالهجرة إلى الحبشة لمَّا اشتد بهم أذى الكفار.

ذكر الهجرة الأولى(١):

قال الزهري: لما ظهر الإسلام وكثر المسلمون، ثار جماعة من الكفار إلى من آمن من قبائلهم وعشائرهم، فعذبوهم وسجنوهم، وأرادوا أن يفتنوهم عن دينهم. فقال لهم رسول الله ﷺ: تفرقوا في الأرض. فقالوا: إلى أين؟ فأشار إلى الحبشة بيده، وقال: إن بها رَجُلاً لا تُظْلَمُ الناس عنده، فتَحرَّزُوا عنده حتى يأتي الله بالفرج. فخرجوا متفرقين، وستر قومٌ إسلامَهم، وكانت الحبشة متجَرَ قريش، فخرج منهم اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة متسللين سراً من قريش، وكان مخرجهم في رجب، منهم الماشي والراكب، فوافقوا سفينتين للتجارة في الشُّعَيبة(٢)، فركبوا فيها، وخرجت قريش في آثارهم ففاتوهم.

ذكر أساميهم(٣):

حاطب بن عمرو بن عبد شمس، الزبير بن العوام ﷺ، سهيل بن بيضاء، عامر بن ربيعة ومعه امرأته بنت أبي حَثْمَة، عبد الله بن مسعود، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، ومعه امرأته أم سلمة ﵂، عبد الرحمن بن عوف ﵁، وقيل: إنه لم يهاجر الأولى، وعثمان ﵁، ومعه زوجته رقيَّة ﵂ بنت رسول الله ﷺ، عثمان بن

(١) الخبر في «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٢، وانظر «السيرة» لابن هشام ١/ ٢٨٠، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٢٩، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٢٨٥، و«المنتظم» ٢/ ٣٧٤، و«الكامل» ٢/ ٧٦، و«السيرة» للذهبي ١/ ١٤٦، و«البداية والنهاية» ٣/ ٤٦، و«سبل الهدى والرشاد» ٢/ ٤٨٥.

(٢) في (ك): «الشعشة» وفي (خ): «ألشعشعة» والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٣/ ١٧٣، و«سبل الهدى»٢/ ٤٨٦.

(٣) انظر «السيرة لابن هشام» ١/ ٢٨٠-٢٨٦، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٣-١٧٤، و«المنتظم» ٢/ ٣٧٥، وانظر تتمة أسمائهم هناك.

مَظْعون، مصعب بن عمير، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، ولد له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة من امرأته سهلة بنت سُهيل بن عمرو، أبو سَبْرة بن أبي رُهْم. فأقاموا في الحبشة شهر شعبان ورمضان، ورجعوا في شوال.

ذكر سبب رجوعهم

قال المطلب بن عبد الله: رأى رسول الله ﷺ من قومه كفافة، فجلس خالياً وتمنى أن لا يُنَزَّلَ عليه شيء ينفرهم عنه، وقارب قومه ودنا منهم، ودنوا منه، فجلس يوماً في بعض أنديتهم، فنزلت سورة النجم، فقرأها حتى بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]؛ ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدِّث به نفسه ويتمناه من مقاربة أهله وقومه، لأنه كان قد شق عليه مباعدتهم إياه، فتمنى أن ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصاً منه على إيمانهم، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فلما سمعت قريش ذلك فَرِحوا، ومضى في قراءة السورة كلها، وسجد وسجد معه المسلمون والمشركون، فلم يبق في المسجد إلا من سجد لسجوده إلا الوليد بن المغيرة وأبو أُحَيْحَةَ سعيد بن العاص فإنهما أخذا حَفْنَةً من الحصباء فرفعاها إلى جبينهما وسجدا عليه، وكانا شيخين كبيرين لا يستطيعان السجود، وتفرقت قريش، وقد سرهم ذلك، وقالوا: ذكر محمد آلهتنا بخير، فأحسن الثناء عليها، وقد علمنا أن الله يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فإذ قد جعل لها محمد نصيباً، فنحن معه. فلما أمسى رسول الله ﷺ، جاءه جبريل عليه السلام فلما بلغ إلى قوله: تلك الغرانيق العلى، قال: ما أتيتك بهاتين الكلمتين ـ وفي قول ابن إسحاق: قال: لقد قلت عن الله ما لم أقل، وتلوت عن الله ما لم أتل به عن الله ـ فحزن النبي ﷺ حزناً شديداً، وخاف من الله خوفاً عظيماً، وندم على ما جرى. فأنزل الله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾[الحج: ٥٢] الآيات[(١)]، ولما رجع النبي ﷺ عن ذلك بعد أن وقع ذكر الغرانيق في فم كل كافر،

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٧٤.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٤٥٠) عن ابن عباس، وأخرجه ـ أيضاً ـ الطبراني (٨٣١٦) عن عروة

عادوا إلى أشَرِّ مما كانوا عليه، وازدادوا شدة على من أسلم، وكان قد سمع من هاجر إلى الحبشة بأن قريشاً قد صافَوا رسول الله ﷺ، فرجعوا إلى مكة، فلما قربوا منها، بلغَهم ما جرى فوقفوا عن الدخول، ثم دخل كل رجل منهم في جوار رجل من قريش.

فدخل عثمان بن عفان رضي الله عنه في جوار أبي أُحَيحةَ سعيد بن العاص بن أمية، فكان يأتي رسول الله ﷺ في طرفي النهار آمناً.

ودخل أبو حذيفة بن عتبة في جوار أبيه.

ودخل مصعب بن عمير في جوار النَّضر بن الحارث بن كَلَدَةَ، ويقال: في جوار أبي عزيز بن عمير أخيه، ودخل الزبير بن العوام رضي الله عنه في جوار زَمْعَة بن الأسود.

ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، ثم رد عليه جواره ورضي بجوار الله لَمَّا رأى ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، قال: والله إن غُدوي ورواحي آمناً في جوار رجل من المشركين، وأصحابي يلقون من البلاء ما لا يصيبني مثله لنقصٌ كثير في نفسي، ذمة الله أعز وأمنع. ودخل سهيل بن بيضاء في جوار رجل من عشيرته من بني فهر، وقيل: دخل مستخفياً بغير جوار حتى هاجر الثانية.

ودخل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في جوار الأسود بن عبد يغوث، وقيل: دخل بغير جوار.

وعبد الله بن مسعود فدخل بغير جوار، والأشهر أنه ما دخل مكة ورجع إلى الحبشة.

فصل في الهجرة الثانية إلى الحبشة:

قالت أم سلمة رضي الله عنها: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ من الحبشة في الهجرة [الأولى إلى مكة]، اشتد عليهم قومهم، وسطت بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلى الحبشة مرة ثانية، فقال له عثمان بن

= مرسلاً. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٨٥ بسنده إلى موسى بن عقبة في كتابه «المغازي» مرسلاً، وانظر كلام القاضي عياض على هذه القصة في «الشفا» ٢/ ٧٥٠، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٣٠ ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق، ولكنها من طرق مرسلة، لم أرها مسندة من وجه صحيح.

عفان ﷺ: يا رسول الله، فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى الحبشة ولست معنا ـ يعني ما حكمها ـ؟ فقال: أنتم مهاجرون إلى الله وإليَّ[١]. فخرج منهم خلق كثير واختلفوا فيهم، فقال ابن سعد: كانوا ثلاثةً وثمانين رجلاً وثمانيَ نسوة[٢]. وقيل: وإحدى عشرة امرأة. وقال الهيثم: كانوا مئة وثمانية، وقيل: وعشرة منهم عشر نسوة.

فصل في ذكر من ولد بالحبشة من المسلمين:

قال علماء السير: ولد بها: عبدالله، وعون، ومحمد ـ وفي رواية: ومعين ـ، أولاد جعفر بن أبي طالب ﷺ من أسماءَ بنت عُمَيْس[٣].

وسعيد، وآمنة ابنا خالد بن سعيد بن العاص. وعبد الله بن المطلب[٤].ومحمد بن حاطب. ومحمد بن أبي حذيفة. وزينب بنت أبي سلمة[٥]. وموسى، وعائشة، وزينب أولاد الحارث بن خالد التيمي.

هؤلاء سوى من خرج بهم أهلوهم من مكة صغاراً، أقاموا بالحبشة من سنة خمس من النبوة إلى سنة سبع من الهجرة، فلما بلغهم مهاجرة النبي ﷺ إلى المدينة، رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثماني نسوة يريدون مكة، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس منهم سبعة، وشهد منهم بدراً أربعة وعشرون.

فلما كان في سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وأن يبعث إليه بجعفر ومن معه ــ أو عنده ــ من المسلمين إلى المدينة، وأن يزوجه أم حبيبة. وكان النبي ﷺ محاصر خيبر، فأسلم النجاشي، وزَوَّجه أم حبيبة، وجهز إليه جعفراً وأصحابه ـ ﷺ ـ[٦].

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٦ .

(٢) جاء في «الطبقات» ١/ ١٧٦-١٧٧ : وكان عدة من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية، وسبع غرائب.

(٣) انظر «نسب قريش» ص٨٠ ، «وطبقات» ابن سعد ٤/ ٣١، وليس فيها ذكر لمعين.

(٤) هو المطلب بن أزهر.

(٥) في (ك): «سلمى» وفي (خ): «مطحى»، والمثبت من المنتظم ٢/ ٣٧٧، وانظر «الإصابة» ٤/ ٣١٧ .

(٦) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٧ ، وانظر نص كتاب رسول الله ﷺ عند البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٠٨ ،

فصل في صبر رسول الله ﷺ على أذى الكفار:

لما أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ومنعه الله بعمه أبي طالب، ورأت قريش أنهم لا سبيل لهم عليه، قذفوه بأنواع العيوب، فقالوا: ساحر، كاهن، شاعر، كذاب، مجنون، وبالغوا في أذاه. فرد الله تعالى عليهم وكذَّبَهم، وأنزل في ذلك آيات(١).

قال ابن مسعود: بينا النبي ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل بن هشام وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلَى جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد. فانبعث أشقى القوم وأخذه، فألقاه على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، واستضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر إليه، ولو كانت لي منعة، طرحته عن ظهره، وهو ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جُوَيرية فطرحته عن ظهره، ثم أقبلت عليهم تَسُبُّهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، رفع يديه فدعا عليهم ـ وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً ـ، ثم قال: «اللَّهمَّ عَليكَ بقُرَيشٍ» ثلاثاً. فلما سمعوا صوته، ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «اللَّهمَّ عَليكَ بأبي جَهْل، وعُتْبَة وشَيْبَة ابْنَي رَبِيْعَة، والوَليدِ بن عُتْبَة، وأميَّةَ بنِ خَلَف، وعُقْبَة بن أبي مُعَيْط. ـ وذكر السابع: عُمارة بنِ الوَليد»(٢).

والسَّلى: الوعاء الذي يكون فيه الولدُ إذا وضع من الناقة. فأما في الجزور فما في بطنه. وأشقى القوم: عقبة بن أبي معيط.

= وقال الحافظ ابن كثير في «البداية» ٣/ ٨٠-٨١: هكذا ذكره البيهقي بعد قصة الهجرة وفي ذكره هاهنا نظر، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح، ويؤيده ما أخرجه مسلم (١٧٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ، لكن ذكر ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٤٧٣ أن النبي ﷺ كاتب النجاشي الذي أسلم وصلى عليه لما مات، ثم كاتب النجاشي الذي ولي بعده وكان كافراً.

(١) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٧٨.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٠)، ومسلم (١٧٩٤).

فوالذي بعث محمداً ﷺ لقد رأيت الذي سَمّى صَرْعى، ثم سُحِبوا إلى قليب بدر قد غَيَّرتهم الشمس، وكان يوماً حاراً[١].

وخرج رسول الله ﷺ يوماً فلقيه أبو البَخْتَري فأنكر وجهه، فسأله عن حاله فأخبره، وكان بيده سوط، فأتى أبا جهل فعلاه به، فسار بنو مخزوم وبنو أسد بن عبد العزى، فقال أبو جهل: ويلكم، كفوا فإنما يريد محمدٌ أن يوقع بينكم العداوة[٢].

فقال رسول الله ﷺ لعقبة بن أبي معيط: يا ابن أبان، ما أنت بمقصر عمّا أرى؟ فقال عقبة: لا، حتى تدع ما أنت عليه. فقال رسول الله ﷺ: والله لتنتهين أو لتحلَّنَّ بك قارعة.

قال أبو جهل: والله لئن رأيت محمداً يصلي لأَطَأَنَّ رقبته. فبلغه أنه يصلي، فجاءه وقال: ألم أنهك عن الصلاة؟ فانتهره رسول الله ﷺ، فقال: أتنهرني وأنا أعز أهل البطحاء؟ فقال له العباس ـ وكان قريباً منه ـ: كذبت. فنزل قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾[٣] [العلق: ٩-١٠].

قال عبد الله بن عَمْرو: بينا النبي ﷺ بفناء الكعبة، إذ أقبل عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه. فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[٤][غافر: ٢٨] وفي رواية: أقبلوا على أبي بكر فجعلوا شعره خُصلاً وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام، وفي ضمنه: كيف تسلط عدوك على وليك[٥]؟.

وقال ابن عباس: اجتمع القوم في الحِجْر، فتعاهدوا على قتل رسول الله ﷺ،

(١) مسلم (١٧٩٤)(١١٠).
(٢) أخرجه البزار في «مسنده»(١٨٥٣)، والطبراني في «الأوسط»(٧٦٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص٤٩٣-٤٩٤ من حديث ابن عباس، وأخرجه مسلم (٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة بغير هذا السياق.
(٤) أخرجه البخاري (٤٨١٥).
(٥) لم نقف عليها.

فجاءت فاطمة ابنته تبكي حتى دخلت عليه فأخبرته، فقام وتوضأ ودخل المسجد، فأخذ قبضة من تراب فحصبهم، وقال: شاهت الوجوه. فما أصابت رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً[١].

وكان أبو إهاب بن عزيز التميمي قد عزم على الفتك برسول الله ﷺ، وعلم به طُلَيب، فضربه بلَحْي جملٍ فشجه، فأُخبرت أمُّه أروى بنت عبد المطلب، فقالت: نِعْمَ ما فعل طُلَيب، محمد ابن خاله. فهو أولى به وأحق من دافع عنه، ثم قالت[٢]:

إن طـلـيـبـاً نَـصـر ابـنَ خـالِـه
آسَـاه فـي ذي دَمِـه ومَـالِـه

وأسلم طليب في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر إلى الحبشة، ولما أسلم دخل على أمه أروى، فقال: يا أماه، أسلمت لله رب العالمين، واتبعت محمداً. فقالت: إن أحق من وازرت وعاضدت ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه. فقال لها: ما يمنعك أن تسلمي وتتبعيه، فقد أسلم أخوك حمزة؟ فقالت: أَنْظر ما تصنع أخواتي، أكون واحدة منهن[٣].

ذكر أسامي الذين أظهروا العداوة لرسول الله ﷺ:

أبو لهب عمه، أبو جهل، الأسود بن عبد يَغُوث، عُقْبة بن أبي مُعَيْط، الحكم بن أبي العاص، الحارث بن قيس بن عدي وهو ابن الغَيْطلة، شيبة وعتبة ابنا ربيعة، أبو سفيان بن حرب، الوليد بن المغيرة، أُبي وأمية ابنا خلف، العاص بن وائل السَّهمي، النَّضْر بن الحارث، العاص بن هشام، وهؤلاء كانوا جيرانه، وكانوا أشد الناس عليه[٤].

وأما من قريش فخلق كثير.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٦٢).
(٢) انظر «أنساب الأشراف» ص٢٥٧، و«تاريخ ابن عساكر» ٢٥/ ١٤٢.
(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ١١٤.
(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٠.

وفيها استتر رسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وتسمى الدار: دار الخَيْزُرَان[١].

وفيها: بعثت قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة إلى النجاشي بهدايا يطلبون منه أن يسلِّم إليهم من عنده من المسلمين المهاجرين.

فصل وفيها استشهدت

سُمَيَّةُ بِنْتُ خُبَّاط[٢]

أم عمار بن ياسر، مولاة أبي حُذيفة بن المغيرة، أسلمت بمكةَ قديماً، وكانت مِمَّن يُعذَّب في الله لترجع عن دينها، فما رجعت. وهي أول شهيدة في الإسلام، مر بها أبو جهل بن هشام وهي تعذب في الله تعالى، فطعنها في قُبُلِها بحربة فماتت[٣].



(١) انظر «أخبار مكة» للفاكهي ٣/ ٣٣٠، و«المنتظم» ٢/ ٣٨٠، وعرفت بهذا الاسم عندما وهبها المهدي لامرأته الخيزران أم هارون الرشيد، فبنتها وجددتها فعرفت بها، كما سيذكره المصنف سنة ٥٥ في ترجمة الأرقم، وانظر «المنتظم» ٥/ ٢٨٠، و«البداية والنهاية» ٨/ ٧٤.

(٢) ضبطها السمعاني في «الأنساب» ٢/ ٣١٦ بفتح الخاء وتشديد الباء، وضبطها ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٣٣٤ بضم الخاء وفتح الباء المشددة.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٢٥١، و«المنتظم» ٢/ ٣٨٤.

السنة السادسة من النبوة

وفيها أسلم حمزة بن عبدالمطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقيل: في سنة خمس من النبوة، وقيل: في السنة الثانية من النبوة، وكان إسلام عمر رضي الله عنه - بعد حمزة - رضي الله عنه - بيوم، وقيل: ثلاثة[١].

ذكر إسلام حمزة رضي الله عنه:

قال محمد بن كعب القرظي: نال أبو جهل وعدي بن الحمراء رسولَ الله ﷺ، وبلغ حمزة رضي الله عنه فقام ودخل المسجد، فضرب رأس أبي جهل بالقوس فشجه فَوَضَحه، وأسلم فعَزَّ به المسلمون وذلك بعد دخول النبي ﷺ دار الأرقم[٢].

وقال ابن إسحاق: مر أبو جهل برسول الله ﷺ وهو جالس عند الصفا فآذاه ونال منه، ورسول الله ﷺ ساكت، فقام رسول الله ﷺ فدخل المسجد، وجلس في ظل الكعبة، وكانت مولاة لعبد الله بن جُدْعان في مَسْكَنٍ لها على الصَّفا تسمع ذلك، وأقبل حمزة رضي الله عنه من القَنَصِ متوشحاً قوسه، وكان يسمى: أعزَّ قريش وأشدها شَكِيمة، فقالت له مولاة ابن جدعان: يا أبا عُمارة، ماذا لقي ابن أخيك من أبي جهل آنفاً؟ وجده ها هنا خالياً فسبَّه، وشتمه، وبالغ في أذاه، ولم يُكَلِّمْه ابن أخيك. فغضب حمزة رضي الله عنه ودخل المسجد وأبو جهل جالس في نادي قومه عند الكعبة، فقال: يا مصفِّر استِه، أتشتِم ابن أخي وأنا على دينه، أقول بما يقول؟ ثم ضربه بالقوس فشجه فَوَضَحه، فقام رجال من بني مخزوم، وثار بنو هاشم، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارةَ، فإني سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً. ودخل حمزة دار الخَيْزُران فتلقاه رسول الله ﷺ وقال: «أما آن لَكَ يا عم» فأسلم، فعلمت قريش حينئذ أن رسول الله ﷺ قد عزَّ، وأنه سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[٣].

---

(١) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٨٤.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٨.

(٣) «السيرة» ١/ ٢٦٠.

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهمَّ أعِزَّ الإسلامَ بأحَبِّ الرَّجلَيْنِ إليكَ: بعُمَرَ بن الخطَّابِ، أو بأبي جَهْلِ بنِ هِشامٍ». فكان أحبهما إليه: عمر(١).

وقال عمر رضي الله عنه: خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فافتتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قلت: والله هذا شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[الحاقة: ٤٠-٤٣] فوقر الإسلام في قلبي وأسلمت(٢).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قلت لعمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه: لم سُميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزةُ قبلي بثلاثة أيام، ثم شرح الله صدري للإسلام فقلت: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نَسَمةٌ أحبُّ إلي من نَسَمةِ رسول الله ﷺ، فسألت عنه؟ فقالوا: هو في دار ابن الأرقم. فأتيت الدارَ، وحمزةُ في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله ﷺ في البيت، فضربت الباب، فاجتمع القوم، فقال لهم حمزة: ما بالكم؟ فقالوا: عمر بن الخطاب. فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابي ثم نترني نترة لم أتمالك أن وقعت على ركبتي، فقال: «مَا أنتَ بمُنْتَهٍ يا عُمَرُ»؟ فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد، فقلت: يا رسول الله، أَلَسْنَا على الحقِّ إن مِتنا، وإن حيينا؟ قال: «بَلَى». قلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن فأخرجناه في صفين، حمزة في صف، وأنا في صف له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، فلما نظرت إلينا قريش، أصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها قط، فسماني رسول الله ﷺ: الفاروق(٣).

وقال الزهري: لما أسلم عمر، نزل جبريل فقال: يا محمد، استبشر أهل السماء بإسلام عمر(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥٦٩٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»(١٠٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٤٠ ، وانظر «صفة الصفوة» ١/ ٢٧٣ .

(٤) انظر «صفة الصفوة» ١/ ٢٧٤ ، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٨٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن مسعود: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر(١).

وقال صهيب: لما أسلم عمر، جلسنا حول البيت حِلَقاً فطفنا وانتصفنا ممن أغلظ علينا(٢).

واختلفوا، بَعْدَ كَمْ أسلم؟ والمشهور أنه أسلم بعد تسعة وثلاثين، وقد عدهم الهيثم ابن عدي، فقال: خديجة، علي، زيد بن حارثة، أبو بكر، بلال، عثمان بن عفان، عبدالرحمن بن عوف، طلحة، سعد، سعيد، أبو عبيدة، الزبير، حمزة، عبيدة بن الحارث، خبَّاب، عمار، جعفر، مصعب بن عمير، ابن مسعود، عيَّاش بن أبي ربيعة، عثمان بن مظعون، أبو سلمة بن عبد الأسد، المقداد، طُلَيب، صهيب، عامر بن فُهَيرة، عمرو بن عَبَسة، نُعيم بن النَّحام، حاطب بن الحارث، خالد بن سعيد، خالد ابن البُكير، عبد الله بن جحش، أبو أحمد بن جحش(٣)، عامر ابن البُكير، عتبة بن غَزوان، الأَرْقم، واقد بن عبدالله، عامر بن ربيعة، السَّائب بن عثمان بن مظعون، وتمم الله الأربعين: بعمر.

قال المصنف ـ رحمه الله ـ: والعجب من هذا، وقد هاجر إلى الحبشة نيف وثمانون بالاتفاق، ونيف ومئة على الخلاف، وهم إنما هاجروا في سنة أربع من النبوة، وعمر إنما أسلم في سنة ست منها، فقد ازدادوا. فما وجه قولهم: أتم الله به الأربعين؟ اللهمَّ إلا أن يكون أسلم في سنة اثنتين من النبوة على ما قيل(٤).



السنة السابعة من النبوة

وفيها كانت وقعة بُعاث، وهو يوم الأوس والخزرج، وكان أبو أُسيد بن حُضَير رئيس الأوس في ذلك اليوم(٥).

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٢٥٠.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٢٤٩.

(٣) هو أخو أم المؤمنين زينب، واسمه عبد.

(٤) ولعل الصواب أن عمر أسلم بين الهجرتين فكان عدد المهاجرين في الأولى أربعين رجلاً وعشر نسوة. ثم حصلت الزيادة بعد إسلام عمر انظر «السيرة الشامية» ٢/ ٤٩٣، و «الطبقات الكبرى»٣/ ٢٤٩، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٢٢٢.

(٥) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٨٥.

السنة الثامنة من النبوة

وفيها كتبت قريش الصحيفة بينها وبين بني هاشم.

واختلفوا في سببه على أقوال:

أحدها: أنه لما أسلم حمزة وعمر ﵄ شق ذلك على كفار قريش، واتفقوا على أن يكتبوا كتاباً يتعاهدون فيه ويتعاقدون، أنهم لا ينكحون إلى بني هاشم وبني المطلب، ولا يبايعونهم ولا يكلمونهم.

والثاني: أنه لما بلغ قريشاً فعل النجاشي بجعفر وأصحابه، وإكرامه إياهم، وردّه عَمْراً وصاحبه خائِبَيْنِ، شق ذلك عليهم، وكتبوا الصحيفة.

والثالث: أنه لما فَشا الإسلام في القبائل، كتبوا الصحيفة، والذي كتبها منصور بن عكرمة بن [عامر بن] هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فشلَّت يده، وقيل: كتبها بغيض ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار[١] فيبست يده حين كتبها، وبقيت أياماً عند أم الجُلاسِ خالة أبي جهل، وهي التي يقال لها: الحنظلية، وقيل: بل كانت عند أسماء بنت مُخَرِّبة أم أبي جهل، ثم أخذها المطعم بن عدي فأقامت عنده أياماً، ثم علقوها في الكعبة، ولما رأت بنو هاشم ذلك انحازوا إلى الشِّعب المعروف بِشِعْب بني هاشم بمكة، ودخل معهم بنو المطلب، ولم يتخلف عنهم سوى أبي لهب، فأقاموا إلى السنة العاشرة من النبوة[٢].

قال ابن عباس ﵁: حصرونا في الشِّعب، وقطعوا عنا الميرةَ والمادة حتى كان صبياننا يتضاغَوْن جوعاً، يُسْمَعُ ذلك من وراء الشعب حتى مات منا قوم.

وحكى الطبري: أن أبا جهل بن هشام لقي حكيمَ بن حزام ومعه غلام يحمل حِنْطةَ، وما كان يُحْمل إليهم شيءٌ إلا سرّاً من قريش، وكان حكيم يريد بالطعام عمته

---

(١) وهو كذلك في «نسب قريش» ص٢٥٤ ، و«جمهرة النسب» ص٦٦ .

(٢) انظر «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣ ، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٧ .

خديجة رضي الله عنها وهي عند رسول الله ﷺ بالشِّعب، فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟! والله لا أبرح حتى أفضحك بمكة. فجاء أبو البَخْتَري فقال له: خل عن هذا الرجل، فأبى أبو جهل. فضربه أبو البختري بِلَحْيِ جمل فشج أبا جهل، ووطئه وطئاً شديداً، ورسول الله ﷺ يرى ذلك، ويدعو إلى الله سراً وجهراً، وليلاً ونهاراً، والوحي يأتيه من الله ولم ينقطع عنه في الشعب.

وفيها: قُبَيْلَ دخولهم الشِّعب وصل الخبر بغلبة فارس على الروم.

قال علماء السير: عزم كسرى على غزو الروم، فاستشار امرأة عاقلة من فارس كانت تلد الملوك، فقالت: هذا فَرُّخان، أحذر من صقر، وأروغ من ثعلب، وأنفذ من سنان، وهذا أخوه شهريار أحلم أهل زمانه، فقال: ما أريد إلا الحلم. فقدَّم شهريار على الجيوش، فأوغل في بلاد الروم قتلاً وأسراً، وهدم الحصون، وقطع الأشجار، وعاد إلى الشام، فأرسل إليه قيصر رجلاً من بطارقته يقال له: يُحنَّس، فالتقيا بأَذْرِعات وبصرى، وهي أَدْنى أرض الشام إلى أرض العرب فغلبت فارسُ الروم، وبلغ الخبر إلى كسرى، ثم إلى مكة فشقَّ ذلك على النبي ﷺ والصحابة، وكان يكره ظهور الفرس، لأنهم مجوس لا كتاب لهم، والروم لهم كتاب. وفرح كفار قريش بذلك، لأنَّهم عبدة الأوثان مثل الفرس، وقالوا للمسلمين: قد ظهر إخواننا، فلو قاتلناكم لظهرنا عليكم. فأنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾[الروم: ١-٣] الآيات، فخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى الكفار وهو يقول لهم: فرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا، لا تفرحوا فوالله لتظهرَنَّ الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ. فقام إليه أُبيُّ بن خَلَف الجُمَحي، فقال: كذبت يا أبا الفضيل. فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدو الله. فقال: اجعل بيننا أجلاً أُناحِبُك عليه ـ والمناحبة: المراهنة ـ، على عشر قلائصَ منِّي وعشر منك، فإن ظهرت الروم على فارس، غَرِمت. ففعلا ذلك، وجعلا الرهن ثلاث سنين، وذلك قبل تحريم القمار.

وأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ بذلك، فقال رسول الله ﷺ: «ما هَكذا ذُكِرَتْ، إنَّما البِضْعُ: ما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسعِ. فَزايِدْه في الخَطر، ومادَّه في الأجَل» فخرج أبو بكر رضي الله عنه فلقي أُبيًّا، فقال: لعلك ندمت؟ قال: لا. فقال: تعال أزايدك وأمادَّك في

الأجل فنجعلها مئة قلوص إلى تسع سنين، فقال: قد فعلت. فلما خشي أُبيٌّ أن يخرج أبو بكر رضي الله عنه من مكة، فقال: أقم لي كفيلاً. فكفله ابنه عبد الله - رضي الله عنهما -، فلما أراد أُبي أن يخرج إلى أُحُد، أتاه عبدالله بن أبي بكر - رضي الله عنهما -، فقال له: أقم لي كفيلاً. فأعطاه، ثم رجع أُبي مجروحاً، فمات من جراحته بمكة. وكان رسول الله ﷺ جرحه، ثم ظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس تسع سنين من مناحبتهما، وهذا قول عامة المفسرين[١].

وقال أبو سعيد الخدري: إنما ظهرت الروم على فارس يوم بدر[٢].

وقال الشعبي: إنما كان صاحب قمار الكفار بمكة أبي بن خلف، وصاحب قمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه، وذلك قبل تحريم القمار، فلم تمض تلك المدة حتى غلبت الرومُ فارس، وربطوا خيولهم بالمدائن، وعَمَروا روميَّةَ، فقمر أبو بكر رضي الله عنه أُبيًّا، وأخذ مال الخطر من ورثة أُبيٍّ، فجاء به رسولَ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «تَصَدَّق بهِ»[٣].

ذكر السبب في ظهور الروم على فارس:

ذكر علماء السير: أن شَهريار لما هزم الروم على أذرعات، سار خلفهم فأناخ على خليج القُسطنطينية، وكان أخوه فَرُّخان في جملة الجيش، فسكر يوماً، فقال: رأيت في المنام كأني جالس على سرير كسرى. وبلغ كسرى، فكتب إلى شهريار: ابعث إليَّ رأس فرخان. فكتم ذلك على أخيه، وكتب إلى كسرى: إذا قتلت فرخان، فمن للنكاية في العدو، ومن للحرب. فكتب إليه كسرى: إن في رجال فارس خَلَفاً عنه، فعجِّلْ عليَّ برأسه. فكتب إليه شهريار: إنك لا تجد مثله، فلا تعجل على قتله. فغضب كسرى ولم يجبه، وكتب كتاباً إلى الجيش: إني قد نزعت عنكم شهريار، ووليت عليكم فرخان، ثم دفع إلى الرسول صحيفة صغيرة إلى فرخان يأمره بقتل أخيه شهريار، وقال: إذا

(١) ساق القصة ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٢٤ - ٤٢٥، وانظر «تاريخ الطبري» ٢/ ١٨٥، و«دلائل النبوة» ٢/ ٣٣٠، و«المنتظم» ٢/ ٣١٩ و ٣٨٧.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٣٥).

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٤٨٠، وعزاه إلى أبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه.

جلس فرخان على السرير، وأطاعه الجند، فناوله إياها. فلما قرأ كتاب كسرى على الجيش، قال شهريار: سمعاً وطاعة، ونزل عن السرير، وسلم الأمر إلى فرخان، فدفع إليه الرسول الصحيفة، فقال: علي بشهريار، فجاء فأمر بقتله. فقال له: يا أخي، لا تعجل، ودعا بسفطٍ وأخرج منه ثلاث صحائف من كسرى إليه بقتل فرخان، ثم قال: قد راجعت فيك مراراً ولم أقتلك، وأردت أن تقتلني بكتاب واحد. فنزل فرخان من السرير، وسلم الملك إليه.

وكتب شهريار إلى قيصر: إن لي حاجة لا تُقِلُّها البُرُدُ، ولا تحملها الصحف، فالقني في خمسين فارساً. وخرج شهريار في خمسين فارساً وضُرِبَت لهما قُبَّةٌ، فدخلاها وبينهما تَرْجُمان، فقال شهريار: إن الذي أخرب مدائنك، وسبى رعيتك، ودوخ بلادك، أنا وأخي، وإن الخبيث كسرى حسدنا، وأغرى بيننا، وعرَّفه الخبر، ونحن نقاتله معك، ونملِّكُك داره وملكه، فَسِرْ معنا. فقال: أصبتما، ثم أشار كل واحد منهما إلى صاحبه بأن السر متى جاوز اثنين شاع.

فقتلا التَّرْجُمان، وساروا جميعاً نحو المدائن يخربون أرض فارس ويقتلون. ومات كسرى، وأُديلت الروم على فارس، وجاء الخبر يوم الحديبية إلى رسول الله ﷺ، ففرح ومن معه، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ ، غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ الآيات[1].

وقرأ أبو عمرو، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: «غَلَبَتِ الروم» بفتح الغَيْن، و«سَيَغْلُبون» بضم اللام[2] وفتح الياء.

قالوا: نزلت هذه الآية حين أخبر الله نبيه ﷺ عن غلبة الرومِ فارسَ، وأن المسلمين يغلبونهم في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة، أخذ المسلمون في التأهب لجهاد الروم، وكان أبو الدرداء يقول: سيأتي قوم يقرأون: «غَلَبت الروم» بالفتح، وإنما هي: ﴿غُلِبَتِ﴾ بالضم، ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ يعني من قبل دولة الروم على فارس، ومن بعدها[3].

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ١٨٢ فما بعدها، و«المنتظم» ٢/ ٣١٩-٣٢٠.

(٢) في (ك): «الباء»، وانظر تفسير الطبري ١٨/ ٤٤٦، والبحر المحيط ٧/ ١٦١.

(٣) جاء بعدها في (خ): «يعني من قبل ذلك».

قال يحيى بن أبي عمرو السِّيباني، قال رسول الله ﷺ: «فارسُ نَطْحةٌ أو نَطْحتَان، ثم لا فارسَ بعدَها أَبَداً، والرُّومُ ذاتُ القرونِ، كلَّما ذَهَب قَرْن خَلَفَه قَرْن هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ إلى آخر الأبد»(١).

وفيها: قدم ضِماد الأَزْدي مكة. قال ابن عباس ﵄: قدم ضماد مكة، وكان من أَزْدِ شَنوءة، وكان يرقي من الريح، فسمع سفهاء قريش يقولون: إن محمداً لمجنون، فقال: لو أني لقيت هذا الرجل فلعل الله أن يشفيه على يدي، قال: فلقيته. فقلت: يا محمد، إني أرقي من الريح والله يشفي على يدي من يشاء، فهل لك؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «الحمدُ لله نَحمدُه ونَستَعينُه، مَن يَهْدي اللهُ فَلا مُضِلَّ لَه، ومَن يُضلِلْ فَلا هادِيَ لَه، وأَشْهدُ أنْ لا إلَه إلَّا اللهُ وأنَّ محمداً عبدُه ورسُوله، أما بعدُ». فقال له ضِماد: أعد علي ما قلت ـ أو أعد علي كلماتك هؤلاء ـ فأعادهن عليه ثلاثاً. فقال ضماد: لقد سمعت كلام الكهان والسحرة والشعراء فما سمعت مثل كلماتك هذه، لقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «وعَلى قَومِكَ»؟ فقال: وعلى قومي. فبعث رسول الله ﷺ بعد ذلك سرية، فمرت بقوم ضِماد، فقال صاحب الجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل: أصبت منهم إداوة. فقال: اردُدْها، فإن هؤلاء قوم ضِماد(٢).

ولما دخلت السنة التاسعة من النبوة، مرض أبو طالب وهم في الشعب.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٥/ ٢٩٨ ، ونعيم بن حماد في «الفتن»(١٣٤٦)، وهو مرسل بين السيباني والنبي ﷺ عبدالله بن محيريز.

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٨).

السنة العاشرة من النبوة

فيها خرج بنو هاشم من الشِّعب، واختلفوا في سبب خروجهم على أقوال:

أحدها: أن هشام بن عمرو بن الحارث من بني عامر بن لؤي، وكان أَوْصَلَ قُريش لبني هاشم حين كانوا في الشعب، كان يأتي بالبعير قد أَوْقَره طعاماً في الليل، فإذا جاء إلى الشِّعب، خلع خِطامه وضَربه على جنبيه، فيدخل الشعب، وعلمت به قريش فنهته فلم ينته، فقال أبو سفيان بن حرب: دعوه فإنه رجل وَصل رحمه، أما والله لو فعلنا ما فعل لكان أجمل بنا.

فمشى هشام إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، وكانت أمه: عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وتلبس الثياب، [وأَخْوالك حيث قد علمتَ لا يُبايَعون]، ولا يناكحون، أما تستحي؟ فقال: ويحك، ما أصنع وأنا رجل واحد، أما والله لو كان معي رجل آخر، لقمت في نقضها. فقال: قد وجدته، قال: ومن هو؟ قال: أنا. قال: فابغنا ثالثاً. قال: أبو البَخْتَري بن هشام، قال: ابغنا رابعاً، قال زَمْعَة بن الأسود: قال: فابغنا خامساً، قال المُطْعِم بن عدي: قال: فاجتمعوا عند الحجُون، وتعاهدوا على القيام بنقض الصحيفة، قال زهير: أنا أبدأ بها، فجاوزوا إلى الكعبة وقريش مُحدِقة، فطاف زهير بالبيت سبعاً، ثم نادى: يا أهل مكة، إنَّا نأكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى، والله لا أقعد حتى نشق هذه الصحيفةَ القاطعة، فقال له أبو جهل: كذبت لا تُشَقُّ والله. فقال زَمْعَة بن الأسود: أنت والله أكذب، مارضينا حين كُتِبت. وقال أبو البَخْتَري: صدق زَمْعَة، لا نرضى ما كتب فيها، فقال المُطْعِم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك. فقال هشام بن عمرو: نتبرَّأ إلى الله منها، ومما كتب فيها.

فقال أبو جهل: هذا أمر قُضي بليلٍ وتُشوورَ فيه. وقام المُطْعِم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأَرَضة قد أكلت ما فيها من الظلم، ولم يبق إلا «باسمك اللهم»[(١)].

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/١٧-١٨، و«تاريخ الطبري» ٢/٣٤١، و«المنتظم» ٣/٤-٥، وما بين معكوفين منها.

فقال أبو طالب[(١)]: [من الطويل]

جزى الله رَهْطاً بالحَجون تَبايَعوا على مَلأٍ يهدي لحَزْم ويُرْشِدُ
أعان عليها كلُّ صقر كأنَّه إذا ما مشى في رَفْرفِ الدِّرعِ أحْرَدُ
قُعوداً لدى جنب الحَجون كأنَّهم مَقاولةٌ بل هم أَعزُّ وأمْجَدُ

قال: وأسلم هشام بن عمرو يوم الفتح.

والثاني: أن الله بعث الأَرَضَةَ فأكلت ما في الصحيفة من الجَوْر والظلم، وأبقت ما فيها من قوله: «باسمك اللهمَّ»، فأخبر رسول الله ﷺ أبا طالب، فقال: أحقاً ما تقول يا ابن أخي؟ فقال: نعم، أخبرني بذلك ربي. فأخبر أبو طالب أخوته وقال: والله ما كذبني قط. قالوا: فما ترى؟ قال: أرى أن نخرج إلى قريش فنخبرهم بذلك قبل أن يصلهم الخبر. فخرجوا من الشعب، فدخلوا المسجد، فلما رأتهم قريش، أنكروا ذلك، فناداهم أبو طالب: إنَّا قد جئناكم في أمر، فأجيبوا عنه، قالوا: وما هو؟ قال: أَخبرني ابن أخي، ولم يكذبني قط: أن الأَرَضَة قد أكلت ما فيها من الظلم والجور وقطيعة الرحم، ولم تتعرض لما كان من اسم الله تعالى، فإن كان ابن أخي صادقاً، فكفوا عنا، وإن كان كاذباً، دفعناه إليكم. فقالوا قد أنصفت، وجاؤوا بالصحيفة فلما فتحوها، وجدوا الأمر كما قال رسول الله ﷺ، فَسُقط في أيديهم، ونكَّسوا رؤوسهم. فقال لهم أبو طالب: هل تَبيَّن لكم ظلمكم وجَوْرُكم؟ فلم يجبه أحد، وانصرفوا. فلم يتعرض أحد بعدها لبني هاشم[(٢)].

والثالث: أن المُطْعِم بن عدي شرب ليلة فانتشى، فقال: من مثلي؟ فقال له عدي ابن قيس التميمي أو عتبة بن ربيعة: إن كنت كما تقول، فما بالُ بني عمك يموتون في الشِّعب جوعاً؟ فقام، فلبس سِلاحه، ولبس معه أبو البَخْتَري، وزهير بن أبي أمية، وهشام بن عمرو، ومَنْ سَمَّيْنا، وجاءوا إلى الشعب، وصاحوا بهم: اخرجوا على رغم

(١) الأبيات في «السيرة» ٢/ ٢٠، من ضمن أبيات.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٨-١٧٩، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٣١٢، و«المنتظم» ٣/ ٣-٤.

قريش، فقال أبو طالب: إنا نخاف. فقال المطعم[١]: لا خوف عليكم بعد اليوم. فخرجوا.

وأقاموا في الشعب ثلاث سنين، وقيل: سنتين وأشهراً.

وفيها: خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النُّصرة والمَنَعَةَ له من قومه.

قال جُبير بن مُطعم: لما توفي أبو طالب، تناولت قريش رسول الله ﷺ، فخرج إلى الطائف في آخر شوال من هذه السنة، ومعه زيد بن حارثة[٢].

قال البلاذري: خرج لثلاث بقين من شوال سنة عشر من النبوة، وعاد إلى مكة يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة[٣].

وقيل: أقام عشرة أيام[٤]. والأول أصح.

قال الواقدي: لم يَدَعْ أحداً من أشرافهم إلا كَلَّمه، فلم يجبه أحد منهم، وخافوا على أَحداثهم منه، فقالوا له: اخرج عنا. وأغْرَوْا به سُفهاءهم، فرَمَوْهُ بالحجارة حتى أَدْمَوْه، وزيد بن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه، حتى لقد شج في رأسه شجاجاً كثيرة[٥].

وقال كعب الأحبار[٦]: اجتمع النبي ﷺ بالطائف بسادات ثقيف وهم ثلاثة أخوة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، أولاد عمرو بن عُمَير الثقفي، فدعاهم إلى الله تعالى، والقيام معه على إظهار الإسلام ومن خالفه من قومه، فقال له عبد يَالِيْل: هو يَمْرُطُ ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال مسعود: أما وجد الله من يرسله غيرك؟ وقال له حبيب: إن كنت رسولاً كما تزعم، فلأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك، وإن كنت

(١) في النسخ: أبو المطعم. انظر «أنساب الأشراف» ١/ ٢٧٢.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٠، و«المنتظم» ٣/ ١٢.
(٣) أنساب الأشراف» ١/ ٢٧٣.
(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٠، و«المنتظم» ٣/ ١٢.
(٥) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٠.
(٦) هكذا جاء في النسخ، والصواب: «محمد بن كعب القرظي» كما في المصادر.

كاذباً على الله، فما ينبغي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ وقد يئس من خير ثقيف، وأغْرَوا به عبيدَهم وصبيانَهم يسبُّونه ويصيحون عليه حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعتبة وأخيه شيبة ابني ربيعة وهما فيه، فعمد إلى ظل حُبْلَةٍ، فجلس في ظلها وشيبة وعتبة ينظران إليه، ويريان ما يلقى من سفهاء ثقيف، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «اللَّهم إنِّي أَشْكُو إليكَ ضعفي وقِلَّة حِيلَتي وهَوَاني على النَّاس، [يا أرحم الرَّاحِمين، أنتَ ربُّ المُستَضعفين، وأنت ربِّي] فإلى مَن تكِلُني، [إلى بَعيد يَتَجَهَّمني أم إلى عدوٍّ ملّكته أَمري] فإنْ لَم يَكُن منكَ عليَّ غضبٌ فلا أبالي [ولكن عافيتك هي أوسع لي]، أعوذ بنور وجهكَ الذي أشرقَت له السماواتُ، وأضاءت به الظلماتُ، وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أَنْ يَنْزِلَ بي غَضَبُك، أو يَحِلَّ عليّ سَخَطُك، [لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك]» وهو ﷺ يبكي، فلما رأى ابنا ربيعة ذلك، تحركت له رَحِمُهما، فَدَعَوا غلاماً لهما يقال له: عَدَّاس، نصرانياً، فقالا: خذ قِطْفاً من العنب فضعه في طبق، واذهب به إلى ذلك القاعد، فضَعْه بين يديه، ففعل ذلك عَدّاس، فمد رسول الله ﷺ يده وقال: «بسمِ الله». وسمعه عدَّاس، فنظر إليه وقال: والله إن هذا كلامٌ ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «فمن أنت، وما دينُك؟» قال: نصراني، من أهل نينوى. قال: «من قَريةِ العَبدِ الصَّالح يُونُس بنِ مَتَّى» قال: نعم وما يدريك ما يونس؟ فقال: «ذاك أخي، كان نبيًّا، وأنا نبيٌّ». فأكبَّ عدَّاسٌ يقبّل يديه ورجليه، فقال عتبة لأخيه شيبة: أفسد عليك غلامك. فلما جاءهما، قالا له: ويحك، ما هذا؟ فقال: والله ما في الأرض رجل خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا الله أو نبي. فقالا: ويلك، لا يصرفك عن دينك، فدينك خير من دينه[(١)].

قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٤٧-٤٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٤٤، و«المنتظم» ٣/ ١٣-١٥، وما بين معقوفتين زيادة من المصادر.

فقال: «يوم عَرَضتُ نَفسِي على عبدِ ياليْل بنِ عبد كُلَال عند العَقَبة، فلَم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطَلَقتُ وأنا مَهْمومٌ على وَجْهي، فلَم أسْتَفِق إلّا وأنَا بقَرْنِ الثَّعالبِ، فرفعتُ رَأْسِي وإذا بسَحَابةٍ قد أَظَلَّتني وفيها جبريلُ، فَنَاداني: يا محمدُ، إنَّ الله قد سَمِع قولَ قَومِكَ لك، وما رَدُّوا علَيك، وقد بَعَثَ إليكَ مَلَك الجِبالِ لتَأْمُره بما شِئْتَ فيهم. قال: فَسَلَّم عليَّ، وقال لي: إنْ شِئْتَ أطبقتُ عليهمُ الأَخْشَبَيْن. فقلت: بَل أرجو أن يَخرجَ مِن أصْلابِهم مَن يعبدُ اللهَ وَحْدَه، ولا يُشرِكُ به شَيئاً». أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

ولما عاد رسول الله ﷺ من الطائف، أقام بنخلةَ أيَّاماً، فمر به نفر من الجن وهو يصلي الفجر، فوقفوا فاستمعوا لقراءته، ثم ولوا إلى قومهم منذرين، وأنزل الله سورة الجن[(٢)].

وأول من تعوَّذ بالعرب من الجن قوم من اليمن، ثم بنو حنيفة، وفشا ذلك في العرب، كان إذا أمسى قوم في بريّة، يقولون: نَعوذ بسيِّد هذا الوادي من شرِّ سُفهاء قومه، فيبيتون في أمنٍ وجِوار.

[عن كَرْدَم بن أبي السَّائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي] في حاجة وذلك في أول ما ذُكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فجاء ذئب فأخذ شاة أو حَمَلاً من الغَنَم، فوثب الراعي وقال: يا راعي الوادي، جارك، فنادى منادٍ لا نراه: يا سِرْحان، أرسله. فأتى الحَمَلُ يشتد حتى دخل الغنم، ولم يُصِبْهُ شيء[(٣)].

ذكر رجوع رسول الله ﷺ:

لما عزم رسول الله ﷺ على الدخول إلى مكة، قال له زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ: كيف تدخل على القوم بغير جوار، وقد أخرجوك، فأرسِل إلى من شئت فادخل في جواره. فمر به رجل من أهل مكة، فقال له رسول الله ﷺ: هل أنت مُبلِّغٌ عني رسالة؟ قال:

(١) صحيح البخاري (٣٢٣١)، و صحيح مسلم (١٧٩٥).

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٤٩ .

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ (٤٣٠)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٢٩ وقال: وفيه عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. ومابين معكوفتين زيادة من معجم الطبراني.

نعم. قال: اِئت الأخنس بن شَريق، فقل له: يقول لك محمد بن عبدالله: هل أنت مُجيري حتى أُبَلِّغَ رسالاتِ ربي؟ فأتى الأَخْنس فأخبره، فقال له: قل له: إن الحليف لا يجير على الصريح. فأتى النبي ﷺ فأخبره. فقال له: اِئْت سهيل بن عمرو، فقل له كذلك، فأتاه فقال سُهيل: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب، فقال: فائت المُطعم بن عدي، فأتاه، فقال: قل له قد أجرته، فليدخل. وأصبح المُطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه وقومه، ودخلوا المسجد، فقال له أبو جهل: أمجير أم متابع؟ فقال: بل مجير. فقال: أجرنا من أجرت. ودخل رسول الله ﷺ المسجد، ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فطاف بالبيت، وصلى ركعتين، واستلم الركن، ونادى المطعم: يا معاشر قريش، قد أجرتُ محمداً. ثم طاف حوله هو وقومه وأهله حتى دخل النبي ﷺ [وكان النبي ﷺ] يرى ذلك للمطعم بن عدي وقومه، وأقام في جوار المطعم يبلغ رسالات ربه(١).



وفيها: تزوج رسول الله ﷺ بعائشة وسودة رضي الله عنهما بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

قال أبو سلمة: لما هَلكت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مَظْعون رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يارسول الله، ألا تتزوج؟ فقال: «مَن»؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً. قال: «فَمَنِ البِكْرُ»؟ قالت: بنت أبي بكر، أحب خلق الله إليك، وأما الثيب فَسَوْدة بنت زَمْعَة آمنت بك، واتَّبعتك على ما تقول. قال: «فَاذْهَبي فَاذْكُريهما عَليَّ». قالت: فدخلت بيت أبي بكر، فقلت: يا أم رُومان، ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير؟ قالت: وما ذاك؟ قلت: أرسلني إليكم رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. فقالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي. فجاء أبو بكر فأخبرته، فقال: وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه؟ قالت: فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: «هو أخي في الإسلامِ، وابنته تحلُّ لي». قالت: فأخبرت أبا بكر، فقال: انتظريني، وخرج ـ وكان المطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، وما وعد أبو بكر أحداً فأخلفه ـ فدخل على

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨١، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٤٧، و«المنتظم» ٣/ ١٥. ومابين معقوفين زيادة يقتضيها السياق، وانظر «أنساب الأشراف» ١/ ٢٧٣.

المطعم وعنده امرأته أم الفتى، فقالت له: يا ابن أبي قحافة، لعلك مُصْبئٌ صاحبنا ومُدْخِلُه في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك. فقال أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: أبقول هذه تقول؟ قال: إنها تقول ذاك. فخرج من عنده وقد أذهب الله من نفسه عِدَتَهُ التي وعده بها، وقال لخولة: ادع لي رسول الله ﷺ فدعته. فزوجها منه وعائشة رضي الله عنها يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت خولةُ، فدخلت على سَوْدَةَ، فقالت لها: إن رسول الله ﷺ يخطبك، فقالت: ادخلي على أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فاذكري له ذلك، فدخلت عليه فحيَّته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ قالوا: خولة بنت حكيم. قال: فما شأنُك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبدالله أخطب عليه سودة. فقال: كفؤ كريم، فما قالت صاحبتُكِ؟ قالت: قد أجابت إلى ذلك. فقال: ادعيها إلي، فدعتها. فقال: يا بنية أتحبين ما قالت خولة؟ قالت: نعم قال: فاذهبي، فادعيه لي. قالت: فدعوت رسول الله ﷺ فجاء، فزوجه إياها.

قالت خولة: وكان أخوها عبد الله بن زَمْعَة حاجّاً، فقدم فحثا التراب على رأسه، فقال بعد أن أسلم: إني لسفيه أحثي التراب على رأسي أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة(١).



وفيها: قدم مكة سويد بن الصامت، وكانوا يسمونه: الكامل، لشرفه وحسبه وفضله. وهو القائل: [من الطويل]

أَلا رُبَّ من يُدعى صديقاً ولو ترى ... مقالته بالغيب ساءك ما يفري
يسرُّك باديه وتَحْتَ أديمه ... نميمةُ غِشٍّ تبتري عَقِبَ الظهر
تُبينُ لك العينانِ ما هو كاتمٌ ... وتُبْديهِ بالبغضاءِ والنظر الشَّزرِ
فَرِشْني بخير طالما قد بَرَيتني ... فخير الموالي من يريش ولا يبري(٢)

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٧٦٩).
(٢) فَرِشْني: قوِّني، بريتني: أضعفتني.

فتصدى له رسول الله ﷺ، ودعاه إلى الله. قال سويد: لعل الذي معك مثلُ الذي معي. فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك ـ وكان فصيحاً ـ؟ فقال: معي مجلَّةُ لقمان ـ يعني حكمته ـ، وعرضها على رسول الله ﷺ، فقال: كلام حسن ولكن معي أفضل منه، قال: وماهو؟ قال: قرآن أنزله الله عليَّ، هُدى ونورٌ، وقرأ عليه منه، ودعاه إلى الله، فلم يبعد عنه، وقال: إن هذا لحسن. ثم انصرف إلى المدينة، فقتلته الخزرج في هذه السنة، وقيل: في يوم بُعاث(١).

وفيها: قدم قيس بن مالك الهمداني مكة، فلقي رسول الله ﷺ، فقال: إنما جئت لأؤمن بك ولأَنْصُرَك، فقال له رسول الله ﷺ: «مَرْحَباً بكَ، أَتَأْخُذوني بما فِيَّ يا مَعاشِرَ هَمْدان؟» قال: نعم. قال: «فَاذْهَب إلى قَوْمِك، فإنْ فَعَلُوا، فَارْجِع إليَّ». فذهب قيس إلى قومه وأخبرهم الخبر، فأسلموا وقالوا: اذهب إلى رسول الله ﷺ وعرفه ذلك، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله، قد أسلموا وأمروني أن آخذك. فقال رسول الله ﷺ: «نِعْم وافدُ القومِ قَيْسٌ، وَفَّيتَ وفَّى الله لك» ومسح على ناصيته وكتب له عهده على همدان(٢).

فصل وفيها توفيت

خديجة بنت خويلد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، وكانت تُدْعى في الجاهلية: الطاهرة، وسيدة نساء قريش، وتكنى: أم هند، وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وأم فاطمة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن سعد، وأم هالة: العَرِقة وهي قلابة بنت سعيد بن تميم بن لؤي بن غالب، وأمها: عاتكة بنت عبد العزى بن قصي، وأم عاتكة: الخُطَيَّا وهي رَيْطَةُ بنت كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة، وأمها: نائلة بنت حُذافة بن جُمَح.

نبذة من فضائلها:

كان رسول الله ﷺ يحترمها ويكرمها ويوادها، ويشاورها في أموره كلها، وكانت

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٢-٥٣، و«تاريخ اليعقوبي» ٢/ ٣٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٥١.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٩٣-٢٩٤.

وزيرة صدوق[١]، صاحبة عزم.

سئل الزهري: أنفقت خديجة على رسول الله ﷺ أربعين ألفاً؟ فقال: وأربعين ألفاً وكررها.

وقال علي عليه السلام: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَيْرُ نِسائِها مَرْيَمُ بنتُ عِمْرانَ، وخَيْرُ نِسائِها خَدِيْجَةُ بنتُ خُوَيْلِد». متفق عليه[٢]. أراد بالأول: نساء بني إسرائيل، وبالثاني: نساء هذه الأمة.

وفي المتفق عليه: عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله ابن أبي أوفى: أكان رسول الله ﷺ بَشَّر خديجة ببيت في الجنة؟ قال: نعم، بَشَّرها ببيتٍ في الجنة من قَصَب لا صَخَب فيه ولا نَصَب[٣].

وفي المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ من أحدٍ من نِسَاءِ رسول الله ﷺ مثلَ ما غِرْتُ من خَديجَةَ، وما رأيتُها قطُّ، وتَزَوجني بعد مَوْتِها بثلاثِ سِنينَ، ولقد كانَ رسول الله ﷺ يُكْثِرُ ذكرها، وربما ذَبح الشَّاة فَقَطعَها أعضاءً، ثم يَبْعَثُ بها إلى صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنَّها كانت وكانت وكان لي منها وَلَدٌ»[٤].

وفي المتفق عليه: أن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يوماً: خُدَيِّجة ـ بالتصغير ـ فَزَجَرني وقال: «إنِّي رُزِقْتُ حُبَّها» فَأَذْكَرتني الغَيرةُ، فقلت: وهل كانت إلا عجوزاً قد أَخْلفَ الله لك خيراً منها، فغَضِبَ حتى اهْتَزَّ مقدَّمُ شَعرِه، وقال: «والله ما أَخْلَفَ لي خيراً منها، لَقَد آمَنَتْ بي إذْ كَفَر النَّاسُ، وصدَّقَتني إذْ كَذَّبني الناسُ، وآستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء». قالت: فقلت في نفسي: والله لا أذكرها أبداً[٥].

---

(١) في (خ): «وكانت صدوقة».

(٢) صحيح البخاري (٣٤٣٢)، وصحيح مسلم (٢٤٣٠).

(٣) صحيح البخاري (٣٨١٩)، و صحيح مسلم (٢٤٣٣).

(٤) صحيح البخاري (٣٨١٨)، وصحيح مسلم (٢٤٣٥).

(٥) قوله ﷺ: «إني رزقت حبها» أخرجه مسلم (٢٤٣٥)(٧٥) ولم يخرجه البخاري، وقول عائشة: وهل كانت =

وفي المتفق عليه: عن عائشة ﵂ قالت: استأْذَنَت على رسول الله ﷺ يوماً هالةُ أختُ خديجةَ، فارتاع لذلك، وقال: «اللهمَّ هالة بنت خُوَيْلِد» قالت: فغرت وقلت: ما تذكر من عجوز حَمراءِ الشِّدقَيْن، هَلَكت في الدَّهر، فزجرني[(١)]. وذكر بمعنى ما تقدم.

ذكر وفاتها ﵂:

اتفقوا على أنها توفيت في هذه السنة بعد وفاة أبي طالب.

قال الواقدي: عاشت بعده ثلاثة أيام.

وقال ابن إسحاق: شهراً وخمسة أيام.

وقال الهيثم: خمسة وخمسين يوماً، ولما توفيت كان لها خمس وستون سنة.

وقال البخاري: ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها، ولم تكن سُنَّت الجنازة يومئذ، ولا فرضت الصلوات الخمس، ودفنت بالحَجُون[(٢)].

ذكر أولادها:

وهما قسمان من غير رسول الله ﷺ ومن رسول الله ﷺ فأما من غير رسول الله ﷺ فمنهم: هند وهالة.

وقال بعضهم: هما ذَكَران، وقال بعضهم: ذكر وأنثى، وهي: هند، وكانت تسمى ربيبة رسول الله ﷺ، وكانت تقول: أنا أكرم الناس أباً وأماً وأختاً وأخاً، وأبي رسول الله ﷺ، وأمي خديجة، وأختي فاطمة، وأخي القاسم.

أما أولادها من رسول الله ﷺ: القاسم وبه كان يكنى، مات قبل النبوة، وحزن عليه رسول الله ﷺ، ثم عبدالله، ولقبه الطاهر، ثم الطيب، وقيل: إنهما ولدا بعد

= إلا عجوزاً.. أخرجه البخاري ومسلم كما سيأتي في تخريج الحديث الآتي، وأخرج أحمد في «مسنده» (٢٤٨٦٤) عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدق قد أبدلك الله بها خيراً منها.. وذكر تمام الحديث، وانظر «الجمع بين الصحيحين»(٣٢٢٣).

(١) صحيح البخاري (٣٨٢١)، وصحيح مسلم (٢٤٣٧).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ١٩ ، و« مستدرك الحاكم » ٣/ ١٨٢ .

النبوة، وقيل: المُطَيَّب والمُطَهَّر.

وكانت تعق عن الغلام بشاتين، وعن الجارية بشاة.

والحاصل: أن في القاسم وعبدالله اتفاقاً، وفي الباقي خلاف(١).

فأما الإناث: فزينب، ورُقيّة، وأم كُلثوم، وفاطمة عليهن السلام.

وقد روت خديجة رضي الله عنها الحديث عن النبي ﷺ.

وفيها توفي

أبو طالب

قال ابن المسيب عن أبيه: لما احتضر أبو طالب، أتاه رسول الله ﷺ فوجد عند رأسه عبدالله بن أبي أمية، وأبا جهل بن هشام، فقال: «يا عَمِّ، قُل كلمةً أشهدُ لك بها عند الله غداً، قل لا إله إلَّا اللهُ». فقال له عبد الله وأبو جهل: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطلب. فلم يزل رسول الله ﷺ يردد عليه، وهما يرددان عليه، حتى كان آخر كلمة قالها: أنا على ملَّة عبد المطلب ومات. فقال رسول الله ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أُنْه عنك، فاستغفر له رسول الله ﷺ بعد موته وجعل المسلمون يستغفرون لموتاهم، حتى نزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ﴾(٢) [التوبة: ١١٣].

وقال الواقدي: دعا أبو طالب بني عبد مناف، وبني المطلب، وبني هاشم عند وفاته، وقال: لن تزالوا بخير ماسمعتم من ابن أخي محمد، فاتبعوه، وأعينوه ترشدوا. فقال له رسول الله ﷺ: «أَتَأْمُرُهم بها، وتَدَعُها أَنتَ يَاعَمِّ»؟ فقال: يا ابن أخي، أما

(١) قال ابن حجر في «الفتح» ٧/ ١٧٢: المتفق عليه من أولاده منها القاسم وبه كان يكنى، مات صغيراً قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة. وعبد الله ولد بعد المبعث فكان يقال له: الطاهر والطيب، ويقال: هما أخوان له، وماتت الذكور صغاراً باتفاق.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠).

إنك لو سألتنيها وأنا صحيح لتابعتك على ما تقول، ولكن أكره أن يقال: جزع عند الموت، فترى قريش أني أخذتُها جزَعاً، ورَدَدْتُها في صحتي. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] [القصص: ٥٦].

وقال الشيخ موفق الدين رضي الله عنه في «الأنساب»: قد كان أبو طالب يقر بنبوة رسول الله ﷺ، وجاء ذلك في أشعار له منها قوله: [من الطويل]

ألا أبْلِغا عنِّي على ذات بيننا ... لؤيًّا وخُصَّا من لؤي بني كَعْبِ
بأنَّا وَجدنا في الكتاب محمداً ... نبياً كموسى خُطَّ في أول الكُتْب
وأنَّ عليه في العِبَادِ محبَّةً ... ولا خير ممن خصَّه الله بالحُبّ

ومنها قوله أيضاً: [من الطويل]

تعلَّم خيار الناس أن محمداً ... وزير لموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهُدى مِثلَ الذي أتيا به ... فكلٌّ بأَمْرِ الله يَهدي ويعصِمُ
وأنَّكمُ تَتلُونَه في كتابكم ... بصدقِ حديث لا حديث المُترجَمِ
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ... فإن طريقَ الحق ليس بمُظْلِمِ

ولكنه أبى أن يدين بذلك خشية العار[2].

وقال إسحاق بن عبدالله بن الحارث: قال العباس: يا رسول الله، عمك أبو طالب قد كان يكلؤك ويحوطك، فقال: «غَفَر اللهُ له وَرَحِمَه» فقال العباس: وإنك لترجو له، فقال: «إي والله، إنِّي لَأَرْجُو له كلَّ الخير من ربِّي»[3].

قال علي عليه السلام: لما توفي أبو طالب، أتيت النبي ﷺ، فقلت: إن عمك قد مات، فقال: «اذْهَب فَوَارِه، ولا تُحْدِثْ حَدَثاً حتى تَأْتِيني». ففعلت، وأتيته فدعا لي بدعوات ما يسرني بها حُمْر النعم[4].

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٠١.

(٢) «التبيين في أنساب القرشيين»، ص١١٠-١١١، وانظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٤.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٠٣، وأحمد في «مسنده» (١٧٨٩).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٠٧)، وابن سعد ١/ ١٠٢.

وقال ابن عباس: عارض رسول الله ﷺ جنازَة أبي طالب، فلما مرت به، بكى وقال: «وَصَلَتْكَ رَحِمٌ يا عمِّ، وجَزَاك اللهُ خيراً»(١).

وقال ابن إسحاق: رثاه علي ـ عليه السلام ـ بأبيات منها(٢): [من الطويل]

أَرِقْتُ لطيرٍ آخِرَ الليلِ غرَّدا ... يذكِّرني شَجْواً عظيماً مجدَّدا
أبا طالبٍ مَأوى الصَّعاليك ذا النَّدى ... جوادٌ إذا ما أصدر الناسُ أوردا
فأمسَتْ قُريش يفرحون بموته ... ولستُ أرى حيًّا يكون مُخَلَّدا
أرادوا أموراً زيَّنتها حُلومُهم ... ستُورِدُهم يوماً من الغَيّ مَورِدا
يُرَجُّون تكذيبَ النبي وقتلَه ... وأن نفتَري قِدماً عليه ونَجْحدا
كَذَبتُم وبيتِ الله حتى نُذِيقَكم ... صدورَ العَوالي والحسامَ المهنَّدا
فإمَّا تُبيدونا وإما نُبيدُكم ... وإمَّا تَروْا سِلْمَ العشيرةِ أرشدا
وإلَّا فإن الحيَّ دون محمدٍ ... وأسرتِه خيرِ البريّةِ مَحْتِدا

قال الواقدي: أقام أبو طالب من سنة ثمان من مولد رسول الله ﷺ إلى السنة العاشرة من النبوة، ثلاثاً وأربعين سنة يحوطه، ويقوم بأمره، ويذبُّ عنه، ويلطف به، ويمنعه من الكفار(٣).

وقال عروة: ما زالوا كافِّين عن رسول الله ﷺ حتى مات أبو طالب ـ يعني قريشاً ـ(٤).

وقال الواقدي: أصاب أبا طالب يوم الفِجار سهم في قدمه، فكان يَخْمَعُ منه.

ذكر أولاده:

المشهور أنه كان له أربعة ذكور وأُنْثَيان.

فالذكور: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي رضي الله عنه، وبين كل واحد وواحد عشر

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ١/ ٢٦٠، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٤٩، وقال الذهبي في «الميزان» ١/ ٤٥: هذا خبر منكر.
(٢) الشعر في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٣٤٤.
(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٩.
(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٣.

سنين، فطالب أَسَنُّهم، ثم عقيل، ثم جعفر رضي الله عنه، ثم علي - عليه السلام - وهو أصغرهم.

فأما طالب: فكنيته أبو زيد، وكان أبو طالب يُكْنى به، وكان عالماً بالأنساب[١] من قريش والعرب، عارفاً بأيام الجاهلية، أخرجه المشركون يوم بدر لقتال رسول الله ﷺ مكرهاً، فقال: [من الرجز]

لا هـــم إمّـــا يَـــغْـــزُوَنَّ طـــالِـــبْ   فـي مِـقْـنَـب مـن هـذه الـمَـقَـانِـبْ
فـلـيـكـن الـمـغـلـوبَ غـيـرَ الـغَـالِـب   ولْـيَـكـن الـمَـسْـلُـوبَ غـيـرَ الـسَّـالِـبْ

فلما انهزم الكفار يوم بدر، طُلب طالبٌ فلم يوجد في القتلى، ولا في الأسرى، ولا رجع إلى مكة، ولا يُدرى ما أصابه، وليس له عقب[٢].

وأما عقيل فأُخرج أيضاً يوم بدر وأُسر، ولم يكن له مال، ففداه العباس، ثم رجع إلى مكة، فأقام بها إلى سنة ثمانٍ من الهجرة، ثم هاجر إلى المدينة، فشهد غزاةَ مؤتةَ مع أخيه جعفر - رضي الله عنهما -، وأصاب في ذلك الوجه خاتماً من ذهب عليه تماثيل، فنفَّله رسول الله ﷺ إياه[٣]. وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «وهَل تَرَكَ لنا عَقيلٌ مِن مَنزِلٍ»[٤].

وكان طالب وعقيل قد ورثا أبا طالب، ولم يرثْه جعفر وعلي رضي الله عنهما[٥].

وتوفي عقيل سنة خمسين من الهجرة، وسنذكره.

وأما جعفر وعلي رضي الله عنهما فسنذكرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وأما البنات: فالمشهور ابنتان: أم هانئ وجُمانَة، واسم أم هانئ: هند، وقيل: ريطة. وفاختة، وقيل: جَعْدة، وهرب زوجها هُبيرة بن أبي وهب المخزومي يوم الفتح إلى نَجران، وكانت قد أجارته، وأجاره رسول الله ﷺ.

---

(١) في «الطبقات الكبرى» أن عقيل بن أبي طالب هو العالم بالنسب، وكنيته أبو يزيد، انظر «نسب القرشيين» ص١١٠-١١١، ولم نقف على كنية لطالب هذا.

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٩١، و«الطبقات الكبرى» ١/ ٩٩-١٠٠.

(٣) انظر الطبقات الكبرى ٤/ ٤٠.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٥٨)، ومسلم (١٣٥١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم بعد (١٣٥١).

قال وقد بلغه إسلام أم هانئ يوم الفتح[(١)]:

أشاقَتْكَ هندٌ أم أتاكَ سُؤالُها ... كَذاكَ النَّوَى أَسْبابُها وَانْتِقالُها
وَقَد أرَّقتْ في رَأسِ حِصْنٍ ممنَّعٍ ... بنَجْران يَسْرِي بعدَ نوم خَيالُها
فإن كُنتِ قد تابعتِ دين محمَّدٍ ... وقَطَّعَتِ الأرحامُ منك حبالَها
فكُوني على أعلى سَحُوقٍ بهَضْبةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ حمراءَ يَبْسٍ بِلالُها

وأما جُمَانة فتزوجها أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، فولدت له جعفراً، وهاجرت إلى المدينة، وأطعمها رسول الله ﷺ بخيبر ثلاثين وَسْقاً من تمر[(٢)]، وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ.

وكل أولاد أبي طالب من فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[(٣)].

وذكر الواقدي: أنه كان لأبي طالب ابنة أخرى اسمها: رَيْطَة، ويقال لها: أم طالب[(٤)].

وذكر الواقدي: وبلغنا أنه كان لأبي طالب ابن اسمه: طليق، واسم أمه وَعْلة[(٥)].

وقد روى أبو طالب عن رسول الله ﷺ حديثاً أخرجه الشيخ جمال الدين بن الجوزي في «جامع الأسانيد»، ورفعه إلى محمد بن الحنفية، عن عروة بن عمرو الثقفي قال: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي الأمين يقول: «أُشكُر ترزقْ، ولا تكفر فتعذَّبْ»[(٦)].



(١) الأبيات في السيرة ٢/ ٤٢٠، ونسب قريش ٣٤٤.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٤٨ .
(٣) انظر التبيين ص١١١ .
(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٤٨ ، و«الإصابة» ٤/ ٣١٠ .
(٥) جاء في (خ): «طلق، وقيل اسمه وعلة»! وانظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٠. وفيه: «عله» بدل «وعله».
(٦) أورده السخاوي في «فتح المغيث» ٢/ ١٣٣ ، وقال: لا يصح.

السنة الحادية عشرة من النبوة

قال علماء السِّيَر: لما توفي أبو طالب وخديجة ﵄، اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان، فلزم بيته وقَلَّلَ الخُروج، وطمعت قريش فيه ونالت منه، فرقَّ عليه أبو لهب فجاءه فقال: يا ابن أخي، لا بأس عليك، امض لما أُمِرت به، واصنع ماكنت تصنعُ وأبو طالبٍ حيٌّ، فواللّات والعُزَّى لن يوصل إليك وأنا في الحياة. ثم إن ابن الغَيْطَلةِ سبَّ رسولَ الله ﷺ، فنال منه أبو لهب، فصاح: يا معاشر قريش، قد صبأ أبو لهب. فقال: ما صبأتُ، ولكن أمنَعُ ابن أخي من أن يُضامَ. وأقام على ذلك مدة، فجاءه عقبة وأبو جهل[١] وجماعة من أعداء رسول الله ﷺ، فقالوا: سَلِ ابن أخيك أين مستقر أبيك، فسأله؟ فقال: مع قومه. فقالوا: إنه يقول: في النار. فشق ذلك على أبي لهب، ورجع إلى عداوته[٢].

وخرج رسول الله ﷺ إلى القبائل يدعوهم إلى الله تعالى ومعه أبو بكر، وعلي ﵄.

قال ابن إسحاق: أتى بني حنيفة في منازلهم، فعرض عليهم نفسه، ودعاهم إلى الله تعالى، فلم يرد عليه أحد من العرب أقبح من ردهم، وقال له رجل منهم: ما يؤوب بك قوم إلى دارهم إلا آبو بشرٍّ مآبٍ. وقال له رجل من كَلْب: ما أحسن ما تدعو إليه إلا أنَّ قومك باعدوك، فلو صالحت قومك لاتبعتك العرب.

قصة أبي بكر الصديق ﵁ مع الغلام الشيباني:

قال علي ﵇: لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرضَ نفسَه على القبائل، خرجتُ أنا وأبو بكر معه، فَدُفِعْنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر وكان مقدَّماً في كل خير، فسلَّم عليهم، وكان رجلاً نسَّابةً فقال: من القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال: وأي ربيعة؟ قالوا: من ذُهل الأكبر. قال أبو بكر: من هامتها أو من لهازِمها؟ قالوا: من

(١) في «النسخ»: «أبو لهب» والمثبت من «الطبقات الكبرى».

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٩-١٨٠ .

هامتها العظمى، قال: أفيكم عوف الذي يقال له: عليك بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: أفيكم بسطامُ بنُ قيس مُنْتَهى الأَحياء، ومعدن السخاء؟ قالوا: لا. قال: أفيكُم جَسَّاس بن مرة حامي الذِّمار، ومانع الجار؟ قالوا: لا[1]. قال: أفيكم أخوال الملوك من كِندة؟ قالوا: لا. قال: فأصهار الملوك من لَخْم؟ قالوا: لا. قال: فلستم من ذُهْلٍ الأكبر، أنتم من ذُهْلٍ الأصغر. قال: فقام إليه غلام من بني شيبان، يقال له: دَغْفَل.

ودَغْفَل بن حنظلة بن زيد من بني بكر بن وائل شيباني، اختلفوا في صحبته، وروى عنه الحسن البصري، ومحمد بن سيرين. واستقدمه معاويةُ فأمره أن يعلِّم ابنه يزيد. قال الحسن البصري: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وستين سنة، ولم يسمع من النبي ﷺ شيئاً، وقد أدركه. قال الأصمعي: دخل دَغْفَل على معاوية فقال له: أيُّ بيت قالت العرب أفخر؟ قال: قول الشاعر[2]: [من الطويل]

لَهم هِمَمٌ لا مُنْتَهى لِكِبارِهَا ... وهِمَّتُه الصُّغْرَى أَجلُّ من الدَّهرِ
له راحةٌ لو أنَّ مِعْشَار جُودِها ... على البَرِّ كان البَرُّ أَنْدَى مَن البَحرِ

فقال له: أحسنت. وعاش دغفل حتى قتل يوم دولاب من فارس في قتال الخوارج.

فقال دغفل: [من الرجز]

نأتي على سائلنا فنسأَلُه
والعبءُ لا نعرفه أو نحمِلُه

ياهذا، إنك قد سألتنا فأخبرناك، ونحن نسائلك فأخبرنا: ممن أنت؟ فقال أبو بكر: من قريش. قال: بَخٍ بَخٍ، أهل الشرف والرياسة. فمن أي قريش؟ قال: من ولد تيم بن مرة. فقال الفتى: أمكنت الرامي من الهدف، أمنكم قصي الذي جمع الله به القبائل من فهر؟ قال: لا. قال: أمنكم عمرو العلى الذي هشم الثريد لقومه؟ قال: لا. قال: أمنكم شيبةُ الحمْد الذي أسقى الله به البلاد، وأحيا به العباد؟ قال: لا. قال: فمن

(١) في المصادر زيادة: «فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا».
(٢) هو لبكر بن النطّاح والبيتان في «الكامل في الأدب» ٢/ ١٠٣٢.

أهل الدار والندوة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الحجابة، أو الرفادة، أو السقاية، أو الإفاضة؟ قال: لا. قال: فأنت إذاً من زمعات قريش؟ قال: فجذب أبو بكر زمام ناقته وعاد إلى رسول الله ﷺ مغضباً. فأنشد الغلام: [من الرجز]

صَادَف دَرُّ السَّيل سَيْلاً يَدْفَعُه
يَهِيضُه حيناً وحيناً يَصْدَعُه

قال: فتبسم رسول الله ﷺ، قال علي رضي الله عنه: فقلت: يا أبا بكر، لقد وقعت على باقعة[1]؟ قال: أجل يا أبا الحسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكَّلٌ بالمنطق.

قال علي رضي الله عنه: فدُفِعْنا إلى مجلس عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا، فقال: من القوم؟ قالوا: من شَيبان بن ثَعْلبة. فقال: يا رسول الله، هؤلاء غُرَرُ الناسِ ليس وراءهم من فوقهم شيء، منهم: مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك، ثم قال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنّا لنزيد على ألف، ولن يُغلبَ ألفٌ عن قِلَّةٍ. قال: فكيف المَنَعة فيكم؟ قال: علينا الجُهْد، ولكل يوم حد. قال: فكيف الحرب فيكم؟ قال: إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى، وأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللِّقاح، والنصر من الله، يديلنا مرة ويديل علينا أخرى، ثم أشاروا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: لعله أخو قريش؟ فقال: نعم. قال: فإلام يدعو؟ قال: فتقدم رسول الله ﷺ، وأبو بكر قائم يُظِلُّه بثَوْبه، فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شَهادةِ أن لا إله إلا الله وأني رسُولُ الله، وأن تنصُروني وتأوُوني، فإنَّ قُريشاً قَد ظاهَرَت على أمرِ الله، وكَذَّبت رسولَه» ثم قرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٥١]الآية. قال مفروق: والله ماسمعت أجمل من هذا الكلام. فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[النحل: ٩٠]الآية. فقال مَفْروق: ليس هذا من كلام أهل الأرض، ولكن دَعَوْتَ إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن

---

(١) أي: داهية.

الأعمال، ولقد أَفِكَ قوم كذبوك وظاهروا عليك، وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب رأينا[١]، فقال هانئ: سوف ننظر في هذا الأمر. وقال المثنى بن حارثة، صاحب حزمهم[٢]: قد سمعنا ما قلت يا أخا قريش، ولكن نحن نُزولُ حَدِّ اليمامة ـ أي مستنقع الماء ـ، فما كان منها مما يلي كسرى، فذنب صاحبها غير مغفور، وعذره غير مقبول، وقد أخذ كسرى علينا العهود أن لا نأوي مُحْدِثاً، ولا نُحْدِث حدثاً، والذي تدعو إليه تكرهه الملوك، فإن شئت آويناك ونصرناك على من يلي مياه العرب فعلنا.

فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم الردَّ إذاً، إنَّ دِينَ الله لن يَنْصُره إلَّا مَن أحاطَه مِن جميعِ جَوَانِبِه، أرأيتم إن لَم تَلْبَثوا إلا قليلاً حتى يُورِثَكُمُ الله أَرْضَهم ودِيارَهُم وأَمْوالَهم ويُفرِشَكُم نِساءَهُم، أَفَتُسبّحون الله وتُقدِّسُونَه». فقال النعمان بن شريك: اللهمَّ لك ذاك. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]. قال: فما برحنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ.



(١) في المصادر الآتية: «ديننا».

(٢) كذا جاءت هذه الكلمة في النسخ، ولعلها «حربهم» ففي «المنتظم» ٣/ ٢١ـ٢٥ و«الدلائل» ٢/ ٤٢٢ـ٤٢٧: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا.

السنة الثانية عشرة من النبوة

وفيها كان المعراج

وقد اختلفت الروايات في أحاديث المعراج بما ورد في «المسند»[(١)] و«الصحيحين»[(٢)]، وغير ذلك.

وقد ذكر الثعلبي ذلك[(٣)] وأطال فيه، وذكر سِدْرَة المنتهى، وأنه غشيها نور من نور الله، وغشيتها ملائكة كأنهم جَراد من ذَهَب، فتحوَّلت حتى ما يستطيع أحد أن ينعتها، وأن جبريل انتهى به إلى حجاب من فراش الذهب، وأن ملكاً أخرج يده من الحجاب فاحتمله، وتخلَّف جبريل، فقال له: «إلى أَين»؟ فقال: هذا منتهى الخلائق، وإنما أُذِنَ لي في الدنو من الحجاب إجلالاً لك.

ثم دُلِّي له رَفْرَف أخضر يغلب ضَوْؤُه ضَوْءَ الشمس، وأنه وُضِعَ عليه، وحُمِلَ إلى العرش، قال رسول الله ﷺ: «لما رأيت العرش، اتضع عندي كل شيء، فقربني الله وأدناني إلى سند العرش، ووقعت على لساني قطرة من العرش فما ذاق الذائقون أحلى منها، فأنبأني الله نبأ الأولين والآخرين، وأطلق الله لساني بعد ما كَلَّ من هيبة الرحمن، فقلت: التحيات لله والصلوات الطيبات، فقال الله: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقال الله: يا محمد، هل تعلم فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: أنت أعلم يارب بذلك، وبكل شيء، وأنت علام الغيوب، فقال: اختلفوا في الدرجات والحسنات، فالدرجات: إسباغ الوضوء في السَّبرات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وأما الحسنات: فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والتهجد بالليل والناس نيام.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»(١٢٥٠٥) من حديث أنس بن مالك ﵁، و(٧٨٣٥) من حديث مالك بن صعصعة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة ﵁، و أخرجه مسلم (١٦٢) من حديث أنس ﵁. وأخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أبي ذرٍّ ﵁.

(٣) في تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء.

ثم ألهمني أن قلت: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[البقرة: ٢٨٥] الآية، لا نفرق بين أحد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى. قال: فماذا قالوا؟ قلت: قالوا: سمعنا وعصينا، والمؤمنون قالوا: سمعنا وأطعنا. قال: صدقت، فسل تعطه؟ فقلت: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾. قال: رفعت عنك وعن أمتك الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. قلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ يعني اليهود. قال: لك ذلك ولأمتك. قلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قال: فعلت .﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ قال: قد فعلت.

ثم فرض علي خمسين صلاة كل يوم، فلما عهد إليَّ بعهده؛ تركني عنده ما شاء، ثم قال: ارجع إلى قومك، فبلغهم عني، فحملني على الرفرف الأخضر إلى أن انتهيت إلى سدرة المنتهى، وجبريل عليه السلام عندها، فقال لي: يامحمد، أنت خير خلق الله، حباك الله بما لم يَحْبُ به أحداً من خلقه، وبَلَغْتَ مكاناً ما وصل إليه سواك من أهل السَّماوات وأهل الأرض.

وفيه: أنه انطلق به إلى الجنة، فأراه إياها، ووصف من قصورها وحورها وولدانها وما فيها، وأراه شجرة طوبى ووصفها، ثم أراه السلاسل والنار وما فيها، ثم إنه مر على موسى عليه السلام، وردده في الصلوات، وأنه عاد إلى الله تعالى، وسأله حتى أبقى خمساً. وذكر أنه عاد إلى مكة(١).

وقال ابن عباس: وفقَدَت قريش رسول الله ﷺ في تلك الليلة، وتفرق بنو عبد مناف في طلبه، وخرج العباس رضي الله عنه حتى بلغ ذا طُوى، وجعل يصرخ: يا محمد، يا محمد. فأجابه رسول الله ﷺ: «لبيك لبيك». فقال: يا ابن أخي، عَنَّيْتَ قومك منذ الليلة، فأين كنت؟ قال: «كنت بالبيت المقدس». قال: من ليلتك هذه؟ قال: «نعم». قال: فما أصابك إلّا خَيْرٌ؟ قال: «نعم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: لما كانت ليلة أسري بي وأصبحت بمكة، عَرَفْتُ أن الناس لا يصدقوني، فضقت بأمري ذرعاً، وقعدت معتزلاً حزيناً

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٢-١٨٣.

مهموماً، فمرّ بي أبو جهل فجلس إليّ كالمستهزىء بي، فقال: هل كان شيء؟ قلت: نعم، أسري بي إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قلت: نعم، قال ابن عباس: فلم ير أبو جهل أن يكذبه مخافة أن يجحده الحديث، قال: أرأيت لو دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني به، قال: نعم، فصاح أبو جهل: يا معشر قريش هلموا، فانفضت إليه المجالس، فجاؤوا فجلسوا إليهما، فقال له: حدِّث قومك بما حدثتني به، فقال: «نعم، أسري بي الليلة من ها هنا إلى البيت المقدس» قالوا: وأصبحت بين أظهرنا، قال: «نعم» قال: فَهُمْ بين مصفق، وواضع يده على رأسه متعجباً، ثم قالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى؟ قال: نعم، فجيء بالمسجد فوضع دون دار عقيل، فنعتُّه لهم، وفيهم من قد سافَر إليه، فقالوا: أما النعت فقد أصاب والله في وصفه[1].

قالوا: فأخبرنا عن عِيرنا، هل لقيت منها شيء؟ قال: نعم، مررت على عير بني فلان بالرَّوْحاءِ، وقد أضلوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، وفي رحالهم قدح وفيه ماء فعطشت، فشربت منه، فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا؟ وذكر لهم أشياء تحقَّقَ عندهم صدقُه فيها. فقالوا: هذا سحر مبين[2].

وقالت عائشة ﵂: لما أصبح الناس يتحدثون بحديث الإسراء إلى بيت المقدس، سعى رجال من الكفار إلى أبي بكر ﵁ فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه قد أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوقد قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: صدق. قالوا: أَتُصدِّقُه أنه مضى إلى الشام في ليلة ثم عاد قبل أن نصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء غدوه ورواحه. قالت: فلذلك سمي الصديق[3].

(١) إلى هنا الخبر عند أحمد في «مسنده» (٢٨١٩)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٦٣ من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه أبو يعلى في «معجمه» (١٠)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (٥٢) من حديث أم هانئ، مطولاً بالقصتين معاً، وكأن المصنف رحمه الله جمع بين الخبرين.

(٣) أخرجه الحاكم ٣/ ٦٢ ، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٦١ ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ ووافقه الذهبي.

وحكى هشام بن محمد، عن أبيه قال: لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أُسري به، فلما كان بذي طُوى، قال: ياجبريل، إن قومي لا يصدقوني. قال: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق رضي الله عنه[١].

فصول تتعلق بالمعراج

منها: أن مذهب عامة الصحابة، والتابعين، والخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين: أن الله عزوجل عرج بنبيه ﷺ جَسدِه وروحِه.وحكي عن معاوية بن أبي سفيان: أنه إنما عرج بروحِه دون جسده[٢]. وقال الواقدي: كان الإسراء بجسده إلى بيت المقدس، وإلى السماء بروحه.

وذكر السهيلي[٣] في «شرح السيرة»: واحتج ابن إسحاق لمعاوية بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[الإسراء: ٦٠]، وفي حديث أنس[٤] وأم هانئ: «فاستيقظتُ وأنا في المسجد الحرام»[٥].

وقالت عائشة رضي الله عنها: أسري بروح رسول الله ﷺ وهو نائم على فراشه، وما فقدت جسد رسول الله ﷺ[٦].

وجه ما روي أنه عرج بروحه إلى البيت المقدس، وروحه إلى السماء قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء: ١] جعلَ الإسراء إلى القدسِ غايةً لمعراجه ومن هناك عرج بروحه.

ووجه قول الأولين قولُه تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ الآية، ذكر الجُملةَ، ولو كان مناماً لقال بروحه، لأنه لو كان مناماً لم تكن معجزة، ولا أنكرته

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٨٣من حديث أم هانئ، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧١٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٣٤.

(٣) في (خ): «الثعلبي».

(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٧) من حديث أنس، ولم نقف عليه من حديث أم هانئ.

(٥) «الروض الأنف» ٢/ ١٩١.

(٦) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» (مسند علي) ص٤٤٧، وانظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٣٤.

قريش. وقد دلت عليه الأحاديث الصحاح، وإجماع العلماء مثل: الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وجابر، وأنس، وأبي هريرة، وحذيفة، وابن مسعود، ومالك بن صعصعة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن عمر، وعبدالله بن عمرو، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وعائشة، وأم هانئ، في آخرين. ومن التابعين خلق يطول ذكرهم لم يُذكر مخالف إلا ما روي عن معاوية.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، فقد روى عكرمة، وأبو صالح، والوالِبي، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ رأى في منامه بني أمية ينزون على منبره نَزْوَ القِرَدة، فساءه ذلك، فأنزل الله هذه الآية. فلا تعلق لها بالمعراج(١).

وأما قول عائشة ﵂: ما فقدت جَسَدَ رسول الله ﷺ. فأين كانت عائشة في زمن المعراج، فإنها كانت بنت ست سنين بإجماع العلماء، وأن رسول الله ﷺ لم يدخل بها إلا في المدينة بعد ثلاث سنين من المعراج، فلا تثبت الرواية.

وقوله: جعل الإسراء إلى بيت المقدس غاية، فلا ينبغي أن يكون إلى غيره، وقد ثبت بالنصوص الصحاح: أن ذلك كان يقظة لا مناماً.

وذكر القاضي عياض في كتاب «الشفا»(٢): أن مذاهب المسلمين والمذهب الحق: أن الله عرج بنبينا بجسده ﷺ وبروحه جملة.

فإن قيل: فلِمَ قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ ولم يقل: نهاراً.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الليل أستر للأحوال لئلا يصير فتنة كما صار عيسى ﵇.

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦٤٦١) والحاكم ٤/ ٤٨٠، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١٦٨) و(١١٦٩) من حديث أبي هريرة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال ابن الجوزي: حديث لا أصل له.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ٢٤٤ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير مصعب بن عبدالله بن الزبير، وهو ثقة.
(٢) «الشفا» ١/ ٢٤٨.

وقال أبو يزيد البسطامي: الليل ميدان المحبين، يجري فيه من الانبساط ما لا يجري بالنهار.

وقال بعض أهل المعاني: لما كان الذهاب من مكة إلى البيت المقدس في ليلة والرجوع منه إلى مكة، مما تأباه عقول قوم سبح الله نفسه عند ذلك، فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، وكذا لما كان مجيء الليل وإقبال النهار خرقاً للعادة، سبح الحق نفسه، فقال: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾[الروم:١٧] في نظائر كثيرة، فالحق سبحانه ما سبح نفسه إلا عند كل عظيم.

فإن قيل: فما الحكمة في إسرائه من مكة إلى القدس ولم يسر به من مكة إلى السماء؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: إنما أسري به إلى القدس ليستأنس، فيتدرج به إلى صعود السماء.

والثاني: لأن الأنبياء عليهم السلام جُمِعوا له هناك، فصلى بهم، وفي ضمن ذلك نسخ شرعهم بشرعه.

والثالث: لأنه مر على الأماكن التي كلم الله عليها موسى وشاهدها، ثم عرج به إلى السَّماوات، وزيد على ذلك النظر ليظهر له التفاوت[١].

ومنها[٢]: أن محمداً ﷺ رأى ربه بعيني رأسه، وهو قول من سمَّيْنا من العلماء في الليلة الماضية. وروي عن عائشة رضي الله عنها، أنها أنكرت ذلك، وقالت: إنما رآه بعيني قلبه.

قال مسروق: سألتُ عائشة: هل رأى محمدٌ ﷺ ربه بعيني رأسه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قلت، من حدَّثك بهذا فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣] الآية.

ولما قال مسروق لعائشة رضي الله عنها: هل رأى ربه رسول الله ﷺ قط، وقرأ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾[النجم:١]؟ قالت عائشة رضي الله عنها: إلى أين تَذْهب؟ بل إنما رأى جبريل في صورته[٣].

---

(١) لم يذكر المصنف الوجه الثاني لحكمه الإسراء به ليلاً.

(٢) أي من الفصول المتعلقة بالمعراج.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، والترمذي (٣٢٧٨).

والصحيح: قول عامة الصحابة.

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حمَّاد بن سَلَمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ ربِّي تَبارك وتَعالى»(١). ولو رآه بعيني قلبه، لم يكن له مزية على آحاد أمته، فإن عامة المؤمنين يرون الله تعالى بقلوبهم دائماً.

وحكى النَّقَّاش، عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال: أنا أقول: رأى ربه بعيني رأسه، رآه، رآه، رآه، ... حتى انقطع نفس الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه(٢).

وحكى القاضي عياض، عن أبي الحسن الأشعري أنه قال: رآه ببصره وعيني رأسه، قال: وكل آية أوتيها نبي من الأنبياء فقد أوتيها نبينا ﷺ، وخُصَّ نبينا ﷺ من بينهم بتفضيل الرؤية(٣).

وما روي عن عائشة رضي الله عنها، فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنه رأي منها، لا رواية عن رسول الله ﷺ، ولمَّا قيل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: بماذا ترد قول عائشة؟ فقال: بقول النبي ﷺ: «رأيتُ رَبِّي».

والثاني: أنها لم تكن عند رسول الله ﷺ في زمن المعراج.

والثالث: أنها نفت، والعمل على الإثبات، وقد أثبتَ الروايةَ أعيانُ الصحابة، وقولهم مقدَّمٌ على رأيها، خصوصاً وقد رفعوه إلى النبي ﷺ.

وقد قال القاضي عياض: رؤية الله في الدنيا جائزة عقلاً، وليس في العقل ما يحيلُها، ولهذا سألها موسى عليه السلام، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى(٤).

قال المصنف ـ رحمه الله ـ: فالنبي ﷺ ما رأى ربه في دار الدنيا، وإنما رآه في الدار الآخرة، لأن ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾[النجم: ٩] ليس من حساب الدنيا، وخصوصاً وقد خرق

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٨٠).

(٢) في (خ) تكرر الحديث السابق بسنده فلعله سبق قلم من الناسخ. وانظر الخبر في «الشفا» ١/ ٢٦٠ ،

(٣) «الشفا» ١/ ٢٦١ .

(٤) «الشفا» ١/ ٢٦١ .

سبعين حجاباً من النور بعد أن جاوز سدرة المنتهى، فثبتت الرؤية.

وسئل أبو العباس بن عطاء، قال: كيف أصف لكم مقاماً انقطع عنه جبريل، والملائكة المقربون، ولم يبق إلا محمد وربه تعالى؟ وفي تلك الليلة ارتفعت الوسائط، ألا ترى إلى قوله لجبريل عليه السلام، لمّا زجّه في النور: يا جبريل، ها هنا يفارق الخليل خليله؟ فقال: لو دنوت أنملة لاحترقت.

* * *

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾[النجم: ١٨] على أقوال:

أحدها: ما شاهد عند قاب قوسين.

والثاني: الرفرف الأخضر الذي سد الأفق.

والثالث: جبريل عليه السلام في صورته التي خلقه الله عليها[١].

والرابع: الجنة والنار، وما رأى من الملائكة عليهم السلام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾، جاء عتيبة بن أبي لهب، فوقف على النبي ﷺ وقال: يا محمد، هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم تَفَل عليه وسبَّه. وكان النبي ﷺ قد زوجه إحدى بناته، فطلَّقها عتيبة في ذلك اليوم، ولم يكن دخل بها. فدعا عليه النبي ﷺ وقال: «اللَّهمَّ سَلِّط عليه كلباً من كِلابِكَ». وبلغ أبا لهب، فقال: ما كان أغنى عتيبة عن دعوة محمد ﷺ.

ثم إن أبا لهب خرج إلى الشام في تجارة ومعه عتيبة، فنزل الزرقاء، فاطلَعَ راهب من صومعته وقال: يا قوم، احفظوا رحالكم، فهذه أرض مَسْبَعَةٌ، فقال أبو لهب لأصحابه: أعينونا الليلة، فإني أخاف على ابني دعوة محمد، فجمعوا حمالهم، وفرشوا لعتيبة في أعلاها، ونام القوم حوله، وجاء الأسد فجعل يتشمم القوم حتى وصل إلى عتيبة وشمه، ثم ضرب بيده، فأخذ يَافوخه، وانتبه القوم وقد أكله، فعاد أبو

(١) انظر تفسير الثعلبي ٦/ ١٥.

لهب إلى مكة حزيناً، وهو يقول: استجيب لمحمد في ابني. وكان كُنيةُ عُتيبةَ: أبا واسع، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت(١): [من السريع]

سائل بني الأَشعرِ إن جئتَهم ... ما كان أنباءُ أبي واسعِ
لا وسَّع الله له قبره ... وضيَّق الله على القاطعِ
رمى رسولَ الله من بينهم ... دون قريش رميةَ القاذع
فاستوجب الدعوة منه بما ... بَيَّن للناظر والسامع
أن قيَّض الله له كلبه ... يمشي الهوينا مشية الخادع
حتى أتاه وسْط أصحابه ... وقد عَلَتْهم سِنَةُ الهاجعِ
فالتقم الرأسَ بيافوخه ... يفعل فِعلَ القَرِمِ الجائعِ
ثم علا بَعْدُ بأنيابه ... معفَّراً وسْط دمٍ ناقعِ
قد كان هذا لكم عبرةً ... للسيّد المتبوع والتابع
من يرجع الآن إلى أهله ... فلستَ يا عتبةُ بالراجعِ

قال البلاذُري: وجعل عتيبة يقول وهو بآخرِ رمق: ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس، ومات(٢).

واختلف الناس في المدة التي كانت بين المعراج والهجرة على أقوال:

أحدها: سنة. والثاني: ستة أشهر. والثالث: ثمانية أشهر. والرابع: سنة ونصف. وعلى ذلك يُبنى خلافهم في أي شهر كان، والله أعلم.



(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٣٨ من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ في «الفتح» ٤/ ٣٩: حديث حسن.
وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٣٨/ ٣٠٢ من حديث هبار بن الأسود.
وأخرجه الدولابي في «الذرية الطاهرة» ص٥٨، وأبو نعيم في «الدلائل» ١/ ٢٢٠ من حديث محمد بن كعب القرظي وعثمان بن عروة بن الزبير. والأبيات في ديوانه ص١٥٣.
(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ١٤٩.

وفي هذه السنة لقي رسول الله ﷺ جماعةً من الأوس والخزرج، فآمنوا به.

قال الواقدي: قدم جماعة منهم إلى الحج، فانتهى رسول الله ﷺ إلى فريق منهم، فقرأ عليهم القرآن، فدعاهم إلى الله، فآمنوا.

قال ابن إسحاق: قدم أبو الحَيْسر بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحِلف من قريش على قومهم من الخزرج، لِما كان بينهم من الحرب، فسمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم، وقال لهم: «هَل لَكُم إلى خَيرٍ مما جِئتُم له»؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: «تَعبدونَ اللهَ وتُوحِّدونَه» وقرأ عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ وكان حدثاً عاقلاً: أي قوم، والله إن هذا لخير مما جئتم له. فأخذ أبو الحَيْسَر حفنة من البطحاء، فضرب بها وجه إياس وقال: دعنا من هذا، فلعمري لقد جئنا إلى غيره. فصمت إياس، فقال أبو الحيسر: جئنا نطلب حلف قريش على أعدائنا، فنرجعُ وقريشٌ أعداؤنا، وقام عنهم رسول الله ﷺ، ورجعوا إلى المدينة. وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج.

كذا وقعت هذه الرواية: أن وقعة بُعاث كانت في هذه السنة، وقد تقدم أنها كانت قبلها، والله أعلم.

فيقال: إن إياس بن معاذ أول من أسلم، ومات يوم بعاث مسلماً لما سمع رسول الله ﷺ، فكان عند موته يكبِّر ويهلِّل(١).

واختلفوا في أول الأنصار إسلاماً، على أقوال:

أحدها: إياس بن معاذ، قاله ابن إسحاق.

والثاني: أسعد بن زُرارة، وذَكْوان بن عبد قيس، قدما مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة، فلما اجتمعا به - وكان رسول الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد -، فأشار إليه عتبة، وقال: لقد شغلنا هذا المصلي عن كل شيء، يزعم أنه رسول الله، وكان أسعد ابن زرارة وأبو الهيثم بن التَّيِّهان يتكلمان في التوحيد بيثرب، ويسمعان من أحبار اليهود

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٣-٥٤، و«الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٠٤، والطبراني في «الكبير» (٨٠٥) والحاكم ٣/ ١٨٠، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٢٠-٤٢١. وقال الحافظ في «الإصابة» ١/ ٩١: رواه جماعة عن ابن إسحاق هكذا، وهو من صحيح حديثه. وبعاث يقال بالعين وبالغين.

أنه قد بعث نبي يدعو إلى الله تعالى، فقال ذكوان لأسعد لما سمع قول عتبة: دونك، هذا دينُك، فقاما إلى النبي ﷺ فقرأ عليهما القرآن، فأسلما وعادا إلى المدينة، فلقي أسعدُ أبا الهيثم بن التيهان فأخبره بإسلامه، فقال: وأنا أشهد أنه رسول الله، وأسلم. قاله الواقدي(١).

والثالث: رافع بن مالك الزُّرَقي، ومعاذ بن عفراء، خرجا إلى مكة مُعْتَمِرَيْنِ، فَذُكِرَ لهما رسول الله ﷺ فأتياه، فقرأ عليهما القرآن فأسلما، ثم عادا إلى المدينة. فأول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة مسجد بني زُرَيق. قاله ابن الكلبي(٢).

ذكر نسب الأنصار:

قال الزبير بن بكار: الأنصار من اليمن وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبيد الله بن الأَسْد(٣) بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان(٤).

والأوس والخزرج ابنا قَيْلة، وهي أمهما نسبا إليها، وهما ابنا حارثة ـ وهو العنقاء ـ ابن عمرو ـ وهو مُزَيْقياء ـ ابن عامر ـ وهو ماء السماء ـ ابن حارثة ـ وهو الغِطْريف ـ ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد ـ واسمه: دَرّا (٥) ـ ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كَهْلان [ابن سبأ](٦) ـ واسمه: عامر وسمي: سبأ، لأنه أول من سَبى السبيَ، وكان يدعى عبدشمس من حسنه ـ ابن (٧) يَشْجُب بن يَعْرُب ـ وهو المُرْعَف(٨) ـ ابن يَقْطُن، وهو قَحْطان وإلى قَحْطان جماع اليمن، فمن نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام قال: قحطان بن الهَمَيْسَع بن تيمن بن نَبْت بن إسماعيل عليه السلام. قال ابن سعد:

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٥-١٨٦ .

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٦ .

(٣) الأزد ويقال: الأسد بوزن العقل، وهو الأفصح، إلا أن الأول أكثر: «الإيناس بعلم الأنساب» ص٥٧ .

(٤) انظر «سيرة» ابن هشام ١/ ١٠ .

(٥) في «النسخ»: «ذر»، والتصويب من «الطبقات» ٣/ ٣٨٨، و«سبل الهدى والرشاد» ٣/ ٢٥١.

(٦) مابين حاصرتين زيادة من «الطبقات».

(٧) في «النسخ»: «واسمه يشجب» والمثبت من الطبقات.

(٨) في «النسخ»: «بن المرعف» والتصويب من «الطبقات» و«الإكمال» ٧/ ٢٣٨ .

هكذا كان ينسبه هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه. قال: وعليه عامة الأنساب أنَّ قَحْطان من ولد إسماعيل عليه السلام، ومن نسبه إلى غيره يقول: قحطان بن فَالَغ بن عابِر بن [شالَخ بن][1] أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام.

قال ابن سعد: وأم الأوس والخزرج قَيْلَة بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. وكان حَضَن سعداً عبدٌ حبشي، يسمى: هُذيماً فغلب عليه، فيقال: سعد بن هُذيم.

ذكر أولاد الأوس بن حارثة:

مالك بن أوس، ومنه تفرقت القبائلُ كلُّها وبطونها، فولد مالك: عَمْراً وهو النَّبِيْت، ومنه بنو عبد الأشهل، وبنو ظَفَر ـ واسم ظَفَر: كعب ـ وبنو حارثة بن الحارث. فهذه النَّبيت من الأوس[2].

وقال الجوهري: والنبيت حي من اليمن[3]، ومنهم عمرو بن عوف، وجَحْجَبى وقبائل شتى[4].

ذكر أولاد الخزرج بن حارثة:

وهم خمسة نفر: جُشَم وعوف وهما الخرطومان، والحارث وعمرو، وكعب، بنو الخزرج.

فأما جُشَم، فكان منيعاً وبه يضرب المثل:

إن سَرك العِزُّ فجخجخ بجُشم[5]

أي: لُذ به.

ومن جشم: بنو تَزيد منهم سَلِمَةُ وبطونُها.

---

(١) مابين معكوفتين زيادة من «الطبقات».

(٢) انظر «المعارف» ص١١٠ .

(٣) «الصحاح» (نبت).

(٤) كذا ، وفي المعارف ١١٠ : وعوف بن مالك ، ومنهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء ومنهم جَحْجَبى .

(٥) هو رجز للأغلب العجلي، وهو في المعارف ١٠٩ وسلف في القبائل والعمائر من الجزء الثاني.

ومن جُشم أيضاً: بنو بَياضة.

وأما عوف بن الخزرج، فمنهم: بنو الحُبلى. رهط عبد الله بن أُبَيٍّ بن سَلول.

ومنهم القَواقل، وكان يقال للرجل إذا استجار بيثرب: قَوْقِل وقد أَمِنْتَ[١]، واسم القَوقل: غَنْم بن عوف بن عمرو بن الخزرج، وقيل: عمرو بن عوف، ومنهم: بنو سالم.

وأما عمرو بن الخزرج، فمنهم: بنو النجار، واسم النجار: تيم اللّات بن ثعلبة، وإنما سمي النجار، لأنه نجر رجلاً بقَدُوم فقتله.

وأما كعب بن الخزرج، فهم بطون بني ساعدة رهط سعد بن عبادة. فهذا أصل نسب الأوس والخزرج[٢].

ذكر العقبة الأولى:

لما أراد الله إظهارَ دينه وإعزازَ نبيِّه وإنجازَ موعده، لقي رسولَ الله ﷺ بالموسم جماعةٌ من الأنصار.

واختلفوا فيهم على قولين:

أحدهما: أنهم كانوا اثني عشر رجلاً، عشرة من الخزرج، واثنان من الأوس.

فمن الخزرج: أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان بن عبد قيس، وعُبادة بن الصامت، وعَبّاس بن عُبادة، وعقبة بن عامر، وقُطبَةُ بن عامر، وعوف ومعاذ[٣] ابنا عَفْراء وهي أمهما، ـ وأبوهما: مالك بن رفاعة، وقيل: الحارث بن رفاعة ـ ويزيد بن ثعلبة. فهؤلاء العشرة من الخزرج.

---

(١) قال ابن دريد في «الاشتقاق» ص٤٥٦: القَوْقَلَة: التغلغل في الشيء، والدخول فيه. وقال ابن هشام في «السيرة» ٢/ ٥٧: وإنما قيل لهم: القواقل، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً وقالوا له: قوقل به بيثرب حيث شئت. وقال: القوقلة: ضرب من المشي.

(٢) انظر «المعارف» ص١٠٩.

(٣) في «النسخ»: «معوذ» والصواب: معاذ كما في «السيرة» لابن هشام، و«الطبقات الكبرى» وانظر «الإصابة» ٣/ ٤٢٨.

وأما من الأوس: فعُويم بن ساعدة، وأبو الهيثم بن التيهان[١]، قاله الواقدي.

والثاني: أنهم كانوا ستة، ذكره ابن إسحاق، وقال: لما أراد الله إظهار الإسلام، خرج رسول الله ﷺ إلى الموسم، فصادف جماعة من الأنصار، فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى الإسلام، فقال بعضهم لبعض: ويحكم، هذا والله النبي المبعوث الذي وعدكم به اليهود، فلا يسبقْكم إليه أحد، فأجابوه. وكانوا ستة: أسعد بن زُرارة، وعوف بن مالك، وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقُطبة بن عامر بن حَديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبدالله بن رِئاب[٢].

وقال الواقدي: الثابت عندنا، أنه لم يسلم أحد قبل هؤلاء، وواعدوه على أن يأتوا العام القابل، وبايعوه على الإيمان بالله ولوازِمه، ولم يبايعوه على الحرب لأعدائه.

وقال عبادة بن الصامت: بايعناه عند العقبة، بيعة النساء[٣]. يعني من غير ذكر الحرب والنَّصْر.

وحكى الواقدي: أن النبي ﷺ قال: «أبايعكم على أن تمنعوا ظهري حتى أُبَلِّغَ رسالاتِ ربي». قالوا: يارسول الله، نحن أعداءٌ مُتباغِضون، وإنما كانت وقعة بعاث عام أول، فإن تَقْدُمْ علينا ونحن على ذلك، لا يكون لنا عليك اجتماع، فدَعْنا نرجع إلى أهالينا وعشائرنا لعل الله أن يصلح ذاتَ بَيْنِنا، وموعدك العام القابل، فبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً.

قال عبادة: ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، فإن وفوا بذلك فلهم الجنة، وإن غَشَوْا شيئاً فأمرهم إلى الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذَّبَهُم، ثم انصرفوا إلى المدينة، وبعث معهم مصعب بن عمير يُقرئهم القُرآن ويُفقِّهُهُم في الدين، وفشا الإسلام في المدينة، فلم يبق فيها دار إلا وفيها ذكر لرسول ﷺ، وكان مصعب قد نزل على أسعد بن زرارة، وكان يسمى المُقْرِئ، فقال سعد بن معاذ لأُسَيد بن حُضَيْر: ائت أسعد بن زرارة فأخِّره عنا، فقد بلغني أنه جاء بهذا الرجل الغريب معه يُسَفِّه سفهاءنا،

---

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٥٦-٥٧، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٧، و«المنتظم» ٣/ ٣٢-٣٣.

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٤-٥٥.

(٣) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٧، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٧، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٤٣٦.

فذهب أسيد بن حُضَير إلى أسعد، فقال له: مالنا ومالك قد أتيتنا بهذا الرجل الغريب يُسَفِّه ضعفاءَنا. فقال: أَوَتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته تركته. فقال: أنصفت.

فجلس فقرأ عليه مصعب القرآن، وعرض عليه الإسلام، فقال أسيد: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قال: نتطهرُ، ونُطَهِّرُ ثيابنا، ونشهد شهادة الحق، ففعل ذلك. وخرج فأخبر سعد بن معاذ فجاء إليهم، فدعاه مصعب إلى الإسلام فأسلم، وجاء حتى وقف على بني عبد الأشهل فقال: أَيُّ رجل تعلمون أنا؟ قالوا: خيرنا وأفضلنا. فقال: إن كلامَ رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ حتى تسلموا، وتؤمنوا بالله، وتصدقوا محمداً ﷺ، قالوا: فوالله ما أمسى في ذلك اليوم رجل وامرأة من بني عبد الأشهل حتى أسلموا(١).

قال ابن إسحاق: لما فشا الإسلام في المدينة وكثر المسلمون، عاد مصعب بن عمير إلى مكة وأخبر رسول الله ﷺ، فَسُرَّ بذلك، وكان رجوع مصعب إلى مكة قبل العقبة الثانية(٢).



---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٨-٦٠ ، و«دلائل النبوة» ٢/ ٤٣١-٤٣٢ .

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٦١ .

السنة الثالثة عشرة من النبوة

وفيها خرج رسول الله ﷺ إلى الموسم على ميعاد الأوس والخرج، فلقيه جماعة، فواعدهم العقبة من أوسط أيام التشريق.

قال ابن إسحاق: حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي بن كعب أخو بني سلمة، أن أخاه عبدالله بن كعب حدثه، أن أباه كعب بن مالك حدثه، وكان ممن شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ، قال:

خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة، فلما فرغنا من الحج، خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ ومعنا عبدالله بن عمرو بن حَرَام أبو جابر بن عبدالله، وهو مشرك، وكنا نكاتمه الأمر ومن معنا من المشركين، فقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن يكون حظُّنا الجنة وحظك النار فقال: وما ذاك؟ فأخبرناه الخبر وعرضنا عليه الإسلام، فأسلم، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ، ولما مضى ثُلُثُ الليل خرجنا من رحالنا نتسلل تسلل القطا مُسْتَخفين، وكان معنا ابن أُبَيٍّ في الرِّحال، ولا يعلم بما نحن فيه، وأمَرَهم رسول الله ﷺ أن لا يُنَبِّهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً، فاجتمعوا عند الشعب ليلة النَّفْر الأول أوسط أيام التشريق - وفي رواية: فوافَوْه في الشعب الأيمن إذا انحدرْتَ مِن منى أسفل العقبة حيث المسجد اليوم -، وقد سبقهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه، وإنما أراد أن يستوثق لابن أخيه، فتكلم العباس وقال: يا معاشر الخزرج - وكانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار الخزرج، سواء كان خزرجياً أو أوسياً -، إن محمداً ابن أخي، وقد علمتم مكانته منا، وهو مِنّا حيثُ قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على ديننا أو على مثل رأينا، وهو في عِزٍّ ومَنَعَةٍ في بلده، وقد أَبى إلاّ الانقطاع إليكم، واللّحاقَ بكم، فإن كنتم تَفُون له بما وعدتموه أو دعوتموه إليه، فمانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمَّلتم له، وإن كنتم خاذلوه بعد الخروج معكم، ومسلموه إلى أعدائه، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده وأهله.

فتكلم البراء بن معرور وقال: يا رسول الله، خذ لربك ولنفسك ما أحببت، فقال رسول الله ﷺ: «أُبايِعُكُم على أن تَمنعُوني ممَّا تَمنَعُون منه أبناءَكُم ونُفوسكُم ونِساءَكُم». فقال البراء ـ وقد أخذ بيد رسول الله ﷺ ـ: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا، فبايعْ يا رسول الله، فنحن أهل الحرب والحَلْقَة ورثناها كابراً عن كابر، فاعترضه أبو الهيثم بن التيهان حليفُ بني عبد الأشهل، وقال: إن بيننا وبين الناس حِبالاً، ونحن قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتَدَعَنا، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «لا والله، بلِ الدَّمَ الدَّمَ، والهَدْمَ الهَدمَ، أُحارِبُ من حارَبتُم، وأُسَالِمُ مَن سَالَمتُم». فاعترضهم العباس بن عُبادة بن نَضْلَة الأنصاري وقال: يا معشر الخزرج، أتدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ إنكم إنما تبايعونه على حرب الأحمر والأبيض والأسود من الناس، فإن كنتم إن أنهكتكم مصيبة، ترجعون عنه وتسلمونه، فمن الآن وهو والله [إن فعلتم] خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه من قتل الأشراف، وهلاك الأموال، فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة. فقالوا بأجمعهم: بل نأخذه على ما ذكرت، ثم قال: يارسول الله، فمالنا إن وفينا؟ فقال: «لكُمُ الجَنَّة». فقال: ابسط يدك، فبايعوه[1].

قال ابن عباس: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[التوبة: ١١١] الآية، فقالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل[2].

وأول من بايعه: أسعد بن زرارة، وقيل: البراء بن مَعرور، وقيل: أبو الهيثم بن التيهان، ثم كثر اللَّغَطُ، فقال العباس: على رِسْلكم، فإن علينا عيوناً، ثم قال رسول الله ﷺ: نَقِّبوا اثني عشر نقيباً يكونوا كُفلاء على قومهم، كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم ـ وفي رواية: أن موسى اتخذ من قومه اثني عشر نقيباً فلا يجدنَّ أحدُكم في نفسه أن يُؤخَذَ غيره ـ فكان نقيب بني النجار: أسعد بن زرارة، ونقيب بني سَلِمة: البراء بن معرور وعبدالله بن عمرو بن حَرَام أبا جابر، ونقيب بني ساعدة: سَعْد بن عبادة والمنذرَ

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٦١-٦٧ ، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٨ ، وهي العقبة الآخرة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤٩٩ من حديث عبدالله بن رواحة، وانظر «أسباب النزول» للواحدي ص٢٦٣ ، ولم نقف عليه من حديث ابن عباس.

ابنَ عمرو، ونقيبُ بني زريق: رافع بن مالك بن العَجْلان، ونقيبُ بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع، ونقيبُ القواقل: عبادة بن الصامت، ونقيبُ الأوس: أُسَيد بن حُضَيْر وأبو الهيثم بن التَّيهان، ونقيب بني عوف: سعد بن خيثمة[١].

قال مقاتل: وإنما قصدَ رسول الله ﷺ أن يضبطهم بالنقباء كما فعل موسى عليه السلام ببني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ﴾[المائدة: ١٢] الآية.

ولما بايع القوم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سُمِع قط: يا أهْلَ الأخاشب، هل لكم في مُذَمَّم والصُّباة معه، فإنهم قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: «ندعو الله يا أزَبَّ العقبة[٢]، ما تقول؟ والله لأتفرَّغَنَّ لك» ثم قال رسول الله ﷺ: «ارْفَضُّوا إلى رِحَالِكُم». فقال له العباس بن عُبادة بن نَضلة: يا رسول الله، إن شئت مِلْنا بأسيافنا على أهل منى ـ وكانوا مئة رجل ـ، وإنما لقي رسولَ الله ﷺ منهم سبعون، فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي بذلك، ارجعوا». فانصرفوا إلى رحالهم.

ولما أصبح القوم غدا عليهم جِلَّةُ قريش وأشرافُهم وقالوا: قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم. وانبعث رجال من الأنصار ـ لم يحضروا البيعة ـ يحلفون لقريش بالله ماكان من هذا شيء، والذين شهدوا العقبة ينظر بعضهم إلى بعض، وقال عبدالله بن أُبَيٍّ بن سلول ـ وكان في الرحال ولم يشهد البيعة ـ: ما كان لقومي أن يَفْتاتوا عليَّ بمثل هذا حتى يُؤامِروني، وإن هذا الأمر جَسيمٌ.

ثم تفرقوا، ولما انفصلت الأنصار عن منى، تقدم البراء بن معرور إلى بطن يَأْجَج وتلاحق به أصحابه المسلمون، وصح عند قريش الحديث، فخرجوا في طلبهم، فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو بالحاجر وكلاهما نقيبان، فأما المنذر فإنه

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٦٥، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٩، و«دلائل النبوة» ٢/ ٤٤٢-٤٤٩.
(٢) في النسخ: «الكعبة» والمثبت من المصادر، انظر الحاشية السابقة.

أَعْجَز القومَ ومضى، وأما سعد فقالوا له: أنت على دين محمد؟ قال: نعم. فربطوا يديه إلى عنقه بِنِسْع رَحْله، وعادوا به إلى مكة يضربونه ويسحبونه بشعره، وكان ذا جُمَّةٍ، فقال له رجل: ويحك، أما بينك وبين أحد جوار؟ قال: بلى كنت أجير لجبير بن مُطْعم والحارث بن أمية بن عبد شمس، قال: فاهتف باسمهما، فصاح بهما عند الكعبة فجاءا فخلَّصاه، ولَكَم سعداً سهيلُ بن عمرو لكمةً شديدة، وكان الذي أسر سعداً ضرار بن الخطاب الفِهْري، وكان أشدَّ الكفار على رسول الله ﷺ، وقال: [من الطويل]

تَداركْتُ سعداً عَنْوةً فأسَرتُه ... وكان شِفائي لو تَداركتُ مُنْذِرا
ولو نِلْتُه طُلَّتْ دماءُ جراحِه ... أحقُّ دماءٍ أن تُطَلَّ وتُهْدرا[(١)]

فأجابه حسان بن ثابت[(٢)]: [من الطويل]

فخرتَ بسعدِ الخير حين أسرتَه ... وقلتَ شِفائي لو تداركتُ منذِرا
وإن امرءاً يَهْدي القصائدَ نحونا ... كمستبضعٍ تمراً إلى أهل خيبرا
فلا تك كالشاةِ التي كان حَتْفُها ... بحفر ذراعيها فلم ترض مَحْفَرا

ولما خلص سعد، لحق بالأنصار وكانوا قد عزموا على أن يَكُرُّوا على أهل مكة، فتوجهوا إلى المدينة[(٣)].

وبين العقبة والهجرة ثلاثة أشهر.



وفيها: أَمر رسول الله ﷺ أصحابَه بالهجرة إلى المدينة.

قالت عائشة ﵂: لما حَذَرَ رسول الله ﷺ من منى وقد انصرف الأنصار من عنده، وطابت نفسه بأن جعل الله له قوة ومنعة وقوماً هم أهل حرب ونجدة، وجعلَ البلاءُ يشتد على مَن بمكة من المسلمين لِما علم أهل مكة من شدة بأس الخزرج، فضيَّقوا

(١) البيتان في «السيرة» لابن هشام ٢/ ٦٩-٧٠، ورواية الشطر الأخير عنده: وكان حرياً أن يهان ويهدرا، وهما في «أنساب الأشراف» ١/ ٢٩٥ كما عند المصنف.

(٢) الأبيات في «أنساب الأشراف» ١/ ٢٩٥، و السيرة ١/ ٤٥١.

(٣) «السيرة» لابن هشام ٢/ ٦٨-٧٠، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٠، و«مسند أحمد» (١٥٧٩٨)، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٦٧-٣٦٨، و«المنتظم» ٣/ ٤٢.

عليهم، وعبثوا بهم، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه قبل ذلك، فشكا أصحاب رسول الله ﷺ إليه واستأذنوه، فقال: «إنه لم يُؤْذَن لي في ذلك بَعْدُ»، ثم إنه خرج عليهم بعد ذلك، فقال: «قد أُريتُ دَار هِجرَتِكُم وهي سَبْخَةٌ ذاتُ نَخْل بين لابَتَيْن و [لو]كانت السراة أرض نَخْل وسَبَخ لقلت: هي هي» ثم مكث أياماً وخرج إليهم مسروراً وقال: «قد أُرِيتُ دارَ هِجرَتِكُم، وهي يَثْرِبُ، فَمن أرادَ الخُروجَ فَلْيَخرج» فجعل القوم يتجهزون ويترافقون ويتسللون ويتواسَوْن ويخفون خروجهم(١).

وأول من قدم المدينة بعد مصعب بن عمير من فقراء المهاجرين: ابن أم مَكتوم(٢)، وأبو سلمة بن عبد الأسد بعده، وقيل: أول من قدم مهاجراً: أبو سلمة قبل العقبة الأولى بسنة، وكان قد هاجر إلى الحبشة، ثم قدم مكة وهاجر منها إلى المدينة(٣).

وكانت أمُّ سلمة ﵂ أولَ امرأة وردت المدينة، وقيل: أولُ ظَعينة قدمت المدينة: ليلى بنت أبي حَثْمة بن عدي زوجة عامر بن ربيعة العنزي(٤).

ولما قدموا المدينة على الأنصار آوَوْهم وواسَوْهم، وسالمٌ مولى أبي حُذيفة يؤم بهم في قباء، ثم قدم المدينة: بلالٌ وسَعْدٌ وعُمَرُ وعمار ﵃.

وتتابع الناس فلم يبق بمكة من بني أسد بن خزيمة أحد حتى أغلقت أبوابهم، وأبواب بني البُكَيْر، وأبواب بني مَظعون.

وقدم جماعة من الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ عند العقبة البيعة الثانيةَ إلى مكة، ثم هاجروا منها إلى المدينة، فهم مهاجرون أنصاريون منهم: ذكوان بن عبد قيس، وعقبة بن وهب، والعباس بن عبادة، وزياد بن لبيد.

وخرج من مكة [مَنْ فيها] من المسلمين، ولم يبق فيها سوى رسول الله ﷺ، وأبي

---

(١) «الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٢ ، وهو عند البخاري (٢٢٩٧).

(٢) أخرج البخاري (٣٩٢٥) عن البراء بن عازب ﵁ قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وكانوا يقرؤون الناس.

(٣) «سيرة» ابن هشام ٢/ ٨٠ . وجمع ابن حجر في الفتح ٧/ ٦٧٧ بين القولين: بأن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فراراً من المشركين، بخلاف مصعب بن عمير فإنه خرج إليها للإقامة بها وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ، فلكُلٍّ أولية من جهة.

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٢ ، و«الأوائل» لابن أبي عاصم ص٧٣ .

بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم[١]. فهاجر عمر رضي الله عنه قبلهم في قول البعض.

وقد روى الهيثم بن عدي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً غير عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه تقلد سيفه، وتنكَّبَ قوسه، وانتضى في يده أسهماً، ومضى نحو البيت والملأ من قريش بفناء الكعبة، فطاف بها سبعاً، ثم أتى المقام فصلى عنده ركعتين، ودار على المجالس والحِلَقِ واحداً واحداً يقول: شاهت الوجوه لا يُرْغِمُ الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن يوتم ولده، أو يرمّل زوجته، أو تثكله أمه، فليلحقني ببطحاء مكة، أو بوادي مكة، فإني مهاجر إلى الله ورسوله. ثم خرج فركب فرسه، وحمل سلاحه، فما جسر أحدٌ أن يتبعه ثم مضى إلى المدينة[٢].

وأقام رسول الله ﷺ ينتظر أن يُؤْذَنَ له في الهجرة، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يستأذنه في الهجرة، وهو يقول له: «لا تَعجَلْ لعلَّ الله أن يَجعلَ لك صاحباً»، فطمع أبو بكر أن يكونه[٣].



(١) انظر «سيرة» ابن هشام ٢/ ٧٧-٧٩ ، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٣ ، وليس فيها ذكر عمر.

(٢) انظر «تاريخ ابن عساكر» ٤٤/ ٥١-٥٢ .

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٤٦٢) من حديث هشام بن العاص بن وائل السهمي. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ٦٢ وقال: وفيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي، ضعفه أبو حاتم. وله شاهد عند البخاري (٢٢٩٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

السنة الرابعة عشرة من النبوة

وفيها: اجتمعت قريش في دار الندوة يتشاورون في أمر رسول الله ﷺ خوفاً أن يلحق بالمدينة، فيقوى عليهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تشاورت قريش بمكة ليلةً على قتل رسول الله ﷺ، فأطْلَعَ الله نبيَّهُ على ذلك، فبات علي عليه السلام على فراشه، وخرج رسول الله ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً عليه السلام يحسبونه رسول الله ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأَوْه رد الله مكرهم وقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. فاقتصُّوا أثره. وأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٠][١].

ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الغار:

قال الطبري في «التاريخ»: إن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام في تلك الليلة لما خرج إلى الغار: إن أتاك ابن أبي قحافة فأخبره أني قد توجهت إلى غار ثور، فليلحق بي، وأرْسِلْ إليَّ بطعام، واستأجِرْ لي دليلاً يدلُّني على طريق المدينة، واشتر لي راحلة، ثم مضى وأعمى الله أبصار الذين كانوا يرصدونه حتى خرج[٢].

وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ في تلك الليلة وهم مجتمعون على بابه، فأخذ كفّاً من تراب وقال: شاهت الوجوه، ثم مر عليهم وهو يقرأ سورة يس حتى بلغ قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾[يس: ٩]، فلم يبصره أحد، ومر رجل عليهم فقال: ما يقعدكم ها هنا؟ قالوا: ننتظر محمداً، فقال: لقد خِبْتُم وخَسِرْتم، قد مرَّ عليكم وضرب بالتراب وجوهكم، وحثاه على رؤوسكم، قالوا: والله ما أبصرناه. وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم،

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٨٩، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ٣٠٠، و«دلائل النبوة» ٢/ ٤٦٩، و«المنتظم» ٣/ ٤٥.

(٢) «تاريخ الطبري» ٢/ ٣٧٢.

وعلي عليه السلام نائم في فراشه، فلما رأوه قالوا: والله لقد صَدَقَنا الرجلُ الذي حدَّثنا[(١)].

والذين كانوا ينتظرونه: أبو جهل، والحكم بن أبي العاص، وعُقبة بن أبي مُعَيط، والنَّضر بن الحارث، وأميَّة بن خلف، وزَمْعَة بن الأسود، وأبو لهب، وطعيمة بن عدي، وأُبي بن خلف في آخرين[(٢)].

قال الطبري: ضربوا علي بن أبي طالب وحبسوه ساعة، وأطلقوه، قال: وكان أبو بكر قد أتى علياً رضي الله عنهما فسأله عن رسول الله ﷺ، فأخبره أنه لحق بغار ثور، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مسرعاً حتى لحق النبي ﷺ في الطريق، فسمع رسول الله ﷺ جَرْسَ أبي بكر رضي الله عنه فحسبه من الكفار فأسرع المشي فانقطع قَبالُ نَعْلِه، ففلق إبهامَه حجرٌ فسال الدم، فخاف أبو بكر رضي الله عنه أن يشق عليه فرفع صوته، فعرفه رسول الله ﷺ حين أتاه، فانطلقا ورِجْلُ رسول الله ﷺ تستنُّ دماً حتى انتهيا إلى الغار مع الصبح فدخلاه[(٣)].

وقال ابن إسحاق: جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى بيت رسول الله ﷺ فصاح: يا نبي الله، يحسب أنه على الفراش، فقال له علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون، فأدْرِكْه. فانطلق حتى لحقه، وبات الكفار يرمون علياً رضي الله عنه بالحجارة وهو يتضوّرُ قد لف رأسه في الثوب إلى الفجر[(٤)].

قال الثعلبي: كان رسول الله ﷺ خلَّف عليًّا عليه السلام بمكة لقضاءِ ديونه وردِّ الودائع التي كانت عنده.

ذكر دخولهما إلى الغار:

قال أنس: لما كان ليلة الغار، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني أدخل قبلك، فإن كان ثَمَّ حَيَّةٌ أو شيءٌ كانت بي قبلك، قال: «ادخُل». فدخل وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتمس بيديه، فكلما رأى جُحْراً قال بثوبه فشقه، ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال: فبقي جحر واحد، فوضع عَقِبَهُ فيه، قال: ادخل يا رسول الله فدخل، فلما أصبح قال: «أينَ ثَوبُك يا أبا بكرٍ؟» فأخبره بالذي صنع، فرفع رسول الله

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٩١ـ٩٢، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٤ـ١٩٥، و«المنتظم» ٣/ ٤٨ـ٤٩.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٥، و«المنتظم» ٣/ ٤٩.
(٣) «تاريخ الطبري» ٢/ ٣٧٤.
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠٦١) ضمن حديث طويل.

ﷺ يديه وقال: «اللَّهم اجعَلْ أبا بَكرٍ في دَرَجتي يومَ القِيامَةِ»، فأوحى الله إليه: إن الله قد استجاب لك[١].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا عفَّان[٢]، حدثنا همَّام، حدثنا ثابت، عن أنس: أن أبا بكر رضي الله عنه حدثه: قال: قلت: يا رسول الله ـ ونحن في الغار ـ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما». متفق عليه[٣].

قال ابن عباس: وأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾الآية [التوبة: ٤٠].

ومعنى الآية: أن الله هو المتولي لنصره حين كان أولياؤه قليلاً وأعداؤه كثيراً، فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]؟ قلنا: لأن أبا بكر رضي الله عنه حزن إشفاقاً على رسول الله ﷺ، قال له: يا رسول الله، إني إن قُتِلْتُ فمثلي كثير، وإن قُتِلْتَ أنت هَلكَتِ الأمةُ. فكان حزنه على رسول الله ﷺ لا على نفسه[٤].

وقال ابن عباس: عاتب الله أهل الأرض بهذه الآية إلا أبا بكر[٥] رضي الله عنه. والهاء في قوله: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾[٦] عائدة إلى أبي بكر رضي الله عنه.

لأن الإزعاج والخوف على رسول الله ﷺ إنما كان من أبي بكر رضي الله عنه وحده، فرد السكينة إليه ولو أرادهما، لقال: (عليهما) بخلاف الهاء في قوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة: ٤٠] حيث يرجع إلى رسول الله ﷺ، لأن التأييد بالملائكة لا يصلح إلا له وحده.

وذكر وهب بن منبه: أن رسول الله ﷺ إنما هاجر من بيت أبي بكر رضي الله عنه، أحاطت قريش بالبيت، فخرج من خَوْخَةٍ في ظهر الدار. والأول أصح.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٣٣، وابن الجوزي في «المنتظم» ٣/ ٥٣.

(٢) في النسخ: «عثمان»، والمثبت من أحمد.

(٣) أحمد في «مسنده»(١١)، والبخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٤) انظر «تفسير» البغوي ٢/ ٢٩٣.

(٥) أورده الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٢/ ١٥٤ عن الحسن رضي الله عنه، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ٢٩٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٣٩ عن الشعبي. وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٤٨٢.

(٦) كذا في النسختين، وفي زاد المسير ٣/ ٤٤٠: وفي هاء عليه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر.

وقال الواقدي: جاءت قريش إلى باب الغار ـ وقد نسجت عليه العنكبوت، وأمر الله شجرة فنبتت في وجه الباب، وجاءت حمامتان فعششتا على الباب ـ ومعهم القائف فنظر إلى الأقدام وقال: هذا قدم ابن أبي قحافة، وهذا الآخر أعرفه إلا أنه قدم يشبه القدم الذي في المقام ـ يعني مقام إبراهيم عليه السلام ـ، فقالت قريش: ما وراء هذا شيء، فانْصَرَفوا.

وقال ابن سعد: جاءت قريش إلى باب الغار، فرأت العنكبوت قد نسجت عليه، فقال بعضهم لبعض: لو كان ها هنا أحد ما نسجت هذه العنكبوت. وقال بعضهم: هذه العنكبوت هنا قبل أن يولد محمد. وأقبل فتيان قريش من كل بطن قد شهروا سيوفهم، فرأوا الحمامتين فقالوا لأصحابهم: ليس هنا أحد. وسمعهم النبي ﷺ، فسمَّتَ عليهن، فانحدرت إلى حرم الله، وحرَّم الله صيدهن[1].

وقال ابن إسحاق: ضربت الملائكة وجوه الكفار، فعادوا.

وقال البلاذري: بعثت قريش قائفين يقصان الأثر، أحدهما: كُرْزُ بن علقمة الخزاعي، ومعهما أُبَيُّ بن خلف، فقال القائفان: إلى هنا انتهى الأثر. وقال أمية بن خلف: والله إني لأرى هذا النسج ها هنا قبل أن يخلق محمد، وبال حتى جرى بوله بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر رضي الله عنه، ونادت قريش: من جاء بمحمد وبابن أبي قحافة، فله مائتا بعير أو دِيَتهما[2].

وفي الغار يقول أبو بكر رضي الله عنه[3]: [من البسيط]

قال النبي ـ ولم أجزع ـ يُثَبِّتُني ... ونحن في سُدَف من ظُلمة الغارِ
لا تخش شيئاً فإنَّ الله ثالثُنا ... وقد تكفَّل لي منه بإظهارِ
وإنَّما كيد مَن تُخشى بَوادره ... كيد الشَّياطين قد كادت لكفارِ
والله مُهلكهم طُرًّا بما صنعوا ... وجاعلُ المنتهى منهم إلى النَّارِ

* * *

(١) «الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٥ ، والتسميت: ذكر الله تعالى على الشيء.

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٠٢ .

(٣) أورد هذه الأبيات في قصيدة مطولة الفاكهي في «أخبار مكة» ٤/ ٨٤ ، وابن عساكر ٣٠/ ٨٦ من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق.

فصل في سني هجرته ﷺ

واختلفوا في مدة إقامتهما في الغار، على أقوال:

أحدها: ثلاثة أيام وخرجا ليلة الخميس غرة ربيع الأول[١].

والثاني: أنهما خرجا ليلة الاثنين لأربع ليالٍ خَلَوْنَ من ربيع الأول[٢].

والثالث: خرجا وقد بقي في صفر ثلاثُ لَيالٍ[٣].

وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما يتردد إليهما، وعامر بن فُهَيْرة يرعى غنمهما، ويأتيهما باللبن.

أحاديث الهجرة:

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بُكَيْر، حدثنا اللَّيث، عن عُقَيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبويَّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرَّ علينا يوم إلا ورسول الله ﷺ يأتينا فيه طَرَفَيِ النهارِ بُكْرةً وعَشِياً، فلما ابْتُليَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً إلى أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِماد، لقيه ابن الدَّغِنَه[٤]، وهو سيدُ القارة، فقال له: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي، فقال ابن الدَّغِنَة: إن مثلك لا يُخْرَجُ، إنك تَكْسِبُ المَعدوم، وتَصِلُ الرَّحِمَ، وتحمل الكَلَّ، وتَقْري الضَّيْفَ، وتُعين على نوائب الحق، فأنا لك جارٌ، فارجع فاعبد ربك، فرجع وارتحل معه ابن الدَّغِنَةَ، فطاف في أشراف قريش وقال لهم: إن مثل أبي بكر لا يُخْرج، إنه يكْسِب المعدومَ ـ وذكر بمعنى ما تقدم من

(١) انظر «المنتظم» ٣/ ٥٣.

(٢) «الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٩.

(٣) انظر «الوفا» ص٢٣٨.

(٤) الدغنة: بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة، وعند الرواة بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون. «فتح الباري» ٧/ ٦٣٩.

وصفه ـ، قال: فأنفذت قريش جوارَ ابن الدَّغِنَةِ، وأمَّنوا أبا بكر، وقالوا: ليعبد ربه في داره، وليصلِّ فيها، ويقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يَستَعْلِنْ به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فأقام أبو بكر يعبد ربه كذلك، ثم بدا له فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه، فيتقصّف[1] عليه نِساء المشركين وأبناؤهم يتعجبون منه، وينظرون إليه، وكان رجلاً بكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشرافَ قريش، وأرسلوا إلى ابن الدَّغِنَة فقدم عليهم، فقالوا: كنا قد أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره، والآن فقد أعلن، وإنا نخشى منه أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فإن اقتصر على عبادة ربه في داره وإلا فسله أن يرد إليك ذِمَّتَكَ، فإنا لا نُقِرُّهُ على ذلك. فذكر ابن الدَّغِنَة ذلك لأبي بكر، وقال: إماأن تقتصر على ما عاهدنا عليه القوم، وإما أن تُرْجِعَ إليَّ ذِمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أُخْفِرْتُ في رجل عقدت له، فقال له أبو بكر: فإني أردُّ إليك جوارك، وأرضى بجوار ربي.

قالت: ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة، فقال رسول الله ﷺ للمسلمين: «إنِّي أُريتُ دارَ هِجْرتِكُم سَبْخَة ذاتِ نَخلٍ بينَ لابَتَينِ». فهاجر من هاجر إلى المدينة، ورجع عامَّةُ من كان بالحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قِبلَ المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رِسلكَ، فإنِّي أَرجُو أنْ يُؤذَنَ لي» فقال أبو بكر رضي الله عنه: أترجو ذلك؟ قال: «نَعَم». فحبس أبو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله ﷺ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورقَ السَّمُرِ أربعة أشهر.

قالت: فبينا نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال له أبو بكر: يا رسول الله، ماجاء بك في هذه الساعة إلا أمر، فقال: «أَخرِجْ مَنْ عِندَكَ» فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنما هم أهلك ـ وفي رواية: ليس علينا عين، إنما هما ابنتاي يعني عائشة وأسماء[2] ـ فقال: «قد أُذِنَ لي في الخُروجِ» فقال أبوبكر: الصحبة ـ أَو الصحابة ـ يا رسول الله؟ قال: «نَعَم».

---

(١) أي: يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض.

(٢) أخرجها أحمد في «مسنده» (٢٥٧٧٤).

قال: فخذ إحدى راحلتي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: «بالثمن».

قالت: فجهزناهما أحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سُفْرة في جِراب، وقطعت أسماء بنت أبي بكر قِطْعةً من نطاقها، فربطت به فم الجِراب، فبذلك سميت: ذات النِّطاقين، ثم لحق أبو بكر ورسولُ الله ﷺ بغارٍ في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثَقِفُ لَقِنٌ[1]، يدَّلجُ من عندهما بسَحَرٍ، فيصبح مع قريش كبائتٍ، فلا يسمع أمراً يُكتادانِ به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك إذا اختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر مِنْحَةً من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعةٌ من العِشاء، فيبيتان في رِسْلٍ [وهو لبن مِنحتهما ورَضيفهما] حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغَلَس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِّيل من بني عبد بن عدي هادياً خِرِّيتاً [والخريت الماهر بالهداية] قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، لكنهما أمناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما، فأتاهما صُبْحَ ثلاثٍ، فارتحلا، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدِّيلي، فأخذ بهم على طريق الساحل.

قال الزهري: فحدثني ـ أو أخبرني ـ عبد الرحمن بن مالك المُدْلجي وهو ابن أخي سراقة بن جُعْشم الكناني ثم المدلجي، أن أباه أخبره، أنه سمع سراقة بن جُعْشُم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دِيَةَ كلِّ رجل منهما لمن قتله أو أسره، قال: فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُدْلج، وأقبل رجل منهم فقال: ياسراقة، إني قد رأيت آنفاً أسْوِدَةً بالساحل، أُراها محمداً وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم. قال: فقلت له: ليسوا هم، ولكنك رأيتَ فلاناً وفلاناً، انطلَقوا بأَعْيُنِنا، ثم لبثت في المجلس[2]، وقمت فدخلت الخِباء، وأمرت جاريتي أن تُخرج فرسي من وراء الأَكَمَةِ، وأخذتُ رُمحي وخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزُجِّه[3] الأرض، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها، ورفعتها

(١) الثقف: الحاذق، اللقن: السريع الفهم.

(٢) في «النسخ»: «بالمسجد»، والمثبت من صحيح البخاري.

(٣) الزُّج: الحديدة التي في أسفل الرمح.

تُقَرِّبُ بي حتى دنوت منهم، فعثرت فرسي فخررتُ عنها، وقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام [فاستقسمت بها، أضرُّهم أم لا؟ فيخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام[(١)] تقرِّب بي من النبي ﷺ، إذ سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهُوَ لا يلتفت، وأبو بكر ﷺ يكثر الالتفات، فساخت يدا فرسي حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت، ولم تكد تُخرج يدَيْها، فلما استوت قائمة إذا لِأَثرِ يديها عُثَانٌ[(٢)] ساطع في السماء مثلُ الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم الأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر رسول الله ﷺ، فقلت: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتُهم أخبارَ ما يريدُ الناس بهم، وعَرَضْتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني شيئاً، إلا أنهم قد قالوا: أخفِ عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمان؟ فأمر عامر بن فهيرة، فكتب لي رُقعةً من أَدَم، ومضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير: أن رسول الله ﷺ لَقِيَ الزبير في ركب من المسلمين كانوا تِجاراً بالشام أو قافلين من الشام، فكسا الزبيرُ رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بياضٍ، قال: وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يَغْدون كل غداة إلى الحَرَّةِ ينتظرونه حتى يَرُدَّهم حَرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أَطالوا الانتظار، فلما أَوَوْا إلى بيوتهم، أوفى رجل من اليهود على أُطُمٍ من آطام المدينة، لأمر ينظر إليه، فبصُرَ رسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيِّضين يزولُ بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن صاح بأعلى صوته: يا معاشر العرب، قد أظلكم الذي تنتظرونه، فثار المسلمون إلى السلاح، فلقوا رسول الله ﷺ بالحرَّةِ، فعدل بهم ذات اليمين، فنزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطَفِقَ من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يُحَيِّي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر ـ ﷺ ـ حتى ظَلَّلَ

(١) مابين حاصرتين زيادة من صحيح البخاري.
(٢) العثان: الدخان من غير نار.

على رسول الله ﷺ بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك[1].

حديث الرَّحْل:

قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: جاء أبو بكر إلى أبي في منزله، فاشترى منه رَحْلاً بثلاثة عشرة درهماً، وقال له: ابعث معي ابنك يحمله إلى منزلي. قال: لا، حتى تحدثني كيف صنعتما ليلة سريت مع النبي ﷺ؟ فقال: نعم، أسرينا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق فلا يمرُّ فيه أحد، حتى وقعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تَأْتِ عليه الشمس بَعْدُ، فنزلنا عندها فسوَّيْتُ بيدي مكاناً ينام عليه رسول الله ﷺ في ظلها، وبسطت عليه فروة، ثم قلت: نَم يارسول الله، وأنا أنفض لك ما حولك، فنام وخرجت أنفض ما حوله، هل أرى أحداً من الطَّلَبِ، وإذا براعٍ يُقْبل نحو الصخرةِ بغنمهِ يريد منها الذي أردنا، فقلت له: يا غلام، لمن أنت؟ فقال: لرجل من أهل المدينة من قريش. فقلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم. قلت: أفتحلب لي؟ قال: نعم. فاعتقل شاة، فقلت: انفض الضرع من القذا والشَّعر والتراب، ففعل، قال: ومعي إداوة أَرتوي فيها لرسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ، فحلب لي كُثْبَةً من لبن في قَعْبٍ، فصببت عليه من الماء حتى برد أسفله، وأتيت رسول الله ﷺ، وكرهت أن أُوقِظَه من نومه، فوقفت حتى استيقظ من نومه، فقلت: اشرب يارسول الله من هذا اللبن فشرب حتى رضيت، وقال: «ألم يأن الرحيل؟» قلت: بلى. فارتحلنا بعد الزوال، والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا منهم أحد إلا سراقة بن مالك بن جُعْشُم، ونحن في جَلَد من الأرض، فقلت: يا رسول الله، أُتينا؛ هذا الطلب قد لحقنا، فقال: «لا تَحزَن إنَّ اللهَ مَعَنا». حتى إذا دنا منا، وكان بيننا وبينه قِيْدُ رمح أو رمحين أو ثلاثة وهو على فرس فبكيت، فقال: «ما يُبكيكَ؟» فقلتُ: ما أبكي على نفسي بل عليك يا رسول الله. فقال: «اللَّهمَّ اكفِناهُ». فارتطمت قوائم فرسه إلى إبطها، ثم ثبتت فساخت في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله لي أن ينجيني مما أنا فيه، والله لأُعَمِّيَنَّ على مَنْ وَرائي من الطَّلَبِ وهذه كنانتي، فخذ منها سهماً

(١) صحيح البخاري (٣٩٠٥).

فإنك ستمر بإبلي، وغنمي، وغلماني في موضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: «لا حَاجَةَ لي فِيها» ودعا له. فانطلق ورجع إلى أصحابه فلا يلقى أحداً إلا رده، قال: وقدمنا المدينة ليلاً.

قال الحُمَيْدي: فتنازعوا أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْزِلُ على بني النَّجارِ أَخوالِ عبدِ المطَّلبِ أُكْرِمُهم بذلِكَ» وصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطريق، وعلى الأجاجير[١] ينادون: يا محمد يارسول الله[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سلك بهم عبدالله بن أُرَيْقِط الليثيُّ من الغار على السواحل وقت السحر ليلة الاثنين، فقالوا يَوْمَ الثلاثاء بقُدَيْدٍ، ثم أخذَ أَسْفلَ من عُسْفان، ثم سلك الخرّارَ، ثم مر على ثنية المَرَةِ، ثم على المَدْلَجةِ والرَّوْحاءِ، ثم على العَرْجِ، ثم على بطن رِئْم، ثم إلى المدينة[٣].

ذكر لقائه ﷺ بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْبِ الأسلمي:

قد ذكرنا أن قريشاً جعلت لمن يَرُدُّ رسول الله ﷺ وأبا بكر مئتي بعير، وبلغ بُرَيْدَةَ فركب في سبعين فارساً من بني أسلم، فلقى رسول الله ﷺ في الطريق فقال له: من أنت؟ فقال: بريدة ـ وكان رسول الله ﷺ يحب الفَأْل ـ فالتفت إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال: برد أمرنا، ثم قال: فممن أنت؟ قال: من أسلم. قال: سلمنا، ثم قال: من بني من؟ قال: من بني سهم، قال: خرج سهمنا. فأوقع الله في قلب بُرَيْدَةَ الإسلام فأسلم ومن كان معه، ثم قال: يارسول الله، لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء، وحلَّ بُرَيْدَةُ عِمامَته وشدَّها في رمح، ومشى بها بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال: يارسول الله، انزل علي؟ فقال: ناقتي مأمورة. فقال بريدة: الحمد لله الذي أسلمت بنو أسلم طائعين غير مكرهين[٤].

---

(١) الأجاجير: جمع إجَّار، وهو السطح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٥)، ومسلم ٤/ ٢٣٠٩ـ٢٣١١، وأحمد (٣)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٨٣ـ٤٨٤، وبعضهم أتم من بعض في السياق، وانظر «الجمع بين الصحيحين» (٣).

(٣) لم نقف عليه من حديث ابن عباس. وانظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٩٧ـ٩٨، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٩٩ـ٢٠٠.

(٤) القصة في «أسد الغابة» ١/ ٢٠٩، و«المنتظم» ٣/ ٥٦ـ٥٧.

حديث أم مَعْبَد[١]:

قال أبو معبد الخُزاعي: لما هاجر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ، وعامر بن فهيرة، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي، مرُّوا بخيمة أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة جَلدة بَرْزَةً تقعد بفناء الخيمة، ثم تُسْقي وتطعم، فسألوها تمراً ولحماً يشترون منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مُرْمِلون مُسْنِتون[٢]، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أَعْوَزْناكم القِرى، فنظر رسول الله ﷺ إلى الشاة في كِسْرِ الخيمة[٣]، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فقالت: شاة خلَّفها الجَهْدُ عن الغَنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم، بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حَلَباً. فدعا رسول الله ﷺ بالشاة، ومسح على ضرعها، وذكر اسم الله عليها وقال: اللهمَّ بارك لها في شاتها. قال: فتفاجَّت ودرَّت واجترَّت، ودعا بإناء يُرْبِضُ[٤] الرَّهْطَ، فحلب فيه ثجًّا[٥] حتى غلبه الثُّمالُ[٦]، وسقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رَوَوْا، وشرب رسول الله ﷺ آخرهم، وقال: «سَاقي القَوْم آخِرُهم شُرباً» فشربوا عَلَلاً بعد نَهَلٍ[٧] حتى أراضوا، ثم حلب فيه ثانياً عَوْداً على بَدْءٍ، فغادره عندها، ثم ارتحلوا، فقلَّ ما لبث زوجها أبو معبد أن جاء يسوق أَعْنُزاً حُيَّلاً[٨] عِجافاً هَزْلى، فلما رأى اللبن عَجِبَ، فقال: من أين لكم هذا، والشاة عازب[٩] ولا حَلوبةَ في البيت؟ فقالت: لا والله، إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كَيْتَ وكَيْتَ، فقال: إني والله لأراه صاحب قريش الذي يطلبونه، ثم قال: صفيه لي يا أم معبد،

(١) واسمها عاتكة بنت خالد. انظر «الإصابة» ٤/ ٤٩٧ .
(٢) مرملون: نفد زادهم. مسنتون: أجدبوا، أي: أصابهم القحط.
(٣) كسر الخيمة: أي جانبها.
(٤) يربض: أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا.
(٥) ثجاً: أي: لبناً سائلاً كثيراً.
(٦) الثمال: الرغوة.
(٧) العلل: الشرب الثاني، والنهل: الشرب الأول.
(٨) جمع حائل وهي التي لم تحمل.
(٩) الشاة العازب: البعيدة المرعى.

فوصفته. فقال: هو والله صاحب قريش الذي ذُكِرَ لنا من أمره ما ذُكِر، ولو كنت وافيته لالتمست أن أَصْحَبَهُ، ولأَفْعَلَنَّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، قال: وأصبح صوتٌ عالياً بمكة بين السماء والأرض يقول ولا يرون شخصه: [من الطويل]

جَزَى الله ربُّ النَّاس خَيرَ جزائه رفيقين قالا خَيمَتَي أمِّ مَعْبَدِ
هما نَزَلا بالبِرِّ وارتَحلا بهِ فأَفلَحَ مَن أمسى رفيقَ مُحَمَّدِ
فيالَ قُصيٍّ ما زَوَى اللهُ عنكمُ به من فَعالٍ لا تُجازى وسُؤدَدِ
سَلُوا أُختَكمْ عن شَاتِها وإنائها فإنَّكم إن تَسْألوا الشَّاة تشهدِ
دعاها بشاة حائلٍ فتحلَّبَتْ له بصريحٍ ضَرَّةُ الشاة مُزْبِدِ[1]
فغادره رهناً لديها بحالب تَدِرُّ بها في مَصْدَرٍ ثمَّ مَورِدِ[2]

فأصبح الناس قد فقدوا نبيهم ﷺ، وأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا بالنبي ﷺ، فأجابه حسان بن ثابت[3]: [من الطويل]

لقد خاب قوم زال عنهم نبيُّهم وقُدِّسَ من يسري إليه ويَغْتدي
ترحَّل عن قوم فزالت عقولهم وحلَّ على قَوْمٍ بنُورٍ مُجَدَّدِ
وهل يستوي ضُلَّالُ قوم تسكَّعوا عمًى وهُداةٌ يهتدون بمهتدِ
نبيٌّ يرى ما لا يرى النَّاسُ حوله ويتلو كتاب الله في كل مَشْهدِ
وإن قال في يوم مقالةَ غائب فتصديقها في ضحوة اليوم أو غدِ
ليَهْنِ أبا بكر سعادةُ جَدِّه بصحبته من يُسْعدِ الله يَسْعَدِ
ويَهْنِ بني سَعد مكانُ فتاتهم ومقعدُها للمسلمين بمَرْصَدِ

قالت أسماء بنت أبي بكر ﵄: مكثنا بمكة ثلاث ليال لا ندري أين توجَّه رسول الله ﷺ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنَّى بأبيات غناء العرب، نسمع صوته ولا نرى شخصه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

(١) الصريح: اللبن الخالص. والضرة: أصل الضرع. ومزبد: علاه زبد.
(٢) مصدر ثم مورد: أي يحلبها مرة بعد أخرى.
(٣) الأبيات في ديوانه ص٥٢، وأخرج القصة ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٩٦ـ١٩٨، وهي مروية أيضاً عن أم معبد وغيرها انظر «سبل الهدى والرشاد» ٣/ ٣٤٦.

جزى الله رب الناس خير جزائه... الأبيات، فلما سمعنا صوتَه، علمنا أين توجه رسول الله ﷺ(١).

وقال الواقدي: قالت أم معبد: طلع علينا أربعة على راحلتين، فنزلوا بي، فجئت رسول الله ﷺ بشاة أريد أن أذبحها له، فإذا هي ذات در فأَدنيتُها منه فلمس ضَرْعَها وقال: لا تذبحيها. وأَخَذْتُ أُخرى غيرها، فذبحتُها وطبختها لهم، فأكل هو وأصحابه منها، وملأت سُفرتهم، وبقي عندي لحمها أو أكثره، وبقيت الشاة التي لمس ضَرعها عندنا حتى كان عام الرَّمادة في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ، فكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً، وما في الأرض قليل ولا كثير. وعام الرمادة كان في سنة ثمان عشرة من الهجرة(٢).

ذكر ما جرى بعد خروج النبي ﷺ:

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: جاء في تلك الليلة أبو جهل ومعه نفر من قريش، فوقفوا على الباب وصاحوا، فخرجت إليهم، فقال أبو جهل: أين أبوك؟ قلت: لا أدري. فرفع يده فلطم خدي لطمة طرح منها قُرطي، وذكر كلاماً فاحشاً(٣).

وقالت أسماء: لما خرج أبو بكر رضي الله عنه احتمل ماله كلَّه، وكان ستة آلاف درهم، فدخل عَليَّ جَدِّي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا قد ترك لنا خيراً كثيراً، وأخذت أحجاراً، فوضعتها في كُوَّة البيت، وقلت: ضع يدك على المال، فوضعها وقال: لا بأس إن كان ترك لكم هذا، فقد أحسن. قالت: ووالله ما ترك لنا شيئاً، وإنما أردت أن أُسَكِّنَ الشيخ(٤).

وقال الطبري: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة، سمعت قريش قائلاً في الليل على أبي قُبَيس يقول: [من الطويل]

فإن يُسْلِمِ السَّعْدانِ يُضحي مُحمدٌ بمكَّةَ لا يخشى خلاف المخالف

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٩٥ـ٩٦، و«طبقات ابن سعد».
(٢) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٢٧٣ـ٢٧٤.
(٣) «السيرة» لابن هشام ٢/ ٩٥.
(٤) «السيرة» لابن هشام ٢/ ٩٦.

فلما أصبحوا، قالوا: من السَّعدان؟ فقال أبو سفيان: سعد بن بكر، وسعد بن تميم، فلما كانت الليلةُ القابلة، سمعوه يقول: [من الطويل]:

فيا سَعْدُ سَعْدَ الأَوْسِ كن أنت ناصراً ويا سَعْدُ سَعْدَ الخزرجين الغطارفِ
أجيبا إلى داعي الهُدى وتمنَّيا على اللهِ في الفِردَوسِ مُنْيَةَ عارِفِ
فإنَّ ثوابَ اللهِ للطالبِ الهدى جِنانٌ من الفردَوسِ ذاتُ رَفارفِ

فقال أبو سفيان: هذان والله سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ[1].

ذكر قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة:

قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وولد يوم الاثنين، ووضع[2] الحجر في الكعبة يوم الاثنين، ونُبِّئَ يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين.

ولما وصل إلى المدينة عدل ذات اليمين، فنزل في بني عمرو بن عوف بقُباء.

قال الواقدي: نزل على كلثوم بن الهِدْمِ أخي بني عمرو بن عوف[3].

وقال الهيثم: نزل على سعد بن خيثمة بن الحارث بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، لأنه كان عَزَباً ومنزله يسمى منزل العُزاب.

ورُوِيَ: أنه إنما نزل على كلثوم، وكان يتحدث مع أصحابه في منزل سعد[4].

وروي أنه نزل على أخوال عبد المطلب ليكرمهم بذلك[5].

فيحتمل أنه نزل عليهم ليلة، ثم ارتحل إلى بني عمرو بن عوف.

ونزل أبو بكر رضي الله عنه على حُبَيْب بن إساف، ولما انتقل رسولُ الله ﷺ من قُباء، نزل

(١) «تاريخ الطبري» ٢/ ٣٨٠ـ٣٨١.

(٢) كذا هي في النسخ، وجاء الخبر في «تاريخ الطبري» ٢/ ٣٩٣، و«المنتظم» ٣/ ٦٣ عن ابن عباس، وفيه: ورفع الحجر.

(٣) «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٠٠، وانظر «السيرة» لابن هشام٢/ ٩٩، و«المنتظم» ٣/ ٦٣.

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٠٠، و«أنساب الأشراف» ١/ ٣٠٥ـ٣٠٦.

(٥) أخرجه مسلم ٤/ ٢٣١١.

أبو بكر ﷺ على خارجة بن زيد الخزرجي بالسُّنْح وهو مكان بأعلى المدينة(١).

قال عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس ينظرون إلى وجهه، فلما رأيتُه عرفتُ أنه ليس بكذابٍ، فكان مما حَفظتُ من كلامه: «أيُّها الناسُ، أَفشُوا السَّلامَ، وصِلُوا الأرحَامَ، وأَطْعِمُوا الطَّعامَ، وصَلُّوا باللَّيلِ والناسُ نيامٌ، تدخُلُوا الجنَّةَ بسلامٍ»(٢).

ثم قدم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه المدينة فنزل على كلثوم بن الهِدْم(٣).

وأقام رسول الله ﷺ بمنى ثلاثاً(٤)، وقيل: بضع عشرة ليلة.

وقال ابن إسحاق: ركب رسول الله ﷺ من بني عمرو بن عوف يوم الجمعة سادس وعشرين ربيع الأول، فمر على بني سالم، فجمَّع بهم وخطب، وهي أول جمعة صلَّاها بالمدينة، وذلك الموضع يعرف بوادي رانوناء. وكان معه مئة من المهاجرين(٥).

ثم مرت ناقته فبركت في بني النجار على باب دار أبي أيوب الأنصاري، فنزل عليه وأقام عنده سبعة أشهر، وقيل: شهراً، والأول أصح.

وأول قَصْعَةٍ أهديت لرسول الله ﷺ وهو في منزل أبي أيوب، قصعة من ثريد فيها خبز وسمن أهدتها له أم زيد بن ثابت، فدعا لهم رسول الله ﷺ، وجاءت قصعة سعد ابن عبادة فيها ثريد وعراق، ثم تناوبت الأنصار القِصاعَ كل ليلة(٦).

وقال الواقدي: لما ركب رسول الله ﷺ من بني سالم إلى المدينة، مَرَّ بجَوَار من الأنصار فَقُلْن:

نحن جَوارٍ من بني النَّجار ... يا حبَّذا محمدٌ من جارِ

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٩٩.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد في «مسنده» (٢٣٧٨٤).

(٣) انظر «سيرة» ابن هشام ٢/ ٩٩.

(٤) كذا جاء في نسخنا، والصواب ما جاء في «السيرة» لابن هشام ٢/ ٩٩، و«المنتظم» ٣/ ٦٥: وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها.

(٥) «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٠٠، وانظر «المنتظم» ٣/ ٦٥، و«الطبقات الكبرى» ١/ ٢٠٣.

(٦) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٠٣-٢٠٤، والعراق: العظم.

فقال لهن رسول الله ﷺ: «الله يعلمُ أنِّي أُحبكنَّ»[١].

وكان بالمدينة حَبَشٌ يلعبون بالحراب، فلعبوا بين يديه ﷺ. وما فرح الأنصارُ فرحهم بشيء كفرحهم بقُدومه.

ولما نزل ببني سالم يومَ الجمعة، فخطب وقال: «الحمدُ لله أحمدُه، وأستعينُه وأُومن به، وأعادي مَنْ يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهُدى ودين الحق لِيظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون، من يُطِعِ اللهَ فقد رشد، ومن عصاه، فقد غَوَى»، وأوصاهم بتقوى الله وإصلاح ذات البين. ثم قال في آخر خطبته: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠] ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[الحج: ٧٨] الآية[٢].

ولما ركب ناقته من بني سالم أرخى زِمامَها، فجعلت لا تمر بدارٍ من دور الأنصار إلا دعاه أهلُها: هَلُمّ يا رسول الله إلى العدد والعُدَد والمَنَعَةِ. فيقولُ: «خلُّوا زِمامها فإنها مأمورة» حتى انتهى إلى موضع المسجد اليوم، فبركت عنده وهو مِرْبَدٌ لغلامين يتيمين وهما: سهل وسهيل ابنا عمرو بن عبادة[٣]، وهما في حِجرِ مُعاذ بن عَفراء، وقيل: في حجر أسعد بن زرارة.

ولما بَرَكتْ به لم ينزل عنها، فقامت وسارت غيرَ بعيد، ثم عادت إلى مبركها الأوَّلِ فبركت فيه، ووضعت جِرانَها على الأرض، فنزلَ رسولُ الله ﷺ عنها، فخرج أبو أيوب فاحتمل رحلَه، فنزل عليه وقال ﷺ: «المرء مع رَحْلِهِ»[٤]. وجاء أسعدُ بن زُرارة فأخذ بناقته، فكانت عنده[٥].

وفي رواية: فأسَّسَ رسول الله ﷺ بقباء المسجدَ الذي أُسِّسَ على التقوى، ثم سار إلى المدينة.

---

(١) وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٠٨، وابن الجوزي في «المنتظم» ٣/ ٦٤ من حديث أنس.

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٣٩٤-٣٩٥، و«المنتظم» ٣/ ٦٦.

(٣) في المصادر: عباد.

(٤) الخبر في «تاريخ الطبري» ٢/ ٣٩٦، و«المنتظم» ٣/ ٦٧.

(٥) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٠٣.

ذكر بناء مسجده ومساكنه ﷺ

قالت عائشة - رضي الله عنها - في تمام الحديث المتقدم تُعَظِّمُهُ[(١)]: فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعَ عشرة ليلةً، وأسس المسجدَ الذي أُسِّسَ على التقوى، وصلَّى فيه، ثم ركب راحلته، وسار يمشي الناسُ معه، حتى بَرَكَتْ عندَ المسجدِ اليوم، وهو يُصلي فيه يومئذ رجال مِن المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهلٍ وسُهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بنِ زرارة، فقال رسولُ الله ﷺ: «هذا إن شاءَ اللهُ المنزل». ثم دعا رسولُ الله ﷺ الغُلامين، فساومهما بالمربد ليتخذَه منزلاً ومسجداً، فقالا: بل نَهَبُهُ لك يارسول الله. ثم بناه مسجداً، وطَفِقَ رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِنَ في بنيانه ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة
فارحم الأنصار والمهاجرة

قال البلاذري: وهذا لامرأةٍ من الأنصار، وتمامه[(٢)]:

وعافِهم من حرِّ نارٍ ساعرة
فإنها لكافرٍ وكافرة

وقال هشام بن محمد: كان المسجد جداراً مجدَّراً من غير سقف، وله قبلة إلى بيت المقدس، وكان فيه غَرْقَد ونخيل، فأمر به رسول الله ﷺ فقُطِع، وكان فيه قبورُ الجاهلية، فأمر بها رسولُ الله ﷺ فنُبشت، ثم أسس رسول الله ﷺ المسجد، فجعلَ طولَه مما يلي القِبلةَ إلى مؤخره مئة ذراع، وفي الجانبين مثل ذلك، فهو مربع، وجعل عرض أساسه ثلاثة أَذْرُع من حجارة، وبنوا عليها باللَّبِنِ، وجعل له ثلاثة أبواب: باباً يقال له: باب الرحمة، وهو الذي يُدْعى باب عاتكة، وباباً يدخل منه رسولُ الله ﷺ، وهو الذي يلي دار عثمان رضي الله عنه، وباباً في مؤخره، وجعل ارتفاع الجدار قامةً وبسطةً، وسقفه بجذوع النخل والجريد، وبعضه من النخل الذي كان فيه، فقيل له: ألا تسقفه

---

(١) كذا في (خ،ك)، ولعلها: المتقدم بعضه، وأخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» ٣/ ٦٨ من رواية عائشة، وأخرجه البخاري (٣٩٠٦) مطولاً من حديث سراقة بن جعشم رضي الله عنه.

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٣١٣.

بخشب السَّاج، فقال: «عَرِيشٌ كعَرِيشِ مُوسى عليه السلام» ثم بنى إلى جانبه بيوتاً وسقفها بجذوع النخل، فلما فَرَغَ مِن البناء جعل باب عائشة شارعاً في المسجد، وجعل سودة بنت زَمْعة في البيت الذي يليه[١].

وفي المتفق عليه: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لاتُشدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسجِدِ الحَرَامِ، ومَسجِدي، والمَسجِدِ الأَقْصى»[٢]. «فصلاةٌ في مسجدي أَفْضَلُ مِن ألفِ صلاةٍ مما سواه إلا المسجدَ الحرام»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حرَّمَ النبي ﷺ ما بَينَ لابَتي المدينة. قال أبو هريرة: فلو وجدتُ الظباءَ ما بينَ لابتيها ما ذَعَرْتُها، وجَعَلَ حَولَ المدينةِ حمى اثني عشر ميلاً[٤].

ذكر مقامِ النبيِّ ﷺ بالمدينة:

وأقام بمكة ثلاث عشرةَ سنة -يعني بعد النبوة-، وهو الأصح، وقيل: عشر سنين، وقيل: خمس عشرة سنة. وهاجر في أول السنة الرابعة عشرة.

وفيها: بَعثَ رسول الله ﷺ إلى مكة: زيد بن حارثة وأبا رافع مولياه ليُحضرا أهله، ودفع إليهما بعيرين وخمس مئة درهم اقترضها من أبي بكر رضي الله عنه، فحَملا إلى المدينة: فاطمة وأُمَّ كُلثوم عليهما السلام ابنتي رسول الله ﷺ، وكانت رقية رضي الله عنها قد هاجرت مع عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحبس أبو العاص بن الربيع زينب بنت رسول الله ﷺ عنده، وحمل زيد معه أيضاً ابنه أسامةَ رضي الله عنه إلى المدينة، وخرج عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بأم رومان وعائشة رضي الله عنهما إلى المدينة، وخرج عبدالله ومعهم طلحة بن عُبَيد الله رضي الله عنه[٥].

وبلغ أبا أحمد بن جحش الأسدي الأعمى، أن أبا سفيان بن حرب باع دورهم من

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) جمع المؤلف هنا بين حديثين في سياق واحد، وقد فرق بينهما الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» (٢١٩٤)، و انظر البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)، وانظر الجمع بين الصحيحين (٢٤٧٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٧٣)، ومسلم (١٣٧٢)(٤٧٢) واللفظ له.

(٥) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٠٤، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٠، و«المنتظم» ٣/ ٧٠.

عمرو بن علقمة العامري بأربع مئة دينار، وقضى بثمنها ديناً كان عليه[١].

ذكر وباء المدينة:

قالت عائشةُ ﵂: قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة وهي وَبِيَّةٌ، فمرض أبو بكر ﵁ فكان إذا أخذته الحُمَّى، يقول: [من الرجز]

كـل امـرئ مُـصَـبَّـحٌ فـي أهـلـه ... والـمـوت أدنـى مـن شِـراك نـعـلـه

وكان بلال إذا أخذته الحُمى يقول: [من الطويل]

ألا لـيـتَ شـعـري هـل أبـيـتـنَّ لـيـلـةً ... بـوادٍ وحـولـي إذْخِـرٌ وجَـلـيـلُ

وهـل أَرِدَنْ يـومـاً مِـيـاهَ مَـجِـنَّـةٍ ... وهَـلْ يَـبْـدُوَن لـي شَـامَـةٌ وطَـفـيـلُ

اللهمَّ العن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأمية بن خلف، كما أخرجونا من مكة، فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقوا، قال: «اللَّهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكَّةَ أو أشدَّ، اللَّهمَّ صحِّحها وبارِكْ لنا في صَاعِها ومُدِّها، وانقل حُمَّاها إلى الجُحفَةِ». قالت: فكان المولود يولد بالجُحفةِ، فما يبلغ الحُلم حتى تصرعه الحمى. متفق عليه[٢].

ذكر أول امرأة بايعته ﷺ:

أول امرأة بايعت رسول الله ﷺ حين قدم المدينة: ليلى بنت الخَطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظَفَر، تزوجها في الجاهلية مسعود بن أوس، فولدت له: عُمَيْرة وعَمْرَةَ، وتوفي عنها، ووهبت نفسها للنبي ﷺ ثم استقاله بنو ظَفَر فأَقالهم، وفارقها. وكانت غيوراً، وكان يقال لها: أُكُلَةُ الأسد، وقد ذكرت في أزواج النبي ﷺ اللاتي لم يدخل بِهِنَّ[٣].

وفيها: بنى رسول الله ﷺ بعائشة ﵂ بالسُّنحِ في منزل أبي بكر ﵁، وكانت بنت تسع سنين، وقيل: ست سنين، والأول أصح. ودخل بها في ذي القعدة، وقيل: في

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٠٤.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦)، وأحمد في «مسنده» (٢٦٢٤٠).

(٣) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٣١٨.

رمضان، وقيل: في شوال، وهو الأصح.

وفي مسلم: أنها كانت تستحب أن تدخل نساءها في شوال، فقيل لها في ذلك، فقالت: وهل تزوجني رسول الله ﷺ إلا في شوال، وهل دخل بي إلا في شوال، وأي نسائه كان عنده أحظى مني؟[١]

قال أبوعاصم: إنما كره الناس أن يدخلوا النساء في شوال لطاعون وقع فيه في الجاهلية[٢]، فخالفتهم عائشة ﵂ في ذلك، وأدخلت نساءها في شوال.

قالت عائشة ﵂: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزَّق شعري فوفى جُمَيمَةً، فأتتني أمي أم رُومان، وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخَتْ بي فأَتَيْتُها، والله ما أدري ما تريد مني، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأَنْهَجُ حتى سكن بعض نَفَسِي، ثم أَخَذَتْ شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار فإذا نِسْوَة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر. فأسلمتني إليهن، فأَصْلَحْنَ شأني فلم يَرُعْني إلا رسولُ الله ﷺ، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين، فقلت: هه هه، وكنت ألعب بالبنات مع الجواري، فيدخل علي فينقمعن منه صواحبي، فيخرج فيُسَرِّبهنَّ إليَّ أو عليَّ. متفق عليه[٣].

وقالت عائشة ﵂: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنات، فقال: «ما هذه»؟ قلت: خيل سليمان ﵇، فضحك رسول الله ﷺ[٤].

وفيها: زِيْدَ في صلاة الحضر ركعتين، فصارت أربعاً أربعاً وذلك بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة بشهر في ربيع الآخر[٥].

وفيها: ولد النعمان بن بشير، وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة[٦].

(١) صحيح مسلم (١٤٢٣).
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٦١.
(٣) أخرجه البخاري (٣٨٩٤)، ومسلم (١٤٢٢).
(٤) أخرجه بهذا اللفظ ابن سعد في الطبقات ٨/ ٦٢، وأخرجه مطولاً أبو داود (٤٩٣٢).
(٥) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٠.
(٦) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠١.

وفيها: نزل أهلُ الصُّفَّةِ المسجدَ ومن جاء مهاجراً، وكان أهل الصفة ناساً فقراء لا منازل لهم، فكانوا ينزلون على عهد رسول الله ﷺ المسجدَ يَظَلُّون فيه، وليس لهم مأوى غيره، وكان رسول الله ﷺ يدعوهم في الليل إذا تعشى فيفرقهم في أصحابه، وتتعشى طائفة منهم معه حتى جاء الله بالغِنى، وفيهم نزل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾الآية [البقرة: ٢٧٣]، ولم يكن لهم بالمدينة عشائر، فحَنَّنَ الله الناس ليتصدقوا عليهم[١].

ومنهم واثِلَة بن الأسْقَع أبو قِرصَافة، ونُبَيْط بن شُرَيْط الأشجعي[٢]، وطلحة بن عمرو الليثي.

قال واثلة: كنت من أصحاب الصُّفة، وما منا إنسان يجد ثوباً تاماً، قد جعل الغبار والعرق في جلودناً طرقاً[٣]. وكنا عشر سنين[٤].

منهم: عَبَّاد بن خالد الغفاري، وربيعة بن كعب الأسلمي، خادم رسول الله ﷺ، وجَرْهَد بن رِزاح الأسلمي[٥]، ويعيش بن قيس بن طِهْفَة الغفاري[٦] في آخرين.

وفيها: أعد رسول الله ﷺ مكاناً ليُصَلِّي فيه على الجنائز. قال الواقدي: فهم إلى اليوم يصلون فيه على الجنائز[٧].

---

(١) «الطبقات الكبرى» ١/ ٢١٩.

(٢) لم نقف على ذكره في أهل الصفة، وهو معدود من صغار الصحابة، انظر «الاستيعاب» بهامش الإصابة ٣/ ٥٦٤، و«تقريب التهذيب» ص٤٩١.

(٣) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٢٠٣)، والبيهقي في «الشعب»(١٠٣٢١)

(٤) كذا وردت هذه العبارة في النسختين، ولعلها قطعة من حديث واثلة الذي أخرجه أحمد (١٦٠٠٦)، والبيهقي في الشعب(٥٩٢١) قال: كنت من أصحاب الصفة ... فدعاني رسول الله ﷺ يوماً ... ثم قال: انطلق ادع لي عشرة من أصحابك أنت عاشرهم . . ...

(٥) هو جرهد بن خويلد بن بجرة بن عبد ياليل بن زرعة بن رزاح، انظر «الإصابة» ١/ ٢٣١.

(٦) جاء في النسخ: يعيش بن طلحة الغفاري، والمثبت من طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٠ وهذا ليس من أصحاب الصفة، بل كان أبوه من أهل الصفة، كما صرح يعيش بذلك في حديث أبي داود (٥٠٤٠) قال: كان أبي من أصحاب الصفة، وكما في طبقات ابن سعد، وانظر «الإصابة» ٢/ ٢٣٥.

(٧) جاء في «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٢٠-٢٢١: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا مقدم النبي ﷺ المدينة إذا =

وفيها: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار واختلفوا في عددهم على أقوال:

أحدها: أنهم كانوا تسعين رجلاً، خمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصار(١).

قال أنس بن مالك ﷺ: إن النبي ﷺ حالف بين المهاجرين والأنصار(٢).

[وكان ذلك] قبل وقعة بدر على الحق والمواساة، ويتوارثون بعد الموتِ دون ذوي الأرحام، وهم تسعون رجلاً، خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار، فلما كانت غَزاةُ بدر، وأنزل الله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأحزاب:٦] نسخت آية المواريث المؤاخاة، ورجع كل إنسان إلى نسبه، وورث أولو الأرحام، وبقيت المؤاخاة فيما دون الميراث(٣). ومعنى حالف أي: آخى.

والثاني: أنهم كانوا ثلاث مئة.

والثالث: مئتين.

والرابع: مئة، خمسون من هؤلاء، وخمسون من هؤلاء.

وفيها: أسلم عبد الله بن سَلَام بن الحارث(٤) أبو يوسف، قال عبد الله بن سلام:

= حضر منا الميت أتيناه فأخبرناه، فحضره واستغفر له، حتى إذا قبض انصرف ومن معه، وربما قعد حتى يدفن، وربما طال ذلك على رسول الله ﷺ من حبسه، فلما خشينا مشقة ذلك عليه قال بعض القوم لبعض: والله لو كنا لا نؤذن النبي بأحد حتى يقبض فإذا قبض آذناه فلم تكن لذلك مشقة عليه ولا حبس، قال: ففعلنا ذلك، فكنا نؤذنه بالميت بعد أن يموت، فيأتيه فيصلي عليه ويستغفر له. فربما انصرف عند ذلك وربما مكث حتى يدفن الميت، فكنا على ذلك أيضاً حيناً، ثم قالوا: والله لو أنا لم نشخص رسول الله ﷺ، وحملنا الميت إلى منزله حتى نرسل إليه فيصلي عليه عند بيته لكان ذلك أرفق به وأيسر عليه، ففعلنا ذلك.
قال الواقدي: فمن هناك سمي ذلك الموضع موضع الجنائز، لأن الجنائز حملت إليه.. وانظر «أخبار المدينة» لابن شبة ١/ ٧ـ٨.

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٠٤ـ٢٠٥.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٤٠)، ومسلم (٢٥٢٩).

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٠٤ـ٢٠٥، ومابين حاصرتين زيادة منه.

(٤) في النسخ «الحصين» والمثبت من مصادر ترجمته، ويقال: كان اسمه الحصين فغيره رسول الله ﷺ. انظر «الطبقات الكبرى» ٥/ ٣٧٧.

تعلَّمتُ التوراة من أبي، وعرفتُ تأويلها، فوقفني على صفة رسول الله ﷺ وعلاماتِه فيها. وقال: إن كان من ولد هارون اتبعته، ومات قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة، فبينا أنا في عِذْقٍ أَجْني رُطَباً، صاح صائح من بني النَّضير: قدم صاحب العرب اليوم. فكبرتُ تكبيرةً عالية، وعمتي عجوز تحت العِذْق، فقالت: أي حبيب، والله لو كان القادم موسى عليه السلام ما زِدْت على ما صَنَعْتَ. فقلت: هو أخو موسى عليه السلام ونَبيٌّ مثله، ثم نَزَلْتُ وأَتَيْتُ رسول الله ﷺ فعرفتُه بالصّفة، وحدَّثْته حديث أبي، وأسلمت، ثم أَسلَمَتْ عمتي[١].

وأسلم مُخَيريق اليهودي[٢]، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ الآية [الأحقاف: ١٠].

وفيها: أسلم أبو قيس صِرْمةُ بن أبي أنس النجاري[٣].

وفيها: رأى عبد الله بن زيد الأنصاري الأذان في منامه.

قال عبد الله بن زيد بن عبد ربّه: لما أجمع رسول الله ﷺ أن يضرب بالنَّاقوس يجمع الناس للصلاة وهو كاره لموافقة النصارى، طاف بي من الليل طائف وأنا نائم، رجل عليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس يحمله، فقلت له: يا عبد الله، ألا تبيع النَّاقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: بلى. قال: تقول: الله أكبرُ الله أكبر، الله أكبرُ الله أكبرُ، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أنْ لا إله إلا الله، أشهد أنَّ محمداً رسول الله، أشهد أنَّ محمداً رسول الله، حيَّ على الصلاة حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح حيَّ على الفلاح، الله أكبرُ الله أكبر لا إله إلا الله. ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: تقول إذا أقمت الصلاة: الله أكبرُ الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أنَّ محمداً رسول الله، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، قد قامت الصلاةُ قد قامت الصلاةُ، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أصبحتُ أتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال: «رُؤيا حَقٌّ إن شَاءَ اللهُ تعالى» ثم

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ١١٨ ، ولم نقف على هذا السياق في أي من المصادر.

(٢) انظر «الإصابة» ٣/ ٣٩٣ .

(٣) انظر الخبر في السيرة ٢/ ١١٢ .

أمر بالتأذين، فكان بلال يؤذن بذلك ويدعو رسول الله ﷺ إلى الصلاة، فدعاه ذات غداة إلى الفجر، فقيل: إن رسول الله ﷺ نائم، فصرخ بأعلى صوته: الصلاة خير من النوم، مرتين. قال سعيد بن المسيب: فأدخلت هذه الكلمة في التأذين لصلاة الفجر(١).

فالتأذين ثبت بحديث عبد الله بن زيد بإجماع الأمة، لا يُعرَفُ بينهم خلافٌ، إلا ماروي عن محمد بن الحنفية فإنه كان ينكر هذا، ويقول: أتعمدون إلى ماهو الأصل في شرائع الإسلام ومعالم الدين، فتثبتونه بمنامٍ كلّا، وإنما أخبرني أبي علي عليه السلام أنه ليلة أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وجمع له الأنبياء هناك، قام جبريل فأذَّن وأقام، فتقدم رسول الله ﷺ فصلّى بهم، ثم أعاد جبريل الأذان في السماء، فسمعه عبدالله بن زيد، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الأرض، فالأذان ثبت بقول جبريل عليه السلام لا بمنام يحتمل الصدق والكذب، وقد يكون أضغاث أحلام.

والجواب: لو ثبت الأذان بقول جبريل عليه السلام لما احتاجوا إلى المشورة، والمعراج كان قبل الهجرة، فلو تقدم فيه توقيف لما أشار البعض بالناقوس وغيره(٢).

وفيها: عقد رسول الله ﷺ لحمزة رضوان الله عليه لواءً أبيض بيده، وهو أول لواءٍ عُقِدَ بيده، وكان يحمله أبو مرثد كنَّاز بن الحصين الغَنَوي حليف حمزة، وذلك في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مُهاجَرِه، وبعث معه ثلاثين رجلاً من المهاجرين، ولم يبعث معه أحداً من الأنصار لأنهم شرطوا عليه أن يمنعوه في دارهم لا خارجاً، وخرج حمزة رضي الله عنه يعترض لِعير قريش، لقي أبا جهل ـ لعنه الله ـ وهو في ثلاث مئة، واصطفوا للقتال، فحال بينهم مَجْدي(٣) بن عمرو الجُهَني، وكان حليفاً في قريش للفريقين، ومشى بينهم فلم يَجْرِ قتال، وعاد حمزة إلى المدينة ومضى أبو جهل إلى مكة(٤).

وفيها: عقد رسول الله ﷺ لعبيدة بن الحارث بن المطلب لواءً في شوال، وأَمَره أن

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٤٧٧).

(٢) انظر «السيرة الشامية» ٣/ ٥٢٣ .

(٣) جاء في «دلائل النبوة»: مخشي.

(٤) الخبر في «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٧٤ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٦ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٢ ، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٨ـ٩ ، و«المنتظم» ٣/ ٨٠ .

يسير إلى بطن رابغ على رأس ثمانية أشهر من مُهاجَرِه في ستين رجلاً من المهاجرين، وكان حامل اللواء مِسطَحَ بنَ أُثَاثَةَ، فالتقى بأبي سفيان بن حرب على ماءٍ يقال له: أحياء، وأبو سفيان في مئتي راكب من قريش، وكان مع عبيدة سعد بن أبي وقاص، فرمى يومئذ في الكفار، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وترامَوْا بالنَّبْل، ثم انصرف الفريقان ولم يَجْرِ بينهم مُسايَفةٌ، وفر إلى المسلمين المقداد وعتبة بن غزوان، وكانا قد أسلما، وإنما خرجا ليتوصلا إلى المسلمين بالمشركين(١).

وقال ابن إسحاق: كانت هذه السرية في السنة الثانية، وكان على المسلمين مِكرَز ابنُ حفص، وعلى الكفار أبو جهل(٢).

وفيها: عقد رسول الله ﷺ لسَعْدِ بن أبي وقاص لواء أبيض، وأرسله إلى الخَرَّار، وكان حاملُه المقداد بنَ عمرو، وبعث معه عشرين رجلاً من المهاجرين، وكانوا رجَّالةً يعترض عِير قريش، وعهد إليه أن لا يجاوز الخرّار، وهو واد بين الجحفة ومكة، ففاتَتْهم العير إلى مكة، فعادوا إلى المدينة(٣).

وفيها: فرض القتال، ونزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ الآية [الحج: ٣٩](٤).

وفيها: كانت قصة فاطمة بنت النعمان مع تابعها من الجن.

قال علي بن الحسين عليه السلام: كانت امرأة من بني النجار، يقال لها: فاطمة بنت النعمان لها تابع من الجن، فكان يأتيها، فأتاها يوماً حين هاجر رسول الله ﷺ، فانقضَّ

---

(١) «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٧١، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٦ـ٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٢، و«دلائل النبوة» ٣/ ١٠، و«المنتظم» ٣/ ٨٠ـ٨١.

(٢) كذا، والذي في السيرة ١/ ٥٩٢: أنه كان على الكفار عكرمة بن أبي جهل، وقيل: مكرز بن حفص، وانظر طبقات ابن سعد ٢/ ٧.

(٣) هذه رواية الواقدي في «المغازي» ١/ ١١، وعنه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٧، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٠٣. ورواية ابن إسحاق أنهم كانوا ثمانية رهط من المهاجرين، انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٧٨.

(٤) لم نقف على من عين السنة التي فرض فيها القتال إلا ما ذكر المقدسي في «البدء والتاريخ» ٤/ ١٨٠ فقال: وكانت سنو الهجرة عشرة سنين: السنة الأولى سنة الهجرة، والثانية سنة الأمر بالقتال. وانظر كلام الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه «السيرة النبوية» ٢/ ٧٥ـ٧٦.

على الحائط، فقالت: مالك لم تأت كما كنت تأتي؟ فقال لها: قد جاء نَبيٌّ يحرم الزنا والخمر(١).

وقيل: إن المختار(٢) وزياداً(٣) ولدا في هذه السنة(٤).

فصل في ذكر من توفي من الأعيان

أسعد بن زُرارَة(٥)

ابن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن النجار، وأمه سعاد بنت رافع خزرجية.

وأسعد من الطبقة الأولى من الأنصار، وكنيته: أبو أمامة، وهو أحد النقباء الاثني عشر، حضر العقبتين مع الأنصار، وكانت وفاته بالذَّبْحةِ قبل أن يفرغ رسول الله ﷺ من بناء مسجده، ودفن بالبقيع، وله صحبة ورؤية، وليس له رواية.

البراء بن مَعْرور(٦)

ابن صخر بن سنان بن عُبَيْد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، أحدُ النقباء الاثني عشر، وأمه: الرَّباب بنت النعمان ابن امرئ القيس من الأوس.

والبراء من الطبقة الأولى من الخزرج شهد العقبتين، وكانت وفاته في صفر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وهو أول من مات من النقباء، ولما قدم رسول الله ﷺ، صلى على قبره وترحَّمَ عليه، وقال: «اللهمَّ ارض عنه وقد فَعَلْت» وهو أول من أوصى

---

(١) الخبر في «الطبقات الكبرى» ١/ ١٤٠، و«المنتظم» ٣/ ٨١-٨٢.

(٢) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب مات سنة ٦٧هـ وسيذكره المصنف فيها.

(٣) هو زياد بن عبيد الثقفي الملقب بزياد بن أبيه، مات سنة ٥٣هـ وسيذكره المصنف فيها.

(٤) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٢.

(٥) انظر ترجمته في: «السيرة» لابن هشام ٢/ ١١٠، و«الطبقات الكبرى» ٥/ ٥٦٢، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٩٧، و«المنتظم» ٣/ ٨٢، و«الكامل» ٢/ ١١٠، و«أسد الغابة» ١/ ٨٦، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٩٩، و«الإصابة» ١/ ٣٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٧١، والمنتظم ٣/ ٨٣، وأسد الغابة ١/ ٢٠٧، وسير أعلام النبلاء١/ ٢٦٧، والإصابة ١/ ١٤٤.

بثلث ماله، وأجازه رسول الله ﷺ. وكان له من الولد: بِشْر، ومبشِّر، وهند، وسُلافةُ، والرَّباب، أسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ.

جُنْدع بن ضمرة الجُنْدَعي(١)

واختلفوا في اسمه، وكان قد مرض بمكة، فقال لبنيه: أخرجوني منها. قالوا: إلى أين؟ فأومأ بيده نحو المدينة، وهو يريد الهجرة، فلما بلغ أضاة بني غِفار مات، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠] الآية(٢).

كلثوم بن الهِدْم(٣)

ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف الأنصاري الذي نزل عليه ﷺ بقباء، وهو من الطبقة الأولى من الأوس.

كان رجلاً صالحاً كبيراً شريفاً، أسلم قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وحسن إسلامه، ونزل عليه جماعة من الصحابة(٤). وقيل: إنه توفي في السنة الثانية.

وفيها: ـ يعني في السنة الأولى من الهجرة ـ توفي من رؤساء الكفار:

الأسود بن عبد يَغوث

ابن وهب بن عبد مناف، وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ، فخرج يوماً إلى البرِّيَّة، فعطش، فاسودَّ وجهُه، فأتى داره فلم يعرفوه، وأغلقوا في وجهه الباب، فمات عطشاً(٥).

وقيل: أخذ جبريل عليه السلام في عنقه، فحنى ظهره حتى احقوقب، فقال رسول الله

---

(١) انظر ترجمته في «الطبقات الكبرى» ٥/ ١١٩، و«الإصابة» ١/ ٢٥١. وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» ٣/ ١٧٦ ضمن وفيات السنة الثالثة.

(٢) الخبر في الطبقات الكبرى» ٥/ ١١٩ـ١٢٠.

(٣) انظر ترجمته في «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٧٤، و«المنتظم» ٣/ ٨٣، و«أسد الغابة» ٤/ ٤٩٥، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٤٢، و«الإصابة» ٣/ ٣٠٥.

(٤) الخبر في «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٧٤.

(٥) الخبر في «أنساب الأشراف» ١/ ١٥٠، و«الكامل» ٢/ ٧١، وعندهما: أصابته السموم فاسود وجهه.

ﷺ: خالي خالي. فقال جبريل عليه السلام: دعه دعه. فهلك[١]. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾[الحجر: ٩٥] ودفن بالحجون.

العاص بن وائل السهمي

أبو عمرو، وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ، خرج من مكة يريد الطائف على حماره، وكان له به مال، فربض به الحمار على شِبْرِقة، فأصابت رجله شوكة، فانتفخت وصارَ مثل عنق البعير فهلك منها، وهو ابن خمس وثمانين سنة[٢].

الوليد بن المغيرة

ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد شمس، كان من المستهزئين برسول الله ﷺ، وكان يسمي نفسه: الوحيدَ والعِدْلَ، أي: أنه وحيد قومه ولا يعادله أحد، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾[المدثر: ١١] الآيات[٣].

وقال الوليد لسعيد بن العاص: يا أبا أُحيحة، هلا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم مثلك أو مثل عروة بن مسعود الثقفي، فقال له سعيد: أو مثلك يا أبا عبد شمس، فنزل: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾[٤][الزخرف: ٣١].

وطئ الوليد سهماً فخدشه، فتممه جبريل، فهلك وهو ابن خمس وتسعين سنة، ودفن بالحجون[٥].

ولما احتضر جلس عند رأسه أبو جهل، فجزع جزعاً شديداً، فقال له أبو جهل: يا عم، فيم جزعك وأنت سيد قريش، وقد عُمِّرت طويلاً، ولك المفاخر والمآثر، وأنت

---

(١) أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ١٥٠، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٥/ ١٠٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) الخبر في «أنساب الأشراف» ١/ ١٥٨، و«الكامل» ٢/ ٧٢.

(٣) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ١٥١_١٥٢، و«المنتظم» ٣/ ٨٤، و«الكامل» ٢/ ٧١.

(٤) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ١٥٣.

(٥) الخبر في «أنساب الأشراف» ١/ ١٥٣، و«الكامل» ٢/ ٧٢، والنص عندهما: وكان مرَّ برجل من خزاعة يريش نبلاً فوطىء على سهم منها فخدشه، ثم أومأ جبريل إلى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات منه.

أول من خلع نعليه عند دخول الكعبة، وقطعْتَ في السَّرِقة، وقضيت في الخُنثى من حيث يبول؟ وعَدَّدَ مآثره. فقال: والله ما بي جزع من الموت، وإنما أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة، وكان أبو سفيان جالساً عند رأسه، فقال: يا عم، لا تجزع فأنا ضامن لك أنه لا يظهر بمكة أبداً، ومات[1].

وفي هذه السنة صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه[2].

عن سلمة بن الأكوع: أن النبي ﷺ أمر رجلاً من أسلم أن يؤذن في الناس يوم عاشوراء: «من كان صائماً فليتم صومه ومن كان آكلاً فلا يأكل وليتم صومه». أخرجاه في «الصحيحين»[3].



(١) انظر «المنتظم» ٣/ ٨٤، و «السيرة» لابن هشام ٢/ ٤٠، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٣١٦.

(٢) قال ابن حجر في «الفتح» ٤/ ٧٧٢: كان الأمر بصيام عاشوراء أول قدومه المدينة، ولا شك أن قدومه كان في ربيع الأول، فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٢٤)، ومسلم (١١٣٥).

السنة الثانية من الهجرة

وفيها تزوج علي عليه السلام فاطمةَ رضي الله عنها في صفر[١]. وقيل: في رجب، وقيل: في رمضان، ودخل بها في ذي الحجة، وقيل: مَرْجِعَهُ من بدر[٢].

ذكر خطبتها:

قال ابن سعد: حدثنا مسلم[٣] بن إبراهيم، حدثنا المنذر بن ثعلبة، حدثني عِلْباءُ بن أحمر اليَشْكري، أن أبا بكر رضي الله عنه ذكر فاطمة، فقال النبيُّ ﷺ: «إنِّي أَنتظِرُ بها القَضَاء» فذكر أبو بكر ذلك لعمر فقال: ردَّك. ثم خطبها عمر رضي الله عنه فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فأخبر عمر أبا بكر، فقال: ردَّك يا عمر. ثم إنَّ أهلَ علي قالوا: اخطبها إلى رسول الله ﷺ؟ فقال: أَبَعْدَ أبي بكر وعُمَرَ؟ فذكروا له قرابته من رسول الله ﷺ، فخطبها فزوَّجه إياها، فباع عليٌّ بعيراً ومتاعاً بأربع مئة درهم وثمانين درهماً، فقال له رسول الله ﷺ: «اجعل ثلثين في الطيب وثلثاً في المتاع».

وقد اختلفت الرواية في كيفية الخطبة:

فذكر ابن سعد أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال له: «ما تَصْدُقها»؟ فقال: ما عندي شيء. فقال: «أينَ دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ»؟ قال: عندي، قال: «فأَصْدِقْها إيَّاها»[٤].

وروى عبد الكريم[٥] بن سَليط، عن بريدة، عن أبيه، قال: أتى علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فسلَّم عليه. فقال: «ما جَاءَ بكَ»؟ فقال: أخطب فاطمة. فقال:

---

(١) انظر «المنتظم» ٣/ ٨٤.

(٢) جاء في «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٢٣ قال: تزوج علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله ﷺ في رجب بعد مقدم النبي ﷺ المدينة بخمسة أشهر، وبنى بها مرجعه من بدر.

(٣) في النسخ: «مسلمة» والمثبت من «الطبقات» ١٠/ ٢٠.

(٤) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٢١.

(٥) في النسخ: «عبد العزيز» والمثبت من «الطبقات» ١٠/ ٢١، وانظر «تهذيب الكمال» ١٨/ ٢٥٠.

«مَرْحَباً وأَهْلاً». ولم يزده على ذلك، فخرج علي إلى نفر من الأنصار، فقالوا: ما قال لك؟ فأخبرهم، فقالوا: قد أعطاك الأهل والمَرْحب، ثم زوجه بعد ذلك.

قال ابن سعد: ولما خطبها علي رضي الله عنه، دنا رسول الله ﷺ من خدرها، وقال: إن علياً يطلب فاطمة[1].

فصار ذلك أصلاً في كلِّ بِكْر تُستأمر.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يزوج أحداً من بناته، جلس إلى خدرها وقال: «إن فُلاناً يَذكرُ فُلانَةَ». فيسميها ويسمي الرجل الذي ذكرها، فإن هي سكتت زوجها، وإن كرهت نقرت الستر، فإذا نقرته لم يزوجها[2].

وفيها: كانت غزاة الأَبواء[3] في شهر ربيع الأول، وهي أول غزاةٍ غزاها رسول الله ﷺ بنفسه. واستخلف على المدينة سَعْدَ بنَ عُبادةَ، وحمل لواءه حمزةُ بن عبد المطلب وكان أبيض، وخرج في المهاجرين لا غير يتعرَّض لِعيْر قريش، فأقام بالأبواء ووَدَّان خَمْسَ عَشرة ليلة، ووادعَ مَخْشيَّ بن عَمْرو سيِّدَ بني ضمرة، أن لا يغزوهم ولا يغزونه، ولا يعينون عليه أحداً، وكتب بينه وبينهم كتاباً، ثم عاد إلى المدينة ولم يلق كيداً.

وفيها: كانت غزاة بُواط[4] في ربيع الأول أيضاً، خرج رسول الله ﷺ بنفسه في المهاجرين، وكانوا مئتين يتعرض أيضاً لعير قريش، وكان فيها أمية بن خلف الجمحي في مئة رجل من قريش، وفيها ألفان وخمس مئة بعير، وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ، ثم رجع ولم يلق كيداً.

وفيها: كانت غزاة سَفَوان[5] في آخر ربيع الأول مَرْجِعَه من بُواط، وسَفَوان وادٍ

---

(١) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٢٠.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٤٩٤).

(٣) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٧٠، و«المغازي» ١/ ١١، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٧، و«المنتظم» ٣/ ٨٨ وهي غزوة وَدَّان.

(٤) بواط: بضم الباء وفتحها. وانظر الخبر في «السيرة» ٢/ ١٧٦، و«المغازي» ١/ ١٢، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٧، و«المنتظم» ٣/ ٨٩.

(٥) وهي غزوة بدر الأولى، انظر الخبر في «السيرة» ٢/ ١٧٨، و«المغازي» ١/ ١٢، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٧، و«المنتظم» ٣/ ٨٩-٩٠.

بالحجاز، وكان كُرْز بن جابر الفهري قد أغار على سَرْح المدينة، فخرج النبي ﷺ في طلبه في المهاجرين، وحمل علي عليه السلام لواءه، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، ومضى حتى بلغ سَفَوان، وفاته كُرْزٌ فرجع إلى المدينة.

وفيها: كانت غزاة ذات العُشَيْرة[١]، خرج رسول الله ﷺ من المدينة في جمادى الآخرة في مئة وخمسين راكباً من المهاجرين، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، فبلغ ذات العُشَيْرَةِ يتعرض لعير قريش ففاتته إلى الشام، وهذه العير لما رجعت من الشام خرج يعترضها، فكانت وقعة بدر في رمضان، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ووادع مُدْلجاً[٢] فأكرموه، وأحسنوا ضيافته.

وفي هذه الغزاة كنّى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا تراب[٣].

وفيها: كانت سرية عبد الله بن جحش[٤] إلى نخلة، في جمادى الآخرة[٥]، وكانوا اثني عشر، وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: ثمانية، وقيل: تسعة، وهم: عبد الله بن جَحْش، وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، وعُكَّاشةُ بن مِحْصَن، وأبو حذيفة بن عتبة، وعتبة بن غزوان، وسهيل بن بيضاء، وعامر بن فهيرة[٦]، وواقد بن عبد الله، وكان كل اثنين يعتقبان بعيراً، وأمرهم رسول الله ﷺ أن يرصدوا عير قريش بنخلة.

قال عروة بن الزبير: إن رسول الله ﷺ كتب لعبد الله بن جحش كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه ويمضي لما أمره به، ولا يستكرهنَّ أحداً من

(١) انظر الخبر في «السيرة» ٢/ ١٧٦، و«المغازي» ١/ ١٢-١٣، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٩، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٨، و«المنتظم» ٣/ ٩٠. ويقال لها: العسيرة، بالسين المهملة.

(٢) في النسخ: «مذحجاً» والمثبت من المصادر.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ٩.

(٤) انظر «السيرة» ٢/ ١٧٨، و«المغازي» ١/ ١٣، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٩، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤١٠، و«المنتظم» ٣/ ٩١.

(٥) ولعل الصواب أنها كانت في رجب كما في «المصادر»، وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ١٧.

(٦) جاء في «السيرة»: عامر بن ربيعة. ويؤيده ما أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٣٤٧٩) و«الإصابة» ٢/ ٥٣٧ عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية نخلة...

أصحابه، فسار يومين ثم نظر في الكتاب، وإذا فيه: «أما بعد: فإذا نظرت في كتابي هذا، فَسِرْ حتى تنزل بطن نخلة بين مكة والطائف، فترصدَ بها عير قريش، وتعلمَ أخبارهم لنا».

قال ابن إسحاق: فلما قرأه استرجع، ثم قال: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه، وقال: من رغب منكم في الشهادة، فلينطلق معي، ومن كرهها فليرجع، فإن رسول الله ﷺ أمرني أن لا أستكره أحداً. فساروا معه ولم يتخلف منهم أحد، فسلك الحجاز، حتى إذا كانوا بمَعْدِنٍ فَوْق الفُرْعِ أَضلَّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غَزْوان بعيرهما، فتخلَّفا في طلبه، ومضى عبد الله وأصحابه حتى نزل نخلةَ، ومرت عير قريش تحمل زبيباً، وأَدَماً، وتجارة، وفيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل، فلما رآهم القوم هابوهم، وكانوا قد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عكَّاشةُ وقد حلق رأسه، فلما رأوه أمِنوا وقالوا: عُمّارٌ لا بأس عليكم منه. وكان ذلك آخر يوم من جمادى الآخرة، فتشاوروا في أمرهم وقالوا: والله لئن تركتم هذه الليلة ليدخلن الحرم فيمتنعون منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام، لأن بعضهم ظن أنه أول يوم من رجب. ثم عزموا على قتالهم، فرمى واقد بن عبد الله عَمْرَو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كَيْسان، وأفلت نوفلٌ إلى مكة، واستاقوا العير والأسيرين إلى المدينة، وهي أول غنيمة قسمت في الإسلام، وأول لواء جرى تحته قتال، فلما قدموا المدينة وقَّفَ رسول الله ﷺ أمر العير والأسيرين، وقال: «ما أمرتكُم بالقِتَال في الشَّهر الحرام». ولم يأخذ منه شيئاً، وسُقِط في أيدي القوم: عبد الله وأصحابه ولامهم المسلمون، وقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام، فسفك الدماءَ وأخذ المالَ وأسر الرجال، وتفاءلت اليهود بذلك، وقالت: واقد: وقدت الحرب، وعمرو: عمرت، والحضرمي: حضرت، وضاق صدر النبي ﷺ، وجلس عبد الله ومن كان معه في بيوتهم، وضاق بهم ذرعاً، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:٢١٧] الآية، فكانت تسليةً لعبد الله وأصحابه، وفرَّج الله عنهم، وقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وقيل: حبسهما حتى قسَّمهما مع غنائم بدر، وبعثت قريش في فداء الأسيرين، فقال رسول الله

ﷺ: حتى يقدم صاحبانا سعد وعُتبة. فأقاما حتى قدما، ففاداهما رسول الله ﷺ، فأما الحكم فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند النبي ﷺ حتى قتل شهيداً ببئر معونة.

وفي هذه السنة: سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين، وهو أول من تسمى بها.

وفي هذه السنة: تحولت القبلة إلى الكعبة في شعبان، وقيل: في يوم الاثنين النصف من رجب.

عن ابن عمر قال: بينا الناس بقباء في صلاة الفجر، إذ جاءهم آت فقال: إن النبي ﷺ قد أُنزل عليه قرآن، وقد أُمر أن يستقبل القبلة، فاستقبلوها ـ وكانت وجوههم إلى الشام ـ فاستداروا إلى الكعبة. متفق عليه[(١)].

وكانت صلاته إلى البيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وقيل: ثمانية عشر شهراً، وقيل: عشرة أشهر، وقيل: تسعة أشهر.

وفيها: جدد رسول الله ﷺ مسجد قُباء لمّا صُرِفت القبلة إلى الكعبة.

عن سهل بن سعد قال: لما صرفت القبلة إلى الكعبة، أتى رسول الله ﷺ مسجد قباء، فقدَّم جدار المسجد إلى موضعه اليوم، وأسَّسه بيده، ونقل الحجارة ونقل معه أصحابه لبنائه، وكان رسول الله ﷺ يأتيه كل سبت ماشياً، قال سهل: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن صلَّى في مسجدِ قُباءَ، كان له أجرُ عُمرةٍ»[(٢)].

وقال ابن عباس: لو كان في طرف من أطراف الأرض، لضربنا إليه أكباد الإبل، وكان يأتيه كل خميس ويقول: هو المسجد الذي أسس على التقوى[(٣)].

وفيها: نزلت فريضة رمضان في شعبان[(٤)].

وفيها: كانت غزاة بدر الكبرى[(٥)] في سابع عشر رمضان، وقيل: في تاسع عشره،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣)، ومسلم (٥٢٦).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢١٠، وأخرجه العقيلي في الضعفاء ١/ ٢٢٠ من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) «الطبقات الكبرى» ١/ ٢١٠ عن عمر رضي الله عنه.

(٤) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٤١٧.

(٥) انظر الخبر في «السيرة» ٢/ ١٨٢، و«المغازي» ١/ ١٩، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٠، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٢١، و«المنتظم» ٣/ ٩٧.

وبدر اسم ماء، وقيل: بئر لرجل يدعى بدراً، وهو عن يمين طريق مكة بين مكة والمدينة.

والسبب في هذه الغزاة، أن أبا سفيان بن حرب كان خرج إلى الشام في عير فيها أموال قريش، وكان رسول الله ﷺ قد خرج بسببها ففاتته ـ كما ذكرنا ـ، ثم بلغه خبر عَوْدِها من الشام، فخرج يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وقيل: أبو لُبابة[1] بن عبد المنذر، وأُخبرَ النبي ﷺ بما في العير من الأموال وبقلّةِ عددهم، فخرج معه جماعة من الأنصار لم يكن غزا بهم قبل ذلك، وإنما خرجوا طمعاً في الأموال، ولا يُحَدِّثون أنفسهم بكثير قتال، وضرب رسول الله ﷺ عسكره ببئر أبي عِنَبَة وهي على ميل من المدينة، وبعث طلحة بن عُبَيْد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يتحسسان خَبَر العير.

قال ابن سعد: جميع من شهد بدراً من المهاجرين الأولين من قريش وحلفائهم ومواليهم في عدد ابن إسحاق: ثلاثة وثمانون، وفي عدد الواقدي: خمسة وثمانون[2].

وجميع من شهدها من الأوس ضرب له بسهمه وأجره في عدد موسى بن عقبة والواقدي: ثلاثة وستون، وفي عدد ابن إسحاق وأبي معشر: أحد وستون[3].

وجميع من شهدها من الخزرج في عدد الواقدي: مئة وخمسة وسبعون، وفي عدد ابن إسحاق مئة وسبعون، قال: فجميع من شهدها من المهاجرين والأنصار، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم وأَجْر في عدد ابن إسحاق: ثلاثمئة وأربعة عشر، وفي عدد أبي معشر والواقدي: ثلاث مئة وثلاثة عشر، وفي عدد موسى بن عقبة: ثلاث مئة وستة عشر[4].

قال المصنف رحمه الله: وهذا الذي ذكر ابن سعد في المجمع على هؤلاء لا في المختلف فيه.

---

(١) في النسخ: «أسامة» والمثبت من المصادر.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٨٧، وانظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٢٣٧.

(٣) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٤٨.

(٤) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٥٥.

فصل في فَضْل أهل بدر:

قال رفاعة بن رافع الزُّرَقي: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: ما تَعدُّون أهل بدر فيكم؟ فقال: «مِن أَفْضَلِ المُسلِمينَ» أو كلمة نحوها، فقال جبريل: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة. انفرد بإخراجه البخاري(١).

وفي المتفق عليه من حديث علي ﷺ: أن النبي ﷺ قال في قصة حاطب: «وَما يُدرِيكَ لعلَّ الله اطَّلَع على أهلِ بدرٍ، فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فقَد غَفَرتُ لَكُم»(٢).

وقال قيس بن أبي حازم: كان عطاء البدريين خمسة آلاف، وقال عمر: لأُفَضِّلَنَّهم في العطاء على مَنْ بَعْدَهم(٣).

عدنا إلى أول الغزاة

وأقبل أبو سفيان من الشام في سبعين راكباً من قبائل قريش كانوا تِجاراً، فيهم: مَخْرَمة بن نوفل الزهري وعمرو بن العاص ووجوه قريش، في ألف بعير، فأقبلوا على الساحل يريدون مكة، ورحل رسول الله ﷺ من بئر أبي عِنَبَة يريد العير بعد أن عرض أصحابه فَردَّ مَن استصغره، وكان فيمن رد عبد الله بن عمر، والبراء بن عازب، وأسامة ابن زيد، ورافع بن خَديج، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وعمير بن أبي وقاص، فبكى، فرده إلى بدر، فقتل في ذلك اليوم، ولم يكن في ظن رسول الله ﷺ أنه يحارب، وإنما قَصد العير، ولما خرج من المدينة خلَّف عُثمانَ بن عفان على ابنته رُقيَّةَ يُمَرِّضُها حتى توفيت، وخلَّف أبا لبابة أميراً على المدينة، ورَدَّ الحارث بن حاطب إلى بني عمرو ابن عوف لشيء بلغه عنهم.

قال البلاذري: وأبطأ على رسول الله ﷺ أناس من الصحابة ظناً منهم أنه لا يحارب، منهم: سعد بن عبادة، وقيل: إنه لُسع، ورافعُ بنُ مالك، وعبدُ الله بن أُنَيْس، وكعب بن مالك، والعباس بن عُبادة بن نَضْلة، وأُسَيْد بن حُضَير(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٢٢).

(٤) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٣٧.

ذكر ما كان مع المسلمين من الإبل والخيل:

كان معهم سبعون بعيراً يتعاقبُ البعيرَ النفرُ، وكان بين رسول الله ﷺ وعلي وزيد ابن حارث رضي الله عنهما بعير، وبين حمزة ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد وأبي كبشة وأَنسةَ موليا[(١)] رسول الله ﷺ بعير، وبين عبيدة بن الحارث والطُّفَيل والحُصين بن الحارث بعير، وبين أبي بكر وعمرو بن عوف بعير[(٢)].

وكان معهم ثلاثة أفراس: فرس المقداد بن عمرو، وفرسٌ لِمَرْثَد الغنوي، وفرس الزبير بن العوام.

ذكر الرجل الذي تبع رسول الله ﷺ عند خروجه:

قالت عائشة رضي الله عنها: لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، فلما كان بحرَّة الوَبَرة أدركه رجل قد كان يُذكر له جُرْأةٌ ونَجْدَةٌ، فلما رآه أصحاب رسول الله ﷺ فرحوا به، فقال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعَك وأُصيبَ معك. فقال له: «أَتُؤْمِنُ بالله ورَسُولِه»؟ قال: لا. قال: «فارْجِع، فَلَن أَستَعِينَ بمُشْرِكٍ» ثم تبعه ثانياً وثالثاً، وهو يقول له ذلك، ثم أسلم الرجل وتبع النبي ﷺ. انفرد بإخراجه مسلم[(٣)].

قال ابن سعد: اسم هذا الرجل: خُبَيْبُ بن يَسَّاف الخزرجي، وكان قد خرج مُنْجداً لقومه، وطالباً للغنيمة، وأسلم وغزا مع رسول الله ﷺ فقتل رجلاً من الكفار، وضربه الكافر فشجه، ثم مات. وتزوج خبيب ابنته بعد ذلك، وكانت الضربة في وجهه، فكانت المرأة تقول: لا عدمتُ رجلاً وشَّحَك بهذا الوشاح، فيقول: لا عدمتِ رجلاً أعجل بروح أبيك إلى النار[(٤)].

ذكر مسير رسول الله ﷺ إلى بدر:

ولما رحل إلى بدر، بعث العيون، فمنهم: بَسْبَس بن عمرو الأنصاري، وعدي بن

---

(١) في النسختين (ك،خ): مولوي ، والمثبت من المصادر .

(٢) انظر: «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٨٦ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٣٣٩ ، و«السيرة الشامية» ٤/ ٣٩ .

(٣) أخرجه مسلم (١٨١٧).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٩٥ .

أبي الزَّغْباء على المقدمة، وجعل على الساقةِ قيسَ بنَ أبي صعصعة، وأمر بمن بعثه في المقدمة أن يلحقوا بالمشركين عيوناً لهم(١).

ولما ورد أبو سفيان بدراً وكان خائفاً من النبي ﷺ، فلقي في طريقه ببدر مَجْدِي بن عمرو، فقال له: هل أَحْسَست من عيون محمد أحداً، فوالله ما بمكة قرشي ولا قرشية إلا وقد بعث بها معنا، فقال له: والله ما أدري ولا رأيت ما أنكره إلا راكبين أتيا هذا المكان، وأشار إلى مناخ بسبس وعدي، فقام أبو سفيان إلى مُناخهما، فأخذ من بعر بعيرهما، ففتّه فإذا فيه نوى، فقال: هذه علائف يثرب، هذه عيون محمد، ثم ضرب وجه العير فساحَل بها إلى مكة، واستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغِفاري وبعثه إلى مكة نذيراً لقريش يَسْتَنْفِرهم لأجل أموالهم(٢).

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم بثلاث ليال، كأن راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: يا آل غُدَر، يا آل فُجَر، انفروا إلى مصارعكم بعد ثلاث، فاجتمعوا إليه، فدخل المسجد والناس خلفه، فبينما هم على ذلك حوله إذ مَثُل به بعيره على ظهر الكعبة، فصرخ بأعلى صوته كذلك، ثم مَثُل به بعيره على أبي قُبَيْسٍ، فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل، ارفضَّت، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار من دورها إلا دخل فيه منها فَلْقَةٌ، فحدثت عاتكة أخاها العباس بذلك، فقال: اكتميها. ثم لقي العباس الوليد بن عتبة، وكان صديقاً له فحدَّثه الحديث، واستكتمه إياه، فذكره الوليد لأبيه، وفشا الحديث. قال العباس: فلقيني أبو جهل، فقال: يا أبا الفَضْل، متى ظهرت فيكم هذه النبيّةُ؟ قلت: وما ذاك؟ قال: منام عاتكة، فأنكره، فقال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبَّأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم، وقد زعمت عاتكة أنه قال: انفروا إلى مصارعكم بعد ثلاث. ونحن نتربص بكم هذه الثلاث، فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون، وإن مضت الثلاث ولم يكن شيء من ذلك كتبنا عليكم كتاباً أنكم أكذب بيت في العرب، قال: ثم مضى العباس، قال: فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ١٨٧، و«المنتظم» ٣/ ٩٨.

(٢) انظر «السيرة» ٢/ ١٩٠، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٢، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٢٧.

المطلب إلا أتتني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ويتناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرَةٌ لما سمعت، قال العباس: فلما سمعت قولهن، قلت: والله لأتعرضنَّ له، فإن عاد لأوقِعَنَّ به، فلما كان اليوم الثالث من رؤيا عاتكة تعرضت له وأنا مغضب، أرى أن قد فاتني منه أمرٌ أُحِبُّ أن أُدرِكَه منه، فدخلت المسجد وإذا به جالس فيه، فمشيت نحوه عساه يعود فأوقع به، إذ خرج عدو الله من باب المسجد يشتد، فقلت: ماله لعنه الله، أكلُّ هذا فَرَقاً من أن أشاتمه، وإذا به قد سمع ما لم أسمع، وهو صوت ضَمْضَم بن عمرو الغفاري وهو قائم على بعيره يصرخ ببطن الوادي، قد شق ثيابه، وجَدَع أنف بعيره وهو ينادي: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، وما أظنكم تدركونها، الغوث الغوث، فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر.

قال ابن إسحاق: فخرجوا سراعاً معهم القَيْناتُ بالدُّفوف يقولون: أيظن محمد أنها عير ابن الحضرمي، كلا والله ليعلمن غير ذلك.

وكانوا بين رجلين: إما خارجٌ وإما باعثٌ مكانه رجلاً، ولم يبق من رجالات قريش وأشرافهم أحد إلا أن أبا لهب قد بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكان أمية ابن خلف شيخاً كبيراً ثقيلاً فأزمع القعود، ثم عُيِّر فخرج، وقال عتبة لأخيه شيبة، وقد كره الخروج: إنَّ ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - رجل مشؤوم وليس يمسه من محمد قرابة ولا رَحِمٌ مثلَ ما يَمَسُّنا، فقال له شيبة: إن لم نخرج صار علينا سُبَّةً، فامض بنا يا أبا الوليد مع قومنا، ولما اجتمعت قريش على المسير، ذكروا ما بينهم وبين كنانة من العداوة وقالوا: نخشى أن يأتوا من خلفنا، فتوقفوا عن الخروج، فتبدَّى لهم إبليس في صورة سُراقَةَ بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجي، وكان من أشراف كنانة فقال لقريش: أنا جار لكم من كنانة وبكر، فقال لهم أبو جهل: هذا سيد كنانة وقد أجاركم ومن خلفكم فشجَّ[١] القومُ فخرجوا[٢].

(١) كذا في النسخ، ولم نقف على هذه اللفظة فيما بين أيدينا من المصادر.

(٢) انظر «السيرة» ٢/ ١٨٢-١٨٦، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٢٨-٤٣١، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٨، و«المنتظم» ٣/ ٩٨-١٠٠.

ولما نزلت قريشٌ الجُحْفَةَ، قال جُهَيم بنَ الصَّلْتِ بن مَخْرَمة بن المطلب: رأيت فيما بين النائم واليقظان رجلاً أقبل على فرسه ومعه بعير، فقال: قُتل شيبة، قُتل عُتبة، قتل فلان وفلان، حتى عدد رجالاً قتلوا في ذلك اليوم، قال: ورأيته ضرب بعيره في لَبَّته، ثم أرسله في العسكر، فلم يبق خباء من الأخبية إلا أصابه نَضْح من دمه، فأخبر الناسَ بما رأى، فقال أبو جهل: هذا نبي آخر، ستعلم غداً إذا التقينا مَن المقتولُ.

وأرسل أبو سفيان من مكة إلى قريش: قد أحرز الله عِيركم وأموالكم فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً، وكان الأَخْنَسُ بن شَريق حليفُ بني زهرة قد خرج بهم، ثم أَفْكَرَ، فقال: يا بني زُهْرَةَ، قد أنجى الله أموالكم ولا تسمعوا قول هذا المائق، واعصبوا جُبْنَها بي، ثم رجع وكانوا مئة[١].

وفيه يقول ابن أبي الزَّغباء[٢]: [من الرجز]

أَقِـم لـهـا صُـدورَهـا يـا بَـسْـبَـسُ
إنَّ مـطـايـا الـقـوم لا تُـحَـبَّـسُ
وحَـمْـلُـهـا عـلـى الـطـريـق أكـيـسُ
قـد صـنـع الله وفـرَّ الأَخْـنَـسُ

ولما رجع الأخنس لقيه أبو سفيان بمَرِّ الظَّهْران، فقال: لم رجعتم، لا في العير ولا في النفير، فذهبت مثلاً. فقال له الأخنس: أنت بعثت إلى قريش لترجع، وأبلغه ما قال أبو جهل، فقال له أبو سفيان: واقَوْماه، هذا من عمل عمرو بن هشام يعني أبا جهل، ثم لحق أبو سفيان ببدر، فقاتل مع الكفار قتالاً شديداً، وجُرِحَ جِراحاتٍ كثيرةً، وهرب إلى مكة ماشياً[٣].

ونزل رسول الله ﷺ ببدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان.

ونزلت قريش العُدْوَة القصوى من الوادي خلف الكثيب، ورسول الله ﷺ بالعُدْوَة

(١) انظر «السيرة» ٢/ ١٩٠، و«المنتظم» ٣/ ١٠٢.
(٢) البيتان في «السيرة» ٢/ ٢٠٧، و«المغازي» ١/ ٤٥.
(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ١٣.

الدُّنيا، فأرسل الله مطراً عظيماً، فأصاب المسلمينَ ما لَبّد لهم الأرض، ولم يمنعهم من السير، وأصاب الكفار منه ما منعهم من المسير. فبادرهم رسول الله ﷺ، ونزل بأدنى وادٍ من بدر، فقال الحُباب بن المنذر: يا رسول الله، أمنزلك هذا أنزلك الله إياه، أم رأيٌ رأيته في الحرب؟ فقال: «بَلْ رَأيٌ رَأَيتُه» فقال: انهض فليس لك هذا بمنزل، فانزل أدنى ماء من القوم، ثم غَوِّر باقي المياه والقُلُبِ، وابنِ على الماء حوضًا واملأه، ثم قاتل القوم فَنشرب ولا يشربون، فنزل جبريل عليه السلام فقال: الرأي ما رأى حُباب، فنهض رسول الله ﷺ وفعل ما قال[١].

ولما نزل رسول الله ﷺ على الماء، قال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشاً من الجريد تكون فيه، واجعل ركائبك عندك، ثم نلقى عدونا، فإن أَظْفَرنا الله عليهم، فذلك الذي أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ولحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك قوم ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى عدواً ما تخلَّفوا عنك، فدعا له رسول الله ﷺ، وبني له العريش، فكان فيه هو وأبو بكر[٢].

وكان رسول الله ﷺ قد أمرهم بالإفطار، فأفطر البعض وامتنع البعض، فأمر مناديه، فنادى: يا معاشر العصاةِ، أفطروا. فأفطروا، وكان رسول الله ﷺ مفطراً[٣].

وعقد رسول الله ﷺ ثلاثة ألوية، فكان لواؤه الأعظم وهو لواء المهاجرين بيد مصعب بن عمير، ولواء الخزرج بيد الحُباب بن المنذر، ولواء الأوس بيد سعد بن معاذ.

وكان مع المشركين ثلاثة ألوية: لواء مع أبي عزيز بن عمير، ولواء مع النَّضْرِ بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة. وكان المشركون في تسع مئة وخمسين رجلاً من المقاتلة، وكان معهم مئة فرس، وأقبلت قريش، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ إنَّ هذه قريش قد أَقبَلَت بُخيَلائِها وحدِّها وحديدها تحادُّك وتكذِّب رسُولَك، اللَّهمَّ نَصرَكَ»[٤].

---

(١) «المغازي» ١/ ٥٣-٥٤، وانظر «السيرة» ٢/ ١٩٢، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٤.
(٢) «السيرة» ٢/ ١٩٢، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٤، و«أنساب الأشراف» ١/ ٣٤٤.
(٣) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٤٣.
(٤) «السيرة» ٢/ ١٩٢.

ثم استشار رسول الله ﷺ أصحابه، فقام أبو بكر فأحسن القول، وقام عمر فأحسن القول، وقام المقداد وقال: يا رسول الله، امض لما أمرك به ربك، فنحن لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق نبياً، لو ضربت بطونها إلى بَرْكِ الغِماد لجالدنا معك حتى تبلغه، فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له به.

[ثم قال رسول الله ﷺ: «أَشِيرُوا عليَّ أيُّها النَّاسُ»[(١)]] وإنما أراد رسول الله ﷺ بقوله: أشيروا علي، الأَنْصارَ، لأنهم لما بايعوه ليلة العقبة قالوا: نحن بُرآء من ذِمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلى دارنا فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءَنا. فخاف رسول الله ﷺ أن لا ينصروه خارج المدينة، ففطن سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، لعلك تريدنا، يعني الأنصار؟ قال: «أَجَل». قال: قد آمنا بك، وصَدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك العهود على السمع والطاعة، فامض لما أمرت به، فوالذي بعثك بالحق نبياً لو اعترضت البحر فخضته لخضناه، وما نكره أن تلقى بنا عدونا، ونحن صُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينك، فقال رسول الله ﷺ: «أبشِرُوا فإنَّ الله قد وَعَدني إحدى الطَّائفتَيْن»[(٢)].

فبينما هم كذلك إذ وردت رَوايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه؟ فيقول: ما لي بهم علم، ولكن هذا عتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، وأبو جهل، فإذا قال لهم ذلك ضربوه، والنبي ﷺ قائم يصلي، فيقول: نعم أُخبركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه يقول: مالي بأبي سفيان علم، ولكن هذا عتبة، وشيبة، وأمية في الناس، فيضربونه. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، انصرف من صلاته وقال: والذي نفسي بيده إنكم لتضربونَه إذا صدقكم، وتتركونه إذا كذبكم، لقد صدق والله، إنها لقريش[(٣)].

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من «السيرة» ٢/ ١٨٨.

(٢) «السيرة» ٢/ ١٨٨ .

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس ﷺ، وانظر «تاريخ الطبري»٢/ ٤٢٢ ـ٤٢٣ وإلى هنا انتهى سياق الطبري وما بعده من ابن هشام.

وقال رسول الله ﷺ للغلامين - وهما أسلم وعريض -: أخبراني أين قريش؟ قالا: وراء هذا العَقَنْقَلِ الذي ترى بالعُدْوَةِ القصوى. فقال لهما: فكم الجمع؟ قالا: كثير. قال: فكم عدتهم؟ قالا: لا ندري. قال: فكم ينحرون كل يوم؟ قالا: تسع جزائر ويوماً عشراً. فقال: القوم ما بين التسع مئة إلى الألف، وكانوا كذلك. قال: ومن فيهم من الأشراف؟ قالا: عتبة وشيبة وأبو البَختري، وحكيم بن حِزام، وطُعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وزَمْعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد وُدّ في آخرين، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس وقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها[١].

وكان المطعمون في غزاة بدر: عتبة، وشيبةَ، والعباسَ بنَ عبد المطلب، وحكيمَ ابن حِزام، وزمعةَ بن الأسود، والمطلبَ بن أسد، وأبا البَخْتري، والعاص بن هشام، ونوفل بن خويلد بن أسد بن العدوية[٢].

وقيل: كانوا عشرة.

وبَعثَ القوم عُميرَ بن وهب الجُمَحي ليحزر أصحاب رسول الله ﷺ، فجاء فجال بفرسه في العسكر، ثم رجع إليهم وقال: هم ثلاث مئة رجل يزيدون أو ينقصون شيئاً، ومعهم سبعون بعيراً وفرسان، ثم قال: أمهلوني حتى أنظر هل لهم كمين؟ فجال بفرسه في الوادي، ثم عاد وقال: لم أر شيئاً ولكن رأيت الولايا[٣] تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، ليس لهم معاقل ولا منعة إلا سيوفهم، أما ترونهم خُرساً لا يتكلمون يتلمّظون تَلمُّظَ الأفاعي، فوالله لا يقتل منهم رجل حتى يَقْتُلَ منكم رجلاً أو رجالاً، فإذا قتلوا منا مثل عددهم فما خير في العيش بعد ذلك، فَرُوا رأيكم.

فمشى حَكيم بن حِزام في الناس، فقال لعتبة بن ربيعة: يا أبا الوليد، أنت كبير

(١) «السيرة» ٢/ ١٨٩.

(٢) في «المحبر» ص ١٦١-١٦٢ المطعمون: أبو جهل، وأمية، وسهيل، وشيبة، وعتبة، ومنبه، ونُبيه، والعباس، وأبو البختري.

(٣) جمع ولية: وهي البرذعة التي تكون تحت الرحل. وعند ابن هشام: «البلايا» جمع بلية: وهي الناقة التي تربط على قبر الميت، فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت.

قريش وسيدها، فهل لك أن لاتزال تُذكر بخيرٍ آخِرَ الدهر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي، وما أصاب محمد من تلك العير ببطن نخلة، فإنكم لا تطلبون من محمد غير هذا الدم، قال عتبة: قد فعلت وأنت شاهد عليَّ بذلك، ووافقه أخوه شيبة ثم جلس عتبة على جمله وسار في المشركين من قريش يقول: يا قوم أطيعوني ولا تقاتلوا هذا الرجل، واعصِبُوا هذا الأَمر بي، وأنا أتحمل الدية وثمن العير، وقال لحكيم: اذهب إلى ابن الحنظلية ـ يعني أبا جهل ـ وقل له: هل لك أن ترجع إلى قومك مع ابنك؟ قال حكيم: فجئت إليه وهو في جماعة، وعامر بن الحضرمي يقول: قد فسخت عقدي من بني عبد شمس، وجعلته في بني مخزوم، فأبلغته ما قال عتبة، فقال: ما وجد رسولاً غيرك، ثم طلع على عتبة والشرُّ في وجهه وقال: انتفخ سحرك؟ فقال له عتبة: ستعلم. فسلَّ أبو جهل سيفه وضرب به متن فرسه، وكان إيماء بن رَحَضةَ حاضراً، فقال لأبي جهل: بئس الفأل هذا[١].

وقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله في «المسند» بمعناه فقال: خرج عتبة بن ربيعة على جمل أحمر وهو يقول لأصحابه: يا قوم، والله إني لأرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قومِ اعصبوها اليوم برأسي وقد علمتم نصحي وقولوا: جَبُن عتبة ابن ربيعة، فقال له أبو جهل ـ لعنه الله في الدارين ـ: لو قال غيرك هذا لأَعْضَضْتُه بَظْر أمه، قد ملأت رئتك جوفَك رُعْباً. فقال له عتبة: يا مُصَفِّرَ استه، ستعلم أينا الجبان[٢].

ونظر رسول الله ﷺ إلى عتبة فقال: إن يكن في القوم من يأمر بخير، فعسى صاحبُ الجملِ الأحمر، فقال له حمزة: هو عتبة بن ربيعة[٣].

وقال خفاف بن إيماء بن رَحَضَةَ: ما كان شيءٌ أَحبَّ إلى أبي من إصلاح بين الناس، ولما سُقْتُ الجزائِرَ ـ يعني التي بعثها أبوه إلى قريش، وكان بعث إليهم عشر جزائر ـ لحقني أبي، فقبلوها ووزعوها، فمر أبي على عُتبة بن ربيعة وهو سيدُ الناس

---

(١) الخبر في المصادر التالية: «السيرة» ٢/ ١٩٣ـ١٩٤، «المغازي» ١/ ٦٠، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٥، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣. وانتفخ سحره: عدا طوره وجاوز قدره.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٩٤٨) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٨٣٤)، وأحمد (٩٤٨) من حديث علي ﷺ.

يومئذ، فقال له: يا أبا الوليد، ما هذا المسيرُ؟ قال: لا أدري والله، غُلِبْتُ. قال: فأنت سيدُ العشيرة، فما يمنعُك أن تَرْجِعَ بالناس، وتحملَ دمَ حليفك، وتحمِلَ العِيرَ التي أصابوا بنخلةَ، فتوزِّعَها على قومك، والله ما تطلبون قِبَل محمدٍ إلا هذا، والله ما تقتلون إلا أنفسكم[١].

ثم بعث أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي وقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك فانْشُد مقتل أخيك، فقام عامر واكتشف وصاح: واعمراه واعمراه، وثار الناس، ونشِبت الحرب[٢].

وكان رسول الله ﷺ قد هيّأ أصحابه، وعبّأهم بعد صلاة الفجر، وقال علي عليه السلام: ما منا رجل ليلة بدر إلا نام إلا النبي ﷺ، فإنه مازال متوشحاً بسيفه تلك الليلة يصلي ويدعو إلى الصبح[٣].

وبعث إلى قريش عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول: ارجعوا فَلأَن يَليَ هذا الأمرَ مِني غيرُكم، أحب إلي من أن تلوه مني وأَلِيَه من غيركم أحبُّ إلي من أن أَلِيَه منكم. فقال حكيم بن حزام: قد عرض عليكم النَّصَف[٤] فاقبلوه، والله لا تنصرون بعد أن عرضه عليكم، فقال أبو جهل: والله لا نرجع بعد أن أمكننا الله منه، ولا نطلب أثراً بعد عين، ولا يعترض لعيرنا بعدها أبداً[٥].

وأول قتال جرى يوم بدر، أن الأسود بن عبد الأسد المخزومي قال: عاهدت الله لأَشربن من حوضهم، ولأَهدمنَّه. وهجم عليهم، فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فضربه بالسيف في رأسه، فوقع على ظهره فلم يزل يحبو حتى اقتحم الحوض يريد أن يَبَرَّ في يمينه، فقتله حمزة[٦].

(١) «المغازي» ١/ ٦٠.
(٢) «السيرة» ٢/ ١٩٤.
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٠٢٣)، وانظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٢٧، و«المنتظم» ٣/ ١٠٥.
(٤) في (خ): «النصح».
(٥) «المغازي» ١/ ٦١.
(٦) «السيرة» ٢/ ١٩٤، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٤٥، و«المنتظم» ٣/ ١٠٧.

وأقبل نفر من الكفار فأوردوا حوضَ رسول الله ﷺ وفيهم حكيم بن حزام على فرس، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم». فما شرب منه أحد إلا قتل أو أسر إلا حكيم بن حزام، فإنه هرب إلى مكة على فرس يقال له: الوجيه، ثم أسلم بعد ذلك. وكان إذا حلف يقول: لا والذي نجّاني يوم بدر(١).

ثم خرج عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، فدعَوْا إلى المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، فقال لهم عتبة: من أنتم؟ قالوا: نحن من الأنصار. فقال عتبة: لا حاجة لي فيكم، ونادى: يا محمد، أخرِج إلينا أكْفاءَنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: «قُومُوا يا بَني هاشِم فَقَاتِلُوا بحَقِّكم الذي بَعَث الله بِه نَبِيَّكم، إذ جاء القومُ بِباطِلِهم لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ، قُم يا حَمزةُ، قم يا علي، قمْ يا عُبيدة بنَ الحارث» فقاموا. وكان على رؤوسهم البيض، فلم يعرفوهم، فقالوا: تكلموا. فقال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسوله، فقال عتبة: وأنا أسد الحَلْفاء - يعني الأجَمة - ، ثم قال: ومن معك؟ قال: ابن أخي علي وعبيدة بن الحارث، فقال: أكفاء كرام، ثم قال عتبة لابنه الوليد: تقدم يا وليد. فقتل حمزةُ شيبةَ، وقتل عليٌّ الوليدَ بن عتبة، واختلف عبيدة وعتبة ضربتين أثبت كل واحد منهما صاحبه، وكرّ حمزة وعلي على عتبة فقتلاه، وكان ذُباب سيف(٢) عتبة قد أصاب ساق عبيدة، فاحتملاه إلى رسول الله ﷺ والدم يسيل من عضلة ساقه، فقال: يا رسول الله! ألستُ شهيداً؟ قال: بلى والله. فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيّاً، لعلم أني أحق بما قال منه حيث يقول: [من الطويل]

كذبتُم وبَيْتِ اللهِ نَخْذُلُ أحمدا ... ولمّا نُطاعِنْ دونه ونُناضِل

ونُسلِمُه حتى نُصَرَّعَ حولَه ... ونُذْهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ(٣)

ثم حُمِلَ عبيدة فمات بالصفراء(٤).

---

(١) «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٤١ ، وانظر «السيرة» ٢/ ١٩٣ .

(٢) ذباب السيف: حده.

(٣) الخبر في «المغازي» ١/ ٦٨-٧٠ .

(٤) انظر «السيرة» ٢/ ٢٥١ ، و«الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٩ ، و«المنتظم» ٣/ ١٤٠ ، والصفراء: واد كثير النخل قرب المدينة.

ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضهم من بعض، وقال رسول الله ﷺ: «إذا كَثَبكم القومُ فانضَحُوهُمْ بالنَّبْلِ»(١). ثم دخل رسول الله ﷺ العريش يناشد ربه بما وعده من النصر.

وفي أَفْراد البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر وهو في قبة له: «اللَّهمَّ إنِّي أَنْشُدكَ عَهْدَكَ وَوَعدَكَ، اللَّهمَّ إنَّك إنْ تَشَأ لا تُعبَدُ بعدَ اليومِ» فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله، لقد ألححت على ربك. فخرج رسول الله ﷺ وهو في الدرع يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥﴾[القمر: ٤٥](٢) والقتال يعمل بين الفريقين. ثم خفق رسول الله ﷺ خفقة، ثم انتبه، فقال: «يَا أَبَا بَكر، أَتاكَ النَّصرُ، هذا جِبريلُ آخذٌ بعِنَانِ فَرَسه يقودُه على ثَنَاياه النَّقْعِ»(٣).

ولما دخل رسول الله ﷺ العريش، قام سعد بن معاذ على باب البيت ومعه نفر من الأنصار بأيديهم السيوف يحرسون، وخرج رسول الله ﷺ من العريش، وجعل يحرض الناس على القتال، ويعطي القاتل سَلَبَ المقتول.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاث مئة ونيف، وإلى المشركين وهم ألف وزيادة، فاستقبل القبلة ومدَّ يَدَيْهِ وعليه إزاره ورداؤه، وقال: «اللهمَّ أنجز لي ما وعدتني» يكررها، ثم قال: «اللهمَّ إن تهلك هذه العصابة من الإسلام لا تعبد في الأرض أبداً». قال: فمازال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده، والتزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفاكَ مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، وأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] الآية، فأمده الله بالملائكة(٤).

ولما اشتد القتال، هبت ريح شديدة لم ير مثلها قط، ثم ذهبت وجاءت أخرى، فكان جبريل في الأولى في ألف من الملائكة فوقف في الميمنة، وجاء ميكائيل في الثانية في ألف فوقف في الميسرة، وجاء إسرافيل في ثلاثةِ آلاف [فوقف] في القلب مع

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٠) من حديث أبي أسيد، وانظر الخبر في «السيرة» ٢/ ١٩٥ .
(٢) أخرجه البخاري (٢٩١٥).
(٣) «السيرة» ٢/ ١٩٦ .
(٤) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

رسول الله ﷺ[(١)].

وقيل: إنما وقف جبريل مع رسول الله ﷺ، وهو الأصح.

ولم تقاتل الملائكة إلا في يوم بدر، وفيما سواه يشهدون القتال ولا يقاتلون، بل يكونون مدداً وعدداً[(٢)]. ورئي رسول الله ﷺ في آثار المشركين مصلتاً للسيف وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥].

وأخذ كفاً من حصى أو تراب، ورمى به في وجوه الكفار وقال: شاهت الوجوه. فلم يبق مشرك إلا وقع في عينه من ذلك شيء، وانهزموا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧] الآية[(٣)].

وعن أبي طلحة: أن النبي ﷺ مر يوم بدر بأربعة وعشرين من صناديد قريش، فقذفوا في طَوِيٍّ من أطواء بدر، وكان إذا ظهر على قوم، أقام بالعَرْصَةِ ثلاث ليال، فلما كان اليوم الرابع من بدر أمر براحلته فَشُدَّ عليها رحله، ثم مشى واتَّبعه أصحابه، فجاء فوقف على شفير الرَّكي وجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلانَ بن فلان، أَيَسرُّكم أنَّكم أَطعتُم الله ورَسُولَه، فإنَّا قد وَجَدنا ما وَعَدَنا ربُّنا حَقّاً، فَهَل وجَدْتُم ما وَعَدَكم ربُّكم حَقّاً»؟ فقال له عمر بن الخطاب: ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها، فقال: «والذي نَفسِي بيده ما أَنتُم بأَسْمَعَ لما أَقُولُ منهم»[(٤)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يرينا مصرع القوم، فيقول: «هذا مَصْرَعُ فلانٍ غداً إنْ شَاء اللهُ تعالى، هذا مَصْرعُ فُلانٍ». فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حددها لهم، فَجُعِلوا في بئر بعضهم فوق بعض[(٥)].

ولما وقف رسول الله ﷺ على القَليب قال: «يا أَهْلَ القَلِيبِ، بئسَ واللهِ العشيرة

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٨٩)، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ٦٩.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٩٩، والطبراني في «الأوسط» (٩١٢٥) من حديث بن عباس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣١٢٨) من حديث حكيم بن حزام، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ٨٤: إسناده حسن.

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٧٣).

كنتُم لابنِ عمِّكُم؛ كذَّبتُموني وصدَّقني النَّاس، وأَخرجتُموني وآواني النَّاس، وقَتلتُموني ونَصَرني النَّاس[١]». وقال رسول الله ﷺ في قتلى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً وكلمني في هؤلاء، لتركتهم له»[٢].

ولمَّا سُحِبَ عتبة إلى القليب، نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ابنه أبي حذيفة وقد تغير وهو كئيب، فقال له رسول الله ﷺ: لعلك دخلك من شأن أبيك شيء؟ قال: لا والله، ولكن كنت أرى في أبي رأياً وحلماً، فكنت أرجو أن يهديه الله بذلك إلى الإسلام، فلما رأيته مات على الكفر، حزنت عليه لأن ذلك لم ينفعه. فدعا له رسول الله ﷺ بخير[٣]، فقال أبو بكر: لقد كان كارهاً للخروج، ولكن حمله الحَيْنُ ومصارع السوء.

ذكر من استشهد يوم بدر من المسلمين[٤]:

عاقل بن البُكَيْر، من كنانة حليف عمر بن الخطاب ﷺ، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأول من بايع رسول الله ﷺ في دار ابن أبي الأرقم، قتله مالك بن زهير الجُشَمي.

عُبيدة بن الحارث بن المطلب[٥] بن عبد مناف أبو الحارث، وأمه سُخَيْلَةُ بنت خُزاعي، ثقفية، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر وجُرِحَ في ساقه، جرحه شيبة[٦] بن ربيعة، ومات بالصفراء، فحزن رسول الله ﷺ عليه وكفَّنه في ثوبه، وصلى عليه ونزل في قبره، وكان له ثلاثة وستون سنة، وكان له من الولد معاوية، وعوف، ومنقذ، والحارث، وإبراهيم، ومحمد، وخديجة، وريطة، وسُخيلة، وصفية، لأمهات أولاد شتى.

---

(١) «السيرة» ٢/ ٢٠٤ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٥٧ .

(٢) أخرجه البخاري (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم.

(٣) «السيرة» ٢/ ٢٠٥ و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٥٧ ، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧٠٨٨).

(٤) من هنا تبدأ نسخة أحمد الثالث ورمزنا لها بـ(أ).

(٥) في النسخ: «عبد المطلب» والمثبت هو الصواب، انظر «السيرة» ٢/ ٢٥١ ، و«نسب قريش» ص ٩٣ ، و«جمهرة النسب» ص ٦٠ .

(٦) كذا جاء في النسخ وعند الواقدي ١/ ١٤٥ ، والصواب: عتبة كما في «السيرة» ٢/ ٢٥١ .

عُمير بن أبي وقاص بن وهيب بن عبد مناف بن زُهرة[١] بن كلاب أخو سعد بن أبي وقاص، أمه حَمْنَةُ بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، جعل عمير يتوارى مخافة أن يراه رسول الله ﷺ فيستصغره فيرده، فلما عُرِضَ عليه رده فبكى، فأجازه. قال أخوه سعد: فلقد كنت أعقد له سيفه من صغره، قتله عمرو بن عبدِوُدٍّ، وهو ابن ست عشرة سنة.

ذو الشمالين عُمير بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي، من الطبقة الأولى من المهاجرين، قتله زهير بن معاوية الجشمي وهو ابن بضع وثلاثين سنة.

وأما **صفوان بن بيضاء**، فأبوه: وهب بن ربيعة من بني فهر، وأمه: دَعْدُ بنت جَحْدَم فهرية، والبيضاء لقب لها، وصفوان من الطبقة الأولى من المهاجرين. وعامة الرواة على أن طُعَيمة قتله ببدر، إلا الواقدي والزهري[٢].

قال الواقدي: عاش إلى سنة ثمان وثلاثين. وقال الزهري: مات بطاعون عمواس.

وأما أَنَسة مولى رسول الله ﷺ، فهو من المهاجرين الأولين، واستشهد ببدر، قاله الواقدي[٣]. وقال البلاذري: وشهد أُحداً ومات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه[٤].

واستشهد من الأنصار:

حارثة بن سراقة بن النعمان[٥]، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه: جعدة وقيل: الرُّبَيِّع بنت النَّضْر، وقيل: بنت عبد المطلب. أسلمت وبايعت، رماه حِبّان بن العَرِقة بسهم، فأصاب حَنْجَرته فذبحه، وقيل: جاءه سَهْمٌ غَرْبٌ فقتله.

---

(١) في النسخ: «زهيرة»، وانظر «نسب قريش» ص ٢٥٧.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٥.

(٣) «المغازي» ١/ ١٤٦.

(٤) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٤٩.

(٥) خلط المصنف رحمه الله هنا بين ترجمتين لصحابيين شهدا بدراً أحدهما من شهداء بدر والآخر عُمِّر بعدها، الأول وهو المترجم: حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي، وأمه الرُّبَيِّع بنت النضر، وهي عمة أنس بن مالك وقتل شهيداً ببدر. انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٧٣.
الثاني: حارثة بن النعمان بن نفع، وأمه جعدة بنت عبيد بن ثعلبة، وشهد حارثة بدراً وأحداً والمشاهد كلها، انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٥٢.

وعن أنس قال: جاءت الرُّبَيِّع بنت النَّضْر وهي أم حارثة بن سراقة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر جاءه سهم غَرْبٌ - ، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان في غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم حارثة، إنها ليست بجنة واحدة ولكنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى». انفرد بإخراجه البخاري[١].

رافع بن المعلى، من الطبقة الأولى من الأنصار، قتله عكرمة بن أبي جهل.

سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحّاط، أبو مسعود، من الطبقة الأولى من الأنصار وهو أحد النقباء الاثني عشر، وأمه: هند بنت أوس، شهد العقبة مع السبعين، ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى بدر، قال له خيثمة: آثِرني بالخروج، فإنه لابد لأحدنا أن يقيم فأبى سعد، وقال: لو كان غير الجنة لآثرتك بها، وإني لأرجو الشهادة في هذا الوجه، فاستهما فخرج سهم سعد، فقتل ببدر، قتله عمرو بن عبدِوُدٍّ، وقيل: قتله طُعيمة بن عدي[٢].

عُمير بن الحُمام بن الجموح من الطبقة الأولى من الأنصار.

وفي الحديث: فسار رسول الله ﷺ إلى بدر، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إلى جَنَّة عَرضُها السَّماوات والأرض». قال عمير بن الحمام: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم». فقال: بخٍ بخٍ يا رسول الله، فقال: «ما يَحمِلُك على قَوْلِك بخٍ بخٍ»؟ قال: رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قَرْنِه فجعل يأكل منهن، ويقول: لئنْ أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، ثم رمى بما كان معه من التمر، ثم قاتَلَ حتى قُتِلَ[٣].

عوف ومعوِّذ ابنا عفراء. قد ذكرنا في ترجمة أبي جهل: أن معوّذاً أَثْبَتَ أبا جهل، ثم قتله[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٩).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٤٧ .

(٣) أخرجه مسلم (١٩٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) طبقات ابن سعد٣/ ٤٥٦__ ٤٥٧.

مُبَشِّر بن عبد المنذر من الطبقة الأولى من الأنصار، قتله أبو ثور.

يزيد بن الحارث بن قيس، وأمه فُسْحُم من بني القين، قضاعية، ويزيد من الطبقة الأولى من الأَنْصار، قتله نوفل بن معاوية(١).

وذكر الواقدي: أن النبي ﷺ صلى على قتلى بدر، ودفنهم في مصارعهم بدمائهم على حالهم ﵃(٢).

ذكر أعيان من قتل يوم بدر من الكفار

قال ابن عباس: حدثني عمر بن الخطاب ﵁: أنهم قتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين. فنذكر أعيانهم:

أُمية بن خَلَف الجُمَحيّ، كان أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ.

عن ابن مسعود أنه حدث عن سعد بن معاذ وكان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا أتى مكة نزل على أمية، فقدم سعد مكة معتمراً فنزل على أمية، ورسول الله ﷺ بالمدينة، فقال سعد لأمية: انظر لي ساعة لعلي أطوف بالبيت فيها، فخرجا نصف الليل فلقيهما أبو جهل، فقال لأمية: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال: سعد بن معاذ. فقال أبو جهل: ألا أراك تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم الصُّباةَ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان، لما عُدتَ إلى أهلك سالماً، فرفع سعد صوته على أبي جهل وقال: والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، قال: وما هو؟ قال: طريقك على المدينة. فقال له أمية: يا سعد، لا ترفع صوتك على أبي جهل، فإنه سيد أهل هذا الوادي. فقال له سعد: دع عنك هذا يا أمية، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه قاتلك». فقال أمية: والله ما كذب محمد قط، ثم قال: أبمكة؟ قال سعد: لا أدري.

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٥.

(٢) انظر «المغازي» ١/ ١٤٦.

ففزع أمية ورجع إلى أهله، فقال لها: يا أم صفوان، ألم تَرَيْ إلى ما قال سعد، وأخبرها بما قال، وقال: والله لا أخرج من مكة أبداً. فلما كان يوم بدر، لازال به أبو جهل حتى أخرجه، وقال له: يا أبا صفوان، إنك متى ما رأى الناس قد تخلَّفْتَ وأنت سيد أهل هذا الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به حتى قال: أما إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان، جهزيني للخروج، فقالت: أنسيت قوْلَ أخيك اليثربي؟ فقال: لا، ما أكون معهم إلا قريباً، فخرج معهم فقتل ببدر[١]، قتله خُبَيْبُ بن يَساف، واتفقوا على أن بلالاً ﷺ كان سبب قتله.

قال عبد الرحمن بن عوف: كاتبت أمية بن خلف كتاباً على أن يحفظني في صاغيتي بمكة، وأحفظه في صاغيته[٢] بالمدينة، فلما ذكرت عبد الرحمن، قال: لا أعرف عبد الرحمن، كاتِبْني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته عبد عمرو، فلما كان يوم بدر خرجت لأُحْرِزه فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلِس من مجالس الأنصار، وقال: يا معاشر الأنصار، هذا أمية بن خلف لا نجوت إن نجا. فخرج مع فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا، خلَّفت لهم ابنه لأَشْغَلَهم به فقتلوه، ثم لحقونا. وكان أمية رجلاً ثقيلاً، فقلت له: انزل، فنزل، فألقيت عليه نفسي لأمنعه فتخلَّلوه بالسيوف حتى قتلوه من تحتي، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، فكان عبد الرحمن يريهم ذلك الأثر في قدمه[٣].

قال الواقدي: فلما سقط أمية على ظهره، أقبل الحُباب بن المنذر فأدخل سيفه فقطع أنف أمية، وجاء إليه خُبيب بن يساف فضربه حتى قتله، وكان أمية قد ضرب يد خُبيب حتى قطعها من المنكب، فأعادها رسول الله ﷺ فالتحمت، ثم تزوج خُبيب بن يَساف بعد ذلك ابنة أبي بن خلف، فقالت: لا يَشْلل الله يداً فعلت بك هذا، فيقول حبيب: والله لقد أوردته شَعُوب[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٠).

(٢) الصاغيةُ: كلُّ من ألَمَّ بالرجل من أهله. لسان العرب: (صغا).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٠١).

(٤) «المغازي» ١/ ٨٣، والشعوب: الموت.

وأخذ خُبَيْبٌ درعه وسَلَبه، واعترض الحُباب عليٌّ بن أمية، فقطع رجله، فصاح صوتاً لم يُسْمَعْ بمثله جزعاً، ثم قتله عمار بن ياسر(١)، وقيل: معاذ بن رفاعة.

وقيل لأم صفوان بن أمية: انظري إلى الحُباب بن المنذر هو الذي قتل أمية، فقالت أم صفوان: دعونا من ذكر من قُتِلَ على الشرك، قد أهان الله علياً بضربة الحباب بن المنذر، وأكرم الله الحباب بضربه(٢).

وقال صفوان لقدامة بن مَظْعون بعدما أسلم صفوان: أنت المُشْلي بأَبي الناسَ يوم بدر، قال قُدامة: والله ما فَعَلْتُ، ولو فَعَلْتُ ما اعتذرت من قتل مشرك، ولكن رأيت فتيةً من الأنصار منهم: معمر بن حبيب بن عبد الحارث يرفع سيفه ويضعه، يقول صفوان: أبو قرد، وكان معمر رجلاً دميماً، وبلغ ذلك الحارث بن حاطب، فدخل على أم صفوان وهي كريمة(٣) بنت حبيب، فأخبرها بمقالة صفوان وقال: ما يدعنا من الأذى في الجاهلية والإسلام، فقالت أم صفوان: ويحك يا صفوان تنتقص معمر بن حبيب، والله لا أقبل لك صلةً وكرامة سنة، فقال صفوان: يا أماه، والله لا أعودُ، تكلَّمتُ بكلمةٍ لم أُلْقِ لها بالاً(٤).

الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، كان من المستهزئين برسول الله ﷺ، وكان ممن أعان على نقضِ الصحيفة، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾[القصص: ٥٧]، إلا أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «مَن لقيَ الحارثَ فلا يقتلْه وليَدَعْه لأيتامِ بني نَوفَلٍ»(٥). فلقيه خُبيب بن يَساف، ولم يعلم بقول رسول الله ﷺ فقتله كافراً(٦).

(١) «المغازي» ١/ ٨٤.
(٢) «المغازي» ١/ ٨٥.
(٣) هكذا سماها الواقدي، والذي في «الطبقات الكبرى» ٦/ ١٠٩، و«نسب قريش» ص ٣٨٨، و«الإصابة» ٢/ ١٨٧ أن اسمها: صفية.
(٤) «المغازي» ١/ ٨٤-٨٥.
(٥) أورده البلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ٣٥٠، وأورده الواقدي في «المغازي» ١/ ٨١ قال: نهى النبي ﷺ عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل، وقال: «ائسروه ولا تقتلوه» وكان كارهاً للخروج إلى بدر، فلقيه خبيب ابن يساف فقتله ولا يعرفه، فبلغ النبي ﷺ، فقال: «لو وجدته قبل أن تقتله لتركته لنسائه».
(٦) انظر الخبر في «أنساب الأشراف» ١/ ٣٥٠.

حنظلة بن أبي سفيان، وأمه: هند بنت عتبة، قتله علي[(١)]، وقيل: حمزة عليه السلام[(٢)].

شَيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو هاشم، وأمه: هند بنت المُضَرِّب من بني لؤي، وكان أسنَّ من أخيه عتبة بثلاث سنين، وكان يضع على رسول الله ﷺ من يؤذيه من غير مباشرة منه، وكان له ابنة يقال لها: رملة، تزوجها عثمان رضي الله عنه وهاجرت معه.

طُعَيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ ويبالغ في شتمه وتكذيبه، وأسر يوم بدر فأمر رسول الله ﷺ حمزة رضي الله عنه فقتله.

العاص بن هشام بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أبو البَخْتَرِيّ، كان ممن أعان على نقض الصحيفة، وكان قليل الأذى لرسول الله ﷺ. وقال رسول الله ﷺ يوم بدر: «مَن لَقِيَ أَبَا البَخْتَري فلا يَقْتُلْه». فلقيه المُجذَّر بن زياد البلوي، فقال له: استأسر، فإن رسول الله ﷺ أمر أن لا تقتل، فقال: معي رفيقٌ، جنادةُ بن مُلَيْحَة، فإن استبقيتموه وإلا فلا حاجة لي في الحياة بعده، فأُعَيِّرَ بخذلانه، فقتله المُجَذَّر، وأتى رسول الله ﷺ وقال: والله لقد اجتهدت على أن لا أقتله، فقاتلني فقتلته[(٣)]. ويقال: إن الذي قتل [أبا] البختري عمير بن عامر المزني.

العاص بن هشام بن المغيرة خال عمر بن الخطاب، قتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عاصم بن أبي عوف، أقبل يوم بدر كأنه ذئب وهو يقول: يا معاشر قريش، عليكم بالقاطع المفرِّق للجماعة الآتي بما لا يُعْرَف، محمَّدٍ، لا نجوتُ إن نجا، فاعترضه أبو دُجانة، فاختلفا ضربتين، فقتله أبو دجانة ووقف بسَلَبه، فمر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على تلك الحال، وقال: دع سَلَبَهُ حتى نُجهضَ العدو، وأنا أشهد لك به، وجاء مَعْبَد بن وهب فضرب أبا دجانة ضربة برك فيها كما يبرك البعير، ثم انتهض وأقبل على مَعْبَد فضربه ضربات، فلم يصنع سيفه شيئاً، فبرك عليه وذبحه بسيفه[(٤)].

---

(١) «المغازي» ١/ ١٤٧.

(٢) وقيل زيد بن حارثة انظر «السيرة» ٢/ ٢٥١.

(٣) انظر الخبر في «السيرة» ٢/ ١٩٧، و«المغازي» ١/ ٨٠.

(٤) «المغازي» ١/ ٨٦.

عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو الوليد، وقيل: أبو هاشم، وأمه: هند بنت المضرِّب أمُّ شيبة، لقي رسول الله ﷺ، فقال له: يا محمد، إن كنت تريد الشرف شرَّفناك وملّكناك، وإن كنت تريد المال موّلناك. فقال: «اسمَع يا أَبا الوَليدِ» وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ۝١﴾ السجدة، فقال عتبة: هذا كلام ما سمعت بمثله، ثم التفت إلى قريش وقال: خَلُّوا بينه وبين العرب فليس بتارك أمره[١].

وكان عتبة سيداً شريفاً شاعراً، يسمى: ريحانة قريش، وكان يقال له: السيد المُمْلِق، ولم يعرف له من الرفث سوى قوله لأبي جهل: يا مُصَفِّر استه، ولحمزة رضي الله عنه: أنا سيد الحَلْفاء ـ يعني الأَجمة ـ وكان يتوهم أنه النبي المبعوث، وفيه نزل: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف: ٣١] في أحد الأقوال.

وعتبة هو الذي أصلح بين كنانة وقيس بعد حروب أَفنتهم، نادى يوم عكاظ: يا معاشر قريش، إن أبعدكم إلينا قريب، فهلموا إلى الصلح وصلة الأرحام. فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. قالوا: فما تعطونا؟ قال: إني أعرض عليكم أن نُعطيَ دية من أصيب منكم، ونعفو عمَّن أصيب منا، فما كان لنا عندكم من فضل فهو لكم، وما كان لكم من فضل أديناه إليكم. قالوا: نريد رهناً بذلك، فأخرج إليهم خمسين غلاماً من قريش فيهم حكيم بن حزام، وقال: هؤلاء الغِلْمَةُ أَعزُّ مَن فينا، فإن وفينا وإلا أخذتم قَوَدَكُم، فلما رأت بنو عامر أن الرهن قد صار في أيديهم رقّوا ورغبوا في العفو، قال حكيم بن حزام: فأطلقونا عشية، وقالوا: الحقوا بأهلكم فقد اصطلح الناس[٢].

وقتل عتبة وله سبعون سنة، وقيل: إنّه جاوز المئة سنة.

ومن أولاد عتبة: أبو حذيفة، وأبو هاشم واسمه: شيبة، وقيل: هُشيم، وهو أخو أبي حذيفة لأبيه، وأخو مُصعب بن عُمير لأمه، أمهما: خُناس بنت مالك عامرية

---

(١) انظر «السيرة» ١/ ٢٦١ـ٢٦٢ .

(٢) هو حرب الفجار الرابع، انظر «المنمق» ص ١٦٤ـ١٨٠ ، و«تاريخ دمشق» ٣٨/ ٢٤٠ .

قرشية، أسلم أبو هاشم يوم الفتح، وسكن الشام، وكان من فضلاء الصحابة، وكان أبو هريرة يقول إذا ذكره: ذاك الرجل الصالح، ومات في أيام عثمان رضي الله عنه، ولما مرض دخل عليه معاوية يعوده فبكى، فقال: يا خالي ما يبكيك، أوجع أم حِرص على الدنيا؟ فقال: لا والله لا لهذا ولا لهذا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إليَّ فقال: «يا أَبَا هاشمٍ، لعلَّك أن تدركك الأموَالُ، وإنَّما يَكفِيكَ من الدُّنيا مَركَبٌ وخادِمٌ»[١]. وأراني قد جمعت حولي[٢].

وكان لعتبةَ من البنات هند أم معاوية نذكرها في سنة أربع عشرة، وأم أبان تزوجها طلحة رضي الله عنه، وسنذكرها. واتفق لأم أبان ما لم يتفق لغيرها، كان لها أربعة أخوة وعمَّان شهدوا بدراً: فأخوان وعم مع رسول الله ﷺ، وأخوان وعم مع المشركين.

أما الأخوان المسلمان: فأبو حذيفة ومصعب بن عمير، والعم المسلم: مَعْمَرُ بن الحارث.

والأخوان المشركان: الوليد بن عتبة وأبو عَزيز، والعم المشرك: شيبة بن ربيعة[٣].

وفاطمة بنت عتبة تزوجها عَقِيلُ بن أبي طالب، وكان إذا دخل عليها تقول: أين عتبة وشيبة؟ فيقول: إذا دخلت النار فانظري عن يسارك تجديهما، فشكته إلى عثمان رضي الله عنه، ثم اصطلحا[٤].

عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، وكان يكنى أبا الحكم، فكناه رسول الله ﷺ أبا جهل، وقال: «من كنى أبا جهل أبا الحكم، فقد أخطأ خطيئةً يستغفر الله منها، ولكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة أبو جهل»[٥]. وأمه أسماء بنت مُخَرِّبة بن جندل بن أُبَيْر بن نَهْشَل بن دارِم، وأم أسماء عناق بنت الجان من تغلب بن وائل، وأم عناق يقال لها: الشَّموس.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٤٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨١١)، وفي «المجتبى» (٥٣٧٢).

(٢) انظر القصة في «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٢٩٢ .

(٣) انظر «المحبر» ص ٤٠٠ـ٤٠١ .

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٢٢٦ .

(٥) لم نقف عليه بهذا السياق، وأخرج شطره الثاني عبد الرزاق في «تفسيره» ٣/ ٣٨٤ من حديث قتادة مرسلاً، وانظر «سبل الهدى والرشاد» ٤٠/ ٧٩ـ٨٠ .

ذكر مقتله:

قال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: إني لواقف يوم بدر في الصف نظرت عن يميني وعن شمالي فإذا بغلامين من الأنصار، حديثةٍ أسنانُهما، تمنيت أني كنت بين أَضْلعَ مِنْهُما، فغمزني أحدهما وقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل بن هشام؟ قلت: نعم. وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: بلغني أنه يَسُبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سوادَه حتى يموتَ الأَعْجَلُ منا، فغمزني الآخر وقال مثل ذلك. فعجبت، فلم أَنشَبْ حتى نظرتُ إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: هذا صاحبُكما الذي تسألان عنه، فاستقبلهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أَيُّكما قَتَلَه»؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. قال: «فَهَل مَسحْتُما سَيْفَكُما»؟ قالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين وقال: «كِلاكُما قَتَلَه». ثم قضى لهما بسَلَبِهِ، وهما: معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء. أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

قال معاذ بن عَمْرو بن الجموح: ضربت أبا جهل ضربةً أَطَنَّت قدمَه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بجلد من جنبي، وقاتلت عامة نهاري وأنا أسحبها من خلفي، فلما آذتني جعلت رجلي عليها ثم تمطيت حتى طرحتها. وعاش معاذ إلى أيام عثمان ﷺ[(٢)].

وقال البلاذري: أمر رسول الله ﷺ حين وضعت الحرب أوزارها أن يلتمس أبو جهل في القتلى، وقال: «اللهمَّ لا يعجزك».

قال ابن مسعود ﷺ: وجدته مرمياً في القتلى على آخر رمق، فوضعت رجلي على عُنُقِه وقلت: الحمد لله الذي أخزاك. فقال: إنما يخزي الله ابنَ أمّ عبد، رُوَيْعينا بالأمسِ، لمن الدائرةُ؟ قلت: لله ولرسوله، فاقتلع البيضة عن قفاه. فقلت: إني قاتلك. فقال: يا رويعي الغنم، لَسْتَ بأولِ عبدٍ قتل سيده. أما إنَّ أشدَّ [شيءٍ] عليّ لقتلُك إياي،

(١) أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(٢) «السيرة» ٢/ ٢٠١ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٥٤ ، و«المنتظم» ٣/ ١١٦. وأطنت: أطارت.

وأن لا يكون وَلِي قتلي رجل من الأحْلاف، فقتلتُه وجئت برأسه وسلاحه إلى رسول الله ﷺ فقال: «والله إنَّ ذلِكَ لأَحبُّ إليَّ مِن حُمْر النَّعَم»[١].

ورأى بجسده خُضْرةً، فسألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «ذاك أثر ضرب الملائكة». وكان أبو سلمة عند رسول الله ﷺ فَوَجِدَ في نفسه، فأقبل على ابن مسعود فقال: أنت قتلته؟ قال: الله قتله. قال: فأنت وَلِيتَ قتله؟ قال: نعم. فقال: لو شاء أن يجعلك في كمِّه، لفعل. فقال ابن مسعود: فقد والله قتلته وجرَّدتُه. فقال أبو سلمة: فما علامته؟ قال: شامة سوداء في فخذه اليمنى. فقال: جرّدته ولم يُجرَّدْ قُرَشي غيره، فقال: لم يكن في قريش أعدى عدواً لله ورسوله منه، وما أَعْتَذِرُ من شيء صنعته به. فسكت أبو سلمة، ثم استغفر الله بعد ذلك من كلامه في أبي جهل[٢].

قال الواقدي: قتل أبو جهل وهو ابن سبعين سنة، وكان يقال له: دَعيُّ بني شَجْع، ولم تثبت نسبته.

وفيه يقول حسان[٣]: [من الطويل]

ألا لَعَنَ الرحمنُ قوماً يحثُّهم ... دَعِيُّ بني شَجْع لحرب محمَّدِ
مشومٌ لَعِينٌ قد تَبَيَّنَ جهلُه ... قليلُ الحياءِ أمرُه غيرُ مُرْشِدِ
فأنزل رَبِّي نَصرَه لرسولِه ... وأيَّده بالعِزِّ في كلِّ مَشْهَدِ

ذكر أولاده:

عكرمة، وأبو علقمة، واسمه: زُرارة قتل باليمن، وأبو حاجب واسمه: تميم، ولم يعقبْ منهم أحد. ومن البنات: دُرَّة[٤]، وهي التي عزم عليٌّ على نكاحها، وعزَّ على رسول الله ﷺ، فتركها. وجويرية أسلمت يوم الفتح، تزوجها عبد الرحمن بن عتّاب بن أَسِيْد، فقُتِل عنها يوم الجمل.

---

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٥٢ . وما بين معكوفين منه.

(٢) «المغازي» ١/ ٩٠-٩١ .

(٣) أنساب الأشراف ١/ ٣٦١.

(٤) لأبي جهل أربع بنات: صخرة، الحنفاء، أسماء، جويرية، وليس لديه بنت اسمها درة، وإنما درة هذه ابنة أبي لهب، والتي خطبها علي بن أبي طالب هي جويرية، انظر «الإصابة» ٤/ ٦٥ ، والحديث في البخاري (٣١١٠)، ومسلم (٢٤٤٩) عن المسور بن مخرمة ﷺ.

فصل: وعفراءُ بنت عُبَيْد[١] بن ثعلبة بن غَنْم الأنصارية، كانت عند الحارث بن رفاعة فولدت له معاذاً ومعوِّذاً، ثم طلَّقها، فقدِمت مكة فتزوجها بكير بن ياليل، فولدت له خالداً وإياساً وعاقلاً وعامراً، ثم رجعت إلى المدينة، فراجعها الحارث، فولدت له عوفاً، وكلهم شهدوا بدراً، فشهد لها ببدر سبعة بنين مسلِمين رضي الله عنهم[٢].

مُنَبِّهٌ ونُبَيْهٌ ابنا الحجاج السَّهْمي، كانا من المستهزئين برسول الله ﷺ، وكان يدعو عليهما.

فأما منبه فقتله علي رضي الله عنه، وقيل: أبو اليَسَرِ الأنصاري، وقيل: أبو أسيد الساعدي.

وأما نُبَيه فقتله علي رضي الله عنه بغير خلاف، وكان ذو الفقار لنُبيه، وقيل: لُمنبّه، فأخذه علي وجاء به إلى رسول الله ﷺ فتنفَّله.

أَبو ذات الكَرِش، واسمه: عبيدة بن سعيد بن العاص. قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: لقيته يوم بدر وهو مُدَجَّجٌ لا يرى منه إلا عيناه، فقال: أنا أبو ذات الكَرِشِ، فحملت عليه فطعنته بالعَنَزَةِ في عينه، فمات[٣].



ذكر أعيان المشهورين من المشركين:

وقد قتل منهم سبعون، منهم:

الحارث بن الأسود بن المطلب، قتله علي رضي الله عنه[٤].

(١) في النسخ: عبد الله. والمثبت من «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٤١٢ ، و«المحبر» ص ٣٩٩ .
(٢) انظر «المحبر» ص ٣٩٩ .
(٣) «المغازي» ١/ ٨٥ .
(٤) لم نقف على هذا الرجل، ولعله الحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، قتله عمار بن ياسر. انظر «السيرة» ٢/ ٢٥٢ ، و«الكامل في التاريخ»، وجاء في «المغازي» ١/ ١٤٨ : الحارث بن ربيعة بن الأسود قتله علي، والله أعلم.

وجابر[١] **بن السائب وأخوه عويمر**[٢]، قتلهما علي رضي الله عنه.

ورفاعة بن أبي رفاعة، قتله سعد بن الربيع.

وزيد بن مليص بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله علي رضي الله عنه، وقيل: بلال[٣].

والسائب بن صيفي **بن عابد**[٤]، قتله الزبير.

والسائب بن أبي رفاعة، قتله عبد الرحمن بن عوف.

وعبد الله بن أبي رفاعة، قتله علي رضي الله عنه.

وعاصم بن أبي عوف، قتله أبو دُجانةَ[٥].

وعَقيل بن الأسود بن المطلب، اشترك في قتله حمزة وعلي رضي الله عنهما.

وزمعة بن الأسود، قتله أبو دجانة[٦].

وعمير بن أبي عمير، قتله سالم مولى أبي حذيفة.

وعمير بن عثمان بن عَمَّار[٧] بن عمرو التيمي، قتله علي، وقيل: صهيب[٨].

وقُتِلَ **أبو قيس بن الفاكِه**، قتله حمزة، وقيل: الحباب بن المنذر[٩].

---

(١) هكذا جاء في النسخ و«أنساب الأشراف» ١/ ٣٥٣، والصواب: حاجر، ويقال: حاجب. انظر «السيرة» ٢/ ٢٥٥، و«المغازي» ١/ ١٥١.

(٢) قاتله هو النعمان بن مالك القوقلي. انظر «السيرة» ٢/ ٢٥٠، و«المغازي» ١/ ١٥١. وما ذكر المصنف هو قول الكلبي كما في «أنساب الأشراف» ١/ ٣٥٣.

(٣) وقيل المقداد بن عمرو. انظر «السيرة» ٢/ ٢٥٣، «المغازي» ١/ ١٤٩.

(٤) ذكره ابن إسحاق في «السيرة» ٢/ ٢٥٤، والواقدي ١/ ١٥١ في قتلى المشركين يوم بدر، وهو معدود في الصحابة، انظر «الطبقات الكبرى» ٦/ ٩٣ـ٩٤، و«الإصابة» ٢/ ١٠.

(٥) جاء في «السيرة» ٢/ ٢٥٥: قتله أبو اليَسر.

(٦) جاء في «السيرة» ٢/ ٢٥٢: قتله ثابت بن الجذع.

(٧) لا وجود لهذا الاسم في نسب عمير بن عثمان. انظر «نسب قريش» ص ٢٨٠، و«السيرة» ص ٢/ ٢٥٣.

(٨) جاء في «السيرة» ٢/ ٢٥٣، و«المغازي» ١/ ١٤٩: عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، قتله علي بن أبي طالب، ويقال: عبد الرحمن بن عوف. وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، قتله صهيب بن سنان.

(٩) في «السيرة» ٢/ ٢٥٤: قتله علي بن أبي طالب، ويقال: عمار بن ياسر.

ابن عدي، وكنيته: أبو العاص[١]، قتله علي رضي الله عنه. وقيل: الحباب بن المنذر.

ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة قتله علي رضي الله عنه.

ومَعبَد[٢] بن وهب، قتله أبو دجانة.

ومعاوية بن عبد قيس، قتله عُكَّاشة.

ونوفل بن أسد بن عبد العزى[٣]، قتله علي رضي الله عنه.

وعن الزهري قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «اللَّهمَّ اكْفِني نَوفَلَ بن خُويلِدٍ». وكان أول ما التقى الصفان، يصيح بصوت رفيع: يا معاشر قريش، اليوم يوم الرِّفعة والعلاء، فلما انكشفت قريش قال: يا معاشر الأنصار، ما حاجتكم إلى دمائنا. فأسره جبَّار بن صخر فهو يسوقه، إذ رأى علياً رضي الله عنه مقبلاً نحوه، فقال: يا أخا الأنصار، مَنْ هذا؟ واللاّت والعزى إنه ليريدني. فقال: هذا علي بن أبي طالب. فصمد له علي رضي الله عنه فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «مَن له عِلْمٌ بنَوفَلِ بن خُويلِدٍ»؟ فقال علي: أنا قتلته. فكبَّر رسول الله ﷺ وقال: «الحمدُ لله الذِي أَجَابَ دَعوَتي فيه»[٤].

وبلغ النجاشيَّ مقتلُ قريش ببدر، فخرج في ثوبين أبيضين، وجلس على الأرض، ثم دعا جعفراً وأصحابه وقال: أيكم يعرف بدراً، فأخبروه. فقال النجاشي: أنا عارف بها، قد رَعَيْتُ الغنم في جوانبها، هي من الساحل على بعض نهار، ولكني أردت أن أتثبت منكم، قد نصر الله رسوله ببدر وأحمد الله على ذلك. فقال له بطارقته: قد رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تكن صنعته، لبست ثوبين أبيضين، وجلست على الأرض، فقال: إني من قوم إذا أحدث الله فيهم نعمة، ازدادوا بها تواضعاً، وفي رواية: إن عيسى عليه السلام كان إذا أُحْدِثَ له من الله نعمة، ازداد تواضعاً[٥].

---

(١) هو أبو العاص بن قيس بن عدي، قتله علي، ويقال: أبو دجانة. «المغازي» ١/ ١٥٢، و«أنساب الأشراف» ١/ ٣٥٤.

(٢) في النسخ: «معد».

(٣) هو نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى. انظر «السيرة» ٢/ ٧٠٩، و«المغازي» ١/ ١٤٩، و«نسب قريش» ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٤) «المغازي» ١/ ٩١-٩٢.

(٥) «المغازي» ١/ ١٢٠-١٢١.

وعن أنس: لما فرغ رسول الله ﷺ من بدر، جاءه جبريل عليه السلام على فرس أنثى حمراء، وعليه درع وبيده رمح، فقال: يا محمد، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى، فهل رضيت؟ قال: نعم. فانصرف جبريل عليه السلام[(١)].

وقال ابن عباس: أول من قدم مكة بمصاب قريش، الحَيْسُمانُ بن عبد الله الخزاعي، وهو ينادي بالويل والثبور، فقيل له: ما وراءك؟ فقال: قتل عتبة، قتل شيبة، قتل أمية، قتل الوليد، قتل أبو جهل، قتل فلان وفلان. وجعل يَعُدُّهم، وكان صفوان ابن أمية في الحِجْر، فقال: إن يَعْقِلْ هذا، فسلوه عني؟ فقالوا: ما فعل صفوان؟ قال: هو قاعد في الحِجْر، ولقد رأيت والله أباه وأخاه حين قتلا[(٢)].

وكانت هند بنت عتبة تقول: لو أعلم أن الحزن يذهبه البكاء لبكيت، وقالت: [من مجزوء الكامل]

لله عَيْنا من رأى ... هُلْكاً كَهُلْكِ رجاليَهْ
يا رُبَّ باكٍ لي غداً ... في النَّائباتِ وباكيَهْ[(٣)]
كم غادَرُوا يومَ القَليـ ... ـبِ غداةَ تلك الواعِيَهْ[(٤)]
مِن كلِّ ليثٍ في المُحو ... لِ إذا الكواكب جاريهْ[(٥)]
قد كنتُ أحذَرُ ما جَرَى ... فاليومَ حُقَّ حِذاريهْ
يا رُبَّ قائلةٍ غداً ... يا وَيْحَ أمِّ معاويهْ

وكان الأسود بن المطلب من المستهزئين برسول الله ﷺ، وكلَّمه يوماً كلاماً شقَّ عليه، فدعا عليه رسول الله ﷺ بالعمى والثُّكْلِ، فأعماه الله وأثكله.

وكان خرج يوماً إلى ظاهر مكة يستقبل بعض بنيه، وقد قدم من الشام، فجلس في ظل شجرة، فجاءه جبريل عليه السلام، فجعل يضرب وجهه وعينيه بشوك حتى عمي، فشغل

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٤ من حديث عطية بن قيس، وانظر «المغازي» ١/ ١١٣.
(٢) انظر «السيرة» ١/ ٦٤٦.
(٣) في النسخ، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٧١: «النائحات»، والمثبت من «السيرة» ٢/ ٢٨٢.
(٤) الواعية: الصيحة.
(٥) رواية «السيرة» و«الأنساب»:

مـن كـل غـيـث فـي الـسـنـيـ ... ـن إذا الـكـواكـب خـاويـه

عن رسول الله ﷺ. فلما كان يوم بدر، قتل بنوه الثلاثة فكان يقول: دعوت على محمد أن يكون طريداً في غير قومه وبلده، فاستجيب، ودعا عليّ بالعمى والثكل فاستجيب له[١].

و مات الأسود في السنة الثالثة من الهجرة والمشركون يتجهزون إلى أُحد، وعاش مئة سنة.

ولما ذكر رسول الله ﷺ عاقِرَ الناقة، قال: «كان عزيزاً في قومه كأبي زَمْعَةَ الأسود ابن المُطَّلِب في قومه»[٢].

وبعث رسول الله ﷺ البشائر إلى المدينة: عبدَ الله بنَ رَواحة إلى أهل العالية، وزيدَ ابن حارثة إلى أهل السافلة.

قال أُسامة بن زيد رضي الله عنهما: قدم أبي إلى المدينة وقد سَوَّينا التراب على رُقَيَّةَ بنتِ رسول الله ﷺ، وكانت عند عثمان بن عفان رضي الله عنه خلَّفه عليها يُمَرِّضُها. قال أسامة: فأتيت أبي وهو قائم بالمُصَلّى قد غشيه الناس وهو يقول: قتل شيبة، قتل عتبة، قتل فلان وفلان. فقلت: يا أبت، بالله حقّاً ما تقول؟ فقال: إيْ والله يا بني[٣].

واستعمل رسول الله ﷺ على الغنائم عبد الله بن كعب المازني، وقيل: عبد الله بن قيس، ثم ارتحل ﷺ قافلاً إلى المدينة، ونزل على كثيب فقسم الغنائم بين المسلمين على السواء[٤].

وكان الكفار قد جاؤوا بمئة فرس، فنجَوْا منها بسبعين وحصل في أيدي المسلمين ثلاثون وسبع مئة بعير، وأسلحة ودروع وسيوف كثيرة، وتنفَّل رسول الله ﷺ ذا الفَقار وجَمَلَ أبي جهل، وكان مَهْرياً، فكان رسول الله ﷺ يغزو عليه ويضرب في لقاحه[٥].

---

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ١٧١ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٧)، ومسلم (٢٨٥٥) من حديث عبد الله بن زمعة، وانظر «أنساب الأشراف» ١/ ١٧٣.

(٣) «السيرة» ٢/ ٢٠٧ .

(٤) انظر «السيرة» ٢/ ٢٠٧ ، و«المغازي» ١/ ١٠٠ . وقيل: استعمل عليها خباب بن الأرت كما في «المغازي».

(٥) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ١٧ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٧٨_٤٧٩ .

وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، فقتلت سعيد بن العاص بن أمية، وأخذت سيفه وكان يسمى: ذا الكتيفة، فأعجبني، فجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن الله قد شفا صدري من المشركين، فهب لي هذا السيف. فقال: «لَيسَ هذا لي ولا لَك، فَاذْهَب فَاطْرَحهُ في القَبَضِ». فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قَتْل أخي وأَخْذِ سَلَبي، وقلت: عسى يُعطى هذا لمن لا يُبْلي بلائي، فما جاوزت قليلاً حتى جاءني رسول الله ﷺ، فخفت أن يكون نزل فيَّ شيء، وأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ. . .﴾ [الأنفال: ١] الآية، فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ، قال لي: «يا سَعْدُ، إنَّك سَأَلتَنِي السَّيفَ، ولَيسَ لِي، وقد صَارَ الآن لِي، فَاذْهَبْ وخُذْهُ»، فأخذته[1].

وكان قد تخلف عن بدر ثلاثة من المهاجرين، وخمسة من الأنصار لعذر، فضرب لهم رسول الله ﷺ بسهامهم وأجورهم.

فمنهم: عثمان بن عفان ـ رضوان الله عليه ـ خلَّفه رسول الله ﷺ على ابنته رقية ﷺ يُمَرِّضُها.

وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بعثهما رسول الله ﷺ يتجسسان العير وخبر قريش ففاتهم ذلك، وقدما المدينة يوم وقعة بدر.

ومن الأنصار: عاصم بن عدي بن العجلان، خلفه رسول الله ﷺ بالمدينة على أهل العالية لشيء بلغه عنهم.

والحارث بن حاطب العَمْري، خرج مع رسول الله ﷺ فردَّه من الرَّوْحاء إلى بني عمرو بن عوف. والحارث بن الصمة، وخَوّات بن جبير خرجا مع رسول الله ﷺ فردهما إلى المدينة.

وأبو لبابة بن عبد المنذر خلفه رسول الله ﷺ على المدينة، ولا خلاف في هؤلاء الثمانية[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٤٠)، والترمذي (٣٠٧٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٦)، وأحمد في «مسنده» (١٥٦٧).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ١١.

ولما وصل رسول الله ﷺ الرَّوْحاءَ التقاه المسلمون يهنؤونه بالفتح والظَّفَرِ، فقال [سلمة بن] سلامة بن وَقْش - وكان مع رسول الله ﷺ ببدر -: وهل لقينا إلا عجائز صُلْعاً كالبُدْن المُعَقَّلة، فنحرناها نحراً، فبماذا يهنئون رسول الله ﷺ. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «لا يَا ابن أَخِي، لا تَقُل كَذا، أُولئِكَ المَلأُ مِن قُريشٍ - يعني السادة الأشراف - لَو رَأَيتَهُم لَهِبْتَهم، ولو أَمرُوكَ لأَطعْتَهم، ولو رَأَيتَ فِعَالك مع فِعالِهم لاحتقرته[1]، ولبئس القوم كانوا على ذلك لنبيِّهم»[2].

وعند انفصال رسول الله ﷺ عن بدر قاصداً إلى المدينة، قَتَلَ عُقْبَةَ بنَ أبي مُعَيْط، والنَّضْرَ بنَ الحارث، واسم أبي معيط: أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وكان أبو عمرو يُسمّى ذَكْوان، وكان عبداً، فاستخلفه أمية وكنّاه أبا عمرو، فخلف على امرأة أبيه وهي بنت أبان أم الأعياص[3].

وقال هشام بن الكلبي: خرج أمية إلى الشام، فأقام به عشر سنين، فوقع على أَمَةٍ يهودية من أهل صفورية لرجل من لخم، يقال لها: الثريا، وكان لها زوج يهودي، فحملت منه بذكوان وهي على فراش اليهودي، فاستلحقه[4] أمية، ثم قدم به مكة وكنّاه أبا عمرو.

وكان عقبة يكنى: أبا الوليد، وكان هو والنضر أشدَّ عداوة لرسول الله ﷺ من جميع قريش، فأسره يوم بدر عبد الله بن سلمة بن العَجْلاني، فأخذه وأتى به رسول الله ﷺ فأمر بقتله، فقال: يا ويلتي علام أقتل من بين هؤلاء؟ فقال رسول الله ﷺ: «لِعَدَاوتِك الله ورَسُولَه»[5]. فقال: يا محمد، ناشدتك الله والرحم، فقال: «وأيُّ رَحِم بيني وبينَكَ، وهَل أَنتَ إلَّا عِلْجٌ مِن أَهلِ صَفُّورِيَّةَ».

---

(١) في النسخ: لاختصرته، والمثبت من «المغازي» ١/ ١١٦.

(٢) وانظر الخبر مختصراً في «السيرة» ٢/ ٢٠٧-٢٠٨، وأخرجه مختصراً الحاكم في «المستدرك» ٣/ ٤١٨، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٤٧.

(٣) هي آمنة بنت أبان، والأعياص هم: العاص، وأبا العاص، والعيص بنو أمية الأكبر «جمهرة النسب» ص ٣٨.

(٤) في النسخ: «فاستخلفه» والمثبت من المعارف ٣١٩.

(٥) «المغازي» ١/ ١١٤، وانظر مقتل عقبة في «السيرة» ٢/ ٢٠٨.

وقال الواقدي: كان عقبة يقول بمكة، والنبي ﷺ مهاجر بالمدينة: [من البسيط]

يا راكبَ النَّاقةِ القَصْواءِ هاجرَنا ... عمّا قليلٍ تراني راكبَ الفَرَسِ

أَعِلُّ رُمحيَ فيكم ثم أَنْهَلُه ... والسيفُ يأخذُ منكم كل مُلتبسِ

وبلغ رسول الله ﷺ، فقال: «اللهمَّ كُبَّه لمَنْخِره واصْرَعْه»[(١)].

وحكى البلاذري: أنه لما حضر بين يدي رسول الله ﷺ، قال له: «والله لأقتُلَنَّك». فقال: يا محمد، مَن للصبية، قال: «النار». فقيل لرسول الله ﷺ: أتقتله من بين قريش؟ قال: «نعم، لقد وطئ على عُنقي يوماً وأنا ساجد، فما رفع رجله حتى ظننت أن عينيَّ قد سقطتا، وجاء يوماً بسلا جَزور فألقاه على رأسي» الذي قتله ثابت بن أبي الأفلح، ضرب عنقه ثم صلبه. فهو أول مصلوب في الإسلام[(٢)].

النَّضرُ بن الحارث بن علقمة بن كَلَدةَ بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[(٣)]، أبو فائد.

كان أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، ولقي رسول الله ﷺ فقال له: أنت الذي تزعم أنه يوحى إليك، وأنك ستوقع بقريش عن قريب؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وَأَنْتَ مِنهُم» ثم قرأ: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ﴾[(٤)][الأعراف: ١٨٥].

قال البلاذري: والذي أسره يوم بدر المقداد بن الأسود، فلما نزل رسول الله ﷺ الصفراء أمر علياً بقتله[(٥)].

قال المقداد: يا رسول الله، أسيري! فقال: إنه كان يؤذي الله ورسوله ويقولُ ما قال. اللهمَّ أَغْنِ المقداد من فضلك، ولما جيء به إلى بين يدي رسول الله ﷺ أسيراً، قال لرجل: والله إن محمداً قاتلي، قال: ومن أين علمت؟ قال: لقد نظر إلي بعينين فيهما الموت، ثم قال لمصعب بن عمير: أنت أَقْرَبُ مَنْ ها هنا وأمسُّ بي رحماً من

(١) «المغازي» ١/ ٨٢.
(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ١٧٠، ٣٤٩.
(٣) هذا النسب غير صحيح، فالنضر هو ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب. وأما هاشم فهو أخو كلدة. انظر «نسب قريش» ص ٢٥٤-٢٥٥، و«جمهرة أنساب العرب» ص ١٢٦.
(٤) «أنساب الأشراف» ١/ ١٦٠.
(٥) «أنساب الأشراف» ١/ ١٦١.

القوم، فكلِّم صاحبك فيَّ عسى أن يجعلني كواحدٍ من أصحابي. فقال: إنك قلت كذا وفعلت كذا. فقال: يا مصعب ليس هذا بحين عتاب، فوالله لو أسرتك قريش لدافعت عنك، فقال مصعب: إن الإسلام قطع بيننا وبينكم العهود، فقتله علي ـ رضوان الله عليه ـ بالأُثَيل[1]، فقالت أخته قُتَيْلَةُ[2]: [من الكامل]

يَا راكِباً إنَّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... مِن صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغ بها مَيْتاً هناك تحيةً ... ما إنْ تَزالُ بها الرَّكائِبُ تَخْفِقُ
مِنِّي إليه وعَبْرةً مسفوحةً ... جَادَت لسَافِحها وأخرى تخنُقُ
هل يسمعنِّي النَّضْرُ إن ناديتُه ... أَم كيفَ يَسمَعُ ميِّتٌ أو يَنطقُ
قولا لأحمدَ أنت ضِنْءُ كريمةٍ ... لنجيبةٍ والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ[3]
ما كان ضَرَّك لو مَنَنْتَ وربَّما ... مَنَّ الفتى وهو المغِيظُ المُحْنَقُ
والنَّضْرُ أقربُ مَنْ قَتَلْتَ قرابةً ... وأحقُّهم إن كان عِتْقٌ يُعْتَقُ
ظَلَّت سُيوفُ بني أبيه تَنوشُه ... لله أَرحامٌ هناك تَشَقَّقُ[4]
قَسْراً يقاد إلى المنية متعباً ... رَسْفَ المُقَيَّد وَهْوعانٍ موثَقُ[5]

فيُقال: إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: «لو سمعتُه قبل قتله لما قتلتُه»[6].

وسبق رسولَ الله ﷺ الأسرى إلى المدينة بيوم، وقال للذين معهم: «استوصوا بهم خيراً»[7]، و استعمل عليهم شُقْران مولاه[8].

---

(١) «المغازي» ١/ ١٠٦-١٠٧، وانظر «أنساب الأشراف» ١/ ١٦١.
(٢) جعل المصنف قتيلة أخت النضر بن الحارث تبعاً لابن إسحاق كما في «السيرة» ٢/ ٢٨٥، والصواب أنها ابنته، قال السهيلي في «الروض» ٢/ ١١٩: الصحيح أنها بنت النضر لا أخته، كذلك قال الزبير وغيره. انظر «نسب قريش» ص ٢٥٥، و«الإصابة» ٤/ ٣٨٩.
(٣) الضنء: الأصل. والمعرق: الكريم.
(٤) تنوشه: تتناوله.
(٥) الرسف: المشي الثقيل، والعاني: الأسير.
(٦) «السيرة» ٢/ ٢٨٥.
(٧) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٩٧٧)، وفي «الصغير» (٤٠٩) من حديث أبي عزير بن عمير أخي مصعب بن عمير. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ٨٦، وقال: إسناده حسن.
(٨) «المغازي» ١/ ١١٦.

قال الواقدي: كانوا تسعة وأربعين رجلاً[(١)].

وروى مسلم، عن عمر بن الخطاب ﷺ: أنهم أسروا سبعين[(٢)].

فنذكر أعيانهم: الأسود بن عامر، الحارث بن أبي وَجْزةَ، خالد بن الأعلم العُقيلي، سهيل بن عمرو، العباس بن عبد المطلب، عبد الله بن أُبيٍّ بن خلف، عثمان ابن عبد الله بن المغيرة، عثمان بن عبد شمس، المطلب بن حَنْطَب، الوليد بن الوليد ابن المغيرة، أبو العاص بن الربيع، أبو عَزيز بن عمير، أبو عَزَّةَ الشاعر، أبو ثور.

واستشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأسرى، فأشار أبو بكر ـ ﷺ ـ بالفداء، وأشار عمر بن الخطاب ﷺ بقتلهم[(٣)].

ففدى كلَّ واحد بأربعة آلاف درهم[(٤)]، وقيل: بأربعين أوقية، وبعضهم بأقل[(٥)].

ذكر ما جرى في الأسارى:

عن ابن مسعود ﷺ قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى قال رسول الله ﷺ: «ما تَقُولونَ في هَؤُلاءِ»؟ فقال أبو بكر: قومك يا رسول الله وأهلك، استبقهم واستَأْن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فِدية تكون لنا قوة.

وقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، ما أرى ما رآه أبو بكر، ولكن أرى أن تمكِّنَ علياً من عَقيل فيضرب عنقه، وتُمكِّنَني من فلان ـ نسيباً كان لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكِّن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا للمشركين هوادة، هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم.

وقال عبد الله بن رواحة: انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أَضرِم عليهم ناراً. فقال له العباس: قُطِعَتْ رَحِمُك.

---

(١) «المغازي» ١/ ١١٥ .

(٢) صحيح مسلم (١٧٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ .

(٤) «السيرة» ٢/ ٢٢٠ .

(٥) «الطبقات الكبرى» ٢/ ٢٠ .

فسكت رسول الله ﷺ عنهم، فقام فدخل فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال أناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول ابن رواحة. ثم خرج عليهم، فقال: «إنَّ الله لَيُلَيِّنُ قُلوبَ رجالٍ فيه حتى تكونَ أَلينَ من اللَّبَنِ، وإنَّ الله لَيُشدِّدُ قلوبَ رجالٍ فيه حتى تكونَ أشدَّ من الحجارَةِ، وإن مثَلَك يا أبا بَكرٍ، مَثَل إبراهيمَ عليه السلام قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ومَثَلك يا أبا بكرٍ، مَثَل عِيسَى عليه السلام قال: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية. ومَثَلك يا عمرُ، مَثَل نوحٍ عليه السلام إذ قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] ومَثَلك يا عُمر، كمَثَل موسَى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [يونس: ٨٨] الآية». ثم قال رسول الله ﷺ: «أَنتُم اليومَ عَالةٌ، فلا يُفلِتَنَّ أحدٌ إلا بِفِداءٍ أو ضَربِ عُنُقٍ».

قال ابن مسعود: فقلت: إلا سهيل بن بيضاء، فإني رأيته أو سمعته يذكر الإسلام. فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتني في يوم أخْوَفَ من أن يقع عَليَّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «إلَّا سُهيلَ بن بَيضَاءَ» وأنزل الله: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿عَظِيمٞ﴾[1] [الأنفال: ٦٨].

وقد أكثر الشعراء في غزاة بدر، قال أمية بن أبي الصلت[2]: [من مجزوء الكامل]

هَــلاَّ بَــكَـيْـتَ عــلــى الــكِـرَا ... م بـنـي الـكِـرامِ أُولـي الـمَـمَـادِحْ
كَـبُـكـا الـحَـمـامِ عـلـى فُـرُو ... عِ الأيْـكِ بـالـصـبـح الـجـوانـح[3]
يـبـكـيـن حَـرَّى مُـسـتـكِـيـ ... ـنـاتٍ يَـرُحْـنَ مـع الـرَّوائـح
أمـثـالُـهـنَّ الـبـاكِـيَـا ... تُ الـمُـعْـوِلاتُ مـع الـنـوائـح
مـاذا بِـبَـدْر والـعَـقَـنْـ ... ـقَـلِ من مَـرازبـةٍ جَـحـاجـح
الـقـائـلـيـن الـفـاعـلـيـ ... ـن الآمـريـن بـكـل صـالـح
فـلـقـد تـنـكَّـر بـطـن مـكّـةَ ... فَـهْـيَ مُـوحِـشَـةُ الأَبـاطـح
لله دَرُّهــم فــكــم ... مـن أيِّـم فـيـهـم ونـاكـح

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٧٦-٤٧٧، وهو مروي عن عدد من الصحابة بروايات مختلفة انظرها في «السيرة الشامية» ٤/ ٩١.

(٢) الأبيات في «السيرة» ٢/ ٢٧٢-٢٧٧.

(٣) كذا في النسخ، وفي «السيرة»: «في الغصن».

وقال كعب بن مالك[١]: [من الوافر]

وَرَدناهُ وفينَا البَدرُ يَجلُو دُجَى الظَّلماءِ عنَّا والغطاءِ[٢]
رسُولُ اللهِ يَقْدُمُنا بِأَمرٍ من الرَّحمنِ يَحكُمُ بالقَضاءِ
فَلا تَعجَلْ أَبَا سُفيانَ وارْقُبْ جِيادَ الخَيلِ تَطلُعُ مِن كَدَاءِ
بنَصرِ اللهِ، روحُ القُدسِ فينا وميكالٌ فيا طِيبَ المَلاءِ

وقال شداد بن الأسود الليثي[٣]: [من الوافر]

تُحيِّي بالسَّلامةِ أُمُّ بكرٍ وهَل لي بعدَ رهطي مِن سَلامِ
ذَريني أصطبح بكراً فإنِّي رأيتُ الموتَ نَقَّب عن هِشامِ
ونَقَّب عن أخيكِ وكانَ حُرّاً مِن الفِتيانِ شربُه المدامِ[٤]
ونَقَّب عن أبيكِ أبي يزيدٍ أخي الفتيان والشَّرْبِ الكرامِ
ووَدَّ بنو المغيرةِ لو فَدَوْه بألفٍ من رجال أو سوامِ
وماذا بالقَليبِ قَليبِ بَدرٍ مِنَ الرَّغَبات والنِّعَم الجِسامِ
ألا مَنْ مبْلغُ الأقوامِ عنِّي بأنِّي تاركٌ شَهرَ الصِّيامِ

ومنها:

إذا ما الرَّأس فارق منكبَيه فأبعدَ ما يكونُ من القيامِ

وفي هذه السنةِ أمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر، وذلك قبل أن تفرض الزكاة في الأموال، وأن تُخرجَ عن الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والحر والعبد، قبل أن يغدو إلى المصلى[٥].

---

(١) الأبيات في «السيرة» ٢/ ٢٧٢.

(٢) رواية «السيرة»: وردناه بنور الله يجلو.

(٣) رواية «السيرة» ٢/ ٢٧٤_٢٧٥ مخالفة تماماً لما عند المصنف، ولم نقف على هذه القصيدة بتمامها بهذه الرواية، وانظر «أنساب الأشراف» ١/ ٣٦١.

(٤) هذا البيت ليس في (أ)، وقد ورد في النسختين (خ، ك) هكذا، ولم نقف على من ذكره.

(٥) أخرج البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤) عن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس، صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على كل حر أو عبد، ذكر أو أنثى من المسلمين. وانظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٤١٨.

وفيها: خرج النبي ﷺ إلى المصلى، وصلى بالناس صلاة العيد، وهي أول خَرْجةٍ خَرَجها، وحمل بلال بين يديه العَنَزَة التي بعثها له النجاشي مع الزبير، وكانت تُحملُ بعد ذلك بين يدي الخلفاء(١).

وكان ﷺ يصلي العيد بغير أذان ولا إقامة(٢)، ويخطب بعد الصلاة(٣). حتى قام بنو أمية فجددوا للعيد أذاناً وإقامة، وخطبوا قبل الصلاة.

وفيها: ولد عبد الله بن الزبير بن العوام في شوال بعد الهجرة بعشرين شهراً، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة، فكبَّر أصحاب رسول الله ﷺ تكذيباً ليهود، لأنها كانت تقول: قد سحرناهم فلا يولد لهم عندنا مولود(٤).

وفيها: كانت قصة عُمير بن وهب مع رسول الله ﷺ في شوال(٥).

وفيها: سرية عمير بن عدي إلى عصماء بنت مروان اليهودي، وكانت تعيب على المسلمين، وتهجوهم، وتؤذي رسول الله ﷺ فقال عمير بن عدي الخطمي لما بلغه قولها، ورسول الله ﷺ يومئذ على بدر: علي لله نَذْر إن [رددتَ رسول الله ﷺ](٦) إلى المدينة لأقتلنَّها. فجاءها وهي تُرْضِعُ صبياً لها، فجسَّه بيده، ونحّاه وقتلها، وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فالتفت إلى من حوله، وقال لهم: إذا أَحببتم أن تنظروا إلى رجل نَصَر الله ورسولَه بالغيب، فانظروا إلى عمير. فقال عمر بن الخطاب: انظروا إلى هذا الأعمى الذي يسري في طاعة الله. فقال له رسول الله ﷺ: «لا تقل الأعمى ولكنه البصير». وقال له قومه: أنت قتلتها؟ قال: نعم، والله لو قلتم كلكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أقتلكم كلكم أو أموت. فيومئذ ظهر الإسلام في بني خَطْمة، وكان

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٢١٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤١٨، و«المنتظم» ٣/ ٩٦.

(٢) أخرجه مسلم (٨٨٧) من حديث جابر بن سمرة.

(٣) أخرج البخاري (٩٦٣)، ومسلم (٨٨٨) عن ابن عمر أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يصلون العيدين قبل الخطبة.

(٤) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٠٠-٤٠١.

(٥) وهي قصة إسلامه. انظرها في «السيرة» ٢/ ٢٢٠.

(٦) ما بين حاصرتين من «المغازي» وجاءت العبارة في النسخ: عليَّ لله نذر إن رجعت إلى المدينة. وهو خطأ لأن عميراً لم يخرج إلى بدر لأنه كان ضريراً.

منهم رجالٌ يخفونه[١].

وفي شوال كانت سرية سالم بن عمير إلى أبي عَفَك اليهودي، وكان شيخاً كبيراً من بني عمرو بن عوف، عاش عشرين ومئة سنة، فكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرّض عليه ولم يسلم، فاستأذن سالمٌ رسول الله ﷺ في قتله فاغتاله فقتله، وسالم من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً، وأحداً، والمشاهد كلها[٢].

وفيها: كانت غزاة بني قَيْنُقاع من اليهود في شوال[٣].

وفيها: كانت غزاة السَّوِيق في ذي الحجة، وكان أبو سفيان لما رجع من بدر آلى أن لا يَمَسَّ طيباً، ولا يغتسل من جنابة، ولا ينام عَلى وِسادةٍ حتى يغزوَ رسول الله ﷺ، فخرج من مكة في مئتي راكب من قريش، ولما وصل إلى المدينة، نزل بصَدْر قَناةٍ على بَريدٍ من المدينة، ثم أتى في الليل على بني النَّضير، فضرب باب حُيَي بن أخْطَب فلم يفتح له وخافه على نفسه، وأتى باب سلّام بن مِشْكم وكان سيد بني النَّضير، ففتح له وقَراه وأصحابه الخمر، وأتى أبو سفيان طرفاً من أطراف المدينة، فحرق بعض نخيلها، وقَتَلَ حليفاً للأنصار اسمه معبد. ولما بلغ رسول الله ﷺ خرج من المدينة في مئتين وخمسين من المهاجرين، واستخلف أبا لُبابةَ، وخاف أبو سفيان وأصحابُه أن يدركوهم، فطرحوا ما كان معهم من الزاد وانهزموا، وكان عامة أزوادهم السويقَ فغنمه المسلمون، وفاته أبو سفيان، فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن يكون لنا في هذه الغزاة أجر؟ قال: «نعم». فسميت غزاة السويق[٤].

وفيها: كانت غزاة قرقرة[٥].

وفيها: كتب رسول الله ﷺ معاقِلَ الدِّيةِ، وجعلها في حمائل سيفه[٦].

---

(١) «المغازي» ١/ ١٧٢-١٧٣، وانظر «السيرة» ٤/ ٢٠٩.
(٢) «المغازي» ١/ ١٧٤، وانظر «السيرة» ٤/ ٢٠٨.
(٣) «المغازي» ١/ ١٧٦، وانظر «السيرة» ٣/ ٥.
(٤) «السيرة» ٣/ ٣، و«المغازي» ١/ ١٨١.
(٥) «السيرة» ٣/ ٣، و«المغازي» ١/ ١٨٢.
(٦) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٨٦.

وفيها: صلى رسول الله ﷺ صلاة العيد، وضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه، والآخر عن أُمَّته، ممن يقر بالشهادتين[١].

وفيها: بنى علي بفاطمة رضي الله عنها في آخر ذي الحَجة، قال بُرَيْدَة: لما خطب عليٌّ فاطمة، قال رسول الله ﷺ: «لابُدَّ للعُرسِ مِن وَلِيمَةٍ»، فقال سعد: عليَّ كبش، وقال فلان: عليّ كذا وكذا من ذرة[٢].

وقال علي رضي الله عنه: لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها غيرُ جلدِ كَبْشٍ ننامُ عليه في الليل، ونعلفُ عليه الناضحَ في النهار، ومالي ولها خادم غيرها[٣].

ولقد أُهْدِيَت إليَّ في بردتين ومعها مرفقة من أَدَم حشْوُها لِيفٌ، وقِرْبَةٌ ومُنْخُل، ورَحا وجراب وجَرَّتان[٤].

وقال علي رضوان الله عليه: قال النبي ﷺ ليلة البناء بفاطمة: «لا تُحدِثنَّ حَدَثاً حتَّى آتيَكُما». قال: فأتانا فجلس عند رؤوسنا، ودعا بإناء فدعا فيه بالبركة ورشَّه علينا، قال: فقلت: يا رسول الله، أيما أحب إليك أنا أم هي؟ قال: «هِيَ أَحَبُّ إِليَّ مِنكَ، وأَنتَ أعزُّ عليَّ مِنها»[٥].

وقال علي رضي الله عنه: لما أهديت إليَّ فاطمة لم تجد عندي إلا وسادة ورملاً مبسوطاً وجرَّة، فجاء رسول الله ﷺ، فقامت في مِرْطِها تتصبَّبُ عَرَقاً من الحياء، فنضح علينا من الماءِ، وقال: «أَمَا إنِّي لم أُنكِحْكِ إلاَّ أَحبَّ أَهلي إليَّ، وأَعَزَّهم عليَّ»[٦].

وعن أبي جعفر قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، نزل على أبي أيوب، فلما تزوج عليٌّ فاطمة رضي الله عنها قال له: اطلب لك منزلاً، فطلب فوجده بعيداً عن رسول الله ﷺ قليلاً،

(١) انظر «المنتظم» ٣/ ١٣٧.
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٠٣٥).
(٣) أخرجه هناد في «الزهد» (٧٥٣)، وابن عساكر في «تاريخه» ٤٢/ ٣٧٦.
(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٢٥.
(٥) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٧٦)، وابن عساكر في «تاريخه» ٤٢/ ١٢٤.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٨١)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٩٥٨)، والطبراني في «الكبير» ٢٤/ (٣٦٥) من حديث أسماء بنت عميس، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٢١٠، وقال: رجاله رجال الصحيح.

فبنى بها فيه، فجاءهما رسول الله ﷺ وقال: «إني أريد أن أحولكما إلي». فقال: كلِّم حارثة بن النعمان؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد حوَّلَ حارثةُ حتى لقد استحييت منه». فبلغ حارثة، فتحوَّل من منزله وجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، قد بلغني أنك تريد أن تحوِّل فاطمة إليك، وهذه منازلي لله ولرسوله، فحولها إلى منزل حارثة(١).

وقال عطاء بن السائب عن أبيه، عن علي ﷺ: أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة، بعث معها خميلة ووسادة من أدم حَشْوُها ليف، ورحاتَين وسِقاء وجرَّتين. فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سَنَوْت(٢) حتى لقد اشتكيت صدري، وقد جاء اللهُ أباك بِسَبْيٍ فاذهبي فاستخدميه. فقالت: والله أنا طحنت حتى مَجَلَتْ(٣) يداي. فأتت رسول الله ﷺ، فقال: «ما جَاءَ بكِ يا بُنَيَّة؟» فقالت: جئت لأُسلِّمَ عليك. واستحيتْ أن تسأله ورجعت، فقال: ما فعلتِ؟ فقالت: استحييت. فأتياه جميعاً فسألاه، فقال: «واللهِ لا أُعطِيكُما وأَدَعُ أهلَ الصفَّةِ تُطوَى بُطونُهم لا أجدُ ما أُنفِقُ عَليهم، ولكِن أَبيعُهم وأُنفِق عليهم أَثمَانَهُم». ثم أتاهما في منزلهما، فقال: «أَلا أُعلِّمكُما وأُخبِركُما بخيرٍ ممَّا سأَلتُماني»؟ قالا: بلى. قال: «كلماتٌ علَّمني إياهنَّ جبريل ﷺ، تسبِّحانِ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عشراً، وتَحمدانِ عَشْراً، وتُكبِّران عَشْراً، وإذا أَوَيتُما إلى فِراشِكُما، فسَبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمَدَا ثلاثاً وثلاثينَ، وكَبِّرا أربعاً وثلاثينَ». قال علي: فوالله ما تركتهنَّ منذ علمني إياهن رسول الله ﷺ. فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، ولا ليلة صفين(٤).



فصل وفيها توفي

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ٢٣.

(٢) سنوت: سقيت.

(٣) مجلت: نفطت من العمل.

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ٢٥-٢٦، وأحمد في «مسنده» (٨٣٨)، وهو عند البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧) مختصراً.

خُنَيْسُ بن حذافة(١)

ابن قيس بن عدي [بن سعد] بن سهم [بن عمرو] بن هُصَيص، أبو حُذافة السَّهْمّي، وأمه: ضعيفة بنت حِذْيَم من بني سهم(٢)، أسلم قديماً، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، مرض ببدر مع رسول الله ﷺ، ومات مَقْدَمَ رسول الله ﷺ من بدر، وكان تحته حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه [فخلف عليها رسول الله ﷺ بعد ذلك(٣).

رقية بنت رسول الله ﷺ(٤)

تزوجها عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قالت أمه أم جميل بنت حرب: قد هجانا محمد، وعزمت على ابنها عتبة أن يطلق رقية، وعزم عليه أبوه أيضاً أن يطلقها ففعل]. فزوجها رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه، وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين، ثم هاجرت معه إلى المدينة، وكانت قد أسقطت من عثمان -رضي الله عنه- سقطاً، ثم ولدت بعد ذلك ولداً سماه: عبد الله، واكتنى به في الإسلام وعاش إلى سنة أربع، وبكت النساء على رقية رضي الله عنها، فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل يضربهن بسوطه، فأخذه رسول الله ﷺ من يده، وقال: «ابكين وإياكن ونَعيقَ الشيطان، فإنه مهما يكن من القلب والعين، فإنه من الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان». وقعدت فاطمة -رضي الله عنها- تبكي على شفير، وطفق رسول الله ﷺ يمسح دمعها بطرف ثوبه رحمة لها(٥).

---

(١) انظر ترجمته: في «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٦٤، و«المنتظم» ٣/ ١٨٥، و«البداية والنهاية» ٣/ ٣١٨، و«الإصابة» ١/ ٤٥٦. وترجم له ابن الجوزي في وفيات السنة الثالثة، وكذا ابن الأثير في «الكامل» ٢/ ١٤٨. وقال ابن حجر: شهد بدراً وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٦٤، وما بين حاصرتين زيادة منه، ومن «نسب قريش» ص ٤٠٠ـ٤٠٢.

(٣) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٠٨.

(٤) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٣٦، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦، و«المنتظم» ٣/ ١٣٨، و«الإصابة» ٤/ ٣٠٤ وما بين حاصرتين منها.

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٣٧، وأحمد في «مسنده» (٣١٠٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال ابن سعد: الثبت عندنا من جميع الرواية أن رقية توفيت ورسول الله ﷺ ببدر ولم يشهد دفنها، ولعل هذا الحديث في غيرها من بنات النبي ﷺ اللاتي شهد دفنهن، فإن كان في رقية وكان ثبتاً فلعله أتى قبرها بعد قدومه المدينة، وبكاء النساء عليها بعد ذلك. وقال الذهبي في «الميزان» ٣/ ١٢٨ـ١٢٩: هذا حديث منكر، وفيه شهود فاطمة الدفن، ولا يصح.
وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٢٧) وفيه أنها زينب.

ومن رؤساء الكفار: **أمية بن أبي الصلت**(١) ربيعة بن وهب بن عِلاج الثقفي، وقيل: أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن ثقيف، وأُمُّ أمية رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته: أبو عثمان، وقيل: أبو الحكم، وكان شاعراً فصيحاً، وكان قد تنبأ في الجاهلية في أول زمانه، وكان على الإيمان، ثم زاغ عنه.

وقال علماء السير: كان أمية قد قرأ الكتب القديمة، وكان يتَّجر إلى الشام، ويجتمع بأهل الكتابين، فأخبروه بخروج نبيٍّ من العرب في آخر الزمان يرغب عن عبادة الأوثان، وكان يُؤَمِّلُ أن يكون هو، فلما بلغه خروجُ رسول الله ﷺ حسده، واغتاظ منه، وتأسف أن يكون ذلك في غَيْره(٢).

وحكى ابن إسحاق، عن أبي سفيان بن حرب قال: خرجت أنا وأمية تاجرَيْن إلى الشام في جماعة من قريش، فكان كلما نزلنا منزلاً أخرج سِفْراً فيقرؤه علينا، فنزلنا يوماً بقرية فيها نصارى فأكرموه وأهدوا له، وذهبوا به إلى كنيستهم، ثم عاد وسط النهار فنزع ثوبه، ولبس ثوبين أسودين، ثم قال: يا أبا سفيان، هل لك في عالم من علماء النصارى تسأله عما بدا لك؟ فقلت: لا إرب لي فيه، أخاف أن يحدثني بشيء فيفسد علي قلبي.

قال: فمضى، ثم جاء بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه، ثم تقلب على الفراش إلى الصباح، فوالله ما نام حتى أصبح حزيناً كئيباً لا يكلمنا ولا نكلمه، فسرنا ليلتين وهو على حاله من الهم والغم، فقلت له: ما رأيت بمثل الذي رجعت به عن صاحبك، قال: لِمُنقَلَبي. فقلت: وهل لك من منقلب؟ قال: إي والله لأموتنَّ، ثم قال: لأبعثن ثم لأحاسبن [قال: قلت: هل أنت قابل أمانتي، قال: على ماذا، قلت: على أنك لا تبعث ولا تحاسب. قال: فضحك، ثم قال: بلى والله يا أبا سفيان لنبعثن ثم لنحاسبن] وليدخلن قوم إلى الجنة، وقوم إلى النار. فقلت: ففي أيِّها أنت؟ فقال: لا أدري. قلت:

---

(١) انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ٤٥٩، و«الأغاني» ٤/ ١٢٠، و«المنتظم» ٣/ ١٤٢، و«البداية والنهاية» ٢/ ٢٢٠، و «الإصابة» ١/ ١٢٩. وقال ابن حجر: والمعروف أنه مات في التاسعة، وصح أنه عاش حتى رثى أهل بدر.

(٢) انظر «المعارف» ص ٦٠، و«المنتظم» ٣/ ١٤٢.

فهل أخبرك صاحبك بهذا؟ فقال: إن صاحبي لا يعلم بذلك.

وسِرنا إلى دمشق فبعنا متاعنا، ثم رجعنا فمررنا بذلك المكان، فذهب إلى النصراني وجاء كئيباً على حاله، فسرنا يومين وهو ساكت باهت. فقال: يا صخر، إني سائلك فأجبني، قلت: سل؟ فقال: أخبرني عن عتبة بن ربيعة أيجتنب المحارم والمظالم؟ قلت: نعم، ويصل الرحم وكريم الطرفين، ليس فينا قرشي أشرفُ منه. قال: فقد أخبرني هذا العالم، أن النبي الذي يخرج في هذا الزمان، رجل من أهل البيت الذي يحجه الناس، وقد كنت أرجو أن أكون أنا ذلك الرجل، فأصابني ما رأيت.

قال أبو سفيان: فظهر رسول الله ﷺ وأمية في اليمن، قد ذهب بتجارة ثم قدم الطائفَ، فخرجتُ فنزلتُ عليه، فقلت: أتذكر حديث النصراني يا أبا عثمان؟ قال: وكيف؟ قلت: قد ظهر ما قال، قال: ومن ذاك؟ قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: فتصبَّبَ عَرَقاً، ثم أتى مكة فلقي رسول الله ﷺ، فقال له: ما هذا الذي تقول؟ قال: «فما الذي تقول أنت»؟ فقام فخطب، وأنشد شعراً، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إلى آخر السورة. فبهت، وقام يجر رجليه، فتبعته قريش، وقالت له: ما تقول؟ قال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ قال: أنظر في أمري، وقال أبياتاً منها: [من الوافر]

إلـه محمَّدٍ حقـاً إلـهي ودينـي دينُـه غيـر انتحـالِ

قال أبو سفيان: لما عدنا من الشام، مضى أمية إلى الطائف ودخل مكة، وكان معي بضائع للناس، ولرسول الله ﷺ بضاعة، فجاء الناس يهنؤني بالسلامة ويسألوني عن بضائعهم، وجاء رسول الله ﷺ فسلم علي وهنأني بالسلامة، ولم يسألني عن بضاعته، فلما قام، قلت لهند: والله إن هذا الفتى ليعجبني، ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألني عنها إلا هو. فقالت هند: وما علمت شأنه؟ ففزعت وقلت: وما شأنه؟ قالت: زعم أنه رسول الله، فذكرت قول النصراني فوجمت، وخرجت إلى الطائف، وأخبرت أمية، فقال: لئن ظهر وأنا حي لأُبْلِيَنَّ الله في نُصرته عذراً، فمضيت إلى اليمن وعدت إلى الطائف، فقلت له: أين أنت من محمد؟ فقال: ما كنت لأصدق شيئاً من غير ثقيف أبداً، وفي رواية: قلت له: ما يمنعك منه؟ قال: هو على الحق، ويمنعني

الحياء من نُسَيَّاتِ الطائف، كنت أحدثهن أنني هو، ثم أصير تبعاً لغلام من بني عبد مناف[(١)].

ذكر وفاته:

قال سعيد بن المسيب: قدمت الفارعة أخت أمية على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة، وكانت ذاتَ جمالٍ وعقل وأدب. فقال لها: «هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً»؟ قالت: نعم، وأعجب منه ما رأيت. قال: «وما رأيتِ»؟ قالت: قدم من سفر فدخل علي، فنام على السرير، إذِ انشق سقف البيت، ونزل منه طائران أبيضان، فوقع أحدهما على بطنه، ونقر صدره فاستخرج منه قلبه، فقال له الطائر الآخر: وَعَى، فقال: وعى، قال: أَقَبِلَ؟ قال: أبى، قالت: فردّا قلبه وطارا، فأتبعه أمية بصره، وقال: لبيكما لبيكما، ها أنا ذا لديكما، لا مال يغنيني، ولا عشيرة تحميني، لا بَريءٌ فأعتذر، ولا ذو عشيرة فأنتصر. ثم عادا فشقا قلبه، وهو يقول كذلك، فعلاه مراراً. ثم قال: [من الرجز]

إن تـغـفِـر الـلـهـمَّ تـغـفـر جَـمَّـا
وأيُّ عـــبـــدٍ لـــك لا ألـــمّـــا

ثم طارا من سقف البيت، فالتأم كما كان، واستوى أمية جالساً. فقلت له: يا أخي، هل تجد شيئاً؟ قال: حرارة في صدري، ثم مسح يده على صدره وقال: [من الخفيف]

إنَّ يـومَ الـحـسـابِ يـومٌ عـظـيـمٌ ... شَـابَ فيـه الـصَّـغـيـرُ شَـيـبـاً طَـويـلاً
كـلُّ عـيـشٍ وإن تـطـاوَلَ يـومـاً ... صـائـرٌ أمـرُهُ إلـى أنْ يَـزُولا
فـاجـعَـلِ الـمَـوتَ بـين عـينَـيكَ واحـذَرْ ... غَـولَـةَ الـدَّهـر إنَّ لـلـدَّهـرِ غـولا
لـيـتَـنـي كـنـتُ قـبـل مـا قـد بَـدا لـي ... فـي رؤوسِ الـجـبـالِ أرعـى الـوُعُـولا

قالت: ثم خرج من عندي، فمات بين بيتي وبيته[(٢)].

---

(١) الخبر في «تاريخ دمشق» ٩/ ٢٥٧، و«المنتظم» ٣/ ١٤٢ـ١٤٦. وما بين حاصرتين زيادة من «تاريخ دمشق».
(٢) «تاريخ دمشق» ٩/ ٢٨٢ـ٢٨٣.

وقال هشام: كان أمية قد آمن برسول الله ﷺ وهو بالشام، فقدم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر، فلما نزل بدراً قيل له: إلى أين يا أبا عثمان؟ فقال: إلى الطائف، آخذ مالي وأعود إلى المدينة أتبع محمداً. فقيل: هل تدري ما في هذا القليب؟ قال: لا. قيل: فيه شيبة وعتبة ابنا خالك، وفيه فلان وفلان ابنا عمك، وعَدّوا له أقاربه. فجدَع أنف ناقته، وهَلَبَ ذَنَبَها، وشقَّ ثيابه وبكى، فقال: [من مجزوء الكامل]

ماذا ببدرٍ والعَقَنْـ ... ـقَلِ من مَرازبةٍ جَحاجِحْ

الأبيات المتقدمة، ثم عاد إلى الطائف فمات به[(١)].

وقال ابن السِّكِّيت: بينا أمية يشرب الخمر مع رُفْقَةٍ له، إذ سمع نَعيقَ غُراب نعق ثلاثة أصوات وطار، فقال أمية: هل تدرون ما قال؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: تشرب الكأس الثالث وتموت. فشربه فمات[(٢)].

ومن شعره يمدح عبد الله بن جُدْعان التيمي[(٣)]: [من الوافر]

أأذكُرُ حاجَتي أم قد كفاني ... حَياؤُكَ إنَّ شِيمَتَكَ الحياءُ
وعِلْمُكَ بالحقوقِ وأنتَ فرعٌ ... لك الحَسَبُ المهذَّبُ والسَّناءُ
إذا أَثنى عليك المرءُ يوماً ... كَفاه من تَعَرُّضِه الثَّناءُ
خليلٌ لا يغيِّرُهُ صَباحٌ ... عن الخُلُقِ الكريمِ ولا مساءُ
تباري الرِّيحَ مَكرُمةً بَناها ... بنو تَيمٍ وأنتَ لها سماءُ[(٤)]

وقال أمية[(٥)]: [من الكامل]

لا يَنكُتون الأرضَ عند سُؤالهم ... لتَطلُّب العِلّات بالعيدانِ
بل يُسفِرونَ وجوهَهم فتَرى لها ... عندَ السُّؤالِ تَهلُّلَ الألوانِ

---

(١) «تاريخ دمشق» ٩/ ٢٨٦، و«المنتظم» ٣/ ١٤٦.

(٢) «تاريخ دمشق» ٩/ ٢٨٥، و«المنتظم» ٣/ ١٤٩.

(٣) الأبيات في «ديوانه» ص ١٧.

(٤) هكذا في نسخنا وجاء البيت في الديوان ص١٩:

فأرضك كل مكرمة بناها ... بنو تَيْم وأنت لها سماء

(٥) الأبيات في «ديوانه» ص١٩٣ برواية أخرى.

وإذا الـمُـقِـلُّ أقـامَ بـيـن رِحَـالِـهـم ... رَدُّوه ربَّ صَـــواهـــلٍ وقِـــيـــانِ
وإذا دُعـوا يـومـاً لـخـطـبِ مُـلِـمَّـةٍ ... سَـدُّوا شُـعـاعَ الـشَّـمـسِ بـالـفُـرسـانِ

زهير بن أبي أمية[1]، أخو أم سلمة ﵂، كان من المستهزئين برسول الله ﷺ إلا أنه أعان على نقض الصحيفة، وأمه: عاتكة بنت عبد المطلب. قيل: إنه خرج إلى بدر مع الكفار، فسقط عن بعيره فمات. وقيل: إنه أسر يوم بدر، فأطلقه رسول الله ﷺ، فلما وصل إلى مكة مات. وقيل: إنه شخص إلى اليمن فمات به كافراً. وقيل: مات بالشام. وقيل: مات في السنة الثالثة بعد وقعة أحد، جاءه سهم فقتله.

سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو أُحَيْحَةَ[2]، كان من وُجوه قريش، وكان رسول الله ﷺ إذا مرَّ به، يقول: إن محمداً لَيُكَلَّم من السماء. فقال له النضر بن الحارث: بلغني أنك تحسن القول في محمد، وكيف تفعل هذا وهو يسب آلهتنا، ويزعم أن آباءنا في النار. فأظهر سعيدٌ عداوةَ رسول الله ﷺ وذمَّه، وكان ذا شرف بمكة، إذا اعتمَّ لم يعتمَّ أحد بمكة إعظاماً له، ويقال له: ذا التاج، وتوفي بالطائف. ورُئي قبره مشرفاً، فقال أبو بكر الصديق ﵁: لعن الله صاحبَ هذا القبرِ، فلقد كان يحادُّ الله ورسوله. فقال ابناه عمرو وأبان ـ وكانا قد أسلما ـ: لعن الله أبا قحافة، فإنه لا يقري الضيف، ولا يدفع الضيم. فقال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الأَمواتَ، فإنَّ سبَّهم يُؤْذِي الأَحياءَ، فإذا سَبَبْتُم فَعُمُّوا»[3].

وكان لسعيد عدة أولاد، منهم: أُحَيْحَة قُتل يوم الفِجار. وعبيدة[4] قتله علي - ﵁ - يوم بدر كافراً، وخالد وعمرو وأبان والعاص وسعيد والحكم[5]، وسنذكرهم إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر ترجمته: في «الكامل» ٢/ ٧٠، و«الإصابة» ١/ ٥٥٢.
(٢) انظر ترجمته: في «تاريخ دمشق» ٢١/ ١٠٥، و«المنتظم» ٣/ ١٥٥، و«الإصابة» ٢/ ١٢٦.
(٣) أخرج شطره الأول الترمذي (١٩٨٢)، وأحمد (١٨٢٠٩) من حديث المغيرة بن شعبة ﵁، وأما قوله: «فإذا سببتم فعموا» فلم نقف عليه.
(٤) في «السيرة» ٢/ ٢٥٢، و«نسب قريش» ص ١٧٤: عبيدة قتله الزبير بن العوام، والعاص قتله علي بن أبي طالب.
(٥) سماه رسول الله ﷺ عبد الله. «نسب قريش» ص ١٧٤، و«جمهرة أنساب العرب» ص ٨٠.

أبو لهب عبد العُزَّى عم رسول الله ﷺ، كانت وفاته بعد غزاة بدر بسبعة أيام[١]، ومات بالعَدَسةِ، وبقي ثلاثاً مطروحاً في بيته حتى أنتن، وكانت قريش تتقي العَدَسة كما تتقي الطاعون.

فقال رجل لابنيه عتبةَ ومعتِّبٍ: ألا تَدْفِنا أباكما، فإنه قد أَنتن؟ فقالا: نخشى هذه القرحة. قال: فانْطَلِقا وأنا معكما إليه. فما غسلوه إلا من بعيد، فقذفوا عليه الماء، وقد تفسخ وبقي كالزق، فأدرجوه في كساء ورموه في حفرة بأعلى مكة[٢].

وكان شديدَ الأذى لرسول الله ﷺ، ومن أكابر المستهزئين به، ودعا عليه مراراً.

ومرَّ حمزة - ﷺ - يوماً بأبي جهل[٣] ومعه مِكْتَلٌ فيه قَذَرٌ وهو يطرحه على باب رسول الله ﷺ، فأخذه حمزة وطرحه على رأس أبي لهب، فجعل ينفضه ويقول: صابىء أحمق[٤].

وأولاده: عُتَيْبَةُ وهو الذي أكله الأسد بالشام، وعتبة ومُعَتِّب، أسلما وشهدا مع رسول الله ﷺ حنيناً، ودُرَّة بنت أبي لهب، أسلمت وبايعت.

المُطْعِم بن عَدي[٥] أبو وهب، كان من رؤساء الكفار، وكان قليل الأذى لرسول الله ﷺ، ودخل ﷺ مكة في جواره، وكان يقوم بأمر بني هاشم حتى خرجوا من الشعب.

وكانت وفاته في صفر قبل غزاة بدر بستة أشهر، ودفن بالحَجون وهو ابن بضع وسبعين سنة[٦]، وأقيم عليه النَّوْحُ سنة.

وقال رسول الله ﷺ: «لو كان المطعم حياً لوهبت له هؤلاء السبي»[٧].

---

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ١٤٩ .

(٢) «الطبقات الكبرى» ٤/ ٦٨ ، «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٦٢، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٢٥٤ . والعدسة: هي بثرة تشبه العدسة، تخرج في مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالباً.

(٣) كذا في النسخ، والصواب: أبو لهب.

(٤) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ١٤٩ .

(٥) انظر ترجمته: «أنساب الأشراف» ١/ ١٧٦ ، و«المنتظم» ٣/ ١٥٥ .

(٦) في «أنساب الأشراف» و«المنتظم»: «سبعين سنة».

(٧) ذكره بهذا اللفظ ابن الجوزي في «المنتظم» ٣/ ١٥٥ ، وأخرجه البخاري (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم، أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيّاً، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له».

السنة الثالثة من الهجرة

فيها: كانت غزاة ذي أَمَرّ[(١)].

وسببها: أن جمعاً من بني ثعلبة بن سعد من غطفان، وبني محارب بن خَصَفة، جمعهم دُعْثُور بن الحارث المحاربي، وبلغ رسولَ الله ﷺ خبرُهم، فخرج في أربع مئة وخمسين رجلاً، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضوان الله عليه، فلما بلغ إلى ذي القَصَّة لقي بها رجلاً من بني ثعلبة، فقال له المسلمون: أين تريد؟ فقال: يثرب لأنظر لنفسي. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فأسلم، وأخبرَ رسول الله ﷺ بخبر المشركين، ولما سمعوا برسول الله ﷺ، تفرقوا في الجبال واضطجع رسول الله ﷺ تحت شجرة، فأقبل دُعْثُور ومعه سيفه فقال: يا محمد، من يمنعك مني اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله» فدفع جبريل عليه السلام في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقال: «يا دُعْثُور مَن يمنعُكَ منِّي اليومَ»؟ فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فأعطاه ﷺ سيفَه ومضى إلى أصحابه فأخبرهم بما رأى، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية [المائدة: ١١].

وقيل: كانت قصة دُعْثور في سنة خمس من الهجرة.

وفيها: كانت غزاة بني سُلَيْم بن منصور[(٢)].

---

(١) انظر «السيرة» ٣/ ٤، «المغازي» ١/ ١٩٣، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٣١، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٨٧، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ١٦٧، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢.

(٢) انظر «السيرة» ٣/ ٣، و«المغازي» ١/ ١٩٦، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٣٢، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٨٧، و«دلائل النبوة» ٣/ ١٧٢، و«المنتظم» ٣/ ١٥٩، و«البداية والنهاية» ٤/ ٣.
وهي غزوة الفُرُع من بُحران، وسببها أنه بلغ النبي ﷺ أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم بن منصور فخرج في ثلاث مئة رجل من أصحابه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ولم يظهر وجهاً للسير، حتى إذا كان دون نجران بليلة لقي رجلاً من بني سليم فأخبرهم أن القوم افترقوا فحبسه مع رجل، وسار حتى ورد نجران وليس بها أحد، فأقام أياماً، ثم رجع ولم يلق كيداً، وأرسل الرجل.

وفيها: كانت غزاة وَدَّان[١].

وفيها: كانت سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَة[٢] - اسم ماء بنجدٍ - في جمادى الآخرة، وهي أول غَزاةٍ خرج فيها زيد بن حارثة، وكان في العِير أبو سفيان بن حرب، وقد استأجر فُرات بن حَيَّان من بكر بن وائل يدلُّهم على الطريق إلى العراق، فوافاهم زَيْدٌ وَهُمْ على ذلك الماء، فاستاق العير، وهرب أبو سفيان والرجال، وأسرَ زيدٌ صفوانَ بن أمية وفُراتَ بن حَيَّان، فهرب صفوان، وأطلق رسول الله ﷺ فُراتاً دليلَهم، وكان الخُمْسُ عشرين ألفاً، وقسم رسول الله ﷺ الأربعة أخماس بين السرية.

وفيها: ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما[٣].

[عن علي رضي الله عنه قال:] لما وُلد الحسن سميته: حَرْباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أَرُوني ابنِي، ما سمَّيتَ ابني»؟ قلت: حرباً. قال: «لا، بَل هو حَسَن». فلما ولد الحسين سميته: حرباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أَرُوني ابني ما سمَّيته»؟ قلت: حرباً. قال: «لا، بَل هو حُسَين». فلما ولد الثالث سميته: حرباً، فقال رسول الله ﷺ: «أَرُوني ابني ما سمَّيتُموه»؟ فقلت: حرباً. فقال: «بل مُحَسِّن»، ثم قال رسول الله ﷺ: «سَمَّيتُهم بأسماءِ ولدِ هارونَ: شَبَّر وشَبِير ومُشَبِّر»[٤].

وذكر الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه في «الفضائل»: عن علي كرم الله وجهه قال: لما ولد الحسن سميته باسم عمي حمزة، ولما ولد الحسين سميته باسم أخي جعفر، فدعاني رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا تُراب، إنَّ الله أَمَرني أنْ أُغَيِّر اسمَ هذينِ الغُلامَينِ»[٥]. فسماهما حسناً وحسيناً.

وعقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين بشاتين[٦].

---

(١) وهي غزوة الأبواء نفسها، تقدم ذكرها ضمن حوادث السنة الثانية، وهي أولى غزواته ﷺ

(٢) انظر «السيرة» ٣/ ٧، و«المغازي» ١/ ١٩٧، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٣٢، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٩٢، و«المنتظم» ٣/ ١٦٠، و«البداية والنهاية» ٤/ ٥.

(٣) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٣٧، و«المنتظم» ٣/ ١٦١.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٦٩) وما بين حاصرتين زيادة منه.

(٥) «فضائل الصحابة» (١٢١٩)، وهو في «المسند» (١٣٧٠).

(٦) أخرجه أبو داود (٢٨٤١)، والنسائي (٤٢٣٠)، وفي «الكبرى» (٤٥٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه أحمد (٢٣٠٠١) من حديث بريدة رضي الله عنه.

ووزنت فاطمة عليها السلام شعرهما لمّا حلقته، وتصدقت بوزنه ذهباً[١]، وقيل: فضة، وبلغ وزنُ شعرهما درهماً[٢]، وذلك في اليوم السابع.

وفي هذه السنة عَلَقت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بالحسين بعد ولادتها الحسن رضي الله عنه بخمسين ليلة، ويقال: إن الحسن رضي الله عنه ولد لستة أشهر[٣].

وفيها: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر رضي الله عنه في رمضان، وقيل: في شعبان[٤].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تأيّمت حفصةُ من خُنيَس بن حُذافة، قال عمر: فَلَقِيْتُ عثمانَ، فقلت له: إن شئت أنكحتُكَ حفصة، فقال: سأنظرُ في ذلك. فلبثتُ ليالي، فلقيَني وقال: ما أريد أن أتزوجَ الآن، قال عمر: فلقيتُ أبا بكر، فقلت له: إن شئت أنكحتُكَ حفصةَ، فلم يرجع إليَّ بشيء، فكنت أوْجَدَ عليه مني على عثمانَ، فلبثتُ ليالي فخَطَبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتُه إيّاها، فلقيني أبو بكر فقال: لعلَّك وَجدتَ عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً؟ قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجعَ إليك شيئاً حين عرضتها عليَّ، إلّا أنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكُرها، ولم أكُنْ لأُفشي سرَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركَها لنكحتُها. انفرد بإخراجه البخاري[٥].

وقد رواه البلاذري وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر: «ألا أدلك على خَتَنٍ خيرٍ لك من عثمان، وأدلُّ عثمانَ على ختنٍ خيرٍ له منك»؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: «زَوِّجْني ابنتك حفصة، وأزوِّجُ عثمان ابنتي أم كلثوم»[٦] وأمُّ حفصة زينب بنت مظعون.

وفيها: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خُزَيْمة بن الحارث العامرية الهلالية. وكانت

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧١٨٣)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٥٣) من حديث أبي رافع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «....احلقي رأسه ثم تصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين». وجاء عند ابن أبي الدنيا: «من الورق أو الذهب». وأخرجه البيهقي ٩/ ٢٩٩ من حديث محمد بن علي بن حسين.

(٢) أخرجه البيهقي ٩/ ٣٠٤ من حديث أبي رافع.

(٣) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٣٧، و«المنتظم» ٣/ ١٧٤.

(٤) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٩٩، و«المنتظم» ٣/ ١٦٠.

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٠٥).

(٦) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٠٩.

في الجاهلية تسمى: أم المساكين، لإطعامها إياهم وحُبِّها لهم[١].

وفيها: كانت سرية محمد بن مسلمة الأنصاري[٢] إلى كعب بن الأَشْرَف اليهودي في رمضان، وقيل: في ربيع الأول.

وكان كعب بن الأشرف من طيء، ثم أحد بني نبهان حليف بني النَّضير، وكانت أُمُّه منهم، واسمها: عقيلة بنت أبي العقيق، وكان أبوه قد أصاب دماً في قومه، فأتى المدينة فنزلها.

ولما جرى ببدر ما جرى قال: ويحكم أحق هذا، أو أن محمداً قتل أشراف العرب وملوكها؟ والله لئن كان هذا حقّاً، لبطن الأرض خير من ظهرها، فخرج[٣] حتى قدم مكة، فنزل على المُطَّلب بن أبي وَداعة السهمي[٤]، وعنده عاتكة بنت أَسِيد بن أبي العيص بن أمية، فأكرمه المطلب، فجعل ينوح ويبكي على قتلى بدر، ويحرِّض الناس على رسول الله ﷺ، وينشد الأشعار، فمن ذلك[٥]: [من الكامل]

طَحَنَتْ رحى بدر لِمَهْلكِ أهلهِ ... ولِمِثْلِ بدر تَسْتَهِلُّ وتَدْمَعُ
قُتِلَتْ سَراةُ الناس حول حياضه ... لا تبعدوا إن المُلوك تُصرَّعُ
ليزور يثربَ بالجموعِ وإنّما ... يحمي على النسب الكريمُ الأورعُ

وشبَّب بأم الفضل زوجة العباس وبغيرها، ثم رجع إلى منزله بظاهر المدينة، وبلغ رسول الله ﷺ ذلك، فقال: «من لكعب بن الأشرف»؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصاري: أنا له يا رسول الله[٦].

قال جابر بن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف، فقد آذى الله ورسوله»؟ فقال محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله؟ قال: «نَعَم». قال: فأذن لي فَلأَقُل.

---

(١) انظر «المنتظم» ٣/ ١٦١.
(٢) انظر «السيرة» ٣/ ٧، و«المغازي» ١/ ١٨٤، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٢٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٨٧، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ١٨٧، و«البداية والنهاية» ٤/ ٥.
(٣) في (ك): حتى خرج، وليس في (أ، خ)، والمثبت من طبقات ابن سعد.
(٤) في النسخ: «التميمي»، والمثبت من «السيرة»، وانظر «جمهرة أنساب العرب» ص ١٦٣-١٦٤.
(٥) الأبيات في «السيرة» ٣/ ٨، وما بين حاصرتين زيادة منه.
(٦) «السيرة» ٣/ ٨.

قال: «قُل». فأتاه وذكر ما بينهم وقال: إن هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنَّانا، فلما سمعه قال: والله لتملُّنَّه. فقال: إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى ما يؤول إليه أمره، وقد أردت أن تسلفني سلفاً، قال: فما ترهنني؟ قال: ما شئت، قال: ترهنني نساءكم، قال: أجملَ رجل في العرب، كيف نرهنك نساءنا؟ قال: فأولادكم، قال: يُسَبُّ ابن أحدنا، فيقال: رُهِنَ في وَسْق من طعام أو وَسْقين من تمر، ولكن نرهنك اللأمة - يعني السلاح - قال: نعم.

وواعده أن يأتيه بالحارث بن أوس، وأبي عبس جبر(١)، وعباد بن بشر، قال: فجاؤوه فدعوه ليلاً، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: إني لأسمع صوتاً كأنه صوت دم، فقال: إنما هو محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، وإن الكريم لو دعي إلى طعنة لأجاب.

وقال محمد: إني إذا جاء سأمدُّ يدي إلى رأسه، فإذا استمسكت منه فدونكم، قال: فنزل وهو متوشِّح. فقالوا له: نجد منك ريح الطيب. قال: نعم، تحتي فلانةُ أعطرُ نساء العرب. فقال محمد: أتأذن لي أن أشم منه؟ قال: نعم. فتناول فشم، ثم عاد فشم، فلما استمكن منه، قال: دونكم. فقتلوه، ثم أتوا رسول الله ﷺ فأخْبَروه. متفق عليه(٢).

وقال محمد بن مسلمة: ولما قتلنا ابن الأشرف، وأصبح الناس وشاع قتله، خافت يهود منا. فقال رسول الله ﷺ: «مَن ظَفِرتُم به مِن اليَهودِ فاقْتُلوهُ»(٣). فوثب مُحَيِّصَةُ بن مسعود - وكان قد أسلم - على رجل من اليهود يقال له: [ابن] سُنَينة فقتله، وكان يبايعهم ويلابسهم، فقال حُوَيِّصة أخو محيّصة - ولم يكن أسلم -: يا عدو الله قتلته، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله.

وجعل حُوَيِّصة يضرب أخاه مُحَيِّصةَ، فقال له مُحَيِّصةَ: والله لو أمرني رسول الله ﷺ بقتلك لقتلتك. فقال حُوَيِّصةُ: والله إن دِيناً بلغ بك أن تقتل أخاك لدينٌ حَقٌّ وأسلم. فكان ذلك أوَّلَ إسلام حُوَيِّصة(٤).

---

(١) في النسخ: «وأبي عبس بن جبير بن عسل» والمثبت من «الصحيحين».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٠٠٢) من حديث محيصة.

(٤) «السيرة» ٣/ ١٢-١٣ .

وفيها: كان مقتل أَبي رافِع اليهودي[١]، واسمه سلام، وكان يسكن خيبر، قال عبد الله بن كعب بن مالك: كان مما صنع الله تعالى لرسوله ﷺ أن هذين الحيين يعني الأوس والخزرج كانا يتصاولان تصاول الفحلين؛ لا تصنع الأوس شيئاً إلّا قالت الخَزْرج: والله لا ندعهم يذهبون بالفضل علينا، فلا ينتهون حتى يفعلوا مثله، فلما قَتَلتِ الأوس كعب بن الأشرف استأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل أبي رافع ليعادلوا به كعباً، فأذن لهم في قتله وقال: «لا تَقتُلوا امرَأَةً ولا وَليداً» فخرجوا حتى قدِموا خيبر فقتلوه، ونَذِرَتْ بهم امرأة فأرادوا قتلها، فذكروا قول رسول الله ﷺ فتركوها، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت: [من الكامل]

لله درُّ عِصابَةٍ لاقَيتَهُم ... يابنَ الحُقَيق وأنت يابن الأَشْرفِ

يَسْرُونَ بالبِيضِ الخِفافِ إليكم ... شُزُراً كأُسْد في عَرينٍ مُغْرف[٢]

حتى أَتَوْكم في مَحَلِّ بلادكم ... فسقوكُمُ حتفاً ببيضٍ ذُفَّفِ[٣]

مُستَبصرين لِنَصرِ دِينِ نبيِّهم ... مُستَضعفينَ لكلِّ أمرٍ مُجحِفِ[٤]

وقال البراء بن عازب: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، وأَمَّرَ عليهم عبد الله بن عَتِيك، وكان أبو رافع يؤذي النبي ﷺ، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بِسَرْحهم، قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإنّي مُنطلق ومتلطف للبواب لعلي أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنَّع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عَبْدَ الله، إن كنت تريد تدخل فادخل فإني أُريدُ أن أُغلِقَ الباب، قال:

---

(١) «السيرة» ٣/ ١٧٠ ، و«المغازي» ١/ ٣٩١ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٧ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٩٣ ، و«المنتظم» ٢/ ٢٦١ ، واسمه سلام بن أبي الحقيق، اختلف في سنة قتله فعند المصنف والطبري مقتله في هذه السنة، وعند الواقدي في سنة أربع، وعند ابن هشام في سنة خمس بعد غزوة الخندق، وعند ابن سعد وابن الجوزي في سنة ست، وانظر الاختلاف في «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٩٣-٤٩٩ .

(٢) بالبيض الخفاف: السيوف، مغرف: ملتف الشجر.

(٣) ذفف جمع ذفيف: وهو السريع الخفيف.

(٤) في (ك): «مستنصرين لدين نبيهم». وفي المصادر: «مستبشرين» والمثبت من (أ) و(خ)، ومجحف: الذي يذهب بالنفوس والأموال.

فدخلتُ فكمنتُ، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على وتد، قال: فقمت فأخذتها وفتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمَر عنده، وكان في عَلاليّ له، فلما ذهب عنه أهل سَمَره صعدتُ إليه، فجعلتُ كلما فتحتُ باباً أغلقت عليَّ من داخل؛ قلت: إنِ القَومُ نَذِروا بي لم أخلُص إلى قتله، فانتهيتُ إليه وهو في بيت مظلم وَسْط عيالِه لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبو رافع، فقال: من هذا ؟ فأهويتُ نحو الصوت، فأضربه ضربةً بالسيف وأنا دَهِشٌ، فَما أغنت عنه شيئاً، وصاح، فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت عليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لِأُمِّكَ الويل، رجل في البيت ضربني بالسيف قَبْلُ، قال: فأَضْرِبُه ولم أقتله، ثم وضعت ضَبيبَ[١] السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أنِّي قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى دَرَجةٍ له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت رجلي أو ساقي، فعصبتها بعصابة، ثم انطلقتُ، وجلست على الباب وقلت: لا أخرج الليلة حتى أسمعَ أو أعلمَ أقتلتُه أم لا؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور ينعاه، فقال: أنعي أبا رافعٍ تاجرَ أهل الحجاز، قال: فانطلقتُ إلى أصحابي، فقلت: النجاء النجاء، قُتِلَ عَدوُّ الله، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فحدثته الحديث، فقال: «ابْسُطْ رِجلَكَ»، فبسطْتها، فمسح عليها فكأنها لم أشكها قط. انفرد بإخراجه البخاري.



وفيها: حُرِّمَتِ الخمرةُ، روى مجاهد، عن ابن عباس قال: قالت الصحابة: يا رسول الله، أَفْتِنا في الخمرِ والميسر، فإنهما مُذْهِبان للعقل سالبان للمال، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[٢][البقرة: ٢١٩] الآية.

وقال ابن عباس: أنزل الله في الخمر أربعَ آيات بمكة، قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[النحل: ٦٧]، فكان المسلمون يومئذ يشربونها وهي حلال لهم، ثم نزل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ الآية، فقال رسول الله

(١) في النسخ: «حلبة»، والمثبت من البخاري (٤٠٣٩).
(٢) «أسباب النزول» ص٦٤، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٤١.

ﷺ: «إن ربكم تقدم في تحريم الخمر»، فتركها قوم لقوله ﴿فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ وقالوا: لا حاجة لنا إلى الإثم، وشربها آخرون وتأولوا قوله: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ وأقاموا على ذلك مُدَّة[١].

واختلفوا في سبب تحريمها على أقوال:

أحدها: قصة حمزة رضوان الله عليه، قال علي عليه السلام: كانت لي شارف من الغُنْم من نصيبي يوم بدر، وكان رسول الله ﷺ قد عارني[٢] شارفاً من الخُمْس، فلما أردت أن أبني بفاطمة، واعَدْتُ رجلاً صوَّاغاً من بني قينُقاع يرتحل معي، فنأتي بإذخِر فنَبيعه من الصواغين أستعين به في وليمة عرسي، فبينا أنا أجمع لشارفي متاعاً من الحبال، وشارفاي مُناخان إلى جانب حُجْرة رجل من الأنصار، أقبلت حين جمعت ما جمعت، فإذا شارفاي قد جُبَّت أسنمتهما وبُقِرت خواصرهما، وأُخذ من أكبادهن، فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر، فقلت: من فعل هذا؟ فقالوا: عمك حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت في شَرْب من الأنصار، غَنته قَيْنة:

ألا يـا حَـمْـزُ لـلـشُّـرُفِ الـنِّـواءِ

فوثب حمزة إلى السيف ففعل بهما ما فعل، أوْ ما رأيت، قال علي رضي الله عنه: فانطلقت إلى رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة فقلت: ألا ترى يا رسول الله ما فعل عمك حمزةُ بشارفيَّ، وأخبرته الخبر، فقام ولبس رداءه، ثم انطلق يمشي، واتّبعته أنا وزيد حتى جاء إلى البيت الذي فيه حمزةُ، فاستأذن فإذا هُم شَرْبٌ، فطفِقَ يلومُ حمزةَ على فعله، وإذا حمزةُ ثَمِلٌ محمرَّة عيناه فنظر إلى رسول الله ﷺ، فصعَّد النظر إلى رُكبتيه ثم إلى سُرَّته ثم إلى وجهه أو في وجهه، وقال: وهل أنتم إلا عَبيدٌ لأَبي، فعرف رسول الله ﷺ أنه ثمل، فنكص على عقبيه القهقرى، وخرج وخرجنا معه وذلك قبل تحريم الخمر. أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

قال ابن عباس: فكانت هذه القصَّةُ سبباً لتحريم الخمر. قال: وأصبح حمزةُ فغدا

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٣٦ من حديث الربيع. وانظر تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٣ .

(٢) هكذا جاء في النسخ، وفي «الصحيحين»: «أعطاني».

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٠٣)، ومسلم (١٩٧٩).

على رسول الله ﷺ يعتذرُ إليه، فقال له: «مَهْ يا عمُّ، فإنِّي سألتُ الله فَعفَا عَنكَ».

وذكر الأبيات الثعلبي[1] وغيره: [من الوافر]

ألا يا حمزُ للشُّرُفِ النِّواءِ وهُنَّ معقَّلات بالفِناءِ
ضَعِ السِّكين في اللَّباتِ منها فَضَرِّجْهُنَّ، حمزةُ بالدِّماءِ
وعجِّل من أطايبها طبيخاً لشَرْبك من قديرٍ أو شِواءِ
فأنتَ أبو عُمارَةٍ المُرَجَّى لكشفِ الضرِّ عنا والبلاءِ

والثاني: أن عبد الرحمن بنَ عوفٍ ﵁ صنع دعوةً ودعا إليها جماعةً من الصحابةِ وسقاهم الخمرَ فسكروا، وحضر وقتُ الصلاةِ فقدَّموا بعضهم يصلّي فقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢] إلى آخر السورة بحذف «لا» فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾[2] [النساء: ٤٣].

فَحُرِّم السُّكرُ في أوقاتِ الصلاةِ. فقال عمر: إن ربّنا ليقاربُ في تحريم الخمر وما أراه إلا سيحرِّمها، فتركها قوم وشربها آخرون في غير وقت الصلاة. فأقاموا على هذا الحال إلى سنةِ ثلاثٍ من الهجرةِ، فشربها رجل فسكر وجعل ينوح على قتلى بدرٍ ويبكي وينشد: [من الوافر]

تُحيِّي بالسلامةِ أُمُّ بكرٍ وهل لي بعد رهطك من سلام

الأبيات المتقدمة.

وبلغ رسولَ الله ﷺ فجاء يسعى يجرُّ رداءه، حتى انتهى إلى الرجل، ورفع شيئاً كان بيده ليضربه، فقال الرجل: أعوذ بالله من سُخْط الله وسُخْط رسوله، والله لا أطعمُها أبداً، ونزل تحريمُها.

والثالث: أن عِتْبان بن مالك الأنصاري صنع دعوةً، ودعا رجالاً من المهاجرين والأنصار فيهم سعد بن أبي وقاص ﵁، وكان قد شوى لهم رأسَ جَزور، فأكلوا منه،

(١) في نفسيره ٢/ ١٤٣ مع القصة.

(٢) أخرجه الترمذي(٣٠٢٦) وأبو داود (٣٦٧١) من حديث علي بن أبي طالب وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وشربوا الخمر، وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد رضي الله عنه قصيدة فيها هجو الأنصار، وفخر بقومه، فضربه رجل من الأنصار بلَحْيِ جمل فشجه، فانطلق إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه، فقال عمر رضي الله عنه: اللهمَّ بين لنا رأيك في الخمر بياناً شافياً. فأنزل الله تحريم الخمر في المائدة إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا يا رب[١].

وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «أيُّها النَّاسُ، إنَّ الله يُعرِّضُ بالخَمرِ، ولعَلَّه يُنْزِلُ فيها أمراً، فَمَن كان عِندَه شَيءٌ [فليبِعْهُ ولينتفع به»، قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال ﷺ: «إن الله حرَّم الخمرَ، فمن أدركتهُ هذه الآيةُ وعنده منها شيءٌ]. فلا يَبِعْهُ ولا يَشْرَبهُ». قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طُرقَ المدينة فسفكوها. انفرد بإخراجه مسلم[٢].

وفي المتفق عليه: عن أنس قال: نادى منادي رسول الله ﷺ: ألا إن الخَمر قد حُرِّمت. قال: فجرت في سِكَك المدينة، فقال بعضهم: قد قتل قوم وهي في بطونهم. فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] الآية[٣].

وأخرج مسلم عن ابن عباس: أن رجلاً أهدى لرسول الله ﷺ راوية خمر، فقال له رسول الله ﷺ: «هَلْ عَلِمتَ أنَّ الله حَرَّمها»؟ قال: لا. فسارَّ الرجل إنساناً، فقال له رسول الله ﷺ: «بمَ سارَرْتَه»؟ فقال: أمرته ببيعها، قال: «إنَّ الذِي حرَّمَ شُربَها حرَّم ثَمَنها». ففتح الرجل المزادةَ حتى ذهب ما فيها[٤].

وقال أنس: لقد حُرِّمتِ الخَمرَةُ، ولم يكن للعرب شراب أعجب إليهم منها، وما حرم عليهم شيءٌ أشدُّ منها. قال: فأخرجنا الحِباب إلى الطريق، فصببنا ما فيها، فمنا من كسر حُبَّه، ومنا من غسله بالماء والطين. ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً كلما أمطرت، استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها[٥].

---

(١) تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٢-١٤٣ (و عنه نقل ما تقدم)، وذكره الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» ١/ ١٣١ وقال: غريب بهذا اللفظ، وذكره الثعلبي هكذا من غير إسناد.

(٢) مسلم (١٥٧٨)وما بين حاصرتين منه.

(٣) البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٧٩).

(٥) تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٣.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن شَرِبَ الخَمرَ في الدُّنيا ثم لم يَتُب مِنها، حُرِمَها في الآخِرَة، إلَّا أن يتوبَ». أخرجاه في «الصحيحين»(١).

فصل

وقد حرَّم شربَ الخمر في الجاهلية جماعةٌ منهم: حرب بن أمية، والزِّبرِقان بن بدر، وأبو أُحيحَةَ سعيد بن العاص، وأكثم بن صيفي، وشيبة بن ربيعة، وعبد الله بن جُدْعان، وعبد المطلب، وولده أبو طالب، وعامر بن الظَّرِب، وأمية بن خَلَف، وعثمان بن مَظْعون، والعباس بن مِرداس، وأبو مرداس، وصفوان بن أمية، والوليد بن المغيرة، وورَقَة بن نَوْفَل، وهشام بن المغيرة، ومِقْيَسُ بن صُبابة، وقيس بن عاصم.

سكر قيس ليلة فراود ابنته على نفسها، فتغيبت عنه، فلما أصبح قالت له زوجته منفوسة بنت زيد الفوارس: أنت السيد الحليم منذ الليلة، فقال: ولم؟ فأخبرته، فآلى أن لا يشربها أبداً، وقال: [من الوافر]

رأيتُ الخمرَ صالحةً وفيها ... معايبُ تَفْضَح الرجل الحليما
فلا واللهِ أشربُها صحيحاً ... ولا أشفي بها أحداً سقيما

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعثمان بن عفان رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في خلق كثير يطول ذكرهم(٢).



وفيها: كانت غزاة أحد(٣) في منتصف شوال يوم السبت، وقيل: لتسع خلون منه.

وسببها أبو سفيان، فإنه لما أصيب كفار قريش ببدر، جمعهم وفيهم: عبد الله بن زمعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وغيرهم. فقال لهم: قد أصيب آباؤكم

(١) أخرجه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣).
(٢) انظر «المحبر» ص ٢٣٧، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٣٣٢.
(٣) انظر «السيرة» ٣/ ١٤، و«المغازي» ١/ ١٩٩، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٣٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ٣٦٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٩٩، و«المنتظم» ٣/ ١٦١، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٢٠١، و«البداية والنهاية» ٤/ ٩.

وأبناؤكم وأهلكم وإخوانكم وخياركم يومَ بدر، فأعينوني بأرباح هذه البضائع، فكان خمسين ألف دينار، وقيل: لم يأخذوا من المال ولا من العير شيئاً، وتجهزوا بالجميع[١]. وانضم إليهم الأحابيش، وقبائل كِنانةَ، وأهل تِهامةَ، وخرج أبو عَزَّةَ الشاعر معهم يسير في قبائل كنانة يحرضهم على رسول الله ﷺ، وخرج عمرو بن العاص وهُبَيرة بن أبي وهب المخزومي إلى قبائل العرب يستنجدونهم على قتال رسول الله ﷺ، ودعا جبير بن مُطْعِم غلامَه وحشيّاً، فقال له: إن قتلتَ حمزة فأنت حر. وكانت له حربةٌ يقذف بها فقلَّ أن يخطىء.

وخرجت قريش بحدها وحديدها ومن تبعها من الأحابيش والقبائل، وخرجوا بالظُّعن التماساً للحفيظة ولئلا يفروا، فخرج أبو سفيان ومعه هند بنت عُتبة، وأُميم بنت سعد الكنانية[٢]، وعكرمة بن أبي جهل، ومعه أم حكيم بنت الحارث بن هشام، والحارث بن هشام، ومعه فاطمة بنت الوليد، وصفوان بن أمية، ومعه امرأتاه بَرْزَة بنت مسعود الثقفية، والبَغُوم بنت المُعَدَّل الكنانية، وعمرو بن العاص، ومعه امرأته رَيطةُ بنت مُنَبِّه بن الحجاج، وطلحة بن أبي طلحة، ومعه زوجته سُلافة بنت سعد أَوْسِيَّة، والحارث ابن سفيان بن عبد الأسد، ومعه امرأته رملة بنت طارق كنانية، وكنانة بن عدي[٣] بن ربيعة، ومعه امرأته أم حكيم بنت طارق، وسفيان بن عُريف، وامرأته قُتَيلَة بنت عمرو بن هلال، وخرجت خُناسُ بنت مالك بن المُضرِّب مع ابنها أبي عَزِيز بن عمير، وهي أم مصعب بن عمير رضي الله عنه، وخرجت عمرةُ بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة ابن كنانة، وهي التي رفعت لواء الكفار يوم أحد حين قتل بنو عبد الدار.

وخرج بهم أبو سفيان وهو قائدهم، وبيده زمام أمورهم، وخرج معهم أبو عامر الراهب في سبعين فارساً من الأوس، وساروا بالقَيْنَات والدفوف والمعازف والخمور والبغايا، وكانوا في ثلاثة آلاف من قريش والقبائل، وكان معهم سبع مئة دارع، ومئتا

(١) وقيل: مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب... «السيرة» ٣/ ١٤ .

(٢) في «أنساب الأشراف» ١/ ٣٦٩ : أميمة بنت سعيد بن وهب بن أشيم الكنانية امرأته. ولم نقف عليها عند أحد غيره.

(٣) في النسخ: «علي» والمثبت من «جمهرة أنساب العرب» ص ٧٨ ، و«الإصابة» ٣/ ٣٠٧ .

فارس، وثلاثةُ آلاف بعير.

وكان وحشي يمشي بالحربة في أوائلهم، فتماشيه هند بنت عتبة وتباسطه وتقول: إيهِ أبا دَسْمَةَ اشف اشف.

وكتب العباس إلى رسول الله ﷺ يخبره بعدَّتهم وبما معهم، وبما قد عزموا عليه، وكانوا قد راودوه على الخروج معهم، فاعتذر بما لحقه من الغُرْم يوم بدر، ولم يساعدهم بشيء. وبَعث بكتابه مع رجل من بني غِفار، فوافى المدينة، فدفع الكتاب إلى رسولِ الله ﷺ، فقرأه عليه أُبي بن كعب وقال له: اكتم ما فيه.

وأتى رسول الله ﷺ منزلَ سعدِ بن الربيع فأخبره بما فيه واستكتمه إياه، فلما خرج رسول الله ﷺ من عنده، قالت له امرأته: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال: لا أم لكِ، وما أنت وذاك، فقالت: قد سمعتُ ما قال، فاسترجع سعد وأتى بها إلى رسول الله ﷺ وأخبره، وقال: أخاف أن يفشو الحديث، فقال: «خَلِّ عنها»(١).

وسار المشركون يَطوون المنازل حتى نزلوا ذا الحُلَيْفَة، فَرَعَوْا زرع المدينة، وأفسدوا نخيلها، وباتوا، ثم أصبحوا فنزلوا شَفير الوادي مما يلي المدينة.

وبات وجوه الأنصار سعد بن مُعاذ، وسعد بن عُبادة، وأسيد بن الحُضَير، يحرسون رسول الله ﷺ، ومعهم الأشراف من الأوس والخزرج، وعليهم السلاح إلى الصباح، ولما نزل القوم خطب رسول الله ﷺ، وقال: «رَأيتُ في مَنامِي بَقَراً تُذبَحُ، فأَوَّلْتُها حَرْباً يُنْحَرُ فيها أَصحابي، ورَأيتُ سَيفي ذا الفَقار قد انفَصَم، ورأيتني مُرْدِفاً كبشَ الكتيبةِ، وكأنِّي أُدخِل يدي في حِصنٍ حَصينَةٍ، فأَوَّلْتُها المدينةَ، وأوَّلْت ما في سَيفي هزيمة أصحابي، وقَتْل رجل مِن أَهلِ بيتي، فإنْ رَأيتُم أَن نُقيمَ بالمدينَةِ ونَدَعَهُم حيثُ نزلوا، فإنْ أَقامُوا أَقامُوا بشرٍّ، وإن دَخَلوا عَلينا قَاتلْنَاهم فيها».

وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة، فقال رجل من المسلمين ممن أكرمهم الله يوم أحد بالشهادة: يا رسول الله، اخرج بنا إلى هؤلاء الأَكْلُبِ لا يروا أَنّا جَبُنّا عنهم.

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٧٠ـ٣٧١.

فدعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، ولم يَدْعُه قبلها فاستشاره، فقال: يا رسول الله، لا نخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا عدوٌّ إلا أصبنا منه، فَذَرْهُم، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مقام، وإن دخلوها علينا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين.

فلما فصل عنه عبد الله بن أُبيّ، اجتمع إليه جماعة من الأنصار وقالوا: يا رسول الله، لا تحرِمْنا الشهادة.

فصلى رسول الله ﷺ الجمعة، ومات في ذلك اليوم مالك بن عمرو من بني النجار، فصلى عليه رسول الله ﷺ، ودخل بيته وخرج وقد لبس لأمته وحمل السلاح، فندمَ الذين كلّموه وسُقِطَ في أيديهم، وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ والوحي ينزل عليه، بئس ما صنعنا. فقاموا واعتذروا إليه، وقالوا: افعل ما بدا لك، فقال: «لا يَنبَغي لنبيٍّ أَن يَلبَسَ لَأْمَتَه فيَضَعَها حتَّى يُقاتِلَ»[(١)].

فخرج بعدما صلى الجمعة، فبات بالشَّيخَيْن، وهما أُطمانِ في طرف المدينة، وكان رسول الله ﷺ قد خرج في ألف من أصحابه، واستعمل على حرسه تلك الليلة محمد بن مسلمة الأنصاري في خمسين رجلاً، ولما بات بالشَّيخيْنِ سمع كتيبةً لها زَجَلٌ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: حلفاء عبد الله بن أُبَيّ من اليهود، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَسْتَنصِروا بالكُفَّارِ على أَهْلِ الشِّركِ»[(٢)]، ثم قال: «مَن يَخرجْ بِنا على القَومِ مِن كَثَب»؟ أي: من قريب، فقال أبو خيثمة[(٣)] بن الحارث: أنا. فتقدم بين يديه في حرة بني بياضة، فلعب فرس بذنبه فأصاب سيفاً فاستله، فقال رسول الله ﷺ وكان يحب الفأل ويكره الطيرة: «يا صَاحِبَ الفَرَس، شِمْ سَيفَكَ فإنّي لأرى السُّيوف اليوم لتُسَلُّ»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٧٨٧) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ. وانظر «المغازي» ١/ ٢١٤ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٠٣ .

(٢) «المغازي» ١/ ٢١٥ ـ ٢١٦ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٣٦ .

(٣) ويقال: أبو حثمة، ويقال: أبو حتمة، وانظر «الإصابة» ٤/ ٤٢ ، و«السيرة الشامية» ٤/ ٢٧٩ .

(٤) ولفظه عند الواقدي ١/ ٢١٨ ، والطبري ٢/ ٥٠٦ : «يا صاحب السيف، شم سيفك، فإني إخال السيوف ستسل فيكثر سلها». وشم سيفك: اغمده.

ومر رسول الله ﷺ حتى نزل بشِعبٍ من أُحُد في عُدْوَة الوادي، وجعل ظهره إلى أُحد، وانخزل عبد الله بن أبي في ثلاث مئة ونَيِّفٍ ـ ثلثِ المسلمين ـ ورجع وهو يهدُرُ كالفَنيقِ[1] ويقول: أطاع الأحداث ومَن لا رأي له وعصاني، سيعلم، ثم قال: على ماذا نقتلُ أنفسَنا، ارجعوا أيها الناس. فرجع معه قومه أهل النفاق، وتبعه عبد الله بن عمرو بن حَرَام يناشده الله، ويقول: قاتلوا عن حَوْزَتكم، فما رجع، فقال له: أَبْعَدَكَ الله يا عدوَّ الله ومن معكم، الله يغني عنكم، فقال ابن أبي: لو نعلم قتالاً لاتَّبعناكم.

ولما رأت بنو سُلَيْم وبنو حارثة عبد الله بن أبي قد انخزل، همُّوا بالانصراف معه، وكانوا جناحَي العسكر، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الآية [آل عمران: ١٢٢]، ثم عصمهما الله تعالى[2].

وعقد رسول الله ﷺ الألوية، وكان لواء المهاجرين الأعظم يومئذ بيد مصعب بن عمير، ولواء الأوس بيد أسيد بن حضير، ولواء الخزرج بيد سعد بن عبادة، وقيل: بيد الحُباب بن المنذر[3].

وركب رسول الله ﷺ فرسه، ولم يكن معه سوى فرسين أحدهما له، والأخرى لأبي بُرْدَة بن نِيار، وتَعبَّأَ مع رسول الله ﷺ سبعُ مئة دارع، ثم تنكَّب رسول الله ﷺ قوسه، وأخذ بيده القناة وبين يديه مئة دارع، وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة ورتب معه خمسين رجلاً من الرماة، وقال له: «انْضَح عنَّا الخيلَ بالنَّبْل، لا يَأْتُونا مِن خَلفِنا، واثبُت مَكانَكَ سَواء كانت لنا أو علينا لا نُؤتى مِن قِبَلِكِ، وأقم بأصل عَيْنَيْنِ[4]، فإنَّا لانَزَالُ عَالِينَ ما ثَبَتُّم في مَكانِكُم ولم تفارقوا المَركز[5]».

وأقبلت قريش وعلى ميمنتها خالد بن الوليد في الخيل، وقيل: صفوان بن أمية،

---

(١) الفَنيق: الفحل المكرمُ من الإبل الذي لا يُركَب ولا يُهان لكرامته عليهم. اللسان: (فنق).

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٠٤، والمغازي ١/ ٢١٩، والطبقات ٢/ ٣٧.

(٣) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٧٤.

(٤) عينين: هضبة جبل أحد.

(٥) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وانظر «السيرة» ٣/ ١٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٠٧.

وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وأبو سفيان في القلب، والظعائن والقينات تبتدرهن هند بنت عتبة في أوائل الصفوف وبيدها دُفٌّ وهي تقول:

نحنُ بناتُ طارق[(١)]

نَمشِي على النَّمارق

إن تُقبلوا نُعانِق

أو تُدبروا نُفارِق

فراقَ غيرِ وَامِق[(٢)]

ولما سمع رسول الله ﷺ قول هند، قال: «اللَّهم بِكَ أَصُولُ وأجُولُ، وفيكَ أُقاتِلُ، وأنتَ حَسبي ونِعمَ الوكِيلُ»[(٣)]. وكانت هند ترتجز وتقول:

إيهِ بَني عَبدِ الدَّار

إيهِ حُماةَ الأدبار

بكلِّ سَيفٍ بتَّار[(٤)]

فرآها أبو دُجانةَ فحمل عليها لِيقتُلَها، ثم كف عنها فلامه الأنصار، فقال: أكرمتُ سيف رسول الله ﷺ عنها ـ وكان قد أعطاه سيفه في ذلك اليوم[(٥)].

وأولُ من أنشب الحرب أبو عامرٍ الراهب، وكان يقول لقريش: متى التقينا لم يَختلفْ عليَّ منهم اثنان، فتقدم أبو عامر في الأحابيش وعُبْدان مكة، فنادى: يا معاشر الأوس، أنا أبو عامر الراهب. فقالوا: لا مرحباً بك ولا أهلا، ولا أنعم الله بك يا

(١) يقال: هي بنت بياضة بن رباح بن طارق الإيادي. انظر «الروض الأنف» ٢/ ١٢٩ـ١٣٠ ، و«السيرة الشامية» ٤/ ٣٨٤.

(٢) وامق: فراق غير محب.

(٣) أورده البلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ٣٧٥ـ٣٧٦ . وأخرج شطره الأول البزار في «مسنده» (٨٠٤) من حديث علي ، ولفظه: كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً قال: «اللهمَّ بك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل».

(٤) رواية «السيرة» ٣/ ٢٠: ضربا بكل بتَّار.

(٥) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥١١ .

فاسقٌ، ورمَوْه بالحجارةِ، فانهزم وهو يقول: لقد أصاب قومي بعدي شر[١].

ونادى أبو سفيان: يا معاشر الأوس والخزرج، خَلُّوا بيننا وبين ابن عمنا، وننصرفْ عنكم. فشتموه أقبح شتم ولعنوه، فتأخر.

ونادى طلحةُ بنُ أبي طَلْحَةَ حاملُ اللواء: هلْ مِنْ مبارزٍ؟ فبرز إليه علي ﷺ فقتله، فكبر رسولُ الله ﷺ والمسلمون، وقالوا: هذا كبشُ الكتيبةِ[٢].

وقال هشام: برز طلحةُ بن أبي طلحة وقال: يا أصحابَ محمد، إنكم تزعُمون أَن الله يُعَجِّلُنا بسيوفكم إلى النار، ويُعجِّلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل أحد منكم يُعْجِّلُني بسيفه إلى النار أو أعجله بسيفي إلى الجنة. فبرز إليه علي ﷺ فضربه، فأبانَ رِجْلَه ووقع إلى الأرض، فبدت عورته، فقال: يا ابن عم، أَنْشُدُك الله والرَّحِمَ، فرجع عنه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما مَنَعك أن تُجهزَ عليه؟» فقال: ناشدني الله والرحم، فقال: «اقتله»، فقتله[٣].

فأخذ اللواء عثمان بن أبي طلحة أبو شيبة، وهو يقول: [من الرجز]

إنَّ عـلـى أهـل الـلـواء حـقـاً أن تُـخْـضَـبَ الـصَّـعْـدَةُ أو تَـنْـدَقّـا

فحمل عليه حمزة ﷺ فضربه بالسيف على كاهله، فقطع يده وكَتِفَه. فقتله، ثم رجع وهو يقول: أنا ابن ساقي الحجيج.

فأخذ اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم فقتله، فأخذ اللواء مُسافِع بن طلحة فرماه عاصم بسهم فقتله، فأخذ اللواء كِلاب بن طلحة، فقتله الزبير بن العوام، فأخذه الجُلاس بن طلحة، فقتله طلحة بن عُبَيْد الله.

فهؤلاء أربعة لِصُلْبِ طلحة قُتِلوا في ساعةٍ واحدة، وقُتِل أبوهم طلحة، وأخوه عثمان بن طلحة قبلهم وهم بنو عبد الدار، وأم بني طلحة سُلافة بنت سعد أوسِيَّةٌ.

ثم أخذ لواءَ المشركين شُريح بنُ قارِظ فقُتِل، ثم أخذه صُؤاب غلامُ أبي طلحة وهو

(١) «السيرة» ٣/ ١٩، و«المغازي» ١/ ٢٢٣.

(٢) «المغازي» ١/ ٢٢٥ـ٢٢٦.

(٣) انظر «السيرة» ٣/ ٢٣ـ٢٤، و«المغازي» ١/ ٢٢٥ـ٢٢٦، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٠٩ـ٥١٠.

آخِرُ مَنْ أخذه، قطعت يده، فأخذه بصدره واعتنقه فقتله قُزْمان، وهو يقول: اللهمَّ هل أَعذَرْت[١]، فقال حسان بن ثابت[٢]: [من الوافر]

فَخَرتُم باللِّواءِ وشَرُّ فَخرٍ لواءٌ حين رُدَّ إلى صُؤابِ
جَعَلتُم فَخرَكُم فيه لِعَبْدٍ وألأَمِ من يَطا عَفَر التُرابِ

ووقع لواءُ المشركين ولم يأخُذْه أَحدٌ، فجاءت عَمْرَةُ بنتُ عَلْقَمة الحارثية فأخذته فلاذوا بها، ولما قُتل أصحابُ الألوية، قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «احْمِل عليهم». فحمل فبَدَّد شَملَهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي[٣].

وسببُ قتلِ بني عبد الدار على اللواء: أن أبا سُفيانَ قال لهم يومَ أحد: يا بني عبد الدار، إنكم وَلِيتُم أمرَ اللواء يَوْمَ بدر، فأصابنا ما أصابنا، وإنما يُؤتى الناس من قِبَلِ راياتهم، فإذا زالت زالوا، فإما أن تَكْفُونا أمر اللواء أَوْ تُخَلُّوا بيننا وبينه، فغضبوا وتواعدوه وهَمُّوا به، وقالوا: ستعلمُ إذا التقينا كيف نصنع؟ وكان قصدُ أبي سفيان أن يُقَتَّلوا، فَقُتِلوا جميعاً[٤].

ولما قتل أصحاب اللواء، انهزم الكفار لا يَلْوُون على شيء، ونساؤهم يَدْعون بالويل والثُّبور، وأنزلَ الله نصرَه[٥].

واختلف أصحاب عبد الله بن جُبير أميرِ الرماة، فقال بعضهم: نَنْتَهِبُ الغنائمَ، وقال آخرون: لا نترك أمر رسول الله ﷺ، وانطلق عامتُهم إلى العسكر طلباً للنهب، فلما رأى خالد بن الوليد قِلَّةَ الرماة، واشتغالَ المسلمين بالنهب، صاح في خيل المشركين، ثم حمل ومعه عِكْرِمةُ بن أبي جهل وضِرارُ بن الخطاب بن مِرْداس الفهري من خَلْفِهم، فقتلوا أميرَ الرماة عبدَ الله بنَ جُبيرٍ وأصحابَه، فانتقضت صفوف المسلمين ووقعت الهزيمة[٦].

---

(١) «المغازي» ١/ ٢٢٦-٢٢٨، و«الطبقات» ٢/ ٣٨-٣٩.
(٢) البيتان في «السيرة» ٣/ ٢٧.
(٣) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥١٤.
(٤) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥١٢.
(٥) «المغازي» ١/ ٢٢٩، و«الطبقات» ٢/ ٣٩.
(٦) «المغازي» ١/ ٢٣٢، و«الطبقات» ٢/ ٣٩.

ولم يبق مع رسول الله ﷺ سوى اثني عشر رجلاً[١]: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عُبَيْد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة بن الجراح ﷺ، ومن الأنصار: الحُباب بن المنذر، وأبو دُجانة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلح، والحارث بن الصِّمة، وقيل: وأُسَيْد بن حُضَيْر، وسَعْد بن معاذ، وسهل بن حُنَيْف، وبايعه على الموت ثمانية فلم يُقتل منهم أحدٌ: علي، وطلحةُ، والزبيرُ، وأبو دُجانة، وعاصمُ بن ثابت، والحُبابُ بن المنذر، وسهل ابن حُنيف، والحارث بن الصِّمة[٢]. وأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾[آل عمران: ١٥٣].

قال البراءُ: فأصابوا منا سبعين[٣].

ورأى عبد الله بن قَمِيئَةَ الهذلي رسول الله ﷺ، فضربه بحجَرٍ، فشَجَّ وجههَ فوضَحه، ونادى: قتلتُ محمداً، فقال له أبو سفيان بن حرب: إذاً نُسوِّركَ كما تفعل الأعاجم، وسمعه خالد بن الوليد، فقال: كذب ابن قَميئَةَ، أنا رأيت محمداً في نفر من أصحابه مُصْعِدين في الجبل[٤].

ولما ضرب ابنُ قَميئَةَ وجه رسول الله ﷺ، دخلت حلقتا المِغْفَرِ في وَجْنَتَيْهِ، فانتزعهما أبو عبيدة بنُ الجرّاح ﷺ فسقطت ثَنِيَّتاه، فلم يُرَ قَط أثرمُ كان أحسنَ فَماً منه[٥].

ولما رمى ابن قَميئَةَ رسول الله ﷺ، قال: خذها وأنا ابن قَميئَة. فقال رسول الله ﷺ: «أَقْمأَكَ اللهُ». فسلَّط الله عليه بعد الوقعة كبشاً فنطحه حتى قتله[٦].

ورمى حِبّانُ بنُ العَرِقَةِ رسول الله ﷺ بسهم، وقال: خُذْها وأنا ابنُ العَرِقَةِ، فقال

---

(١) البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء، وفي «المغازي» للواقدي، و«الطبقات»: أربعة عشر رجلاً.
(٢) «المغازي» ١/ ٢٤٠ .
(٣) البخاري (٣٠٣٩).
(٤) انظر «المغازي» ١/ ٢٣٦-٢٣٧ .
(٥) «المغازي» ١/ ٢٤٧ ، والحاكم ٣/ ٢٩ من حديث عائشة ﷺ.
(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٥٩٦) من حديث أبي أمامة، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١١٧ : وفيه حفص بن عمر العبدري وهو ضعيف، وانظر «المغازي» ١/ ٢٤٦ .

رسول الله ﷺ: «عَرَّقَ الله وجهك في النار»(١).

ورماه عتبةُ بن أبي وقاص فشجَّ وجهه وجبينه وكسر رَباعِيَته، فدعا عليه رسول الله ﷺ وقال: «اللهمَّ لا يحلْ عليه حَوْلٌ»(٢). فمات كافراً مِنْ وَجَعٍ أَزْمَنَهُ.

وقال البلاذُري: كان عبد الله بن شهاب الزُّهري، وعتبة بن أبي وقاص، وعبد الله بن الأدرمي(٣)، وأبي بن خلف، وعبد الله بن حميد بن زهير، قد تعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته، وأما عتبة فرماه بأربعة أحجار فكسر رَباعِيَته اليُمنى وشق شَفته العليا، وأما ابن قميئة فكَلَمَ وَجْنَتيه وغَيَّب حَلَقَ المِغْفَر فيها، وعلاه بالسيف فلم يعمل فيه، وسقط رسول الله ﷺ فَجُحِشَت ركبتاه، وأما أُبَيُّ بنُ خَلفٍ فشدَّ على رسول الله ﷺ بحربة، فأعانه الله عليه فقتله، وأما عبد الله بن حميد فشد عليه أبو دجانة فضربه بالسيف(٤). وأما ابن شهاب فنهشته أفعى عند عوده إلى مكة فمات.

وقال سهل بن سَعْد: جُرحَ وجهُ رسول الله ﷺ يوم أحد، وكُسِرت رَباعِيَتُه اليمنى، وهُشِّمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة ﵂ تغسل الدم عن وجهه، وعلي رضوان الله عليه يسكب عليها، فلما رأت أن الماء يزيدُ الدمَ كثرةً، أخذت قطعة حصير، فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجُرح، فاستمسك الدم. أخرجاه في «الصحيحين»(٥).

---

(١) هكذا جاء سياق الحديث في نسخنا، والصواب أن حبان بن العرقة إنما رمى سعد بن معاذ في أكحله، وكان ذلك في يوم الخندق كما أخرجه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩) من حديث عائشة ﵂ قالت: أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له: ابن العرقة رماه في الأكحل.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٢/ (١٠٩١) من حديث الزبير بن بكار في معرض حديثه عن خديجة ﵂ قال: وحبان بن عبد الله أخو هالة لأبيها وأمها هو الذي رمى سعد بن معاذ يوم الخندق فقال: خذها وأنا ابن العرقة فقال رسول الله ﷺ: «عرق الله وجهك في النار» فجعل هذا الدعاء من كلام النبي ﷺ، وانظر «المغازي» ١/ ٤٦٩.

وأخرجه ابن هشام في «السيرة» ٣/ ١٣٥-١٣٦ من حديث عائشة، والحاكم ٣/ ٢٢٧ من حديث عبد الله بن كعب بن مالك قال: فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار. فجعلا الدعاء من كلام سعد. والله أعلم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٦٤٩) من حديث مقسم، وانظر «السيرة» ٣/ ٢٨.

(٣) هو ابن قميئة.

(٤) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٧٨.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩١١)، ومسلم (١٧٩٠).

وجعل رسول الله ﷺ يَسْلُتُ الدم عن وجهه ويقول: «كيفَ يُفلحُ قَومٌ شَجُّوا وَجْهَ نبيِّهم، وهو يَدعوهُم إلى الله تعالى». فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[آل عمران: ١٢٨](١).

وجعلت فاطمة رضي الله عنها تعتنق رسول الله ﷺ وتبكي، فقال رسول الله ﷺ: «لن ينالوا منا مثلها أبداً»(٢).

وفشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قُتِل، واختلط المسلمون، وصاروا يقاتلون على غير شعار، ويضرب بعضهم بعضاً، ونادى الكفار بشعارهم: يا لَهُبَل، يا لَلْعُزّى، وقتلوا في المسلمين، وافترق المسلمون فِرقاً(٣)، فقال بعضهم: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي، وقال بعضُهُم: ليت لنا رسولاً إلى أبي سفيان بن حرب، يأخذ لنا منه أماناً، وقال المنافقون: ارجِعوا إلى الدين الأول، وصاح فيهم أنس بن النَّضر: ويحكم إن كان محمدٌ قد قتل، فَرَبُّ محمدٍ لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه، ثم قاتل حتى قُتل رضوان الله عليه(٤).

وتحامل رسول الله ﷺ، وصعد على صخرة وجعل يدعو الناس إليه. قال كعب بن مالك: فأنا أول من عرفه، عرفته بعينيه وهما يُزْهِران تحت المِغْفَر، فناديت: يا معاشر المسلمين، أبشروا فهذا رسول الله ﷺ، فأشار إلي أَنِ اسْكُتْ(٥).

وفَوَّقَ رجلٌ سَهْماً وأراد أن يرميه به. فقال: «أنا رسول الله» وانحازت إليه طائفةٌ من المسلمين فلامهم على الفرار، فقالوا: سمعنا أنك قد قتلت فَرَعَبَتْ قلوبنا فولَّينا مُدبرين(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ٤١.
(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ٣٩.
(٤) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٠، وانظر «السيرة» ٣/ ٣٠.
(٥) «السيرة» ٣/ ٣١.
(٦) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٠.

وقال ابن إسحاق: اجتمع إليه ثلاثون رجلاً فحموه، وكشفوا الكفار عنه، ورمى سعد بن أبي وقاص بالنبل حتى انكسرت سِيَةُ قَوْسِه، وأصيبت يدُ طَلْحَة بن عبيد الله؛ وقى بها رسول الله ﷺ، فصار أشلَّ، وكان الذي رماه مالك بن زهير الجشمي، وكان قَصْدُه رسول الله ﷺ، فاتقاه طلحة رضي الله عنه بيده، فأصاب السهم خِنْصَرَه فَشُلَّ، فقال: حَسِّ، فقال رسول الله ﷺ: «لَو قالَ بِسمِ الله ولَم يَقُلْ حِسِّ دَخَل الجنَّة والنَّاسُ يَنظُرونَ إليه»(١).

وَنَثَل رسول الله ﷺ كِنانته لسعد بن أبي وقاص وقال: «ارْمِ فِدَاكَ أَبي وأُمي». وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كان رجل من المشركين قد أحرق قلوب المسلمين، فرميته بسهم فأصبت جنبه، فوقع فبدت عورته، فضحك رسول الله ﷺ(٢).

وقال أنس: لما كان يوم أحد انهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة مُجَوِّبٌ عليه بحَجَفَتِه، وكان أبو طلحة رامياً شديد النزع، وقد كَسَر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر ومعه الجعبة من النبل، فيقول له رسول الله ﷺ: «انْثُرها لأَبي طَلحَةَ»، ويُشْرِفُ رسول الله ﷺ يَنْظُرُ إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا يصيبك سهمٌ من سهامهم، نَحري دون نحرك.

قال: ولقد رأيت عائشة وأمَّ سُلَيْم لمشمِّراتٍ أرى خَدَمَ سوقهن، ينقلان القِرَبَ على مُتونِهن يُفْرِغانها في أفواه القوم، ولقد وقع سيف أبي طلحة من يده مرتين أو ثلاثاً، يعني لما يلقى من النعاس. متفق عليه(٣).

وقال الزبير بن العوام رضي الله عنه: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخَوْفُ علينا يوم أحد، أرسل الله علينا النوم، وإني لأسمع قول مُعَتِّبٍ والنعاس يغشاني، فما أسمعه إلا كالحلم يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا، فحفظتها منه(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٤١٦ من حديث طلحة بن عبيد الله، وانظر «المغازي» ١/ ٢٥٤، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٠. وسية القوس: ما عطف من طرفيها.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٠/ ٣٠٧ من حديث سعد.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١). ومجوب عليه: مترس عنه ليقيه السلاح، والخدم: الخلخال.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ١٨٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٧٣.

وقال أبو طلحة: رفعتُ رأسي يوم أحد، فجعلتُ ما أرى أحداً إلا وهو يميد تحت حجفته من النعاس، وكان يقع السيف من يدي فآخذه، ثم يسقط السوط من يدي من النعاس فآخذه[١].

وقال أنس: أُفْرِدَ رسول الله ﷺ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رُهِقوا قال: «مَن يَردُّهُم عَنَّا ولَه الجنَّةُ، أو هوَ رَفِيْقِي في الجنَّةِ». فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِلَ دونه، فلم يزل كذلك حتى قتل سبعة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «ما أَنْصَفْنا أَصْحَابَنا»[٢].

وأُصيبت عينُ قَتادةَ بنِ النعمان فوقعت على وَجْنَته، فردَّها رسول الله ﷺ بيده فعادت أحسن ما كانت[٣].

وتقدم مُصعَبُ بنُ عُمَيْر وبيده لواء المهاجرين، فقاتل حتى قتل. فأخذ اللواء علي رضي الله عنه، وقاتل حمزة رضوان الله عليه قتالاً شديداً، ومرَّ به سباع بن عبد العُزَّى الغبشاني، فقال له حمزة: هلم يا ابنَ مُقَطِّعَةِ البُظور، وكانت أمه خَتَّانةً بمكة، فقتله حمزة. قال وحشي: فنظرت إلى حمزة وهو يَهُذُّ الناس هَذّاً بسيفه كأنه جَملٌ أَوْرَقُ، فرميتُه بالحَرْبة، فوقعت في ثُنَّتِه حتى خرجت من بين رجليه، فأخذتها وتَنَحَّيْتُ[٤].

وقيل: كان حمزة يجول في القوم فعثر فوقع على وجهه، فزرقه وحشيّ بحربته فقتله[٥].

ورُمي أبو رُهْم الغِفاري بسهم في نحره، فتفل عليه رسول الله ﷺ فبرىء، فكان يسمى المنحُور[٦].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لقد حَرَصْتُ على قتل أخي عُتبة بن أبي وقاص،

(١) أخرج شطره الأول الترمذي (٣٠٠٧)، وانظر «تفسير الطبري» ٤/ ١٧٧ .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٩).

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٥٤٩).

(٤) «السيرة» ٣/ ٢١ .

(٥) «المغازي» ١/ ٢٨٥ .

(٦) «المغازي» ١/ ٢٤٣ .

فراغ مني رَوَغان الثعلب، ولقد علمته والله عاقّاً لوالديه، سيِّىء الخلُق[١].

وكانت أم أيمن حاضنةُ رسول الله ﷺ تسقي المسلمين الماء في نِسوة من الأنصار، فرماها حِبّان بن العَرِقة بسهم فأصاب ذيلها، فاستغرب ضحكاً، فقال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «ارمِهِ» فرماه فوقع ابن العَرِقة مستلقياً، فقال رسول الله ﷺ: «استقادَ لها سعد أجاب الله دعوتك وسدد رميتك[٢]». فكان سعد مجاب الدعوة رامياً.

وصعدت قريش على الجبل فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ لا يعلونا». فأقبل عمر بن الخطاب في رهط من المهاجرين فأنزلوهم، ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة ليعلوها، فلم يستطع فجلس تحته طلحة بن عُبَيْد الله، فنهض فاستوى عليها، فقال رسول الله ﷺ: «أوْجَبَ طَلحَةُ»[٣].

وجاءت هند بنت عُتبة ومعها نساء المشركين، فجعلْنَ يَجْدَعْنَ الآذان والأنوف، واتخذت هند من ذلك قِلادةً ومعاضِدَ، وبقرت بطن حمزة رضوان الله عليه، وأخرجت كَبِده فمضغَتْها فلم تستطع ولفظتها، وأعطت وحشياً ما كان عليها من القلائد وقُرطَها، ووعدتُه إذا قدمت مكة بعشرة دنانير[٤].

وقال البلاذري: ناولها وحشي كبد حمزة، فجعلتها في فمها ثم رمتها، وقطعت مذاكيره، وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، وقدمت مكة بجميع ذلك، ثم علت صخرة وقالت[٥]: [من الرجز]

نــحــن جَــزيــنــاهُــم بِــيَــومِ بَــدرِ
والـحـربُ بـعـد الـحـرب ذاتُ سُـعْـرِ
مـا كـان بـعـدَ عِـتـرتـي مـن صَـبْـرِ

(١) «السيرة» ٣/ ٣٢.
(٢) «المغازي» ١/ ٢٤١.
(٣) «السيرة» ٣/ ٣٢-٣٣.
(٤) انظر «السيرة» ٣/ ٣٦.
(٥) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٨١، ونصه: فقتله وأخذ كبده، فأتى بها هند بنت عتبة، فمضغتها ثم لفظتها، وجاءت فمثلت به، واتخذت مما قطعت منه مَسْكَين ومعضدتين وخدمتين. ولم يذكر الشعر، وانظر «السيرة» ٣/ ٣٦.

أَبــي وعــمِّــي وأَخــي وبِــكْــري
شـفـيـتَ وحـشـيُّ غـلـيـلَ صـدري
شـفـيـتَ قـلـبـي وقـضـيـت نَـذْري

وبلغ رسولَ الله ﷺ قولُها، فقال: «إن الله حرَّمَ لحمَ حَمزةَ على النار»[١].

قال ابن إسحاق: وهذه شديدةٌ على هند المسكينة[٢].

ولما فقد رسول الله ﷺ حمزةَ رضي الله عنه، قال للحارث بن الصمة الأنصاري: «ألا تعلمُ لي عِلْمَ عمي». فطاف فوجده بين القتلى، فكره أن يخبر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لسهل بن حُنَيْف: «ألا تعلم لي عِلْمَ عمي»، ثم قال لعمار بن ياسر كذلك، فأخبره بقتله فبكى[٣].

ولمّا رأى رسول الله ﷺ ما نزل بأصحابه من جَدْع الأنوف والآذان، وقطع المذاكير، قال: «لئن أَدالنَا الله عليهم لنُمَثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يمثِّلْها أحد من العرب قط»[٤].

وقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القومِ ابنُ أبي قُحافةَ؟ قالها ثلاثاً، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ قالها ثلاثاً، فرجع إلى أصحابه وقال: أما هؤلاء فقد قُتِلوا، فما ملك عمر ابن الخطاب نفسه، فقال: كذبتَ يا عدو الله، إن الذين عددتَ لأحياءٌ كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك. فقال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والحرب سِجال، إنكم ستجدون في القوم مثْلَةً لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أُعْلُ هُبَل، أُعل هُبَل. فقال رسول الله ﷺ: «ألا تُجيبُوهُ؟» قالوا: وما نقول؟ قال: «قُولوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلّ». فقال: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: «أَلا تُجيبُوهُ؟» قالوا: وما نقول؟ قال: «قولوا: الله

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٧٠/ ١٧٥.
(٢) هذا القول ليس لابن إسحاق وإنما هو لمحمد بن سيرين كما في «الطبقات الكبرى» ٣/ ١١، و«تاريخ دمشق» ٧٠/ ١٧٥.
(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٧٢.
(٤) انظر «السيرة» ٣/ ٣٩.

مَولاَنَا ولا مَولَى لَكُم»[١].

وقال أنس: لما كان يوم أحد حاصَ أهل المدينة حَيْصَةً، وقالوا: قتل محمد. وكثرت الصوارخُ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار، فمرت على ابنها وأخيها وزوجها، فلم تلتفت إليهم حتى جاءت رسول الله ﷺ، فأخذت بناحية ثوبه وجعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي بمن عَطِبَ إذا سَلِمْتَ، كلُّ مصيبةٍ بعدك جَلَل[٢].

وكان عامة الناس قد حملوا موتاهم إلى المدينة، فنادى رسول الله ﷺ: «رُدُّوا قتلاكم إلى مضاجعهم»[٣]. فأدرك مناديه رجلاً واحداً لم يدفن وهو: شمّاس بن عثمان المخزومي، فرده إلى مضجعه[٤].

ثم انصرف رسول الله ﷺ في ذلك اليوم وهو يوم السبت، فصلى بالناس المغرب. واستقبلته حَمْنَةُ بنت جحش، فنعى إليها أخاها عبد الله بن جحش، فاستغفرت له، ثم نعى إليها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى إليها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ: «لَزوجُ المرأة منها بمكان»[٥].

وشَمِتَ المنافقون برسول الله ﷺ، وعبدُ الله بن أبي[٦].

ولما دخل رسول الله ﷺ بيته، ناول فاطمةَ عليها السلام سيفه وقال: «اغسلي عنه الدم يا

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ٤٤ .

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٤٩٩)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١١٥ وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
أما قوله: كل مصيبة بعدك جلل، فهو من حديث سعد بن أبي وقاص كما في «السيرة» ٣/ ٤٣ .

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٦٥) ، والترمذي (١٧١٧)، والنسائي (٢٠٠٤)، وأحمد في «مسنده» (١٤١٦٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) انظر الخبر في «المغازي» ١/ ٣١٢ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٤١ .

(٥) «السيرة» ٣/ ٤٢ .

(٦) «الطبقات الكبرى» ٢/ ٤١ .

بنية، فلقد صدقني اليوم»[١].

وانهزم جماعة يوم أحد منهم: ثعلبة بن حاطب، والحارث بن حاطب، وخارجة ابن عامر، وسَوَاد بن غَزِيَّة، وسعد بن عثمان، وأوس بن قَيظي، وعقبة بن عمار، وعثمان بن عفان في آخرين[٢]. وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[آل عمران: ١٥٥] الآية.

ذكر شهداء أحد

قال ابن عباس: قتل من المسلمين يوم أحد سبعون. وقال ابن إسحاق: خمسةٌ وستون. وقال ابن سعد: سبعة وستون. وزاد غيرهم ونقص فيهم.

الأغرُّ بن ثعلبة: أنصاري اشترك في قتله جماعةٌ، ودفن هو وخارجة بن زيد في قبر واحد.

أنس بن النَّضر بن ضَمْضَم بن زيد الأنصاري من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه هند بنت زيد نجارية.

قال أنس بن مالك: غاب عمي أنس عن بدر، فقال: غبتُ عن أول غزاةٍ غزاها رسول اللهﷺ، لئن أشهدني الله قتالاً لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ. فلما انهزم الناس يومَ أُحد، قال: اللهمَّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ فقال له: إلى أين؟ فقال: إني لأجد ريح الجنة قِبَل أُحُد. ومضى فقتل، فما عُرِفَ حتى عرفته أخته، وبه بضع وثمانون جراحةً بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم. أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

أُنَيْس بن قَتادة بن ربيعة الأنصاري.

أوس بن أرقم بن زيد بن النعمان، خزرجي.

---

(١) «السيرة» ٣/ ٤٣ ، وأخرجه الحاكم ٣/ ٢٧ من حديث ابن عباس.

(٢) «المغازي» ١/ ٢٧٧-٢٧٨ .

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم (١٩٠٣).

أوس بن المنذر الأنصاري.

إياس بن أوس بن عتيك، أوسي، قتله ضرار بن الخطاب وكان ضرار يقول: زَوَّجت عشرةً من أصحاب محمد يوم أحد بالحور العين، وكان فارسَ قريش وشاعرها، والتقى في ذلك اليوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضربه بالقناة، ثم رفعها عنه وقال: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب[1]، ثم منَّ الله على ضرار فأسلم وحسن إسلامه.

ثابت بنُ الدَّحْداح بن نُعَيْم الأنصاري من بني عمرو بن عوف، من الطبقة الأولى أو الثانية من الأنصار، وكنيته: أبو الدَّحْداح. قال يوم أحد والمسلمون متفرقون: يا معاشر الأنصار، ألا إن كان محمد قد قتل فَرَبُّ محمدٍ حيٌّ لا يموت، قاتلوا عن دينكم. فنهض إليه نفر من الأنصار وقد وقفت له كتيبة خشناء فيها خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، فجعل يحمل عليهم يميناً وشمالاً، فحمل عليه خالد بن الوليد [بالرمح] فأنفذه فسقط ميتاً ومن كان معه[2].

وقيل: إنه جُرح يوم أحد، وبرىء من جِراحته، ومات على فراشه من جرح كان أصابه، ثم انتقض عليه مَرْجِعَ رسول الله ﷺ من الحديبية. ولم يكن لثابت غير ابن أخته وهو أبو لُبابة بن عبد المنذر، فأعطاه رسول الله ﷺ ميراثه[3].

وهذا ثابت الذي أقرض ربَّه حائطه. قال زيد بن أسلم: لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] الآية، قال أبو الدحداح: يا رسول الله، فداك أبي وأمي إن الله يستقرض منا وهو غني عن القرض؟ قال: «نعم، يريد أن يُدخلكم به الجنة». قال: فإني قد أقرضتُ لربي عز وجل قرضاً تضمن لي به الجنة؟ قال: «نعم، مَن تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة». قال: وزوجتي أم الدحداح معي؟ قال: «نعم». قال: وصبيتي الدحداحة معي؟ قال: «نعم». قال: ناولني يدك. فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا

(١) «الطبقات الكبرى» ٦/ ١٣٥ـ١٣٦ .

(٢) «المغازي» ١/ ٢٨١ ، و«الطبقات الكبرى» ٤/ ٢٩٧ـ٢٩٨ .

(٣) «الطبقات الكبرى» ٤/ ٢٩٨ .

أملك غيرهما، وقد جعلتهما قرضاً لله. فقال رسول الله ﷺ: «اجعل إحداهما لله والأخرى معيشة لك». قال: فإني أشهدك أني قد جعلت خيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ست مئة نخلة. قال: «إذاً يجزيك الله به الجنة».

قال: فانطلق أبو الدحداح حتى أتى أمَّ الدَّحْداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور حول النخل، فأخْبَرها، فقالت: ربح بيعُك، بارك الله لك فيما اشتريتَ وبعت، وأقبلت إلى صبيانها تُخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم، حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال رسول الله ﷺ: «كم من عَذْقٍ رَدَاحٍ في الجنة لأبي الدَّحْداح»[١].

ثابت بن عمرو بن زيد، من بني غَنْم من الطبقة الأولى، ولا يُدْرى من قتله، ولا عقب له.

ثابت بن وَقْش بن زُغبةَ ، من بني عبد الأشهل ، من الطبقة الثانية من الأنصار.

ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عُبيد بن أمية، وهو الذي نزل فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾[التوبة: ٧٥] وقصته متأخرة عن أحد[٢].

ثعلبة بن سعد بن مالك، من الطبقة الثانية من الخزرج، عم أبي أسيد[٣] الساعدي.

ثقيف بن فروة، من الطبقة الثانية من الخزرج.

الحارث بن أنس الأشهلي، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً، واستشهد يوم أحد.

الحارث بن ثابت بن عبد الله، من الطبقة الثانية من الأنصار.

الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً، وكان في جملة من قَتَلَ كعبَ بن الأشرف، واستشهد وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة.

---

(١) تفسير الثعلبي ٢/ ٢٠٧ـ٢٠٨.

(٢) ثعلبة بن حاطب المذكور هنا استشهد في أحد، أما صاحب القصة التي ذكر المصنف، فهو: ثعلبة بن أبي حاطب، وتوفي في خلافة عثمان ﷺ، فهما رجلان. انظر «الإصابة» ١/ ١٩٨. وانظر قصته في «أسباب النزول» للواحدي ص ٢٥٢ـ٢٥٣ .

(٣) هكذا في النسخ، وفي «الطبقات الكبرى» ٤/ ٣٦٧ : «عم أبي حميد».

الحُباب بن قَيْظي، من بني عبد الأشهل، قتله ضرار الفهري.

حَبيب بن زيد بن تميم، من بني بَياضة.

حُسَيْل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جِرْوةَ العبسي ـ وهو اليمان أبو حُذَيفة[١] ـ قُتِلَ يومَ أُحدٍ غلطاً.

قال عروة: لمّا اختلط المسلمون يوم أحد وجالوا تلك الجولة، التقتْ سيوف المسلمين على حُسَيْل ولم يعرفوه، فجعل ابنه حذيفة يقول: أبي أبي، فلم يفهموا قوله حتى قتلوه. فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، ما صنعتم قتلتم أبي؟ فزاد قدر حذيفة وارتفع بقوله[٢].

حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو يعلى، وقيل: أبو عُمارة ﷺ، عم رسول الله ﷺ، وأمه: هالة بنت وُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين.

وكانت أمه تقول: والله ما حملته وُضْعاً، ولا وضعته يَتْناً، ولا أرضعته غَيْلاً، ولا أنمته على مَأقةٍ.

وكان حمزة رضوان الله عليه رضيعَ رسول الله ﷺ، وقيل: أَسنَّ منه بثلاث سنين.

وكان بيده يوم أحد سيفان يجاهد بهما في سبيل الله ويقول: أنا أسد الله وأسد رسوله[٣]. فكان رسول الله ﷺ يقول: «والذِي نَفسِي بيَده إنَّه لمَكتُوبٌ في السَّماءِ كذلِكَ»[٤].

وأوصى حمزة رضي الله عنه يوم أحد إلى زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ آخى بينهما، فلما حضر القتال أكَّدَ الوصية[٥].

---

(١) في طبقات ابن سعد ٤/ ٢٤٩: وجروة هو اليمان، ومن ولده حذيفة.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٤/ ٢٥٠.

(٣) «الطبقات الكبرى» ٣/ ١١.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٩٥٢)، والحاكم ٣/ ٢١٩ من حديث أبي لبيبة أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنه لمكتوب عند الله في السماء السابعة: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.

(٥) انظر «المنتظم» ٣/ ١٧٩.

وعن عثمان بن أبي عمار: أن حمزة سأل رسول الله ﷺ أن يريه جبريل، فقال: «إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ». قال: بلى. فأراه إياه في الكعبة، ورجلاه مثل الزبرجد الأخضر، فخر حمزة مغشياً عليه(١).

ولما قتل حمزة رضي الله عنه، ومثَّلت به هند، مر به أبو سفيان بن حرب فجعل يضرب في شدقه بالرمح [ويقول]: ذُقْ عُقَقُ، فرآه الحُلَيْسُ بن زَبّان سيدُ الأحابيش، فصاح: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون، قد صار لحماً، فقال له أبو سفيان: اكتمها علي فإنها كانت زَلَّةً(٢).

واشترك معاوية بن المغيرة بن أبي وقاص(٣) بن أمية، وهند بنت عتبة في المُثْلةِ بحمزة رضوان الله عليه، وكان حمزة صائماً في يوم أحد، فقتل على حاله وأَذِنَ رسولُ الله ﷺ لصفيةَ رضوان الله عليها أن تشاهد أخاها حمزة فشاهدته، وقالت: قد مثلوا بأخي وذلك قليل في ذات الله، والله لأصبرَنَّ ولأحتسبَنَّ. ثم صلَّت عليه واستغفرت له.

وقال أبو هريرة: وقف رسول الله ﷺ على حمزة فنظر إلى شيء لم يَرَ مثلَه قط، ولا كان أوجع لقلبه منه وقد مثَّلوا به، فقال: «يَرحَمُكَ اللهُ، فَلَقد كُنتَ فِيما عَلِمتُ وَصولاً للرَّحِمِ، فعَّالاً للخيراتِ، ولولا حُزنُ مَنْ بَعْدَكَ عَليك أو تكونَ سُنَّةً من بعدِك لسرَّني أَن أدَعَكَ حتى تُحشَرَ مِن بُطون السِّباعِ وحَواصِلِ الطَّير، أَمَا والله لأُمثِّلن بسَبعِينَ منهم مَكَانَكَ». فنزل جبريل بخواتيم سورة النحل ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخرها، فصبر رسول الله ﷺ، وأمسك عما أراد. وفي رواية: فكفَّر عن يمينه، ونهى عن المُثْلة(٤).

وصلى رسول الله ﷺ على حمزة، وكبر سبعين تكبيرة(٥).

ولما حُفر لحمزة نزل في قبره أبو بكر وعمر وعلي والزبير رضي الله عنهم، وجلس رسول الله

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١١.
(٢) «السيرة» ٣/ ٣٧.
(٣) هكذا هو في النسخ، والصواب: بن أبي العاصي. انظر «جمهرة أنساب العرب» ص ١١٠.
(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١٢، والطبراني في «الكبير» (٢٩٣٧)، والحاكم ٣/ ٢١٨.
(٥) «الطبقات الكبرى» ٣/ ١٤.

ﷺ على شَفير القبر وقال: «لقد رأيت الملائكة غسلت حمزة»[١].

وأمر أن يُوضَعَ على قدميه الحَرْمَلُ، ودفن حمزة وعبد الله بن جحش في قبر واحد[٢].

وقتل حمزة رضوان الله عليه وهو ابن تسعٍ وخمسين سنة، وقيل: ابن ثلاث وستين سنة.

وبكت نساء الأنصار على قتلاهن، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فذرفت عيناه، وقال: «لكن حمزة لا بواكيَ له». فسمعه سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، فرجعا إلى نسائهما فساقاهُنَّ إلى باب رسول الله ﷺ وقالا: ابكين حمزة، فبكينه، فدعا لهن رسول الله ﷺ وأمرهن بالانصراف[٣].

ولما رجع الكفار عن أحد، هرب معاوية بن المغيرة على وجهه فدخل المدينة، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان ابن عمه فضربه، فقالت أم كلثوم عليها السلام بنت رسول الله ﷺ: من أنت؟ فقال: أين عثمان؟ فقالت: ليس هو ها هنا. فقال: أَرْسلي إليه فله عندي ثمن بعير كنتُ اشتريتُه منه. وجاء عثمان فنظر إلى معاوية فقال: أهلَكْتَني وأهلكتَ نفسك. فقال: يا ابن عم، لم يكن أحد أمسَّ بي رحماً منك فأجرني، فأدخله عثمان منزله وصيره ناحية، ثم خرج عثمان ليأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ، فسمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ مُعاوِيَةَ بالمدِينَةِ، فَاطْلُبُوهُ». فدخلوا منزل عثمان، فأشارت إليهم أم كلثوم عليها السلام بأنه في ذاك المكان الذي هو فيه، فأخرجوه وأتوا به رسول الله ﷺ، فأمر بقتله. فقال عثمان: والذي بعثك بالحق ما جئتُ إلا لآخذ له أماناً، فهَبْه لي، فوهبه له وأجَّله ثلاثاً، وأقسم إن وجده بعدها قتله، وخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأَسد، وأقام معاوية ثلاثاً يستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتي بها قريشاً، فلما كان في

(١) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٩.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٩.

(٣) ذكره بهذا اللفظ الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٢، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٥٦٦٦) من حديث ابن عمر ولم يذكر سعداً ولا أسيداً وزاد فيه: «يا ويحهن! أنتن ها هنا تبكين حتى الآن؟! مروهن فليرجعن ولا يبكين على هالك بعد اليوم».

اليوم الرابع عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة وقال: «إنَّ مُعاويةَ بالمدينةِ، فاقْتُلوهُ». فتبعه علي وزيد بن حارثة وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فقتلوه بالجَمَّاء[1]، وكان قد هرب. وقيل: أدركوه على ثمانية أميال من المدينة فرموه بالنبل حتى قتلوه. وقيل: إنما تبعه علي رضوان الله عليه فقتله، وليس لمعاوية عَقِب إلا عائشة بنت معاوية تزوجها مروان بن الحكم، فولدت له عبد الملك بن مروان[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحسان بن ثابت: يا ابن الفُرَيعةِ، لو سَمِعْتَ هنداً يوم قتل حمزة وهي قائمة على صخرة ترتجز وتذكر ما صنعت بحمزة، وقد بقرت بطنَه، فلو رأيتَ أَشَرَها وهي تقول:

شفيْتَ وَحشيُّ غليلَ صدري... الأبيات.

فقال حسان بن ثابت يهجوها[3]: [من الكامل]

أشِرَت لَكَاعِ وكان عادتَها ... لؤمٌ إذ أَشِرَتْ مع الكُفْرِ[4]

أَخرَجْتِ مُرقِصَةً إلى أُحدٍ ... في القَومِ مُقْتِبةً على بَكْرِ

أخرجتِ ثائرةً مُبادِرةً ... بأبيك وابنك يوم ذي بَدْرِ[5]

وبعمّك المستوهِ ذي رَدَعٍ ... وأخيكِ منعفرين في قَبْرِ[6]

ونَسيتِ فَاحِشةً أتيتِ بِها ... يا هندُ وَيحكِ سُبَّة الذِّكرِ

زَعَم الولائِدُ أنَّها وَلَدتْ ... وَلَداً صَغيراً كانَ مِن عَهْرِ

لَعَن الإلهُ وزَوجَها معها ... هند هَنودِ عظيمةَ الوِزْرِ

ذكر أولاد حمزة رضي الله عنه:

كان له أربعة: يعلى، وعامر وعُمارة، وأُمامة.

---

(١) في النسخ: «الحمى» والمثبت من المصادر.

(٢) انظر الخبر في «المغازي» ١/ ٣٣٢-٣٣٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٠٠-٤٠١.

(٣) انظر الخبر في «السيرة» ٣/ ٣٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٥-٥٢٦.

(٤) لكاع: اللئيمة.

(٥) في النسخ: «أفرحت ثائرة» والمثبت من «تاريخ الطبري» ورواية الديوان٣٨٤: «أقبلت زائرة».

(٦) جاء في هامش النسخ: المستوه: الكبير الاست.

فأما يعلى وعامر فأمهما بنت الملة بن مالك، أنصارية أوسية، وعامر دَرَج.

وكان لحمزة ولد اسمه بكر من بنت الملة.

وأما عمارة فأمه خولة بنت قيس بن قَهْد أنصارية، وأما أمامة فأمها أسماء[١] بنت عُمَيْس.

وزوَّج النبي ﷺ أمامةَ بنت حمزة سَلَمةَ بن أبي سلمة، وقال: هل جُزيت أبا سلمة[٢]؟ فهلك قبل أن يصل إليها. وقيل: أصابه خبل فلم يجتمعا، وكان أخوه عمر أسن منه فتزوج أمامة.

وهي التي عُرِضت على رسول الله ﷺ، فقال: «إنَّها ابنةُ أَخِي مِنَ الرَّضاعَةِ»[٣].

وقال الشيخ موفق الدين رحمه الله تعالى في «الأنساب» عن مصعب الزبيري: أنه كان لحمزة خمسة أولاد لصلبه: يعلى وعمارة وأمامة وأم الفضل وفاطمة، وماتوا من غير أن يُعْقِبوا[٤].

وروى علي ﷺ: أن رسول الله ﷺ بعث إليه بحلة مُسَيَّرة، وقال: «شَقِّقها خُمُراً بينَ الفَوَاطِم». قال: فشققها بينهن، فأعطيت خماراً لفاطمة بنت أسد ـ يعني أمه ـ، وخماراً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخماراً لفاطمة بنت حمزة[٥].

ولحمزة رضوان الله عليه رواية.

وقال جابر بن عبد الله: لما أراد معاوية بن أبي سفيان أن يُجْرِيَ العَيْنَ التي تأخذ من أحد إلى المدينة، كتب إلى عامله بذلك، فكتب إليه: إنا لا نستطيع أن نُجريَها إلا على قبور الشهداء. فكتب إليه: انبشوهم. قال جابر: فرأيتهم يُحْملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام، وأصابت المسحاةُ طرف رجل حمزة فانبعثت دماً[٦].

---

(١) الصواب: سلمى كما في «الطبقات» ٣/ ٨، و«الإصابة» ٤/ ٣٣٢.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٨ وفيه: هل جزيت سلمة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧) من حديث ابن عباس.

(٤) التبيين ١٤٧.

(٥) أخرجه مسلم مختصراً (٢٠٧١) (١٨)، والطبراني في «الكبير» ٢٤/ (٨٨٧).

(٦) «الطبقات الكبرى» ٣/ ١٠.

حنظلة بن أبي عامر الراهب، واسم أبي عامر: عبد عمرو بن صَيفي بن النعمان بن مالك بن أُميَّة بن ضُبيعة، وكان أبو عامر يقول: أنا على دين الحنيفية ودين النبي المبعوث. فلما بعث رسول الله ﷺ قال: يا محمد، أنت تخلط الحنيفية بغيرها، فقال له رسول الله ﷺ: «كذبت»، فقال أبو عامر: ما كذبت. فقال رسول الله ﷺ: «أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً»، فقال: آمين، ثم حمله الحسدُ على أن خرج إلى مكة، وأقام عند الكفار وشهد أحداً معهم، ثم رجع إلى مكة فأقام بها إلى عام الفتح، ثم خرج هارباً إلى قيصر فمات بالشام طريداً وحيداً، واختصم في ميراثه عند قيصر علقمةُ ابن عُلاثة وكنانة بن عبد يا ليل، فقضى به قيصر لكنانة لأنه من أهل المَدَرِ، ولم يحكم به لعلقمة لأنه من أهل الوَبَر[١].

وكان ابنه حنظلة من خيار المسلمين، مُبايناً لأبيه، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين شَمَّاس بن عثمان المخزومي، وحنظلة من الطبقة الثانية من الأنصار، واستأذن رسول الله ﷺ في قتل أبيه فنهاه عن ذلك، وأوصاه به خيراً.

وكان حنظلةُ قد تزوّج جميلةَ بنت عبد الله بن أُبَيٍّ بن سَلول، فأُدخِلت عليه في الليلةِ التي كان صُبْحُها يومَ أُحد، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ في المبيت عندها، فلما أَصبح غدا يُريد رسول الله ﷺ بأُحدٍ وكان قد أَجنب منها، فأرسلت زوجته إلى أَربعةٍ من قومها فأشهدتهم عليه أنه دخل بها، فقيل لها في ذلك فقالت: رأيتُ كأنَّ السماءَ فُرجت له، ثم دخل فيها وأطبقت عليه فقلت: هذه الشهادة، وعَلِقَت منه تلك الليلة بعبد الله بن حنظلة.

وأخذ حنظلةُ سلاحه، ولحق برسول الله ﷺ وهو يسوّي الصفوفَ، فقاتل معه، فاعترض أَبو سفيان حنظلةَ، فضرب حنظلةُ عُرقوبَ فرس أبي سفيان فوقع، وصاح بقريشٍ وقد استعلاه حنظلةُ، فرآه شدّاد بن الأسود بن شَعُوب[٢]، فحمل عليه فقتله، فقال أبو سفيان: حنظلة بحنظلة، يعني ابنه.

---

(١) الخبر في «الطبقات الكبرى» ٤/ ٢٩٠، و«المنتظم» ٣/ ١٨٤.

(٢) هكذا في النسخ، والصواب أن اسمه: الأسود بن شعوب كما في المصادر و«جمهرة أنساب العرب» ص ١٨٢.

ومرَّ به أبوه فرآه قتيلاً، فوقف عليه وقال: يا بُنيَّ قد كنتُ أحذِّرُك مثلَ هذا المصرعِ ولقد كنتَ بارّاً بأبيك، شريفَ الخُلقِ في حياتك، وإن مماتك لمع سَراة أصحابك وأشرافهم؛ لأنه كان مقتولاً إلى جانب حمزةَ وعبد الله بن جحش، وصاح أبو عامر: يا معاشر قريش، لا تمثِّلوا بابني[١]، وفي ذلك يقول أبو سفيان بن حرب[٢]: [من الطويل]

ولو شئت نجَّتني كُمَيْتٌ طِمرَّةٌ ... ولم أحملِ النعماءَ لابن شَعُوبِ[٣]
أُقاتِلُهم وأَدَّعي يالَ غالبٍ ... وأدفَعُهم عنِّي بركنِ صليبِ[٤]
فبكِّي ولا تَرْعَي مقالةَ عاذلٍ ... ولا تَسأمي من عَبْرةٍ ونَحيبِ
وسَلَّى الذي قد كانَ في النَّفسِ أنَّني ... قَتلتُ مِن النجَّارِ كلَّ نَجيبِ

فأجابه حسان بن ثابت[٥]: [من الطويل]

أَلَم يقتلوا عَمراً وعُتبةَ وابنَهُ ... وشَيبةَ والحَجَّاجَ وابنَ حَبيبِ
ذكرتَ القُروم الصِّيدَ من آل هاشمٍ ... ولستَ لقولٍ قُلْتَه بمُصيبِ

ولمّا قُتل حنظلة يوم أُحد، قال رسول الله ﷺ: «ما شَأنُ حَنظَلةَ؟ فإنِّي رَأَيتُ المَلائِكَةَ تُغَسِّله بينَ السَّماءِ والأَرضِ بماءِ المُزْنِ في صُحفِ الفِضَّة». قال أبو أُسَيْد الساعدي: فذهبنا ننظرُ إليه فإذا رأسُه يقطر ماءً، فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى امرأته فسألها فقالت: إنه جامع، فلمَّا سمع الهَيْعَةَ أعجله الأمر عن الغسل، فقال رسول الله ﷺ: «فَلذلِكَ غَسَّلتهُ المَلائِكةُ»[٦].

قال ابن سعد: فولده يقال لهم: بنو الغَسيل.

خارجة بن زيد بن أبي زهير، أبو زيد الخزرجي الذي نزل عليه أبو بكر الصديق

---

(١) «المغازي» ١/ ٢٧٣-٢٧٤، و«الطبقات الكبرى» ٤/ ٢٩١-٢٩٢.
(٢) الأبيات في «السيرة» ٣/ ٢٥.
(٣) الطمرة: الفرس السريعة الوثب.
(٤) الصليب: الشديد.
(٥) البيتان في «السيرة» ٣/ ٢٦.
(٦) الخبر في «السيرة» ٣/ ٢٥، و«المغازي» ١/ ٢٧٤، و«الطبقات الكبرى» ٤/ ٢٩٢. وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧٠٢٥) من حديث عبد الله بن الزبير.

رضوان الله عليه لما هاجر إلى المدينة، وتزوج ابنته، وخارجة من الطبقة الأولى من الأنصار. وأمه السيدة بنت عامر أوسيةٌ، شهد العقبة الثانية وبدراً، وأخذته الرماح يوم أحد، وكانت بضعةَ عَشَر رمحاً، فمر به مالك بن الدُّخْشم، فرأى الجراحات قد أنفذت مقاتله، فقال: يا خارجة، أما علمتَ أن محمداً قد قتل، فقال خارجة: فإن الله حي لا يموت، فقاتل عن دينك، فقد بلَّغ محمدٌ رسالاتِ ربه[(١)].

ومر به صفوان بن أمية فَعَرفه، فقال: هذا ممن أغرى بأبي يوم بدر، فمثَّل به وقال: الآن شَفيتُ نفسي، قتلتُ الأماثل من أصحابِ محمد، قتلتُ ابن قَوْقَل، وأوس بن الأرقم، وخارجة[(٢)].

ودُفِن خارجةُ وسعد بن الربيع في قبر واحد[(٣)]، وقيل: هو والأغرُّ بن ثَعلبة.

وكان لخارجة من الولد زيدٌ، تكلّم في عثمان بن عفان رضي الله عنه[(٤)]، وحبيبةُ تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فولدت له أم كلثوم، وأُمُّ حبيبةَ بنت خارجة هُزَيْلَةُ بنتُ عِنَبة خزرجية، وهي أم سعد بن الربيع[(٥)].

خَلاَّد بن عمرو بن الجَمُوح الأنصاري قتِل مع أبيه.

خَيثَمةُ بن الحارث بن مالك الأوسي، وهو أبو[(٦)] سعد، من الطبقة الثانية من

---

(١) «المغازي» ١/ ٢٨٠.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٨٦.

(٣) «المغازي» ١/ ٢٦٨.

(٤) هكذا جاءت العبارة في نسخنا، وصواب العبارة: وكان لخارجة من الولد زيد بن خارجة، وهو الذي سمع منه الكلام بعد موته في زمن عثمان بن عفان كما في «الطبقات»، وقصته:
أنه لما سجي بثوبه سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم ثم قال: أحمد أحمد في الكتاب الأول، صدق صدق، أبو بكر الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول، صدق صدق، عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول صدق صدق، عثمان بن عفان على منهاجهم، مضت أربع وبقيت ثنتان أتت بالفتن وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس وما بئر أريس؟!
ذكر القصة: ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١٩٢٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤)، والبيهقي في «الدلائل» وصحح إسناده، وابن كثير في «البداية والنهاية» ٦/ ١٥٦، والصفدي في «الوافي بالوفيات» ١٥/ ٢٧.

(٥) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٨٦.

(٦) في النسخ: «ابن» والمثبت من «الطبقات» ٤/ ٣١٤.

الأنصار، وأمه من بني جُشَم بن معاوية، وهو القائل يوم بدر لابنه سعد: آثرني بالخروج، فقال سعد: لو كان غَيرَ الشهادة لآثرتك بها، فقتل سعد ببدر شهيداً، وقتل خيثمة بأحد شهيداً، قتله هُبَيرة بن وهب المخزومي، وخيثمة أحد النقباء الاثني عشر[١].

ذَكوان بن عبد قيس بن خَلْدَةَ، أبو السَّبُع، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه من أَشجع، شهد ذكوان العَقَبتين، ولحق برسول الله ﷺ بمكة فأقام معه حتى هاجر إلى المدينة، فكان مهاجراً أنصارياً، وشهد بدراً، واستشهد يوم أحد، قتله [أبو] الحكم بن شريق، فرآه علي عليه السلام فحمل على [أبي] الحكم فضربه فقطع رجله، ثم ذفَّف عليه فقتله[٢].

رافع بن مالك بن العَجْلان، من بني زُرَيْق، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمه مارية[٣] بنت العَجْلان خزرجية، وهو أول من لقي رسول الله ﷺ بمكة هو ومعاذ بن عَفراء، فأسلما وشهدا العقبة مع السبعين، ولم يشهد بدراً، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[٤].

رافع بن يزيد بن كُرْز بن سكن بن زَعوراء، من بني عبد الأشهل، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه عقرب بنت معاذ بن النعمان بن امرئ القيس من بني عبد الأشهل، أُخت سعد بن معاذ، شهد رافع بدراً وأحداً، وقُتِلَ في ذلك اليوم شهيداً، وكان له من الولد أسيد قتل يوم الحرَّةِ، وعبد الرحمن، وأمهما عقرب بنت سلامة بن وَقْش بن زُغبة[٥].

رفاعة بن [وقش بن] زُغبة بن زعوراء، قتله خالد بن الوليد[٦].

رفاعة بن عمرو بن زيد أبو الوليد، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة مع

(١) هكذا جاء في النسخ، والصواب أن ابنه سعد بن خيثمة كان أحد النقباء الاثني عشر. انظر «السيرة» ٢/ ٦٥.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٤٨، وما بين معقوفين زيادة منه.

(٣) هكذا جاء في النسخ، وجاء في «الطبقات»: «ماوية».

(٤) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٧٣-٥٧٤، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من الأنصار.

(٥) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٠٧-٤٠٨.

(٦) «الطبقات الكبرى» ٤/ ٢٤٠، وما بين معقوفين زيادة منه.

السبعين وبدراً، وأمه أم رفاعة بنت قيس بن مالك.

زياد بن السَّكَنِ بن رافع أشهلي، وقيل: هو عمارة بن زياد(١).

سُبَيْع بن حاطِب بن قيس بن هَيْشةَ من الطبقة الثانية من الأنصار، قتله ضرار بن الخطاب(٢).

سعد بن خَوْلي بن سبرة من قضاعة، من الطبقة الأولى من الأنصار.

سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس الخزرجي، وأمه هُزَيلةُ بنت عِنَبة، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، وهو أحد النقباء الاثني عشر. وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، وهو الذي انطلق بعبد الرحمن بن عوف إلى بيته، وقال: أُقاسِمُكَ مالي ونسائي.

شهد سعد العقبة مع السبعين وبدراً، ولما كان يوم أحد، قال رسول الله ﷺ: «مَن يَأتِيني بخَبَرِ سَعدِ بنِ الرَّبيعِ؟» فقال رجل: أنا، فانطلق، فرآه بين القتلى، فقال: بعثني رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك، فقال: اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام، وأخبره أني قد طُعِنْتُ اثنتي عشرة طعنة أنفذت مَقاتلي، وأخبر قومك أنه لا عُذْر لهم إن قُتِلَ رسول الله ﷺ وواحد منهم حي(٣). ثم تشهد ومات، ودفن سعد بن الربيع وخارجة بن زيد في قبر واحد، ولما أجرى معاوية الماء إلى المدينة، أُخرجا من قبريهما طريين(٤).

قال جابر: قتل سعد يوم أحد وترك ابنتين وامرأة وأخاً، فاحتوى أخوه على ماله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن سعداً قُتِل بين يديك شهيداً، وترك هاتين الابنتين، وإنهما لا ينكحان إلا بمال وجمال، وقد ذهب عمهما بالمال، ولا جمال، فقال لها رسول الله ﷺ: «اذهبي حتى يقضي الله فيك قضاءه»، فذهبت وأقامت حيناً، ثم جاءت فبكت وشكت فنزل قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١] إلى آخرها. فدعا رسول الله ﷺ أخا سعد، وقال له: «أعط ابنتي سعدٍ الثلثين

---

(١) اختلف في اسمه، انظر «الإصابة» ١/ ٥٥٧.

(٢) «المغازي» ١/ ٣٠٢، وفيه سبيق، وانظر الخلاف في اسمه في «الإصابة» ٢/ ١٥.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» ٢/ ٤٦٥، وابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤٨٥، عن يحيى بن سعيد مرسلاً.

(٤) في النسخ: «طيرين» والصواب ما أثبتناه، انظر «الطبقات» ٣/ ٤٨٥.

وأمَّهما الثُّمُنَ وما بقي فهو لك»[١].

ولم يورث الحمل، وورثه بعد ذلك، وولدت امرأة سعد بنتاً وهي امرأة زيد بن ثابت، فلما كانت خلافة عمر قال لها: تكلمي في ميراثك من أبيك [إن كنت] تحبين ذلك، فإن أمير المؤمنين قد ورث الحمل اليوم، فقالت: ما كنت لأطلب من أختي شيئاً[٢].

قال الزبيري: فهو أول ميراث قسم في الإسلام.

سعد بن سويد بن عُبيد، من الطبقة الثانية من الخزرج.

سلمة بن ثابت بن وقش بن زُغبة، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه ليلى بنت اليَمان أخت حُذيفة، شهد بدراً، وقتله أبو سفيان، وقُتل أيضاً أبوه ثابت وعمه رفاعة شهيدين.

سُلَيْم بن الحارث، وأمه السُّميراء ابنة قيس، نجارية، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار.

سُلَيْم بن عمرو بن حديدة، أنصاري.

سهل بن رومي بن وَقْش، أوسي، من الطبقة الأولى من الأنصار، وهو ابن عم كعب بن مالك، شهد بدراً[٣].

سهل بن عدي بن زيد، وأمه أُميمة بنت قَيظي، من الطبقة الثانية من الأنصار من بني عبد الأشهل.

سهل بن قيس بن أبي كعب، وأمه نائلة بنت سَلامة بن وَقْش، من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٩٢)، والترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، وأحمد في «مسنده» (١٤٧٩٨).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٣٣٧ـ٣٣٨، وما بين معقوفين زيادة منه.

(٣) قوله: وهو ابن عم كعب...إلخ، هكذا جاءت هذه العبارة هاهنا في جميع النسخ، وهي مقحمة هاهنا، لأن سهل بن رومي لم يذكر أحد من العلماء أنه حضر بدراً، ثم هو ليس ابن عم كعب بن مالك، وإنما ابن عمه هو سهل بن قيس بن أبي كعب الآتي ذكره عند المصنف، وانظر «الطبقات الكبرى» ٤/ ٢٤٢ـ٢٤٣، و«الإصابة» ٢/ ٨٧.

(٤) هو ابن عم كعب بن مالك كما تقدم، وانظر «الطبقات» ٣/ ٥٣٨.

شمَّاس بن عثمان بن الشَّريد بن سويد بن هَرَميّ بن عامر بن مخزوم، من الطبقة الأولى من المهاجرين، كان يسمى: ابن ساقي العَسَل، لأن جده هرمي كان يسقي العسل بمكة، وكنية شماس: أبو المقدام، وقيل: اسمه عثمان وشماس لقب له. وأمه صفية بنت ربيعة بن عبد شمس، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، وكانت معه امرأته أم حبيب بنت يربوع بن عَنْكَثة، ولما هاجر إلى المدينة نزل على مُبشِّر بن المنذر، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين حنظلة بن أبي عامر.

شهد شماس بدراً، وقاتل يوم أحد عن رسول الله ﷺ، وفداه بنفسه، وجُرِح جِراحاتٍ كثيرة، وحمل إلى منزل أم سلمة وبه رَمَقٌ لأنه كان ابنَ عمها، فلما مات أمر رسول الله ﷺ برده إلى أحد فحمل فدفن هناك، قتله أبي بن خلف وهو ابن أربع وثلاثين سنة.

صيفي بن قيظي بن عمرو، من بني عبد الأشهل، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمه: أم الحُباب بنت التَّيِّهان، واسمها: الصعبة ولم يشهد بدراً، وقتله ضرار الفهري، وضرار قتل أيضاً أخاه لأبيه وأمه الحُباب[(١)] بن قيظي.

ضمرة الجهني[(٢)].

عامر بن أمية بن زيد بن وقش[(٣)]، من الطبقة الأولى من الأنصار.

عامر بن قيس بن نجاري[(٤)].

عامر بن مُخَلَّد بن الحارث، وأمه عمارة بنت خنساء، من بني غَنْم، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً.

---

(١) في ا لنسخ: «الحارث» والمثبت من «الطبقات الكبرى» ٤/ ٢٤٣ ـ٢٤٤، و«الإصابة» ١/ ٣٠٢.

(٢) هو ضمرة بن عمرو بن كعب، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار. انظر «الطبقات» ٣/ ٥١٩، و«الإصابة» ٢/ ٢١٢.

(٣) ليس في نسبه وقش، ونسبه: عامر بن أمية بن زيد بن الحَسْحاس بن مالك. انظر «الطبقات» ٣/ ٤٧٥، و«جمهرة أنساب العرب» ص ٣٥٠.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٤٣٩ فيمن استشهد بأحد، ولم نقف عليه عند غيره، انظر «السيرة» ٣/ ٦٠، و«المغازي» ١/ ٣٠٦.

عبَّاد[(١)] **بن سهل** بن مخرمة من بني النجار، من الطبقة الثانية من الأنصار، قتله صفوان بن أمية الجُمَحيّ.

عُبادة بن الخَشْخَاش[(٢)].

العباس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العجلان، من الطبقة الأولى من الأنصار، من بني ساعدة، وأمه: عُميرة بنت ثعلبة خزرجية، وكان خطيباً، شهد العَقَبتين وعاد إلى مكة، وهاجر مع رسول الله ﷺ فكان أنصارياً مهاجرياً، وهو من القَواقِلة، قتله صفوان بن أمية، وافتخر بقتله لأنه كان عظيماً، وقيل: شاركه فيه سفيان بن عبد شمس السلمي والد أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين.

والعباس من الستة الذين لقوا رسول الله ﷺ بمكة أول الأمر فأسلموا.

عبد الله بن ثعلبة، خزرجي من ولد طريف، وأخوه قيس بن ثعلبة[(٣)].

عبد الله بن جحش بن رِئاب بن يَعْمَر الأسدي أبو محمد، وأمه: أميمة بنت عبد المطلب.

وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة، ورجع إلى مكة، وهاجر إلى المدينة. وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح.

وسمع رجلٌ عبدَ الله بنَ جحش يقول قبل يوم أحد بيوم: اللهمَّ إنا ملاقو هؤلاء غداً، وإني أقسم عليك لما يقتلوني، ويبقروا بطني، ويجدعوني، فإذا قلتَ لي: لم فعلوا بك هذا؟ قلتُ: فيك ومن أجلك. قال: فلما التقوْا، فعلوا به ذلك، فقال الرجل

(١) في النسخ: «عبادة» والمثبت من «الطبقات» ٤/ ٢٤٣، و«الإصابة» ٢/ ٢٦٥.

(٢) هو عبدة بن الحساس كما سيأتي.

(٣) ذكرهما الواقدي في «المغازي» ١/ ٣٠٢، ولم نجد لهما ذكراً عند غيره هكذا، ولعل المصنف جعل قيساً أخاً لثعلبة من سياق «المغازي». ونص «المغازي» هو: ومن بني طريف: عبد الله بن ثعلبة، وقيس بن ثعلبة، وطريف، وضمرة حليفان لهم من جهينة. ولعل الصواب ما ذكره ابن هشام في «السيرة» ٣/ ٦١: ومن بني طريف رهط سعد بن عبادة: عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف، وضمرة حليف لهم من بني جهينة رجلان. والظاهر أن قيساً الذي ذكره المصنف مصحف عن وقش، والله أعلم. انظر «الطبقات» ٤/ ٣٦٩، و«الإصابة» ٢/ ٣٥٤.

الذي سمعه: أمَّا هذا فقد استُجيب له، وأعطاه الله ما سأل في الدنيا، ونرجو أن يعطى ما سأل في الأخرى، وقتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، ودفن مع خاله حمزة في قبر واحد، وكان له يوم قتل بضع وأربعون سنة.

عبد الله بن جُبَير بن النعمان بن امرىء القيس، أخو خَوَّات صاحب ذات النِّحيين[١]، وأمه من بني عبد الدار[٢] وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العَقَبة مع السبعين وبدراً، واستعمله رسول الله ﷺ على الرُّماة.

عبد الله بن سلمة العجلاني، من الطبقة الأولى من الأنصار، قتله عبد الله بن الزِّبَعْرى.

عبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة، أبو جابر، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه الرَّباب بنت قيس أنصارية، شهد العقبة مع السبعين، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدراً.

قال جابر: أصيب أبي يوم أحد، فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعلوا ينهونني ورسول الله ﷺ لا ينهاني، وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه، فقال لها رسول الله ﷺ: «تَبْكِيهِ - أو لا تَبْكِيه - مَازَالتِ الملائِكَةُ تُظلُّه بأجنِحتِها حَتى رَفَعتُمُوه». أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

وللبخاري عن جابر قال: قال لي أبي من الليل: يا بني إني مقتول غداً، وإنَّ عَلَيَّ دَيْناً فاقضه، واستوص بأَخَواتِك خيراً، قال: فلما أصبحنا كان أول قتيل[٤].

وأخرجه الحميدي، وفيه: ما أراني غداً إلا مقتولاً، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك إلا نفس رسول الله ﷺ، قال: فدفنَّا معه آخر في القبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بَعْدَ ستة أشهر، فإذا هو كما وضعته غير أذنه، فجعلته في قبر على حدة[٥].

---

(١) النحي: هو ظرف السمن، وسيذكر قصتها المصنف في سنة ٤٠، وسلفت في الأمثال من الجزء الثاني.

(٢) في «الطبقات» ٣/ ٤٤٠: من بني عبد الله غَطَفَان.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١) (١٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٥١).

(٥) «الجمع بين الصحيحين» (١٥٨٥).

وقال جابر: قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر، أعلمت أن الله أحيا أباك؟ فقال له: تمنَّ. فقال: أُرَدُّ إلى الدنيا فأُقْتَلَ مرة أخرى. فقال: إني قضيت أنهم لا يرجعون»[١].

وقال جابر: صُرِخَ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية العين، فأخرجناهم بعد أربعين سنة ليِّنَةً أجسادُهم تنثني أطرافهم[٢].

عبد الله بن عمرو بن وهب، من الطبقة الثانية من الأنصار من بني ساعدة[٣].

عبد الله بن نَضْلة بن مالك العجلاني أنصاري.

عبد الله بن الهُبَيْب وأخوه عبد الرحمن، من بني بكر بن عبد مناة من المهاجرين.

عَبْدَة بن الحَسْحاس[٤] بن عمرو، شهد بدراً، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار.

عُبيد بن التيِّهان أخو أبي الهيثم، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة مع السبعين وبدراً، قتله عكرمة بن أبي جهل، وولده عبيد الله بن عبيد قتل يوم اليمامة.

عتبة بن الربيع بن رافع، من بني ثعلبة، أنصاري.

عمرو بن ثابت بن وَقْش بن زُغبة، وأمه ليلى بنت اليمان أُختُ حذيفةَ، من الطبقة الثانية من بني عبد الأشهل، دخل الجنة ولم يسجد لله سجدة، وذلك لأنه كان شاكّاً في الإسلام إلى يوم أحد، فوقع في قلبه الإسلام، فأخذ سيفه وخرج فقاتل حتى أُلقي في القتلى وبه رمق، فقالوا: ما جاء بك؟ فقال: آمنت بالله وبرسوله، ومات على أيديهم، فأخبروا رسول الله ﷺ به، فقال: «هوَ مِن أَهْلِ الجنَّةِ»[٥].

عمرو بن الجَموح بن زيد بن حَرام الأنصاري، أبو معاذ، من بني سَلِمة، قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «قُومُوا إلى جنَّةٍ عَرْضُها السَّمَاوات والأَرضُ». فقام عمرو وكان أعرج فقال: والله لأَطأنَّ بعرجتي في الجنة[٦]. ثم قاتل حتى قتل.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٨٨١).

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٢٢ .

(٣) هو عبد الله بن ثعلبة المتقدم.

(٤) هو عبادة بن الخشخاش ويقال له أيضاً: عبَّاد، وتقدم عند المصنف باسم عبادة بن الخشخاش. انظر «الإصابة» ٢/ ٢٦٨ .

(٥) ذكره ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٤١ .

(٦) ذكره ابن سعد ٤/ ٣٧٤ .

قال أبو طلحة: نظرت إلى عمرو حين انكشفت الناس، ثم ثابوا وهو في الرعيل الأول، وهو يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنة، ورأيتُ ابنه خَلاّداً يعدو في أثره، فقتلا جميعاً.

ودفن عمرو وعبد الله بن عمرو بن حَرَام في قبر واحد، فأخرب السيل قبريهما، فحُفِرَ القبر ليعبرَ عنهما[1] فإذا بهما لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس. وكان أحدهما قد جُرِح فوضع يده على جُرحه، ودفن كذلك، فأميطت يده عن جرحه، ثم أرسلت فعادت كما كانت، وكان بين حفر القبر ويوم أحد سِتٌّ وأربعونَ سنةً.

عمرو بن قيس بن زيد بن غَنْم، من الطبقة الأولى من الأنصار، قتله نوفل بن معاوية الدِّئلي.

عمرو بن قيس بن مالك أبو حرام النجاري، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمه: النَّجود بنت الأسود.

عمرو بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس أبو عثمان، من الطبقة الأولى من بني عبد الأشهل من القواقلِ، وأمه: كَبْشَةُ بنتُ رافع، وهي أم سعد بن معاذ، وآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين عُمير بن أبي وقاص، قتله ضِرار الفِهْري وله ثلاثون سنة.

عمرو بن مُطَرِّف بن عمرو، وقيل: ابن علقمة، أنصاري.

عمارة بن زياد.

عنترة مولى سليم بن عمرو.

قُرَّة بن عُقبة بن قُرَّة، من حلفاء بني عبد الأشهل.

قَوْقَل بن عبد الله[2].

قيس بن عمرو بن قيس النجاري، من الطبقة الأولى من الأنصار.

قيس بن مُخَلَّد بن ثعلبة، أنصاري من الطبقة الأولى من بني النجار، شهد بدراً.

---

(١) جاءت العبارة في «الطبقات» ٤/ ٣٧٧ : فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا.

(٢) هكذا جاء في النسخ: «قوقل»، ولم نقف له على ذكر بين الصحابة.

كيسان مولى الأنصار، وقيل: مولى بني مازن، والأصح أنهما اثنان[١].

مالك بن ثعلبة بن دعد الخزرجي[٢].

مالك بن خلف بن عوف، من الطبقة الثانية من المهاجرين من بني دارِم، وكان هو وأخوه النعمان بن خلف طليعتين للنبي ﷺ يوم أحد، فقتلا، قتل النعمانَ صَفوانُ بن أُمية.

مالك بن سنان بن ثعلبة أبو أبي سعيد الخدري، ومالك من الطبقة الثانية من الخزرج، وهو الذي شرب من دم رسول الله ﷺ يوم أحد لمّا نزعوا المِغْفَر عن وجهه، ولم يزل مالك يدافع عن رسول الله ﷺ حتى حمل عليه غُراب بن سفيان الكِناني، فأنفذه. ولما رجع رسول الله ﷺ من أحد، تلقاه أبو سعيد فعزّاه في أبيه.

مالك بن عمرو بن ثابت بن كُلْفة بن ثعلبة بن عمرو بن عوف.

مالك بن نُمَيْلة وهي أمه، وأبوه ثابت المزني. ومالك من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً، وذكره ابن سعد في شهداء أحد[٣].

المجذَّر بن ذياد بن عمرو البَلَوِيّ، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً، وذكره ابن سعد في شهداء أحد[٤]، قُتل يوم أحد غِيلةً، وكان قد قَتَلَ سويد بن الصامت في الجاهلية، وسببه: أن حُضَيْرَ الكتائب استزارَ عدة من بني عمرو، منهم سويد بن الصامت، وخوّات بن جبير، وأبو لبابة بن عبد المنذر، والمجذَّر، فأقاموا عنده ثلاثاً ثم انصرفوا، وكان سويد بن الصامت قد ثَمِلَ من الخمر، فجلس يبول، وكان الشرُّ بين الأوس والخزرج مستعراً، فقتله المجذَّر، وذلك الذي أهاج وقعة بُعاث[٥].

---

(١) انظر «الإصابة» ٣/ ٣١٠.

(٢) لم نجد له ذكراً بين الصحابة، ولعله هو: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد، وسيأتي عند المصنف بعد قليل. انظر «الطبقات» ٣/ ٥٠٧، و«الإصابة» ٣/ ٥٦٥.

(٣) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٣٦.

(٤) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥١٢.

(٥) أنساب الأشراف ١/ ١٤٥، والمغازي ١/ ٣٠٣.

وكان لسويد ابنٌ يقال له: الحارث، فلمّا انقضت وقعة بُعاث وقدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم الحارث والمجذَّر، وشهد المجذَّر بدراً، والحارث يطلب غِرَّته ليقتله بأبيه، فلم يَقْدِر على قتله، فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة، أتاه الحارث من خلفه وهو لا يعلم فقتله، ولما رجع رسول الله ﷺ من حمراءِ الأَسَد، أخبره جبريل عليه السلام، وقال: إنما قتله غِيْلَةً، فاقتُلْه به. فركب رسول الله ﷺ إلى قُباء، وكان يوماً حاراً، وكان لا يأتي قباء إلا يوم السبت والاثنين، فجعلوا ينكرون مجيئه في غير هذين اليومين، واجتمع الناس وطلع الحارث بن سويد في مِلْحفةٍ مُوَرَّسةٍ، فقال رسول الله ﷺ لعُوَيمر بن ساعدة: «قدِّمه إلى باب المسجد فاضرب عُنقه، فقد أخبرني جبريل أنه قتل المجذَّر غِيلةً» فقدمه عويمر فقتله[1].

مصعب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الله القرشي، ويسمى مصعبَ الخير، وفتى مكة شباباً وجمالاً، وأمه: خُناس بنت مالك بن لؤي.

وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً في دار الأرقم بن أبي الأرقم وكتم إسلامه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سرّاً من أبيه وقومه، وكان أبواه يحبانه، فرآه عثمان بن طلحة يصلي، فأخبر أباه فحبسه، فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى الحبشة، وكان من أنعم الناس عيشاً، وأعطرِهم بمكَّةَ قبل أن يسلم، فلما أسلم زهد في الدنيا فتخشَّفَ جلده.

وبعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد البيعة الأولى فكان يُقْرِئُهم القرآن، ويفقههم في الدين، حتى أسلم على يده خلق كثير، ثم قدم مكة مع السبعين فأقام بها قليلاً، ثم قدم المدينة قبل رسول الله ﷺ مهاجراً، وهو أول من قدمها، وأول من جمّع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ، وقيل: أول من جمع أَسعد بن زرارة.

وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: نظر النبي ﷺ إلى مُصعب بن عُمير مقبلاً وعليه إهابُ كبشٍ قد تنطَّق به، فقال رسول الله ﷺ: «انظُروا إلى هَذا الرَّجلِ الذي قد

(١) أخرجه الواقدي في «المغازي» ١/ ٣٠٥، ومن طريقه البيهقي في «السنن» ٨/ ٥٧. وانظر «المنتظم» ٣/ ١٧٧ـ١٧٨.

نَوَّر اللهُ قَلبَهُ، لَقد رَأَيتُه بينَ أَبَوين يَغذُوانِهِ بأَطيبِ الطَّعامِ والشَّرابِ، فَدَعاه حُبُّ اللهِ ورَسولِهِ إلى مَا تَرونَ». فنكس أصحاب رسول الله ﷺ رؤوسهم رحمةً له، وليس عندهم ما يُغيِّرونَ به عليه[١].

وقال محمد بن شرحبيل: حمل مصعبُ بن عمير اللواءَ يومَ أُحُدٍ، فلما جال المسلمون، ثبت مصعب، فأقبل ابن قَمِيئة فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[آل عمران: ١٤٤] وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنى عليه فضربها فقطعها، فحنى على اللواء وضمه بِعَضُدَيْه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه[٢].

وكان مصعب رقيقَ البَشَرةِ، ليس بالطويل ولا بالقصير، وقُتِلَ وهو ابن أربعين سنة أو يزيد شيئاً.

وقال عبد الله بن الفضل: قُتل مصعب فأخذ اللواء مَلَكٌ في صورة مصعب، [فجعل رسول الله ﷺ يقول له في آخر النهار: تقدم يا مصعب] فالتفت إليه الملك وقال: لستُ بمصعب، فعرف رسول الله ﷺ أنه ملك أُيِّد به[٣].

ولما فرغ رسول الله ﷺ من أحد، مرَّ على مصعب فرآه مقتولاً على طريقه، فقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٤][الأحزاب: ٢٣] الآية.

وقال خبَّاب: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم: مصعب بن عُمير، قتل يوم أحد فلم نجد شيئاً نُكَفِّنُه فيه إلا نَمِرَةً كُنّا إذا غطينا بها رأسَه بدت رجلاه، وإذا غَطَّينا رجليه بدا رأسه، فأمر رسول الله ﷺ أن نغطي بها رأسَه، ونجعل الإذْخِرَ على رجليه، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها. أخرجاه في «الصحيحين»[٥].

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٠٨، والبيهقي في «الشعب» (٦١٨٩).
(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ١١٢.
(٣) «الطبقات الكبرى» ٣/ ١١٢، وما بين معقوفين زيادة منه.
(٤) «الطبقات» ٣/ ١١٢-١١٣.
(٥) أخرجه البخاري (٤٠٤٧)، ومسلم (٩٤٠). ويهدبها: يجتنيها.

وكان مصعب من جِلَّةِ الصحابة وسُبَّاقِهم إلى الإسلام والهجرة، وهاجر قديماً، وهاجر إلى الحبشة في أول من هاجر إليها، وشهد بدراً. ولم يشهد بدراً من بني عبد الدار غيره، وكانت له ابنة اسمها زينب وأمها: حَمْنة بنت جحش.

مَعْبَد بن مَخْرَمة بن قِلْع بن حَرِيش، من الطبقة الثانية من بني عبد الأشهل، قتله صفوان بن أمية.

المغيرة بن الحارث بن هشام أبو سفيان، مختلف في صحبته[١].

النعمان بن مالك بن ثعلبة بن عمرو، خزرجي، قتله صفوان بن أمية.

النعمان بن عمرو[٢] من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمُّه السُّمَيراء بنت قيس أنصارية، شهد بدراً.

نوفل بن عبد الله بن نَضْلة، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً، قتله سفيان ابن عُويف.

وهب بن قابوس المزني، قُتِلَ ومعه ابن أخيه **الحارث** بن عقبة بن قابوس، قدما من جبل مُزينة بغَنمٍ لهما إلى المدينة فوجداها خالية، فقالا: أين الناس، فقيل: بأحد، فتشهدا وخرجا مسلمين، وقالا: لا نَسأَلُ أثراً بعد عين، فقاتلا دون رسول الله ﷺ حتى قتلا، فمر بهما رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهم إنِّي قد رَضِيتُ عنهما، فَارْضَ عنهُما». ولم يزل واقفاً على قدميه مع ما به من ألم الجراح حتى دفنهما معاً. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أَحب مَوتةٍ إليَّ أموتها موتةُ المُزَنِيَّيْن[٣].

يزيد بن حاطب[٤] أبو حَيَّة من بني ظَفَر، من الطبقة الثانية من الأنصار، وكان أبوه منافقاً.

---

(١) قال ابن حجر في «الإصابة» ٣/ ٥٢٨: سقط بين المغيرة والحارث عبد الرحمن، كذلك ذكره البخاري في «تاريخه»، وعبد الرحمن بن الحارث له رؤية، وهو والد أبي بكر أحد فقهاء المدينة، والمغيرة هذا أخوه، وكان مولده في خلافة معاوية، ولم يدرك العصر النبوي قطعاً.

(٢) في «الطبقات» ٣/ ٤٨١، و«الإصابة» ٣/ ٥٦٢ اسمه: النعمان بن عبد عمرو.

(٣) «المغازي» ١/ ٢٧٤_٢٧٥، و«الطبقات» ٤/ ٢٣٢.

(٤) ويقال: زيد بن حاطب، انظر «الإصابة» ١/ ٥٦٤.

يزيد بن السَّكَن بن رافع بن امرىء القيس، من الطبقة الثانية من بني عبد الأشهل، وقتل معه ولده عامر بن يزيد.

يسار مولى الهيثم بن التَّيهان.

أبو أيمن مولى عمرو بن الجَموح.

أبو النعمان[١].

أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة، من الطبقة الثانية من الأنصار نجاري، طعنه خالد ابن الوليد فأنفذه، وقال: أنا أبو سليمان.

أبو سفيان بن قيس[٢] بن زيد، من الطبقة الثانية من الأنصار.

فهؤلاء شهداء أحد على اختلافهم. وقال الواقدي: قتل يومَ أحد أربعةٌ من المهاجرين: حمزة، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان. وقيل: وسعد مولى عتبة، وباقي القوم من الأنصار ﷺ أجمعين[٣].

وقد شهد أحداً منافق ويهودي.

فأما المنافق: **فقُزْمان بن الحارث** من بني عَبس، وكان رسول الله ﷺ لما خرج إلى أحد عيَّره النساء، فقلن له: ويحك يا قُزْمان، خرج الناس وبَقيتَ أنت، فخرج شاكٍ في سلاحه، فخرق الصفوف حتى قَتَل من الكفار تسعةً، ونادى: يا معاشر الأوس والخزرج، قاتلوا على الأحساب، ويحمل ويقول: أنا الغلام الظَّفَري، فارْتُثَّ فَمَرَّ به قَتادةُ بنُ النعمان فقال: هنيئاً لك الشهادة. فقال: يا ابن عم، والله ما قاتلت على دينٍ بل على الأحساب والحُرَم، واشتد به ألمُ الجِراحة فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لَيؤيِّدُ هذا الدين بالرجل الفاجر»[٤].

---

(١) في «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٣٢٠ : أبو النعمان بن عبد عمرو، وتقدم عند المصنف أنه النعمان بن عبد عمرو. والله أعلم.

(٢) هو أبو سفيان بن الحارث بن قيس «الطبقات» ٤/ ٢٩٣ .

(٣) «المغازي» ١/ ٣٠٠ .

(٤) «المغازي» ١/ ٢٦٣ ، و«الطبقات» ٤/ ٢٦٩ـ٢٧٠ . وانظر كلام الحافظ عليه في «الفتح» ٧/ ٤٧٣ .

وأما اليهودي: **فمُخَيْريق بن مُحَيْريز**، وكان يوم أحد يوم السبت فلم يلتفت، وأخذ سلاحه وقال: لا سبت، ثم قال: إن أُصِبت فمالي لمحمد ﷺ يصنع فيه ما شاء. ثم جاء إلى أحد فقاتل، فقال رسول الله ﷺ: «مخيريق خيرُ يهود»(١).

وقتل من المشركين نيف وعشرون، منهم حملة اللواء، وأُبي بن خَلَف الجُمَحي، وأبو عَزَّة الشاعر.

ترجمة أُبَيّ: كان يلقى رسول الله ﷺ فيقول له: عندي فرس أعلفها كل يوم فَرْقَ ذُرَة أقتلك عليها. فيقول له رسول الله ﷺ: «أنَا أقْتُلُك إنْ شَاءَ اللهُ تعالى». فلما كان يوم أحد رأى رسول الله ﷺ، فقصده وقال: لا نجوتُ إن نَجوْتَ. فأخذ رسول الله ﷺ الحَربةَ فَخَدَشه في عنقه، فتَدهدى عن فرسه يخور كما يخور الثور، ويقول: قتلني محمد، لو كانت هذه بربيعة ومضر لقتلتهم، فقال له أصحابه: لابأس عليك، إنما هو خَدْش، فقال: أليس قد قال ابنُ أبي كَبْشة: أنا قاتلك؟ والله لو بصَق عليَّ بعد هذه المقالة لقتلني، فمات بسَرِفٍ(٢). فقال حسان بن ثابت(٣): [من الوافر]

لقد وَرِثَ الضلالةَ عن أبيه ... أُبَيٌّ حين بارزَه الرسولُ
أتُقْسِمُ حين تلقاه بأحْدٍ ... وتُوعِدُه وأنت به جَهولُ
وقد قَتَلَتْ بنو النجار منكم ... أميَّة إذ يضيق به السَّبيلُ

وأما **أبو عَزَّة** فإن رسول الله ﷺ كان قد منَّ عليه يوم بدر، فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من أحد، أُخذ أبو عزَّة أسيراً ولم يُؤْسَر غيره، فأمر رسول الله ﷺ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بقتله، فقال: عَفْوَك يا محمد. فقال رسول الله ﷺ: «المُؤمِنُ لا يُلْدَغُ مِن جُحْرٍ مَرَّتين، قد عَفَوتُ عنكَ وهَجَوتَني وأَصحابِي، واللهِ لا أَدَعُكَ تَمسَحُ على لحيتكَ بمكَّةَ وتَقولُ: خَدَعتُ مُحمَّداً وأَصحابَه» فضرب عاصم عنقه(٤).

(١) «السيرة» ٣/ ٣٤.
(٢) «السيرة» ٣/ ٣١، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥١٩_٥٢٠.
(٣) الأبيات في «الديوان» ص ٢٩٦، وانظر «السيرة» ٣/ ٣٢.
(٤) «السيرة» ٣/ ٤٦، و«المنتظم» ٣/ ١٧٣، وقوله: «المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين» أخرجه البخاري

وأنزل الله في قصة أحد آيات من القرآن منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: ١٢١] الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية. ومنها قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ﴾[آل عمران: ١٤٠] الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾[آل عمران: ١٤٣] الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦] الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١] الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٥٥] الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦] الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية.

ولما انصرف أبو سفيان بالمشركين عن أحد طالباً مكة، نادى: موعدكم بدرٌ من قابلٍ. فقال رسول الله ﷺ: «قُولُوا: نَعَم».

ثم دخل رسول الله ﷺ المدينة وقال لعلي عليه السلام: «اتْبَعهُم فانْظُر مَاذَا يَصنَعُونَ؟ فإنِ امتَطوا الإبلَ وأَجْنبوا الخَيْلَ فإنَّهم يُريدُون مكَّةَ، وإن رَكِبُوا الخَيلَ وسَاقُوا الإِبلَ، فإنَّهم يُريدُونَ المدِينَةَ، والذي نَفسِي بِيَده لَئن سَارُوا إليها لأُناجِزَنَّهم فيها».

فقال علي رضوان الله عليه: فخرجت في آثارهم، فأجنبوا الخيل وامتطوا الإبل وساروا نحو مكة، وكان رسول الله ﷺ قد قال لي: «أيُّ ذلك كانَ فأَخْفِه حتَّى تَأتِيَني»، قال: فلما رأيتهم قاصدين مكة، أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم ما أمرني به رسول الله ﷺ من شدة الفرح حيث انصرفوا عن المدينة(١).

= (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) «السيرة» ٣/ ٣٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٧-٥٢٨.

وفيها كانت غزاة حمراء الأسد[١]، وهي عن المدينة بعشرة أميال.

وسببها: أن أبا سفيان لما انصرف من أحد وبلغ الرَّوْحاء، تلاوم هو وأصحابه فقالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعِبَ أردفتم، قتلتموهم حتى إذا لم يبق غير الشريد تركتموهم، ارجعوا إليهم فاستأْصِلوهم[٢].

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يُرْعِبَهم ويُرِيَهم من نفسه ومن المسلمين قُوةً، فندب أصحابه إلى الخروج إليهم.

وكان رسول الله ﷺ لما انصرف من أحدٍ تلك الليلة، بات على بابه وجوهُ الأنصار يحرسونه، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فلما أصبح نادى مناديه: لا يخرجنَّ معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فانتدب الناس على ما بهم من ألم الجراح، وكلَّمه جابر بن عبد الله: يا رسول الله، لم أشهد الحرب معك بالأمس فأذن لي في الخروج معك؟ فأذن له، ولم يخرج معه أحد ممن لم يشهد القتال يوم أحد غيره[٣].

وركب رسول الله ﷺ فرسه وهو مُوْثَقٌ بالجراحات ومعه سبعون رجلاً من أعيان المهاجرين: أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وابن عوف وأبو عبيدة وابن مسعود ﷺ، وغيرهم، وحمل لواءه علي، وقيل: أبو بكر، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وسار حتى بلغ حمراء الأسد وهي على طريق العَقيق متياسرةً عن ذي الحُلَيْفةِ، فوجد القومَ على عزم الرجوع وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك، وبعث رسول الله ﷺ في آثارهم ثلاثةً طليعة لهم فقتلوهم، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بحمراء الأسد فدفن القتلى، وأوقد المسلمون في تلك الليلة خمس مئة نار حتى يُرى ضوؤها من مكان بعيد[٤].

(١) انظر «السيرة» ٣/ ٤٤، و«المغازي» ١/ ٣٣٤، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٤٥، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٠٢، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٣٤، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣١٢، و«المنتظم» ٣/ ١٧٢، و«البداية والنهاية» ٤/ ٤٨.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٠١٧) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ٤٥.

(٤) «الطبقات الكبرى» ٢/ ٤٦.

ومرَّ رسول الله ﷺ في طريقه بمَعْبَدٍ الخزاعي، وكانت خزاعة مسلمُهم وكافِرُهم عَيْبَة[١] رسول الله ﷺ بتهامة لا يخفون عنه شيئاً، ومَعْبَد يومئذ مشرك، فقال له: يا محمد، لقد عزَّ علينا ما أصابك، ولوَدِدْنا أن الله كفاك فيهم فما تأمرنا؟ قال: «تُخَذِّل عنَّا»[٢]. فسار حتى لحق بأبي سفيان فوجده على عَزْم الرجوع إلى حمراء الأسد، فقال له: ما وراءك يا مَعْبَدُ؟ قال: محمد قد خرج في جمع عظيم ما رأيت مثله، وقد اجتمع إليه من كان تخلف عنه بالأمس، وندموا على صنيعهم، وفيهم من الحَنَقِ شيء لم أر مثله قط. فقال: ويحك ما تقول؟ فقال: ما أظنك ترتحل حتى ترى الخيل أو نواصيها، ولقد حملني ما رأيت على أن قلت: [من البسيط]

كادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصواتِ رَاحِلَتي ... إذْ سَالَتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأَبابِيلِ
تَرْدِي بأُسْدٍ كِرامٍ سَادَةٍ فُضُلٍ ... عندَ اللِّقاءِ ولا خُرْقٍ معازيلِ
من جَيشِ أحمدَ لا شيءٌ يماثِلُه ... وليسَ يُوصَفُ ما أَبديتُ بالقِيلِ
وقلتُ: وَيحَ ابن حربٍ من لقائِكم ... إذا أتيتُم بجيشٍ غيرِ مَخذُولِ

فانثنى عزم أبي سفيان وعاد إلى مكة[٣].

وخرج رسول الله ﷺ إلى حمراءِ الأَسَد يوم الأحد سادس عشر شوال، وغاب عن المدينة خمسَ ليال، ولقي أبا عزَّة الشاعر فقتله على ما ذكرنا. وأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾[آل عمران: ١٧٢] الآية.

وفي «الصحيحين»: عن عائشة ﵂ أنها قالت لعروة بن الزبير: يا ابن أختي، كان والله أبوك وأبو بكر الصديق من ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية[٤].

ولقي أبو سفيان ركباً من بني القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: المدينة نَمتار منها. فقال: هل أنتم مُبلِّغون محمداً رسالة، وأُحَمِّلُ لكم إبلَكُم زبيباً بعكاظ غداً إذا

---

(١) العيبة: موضع السر.
(٢) هذا الحديث لم يرد في أي من المصادر في هذه الغزوة، وإنما قالها النبي ﷺ لنعيم بن مسعود في غزوة الخندق كما في «السيرة» ٣/ ١٣٧ .
(٣) انظر «السيرة» ٣/ ٤٤ـ٤٥ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٣٥ـ٥٣٦ .
(٤) البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (٢٤١٨).

وافيتموها؟ قالوا: نعم. فقال: إذا لقيتموه فأخبروه أنا عائدون إليه لنستأصله وأصحابه.

ثم سار إلى مكة ومر ذلك الركب بحمراء الأسد فبلغوا الرسالة، فقال رسول الله ﷺ: «حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ»(١).

فصل وفيها توفي

عثمان بن مَظْعون(٢)

وأمه سُخيلة، وعثمان من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً.

قال يزيد بن رومان: انطلق عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، [وعبد الرحمن ابن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد] وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا في ساعة واحدة، وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

وهاجر عثمان إلى الحبشة الهجرتين، وحرَّم الخَمْرَ في الجاهلية وقال: لا أشرب شيئاً يُذهب عقلي، ويُضْحِكُ بي من هو أدنى مني، ويحملني أن أُنْكحَ كريمتي من لا أريد. فنزل تحريم الخمر في سورة المائدة(٣).

وعثمان خال حفصة بنت عمر رضي الله عنها.

عن ابن شهاب: أن عثمان بن مظعون أراد أن يختصي ويسيح في الأرض، فقال له رسول الله ﷺ: «أَليسَ لك فيَّ أُسوةٌ حَسَنَةٌ، فأَنا أَصومُ وأُفطِرُ، وآكُلُ، وآتِي النِّساءَ، إنَّ خِصَاءَ أُمَّتي الصَّومُ، لَيسَ منِّي من خَصَى واختَصَى»(٤).

ومات عثمان رضي الله عنه في شعبان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: في سنة اثنتين، وهو أول من دُفِنَ بالبقيع من المهاجرين، وقبّل رسول الله ﷺ خَدَّه لما مات، وسماه السلف الصالح، وكان زاهداً مشغولاً بالتعبد.

---

(١) «السيرة» ٣/ ٤٥.

(٢) انظر ترجمته في «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٦٥، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ١٥٣، و«الإصابة» ٢/ ٤٦٤.

(٣) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٦٥، وما بين معقوفين زيادة منه.

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٣٦٦.

وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ دخل على عثمان حين مات فأكبَّ عليه، ثم رفع رأسه وهو يشهق فعرفوا أنه يبكي، ثم قال: «اذهَبْ عنَّا أَبا السَّائبِ، فَقَد خَرجتَ منها ولم تَلتَبِس منها بِشَيءٍ»(١).

وقالت عائشةُ رضوان الله عليها: قبّل رسول الله ﷺ خدَّ عثمان بن مظعون وهو ميت، قالت: فرأيت دموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون(٢).

وقالت أم العلاء: اقتُسمَ المهاجرون قرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون، فمرَّضناه حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه، دخل علينا رسول الله ﷺ فقلتُ: رحمك الله أبا السائب، فشهادتي عليك أن الله أكرمك. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدرِيكِ أنَّ الله أَكْرَمهُ؟» فقالت: لا أدري. فقال: «أَمَّا عُثمان فقد جاءَهُ اليَقينُ، والله إنِّي لأَرجُو له الخَيْرَ، وَواللهِ ما أَدرِي وأَنَا رسُولُ اللهِ ما يُفعَلُ بي» فَواللهِ لا أُزَكي بَعدَه أحداً، فأحزنني ذلك، قالت: فنمت فرأيت لعثمان عيناً تجري، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ذَلِكَ عَمَلُهُ»(٣).

وعن ابن عباس قال: لما مات عثمان، قالت امرأته: هنيئاً لك الجنة. فنظر إليها رسول الله ﷺ نظرة غضبان، قال: «وما يُدرِيكِ؟» قالت: صاحبك. فقال: «إنِّي لَرَسُول اللهِ ومَا أَدرِي ما يُفعَلُ بي ولا بِهِ». فاشتد ذلك على المسلمين حتى ماتت بنت رسول الله ﷺ، فقال: «الْحَقِي بِسَلَفِنا عُثمانَ بنَ مَظْعُونَ»(٤).

ذكر أولاد عثمان:

كان له من الولد: عبد الله(٥)، والسائب، وأمهما خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة، سُلَميّة.

فأما السائب: فهاجر إلى الحبشة المرة الثانية مع أبيه، ثم قدم مكة وهاجر إلى

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٠٥ .
(٢) «الطبقات» ٣/ ٣٦٨ .
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٨٧).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٢٧).
(٥) هكذا ورد في النسخ، والصواب: «عبد الرحمن» كما في «نسب قريش» ص ٣٩٤ ، و«الطبقات» ٣/ ٣٦٥ .

المدينة، وكان من الرماة المذكورين، أصابه سهم يوم اليمامة في خلافة أبي بكر فمات وهو ابن بضع وثلاثين سنة[١]، وولد ولأبيه ثلاثون سنةً.

وقال ابن سعد: كان لعثمان ابنة يقال لها: زينب، تزوجها عبد الله بن عمر بعد وفاة أبيها، زوجه إياها عمها قدامة، فأرغبهم المغيرة بن شعبة في الصَّداق، فقالت أم الجارية: لا تُجيزي، فكرهت الجارية النكاح، وأعلمت رسول الله ﷺ ذلك هي وأمها، فنكحها المغيرةُ بن شعبة[٢].

أسند عثمانُ الحديثَ عن رسول الله ﷺ.



(١) توفي في سنة اثنتي عشرة، وسيذكره المصنف هناك، وانظر «الطبقات» ٣/ ٣٧٢ .

(٢) «الطبقات» ١٠/ ٢٥٥ .

السنة الرابعة من الهجرة

فيها: كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى قَطَنٍ(١)، جبلٍ بالحجاز ناحية قُدَيْد(٢)، في هلال المحرَّم في مئة وخمسين رجلاً يقصد طُليحة وسَلَمة ابني خويلد، وكانا قد جمعا لرسول الله ﷺ فهربا، فساق أبو سلمة نَعَمَها وشاءهما إلى المدينة.

وفيها: كانت سرية عبدِ الله بن أُنَيْس(٣)، في المحرم إلى سفيان بن خلف(٤) الهذلي، وكان ينزلُ بطنَ عُرَنَةَ، وكان قد جمع لرسول الله ﷺ، قالَ عبد الله بن أُنَيس: فقلت: يا رسول الله، صفه لي. فوصفه فأخذت سيفي وقصدته، فلما جئته، قال: مَنِ الرجلُ؟ قلت: من خُزاعة، سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك. فاستحلى حديثي حتى إذا تفرق عنه أصحابه نام، فقتلته فجئت برأسه أحمله، فدخلت غاراً في جبل وجاءت عنكبوت فنسجت على بابه، وجاء الطلب فوجدوا العنكبوت قد سدت على الباب فرجعوا، وجئت برأسه إلى رسول الله ﷺ وقال: «أَفلَحَ وجهُكَ». ودفع إلي عصاة، وقال: «تخصَّر بهذه في الجنة»(٥).

وفيها: كانت قصة بئر معونة(٦)، قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعِب

---

(١) انظر «المغازي» ١/ ٣٤٠، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٤٦، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣١٩-٣٢٠، و«المنتظم» ٣/ ١٩٧، و«البداية والنهاية» ٤/ ٦١.

(٢) هكذا ورد في النسخ: «قديد» والصواب: «فيد» كما في «الطبقات» ٢/ ٤٦، و«معجم البلدان» ٤/ ٣٧٥.

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٦١٩، و«المغازي» ٢/ ٥٣١، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٤٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٥٦، و«المنتظم» ٣/ ١٩٧، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٠٤.

اختلف في تاريخ هذه السرية: فذكرها المصنف في هذه السنة تبعاً لابن سعد، وذكرها الطبري في السنة العاشرة، وقال ابن حبيب في «المحبر» ص ١١٩: إنها في سنة خمس، والله أعلم.

(٤) هكذا وردت في النسخ، والصواب: «خالد» كما في المصادر.

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٤٧-٤٨ و أحمد في «مسنده» (١٦٠٤٧).

(٦) انظر «السيرة» ٢/ ١٨٣، و«المغازي» ١/ ٣٤٦، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٤٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٤٥، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣٣٨، و«المنتظم» ٣/ ١٩٨، و«البداية والنهاية» ٤/ ٧١.

الأَسِنَّة ـ وكان سيد بني عامر بن صعصعة ـ على رسول الله ﷺ المدينةَ في صفَرٍ على رأس أربعة أشهر من أُحد، وأهدى لرسول الله ﷺ هدية، فأبى أن يقبلها وقال له: «يا أَبا بَرَاء، لا أقبلُ هديَّةَ مُشرِكٍ، فإن أردْتَ أن أقبَلَ هديَّتَكَ فأَسْلِم». ثم عرض عليه الإسلام وأخبره بما لَه فيه، وما وعد الله المؤمنين من الثواب، وقرأ عليه القرآن، فلم يسلم ولم يُبعده عن الإسلام، وقال: يا محمد، إن الله أمرك بهذا الذي تدعو إليه، والله إنه لحسن جميل، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، وإلى قومي تدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: «أَخشَى عليهم أَهلَ نَجدٍ». فقال أبو براء: أنا لهم جار إن تعرَّض لهم أحد.

فبعث لهم رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو بن لَوْذان أخا بني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار المسلمين من القُرّاء، فساروا حتى نزلوا بئر مَعُونة ـ وهي أرض بني عامر وحرَّة بني سُلَيم ـ فقال بعضهم لبعض: أيكم يُبَلِّغُ رسالة رسول الله ﷺ أهلَ هذا الماء؟ فقال حَرامُ بنُ مِلْحان: أنا، فخرج بكتاب رسول الله ﷺ وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل، فلما أتاه بالكتاب لم ينظر فيه عامر، فقال حَرَام: يا أهل بئر معونة، إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم فآمنوا بالله ورسوله، فخرج رجل من كَسْرِ البيت برمح فضرب به جنبه، فخرج من الجانب الآخر، فقال: الله أكبر فزت وربِّ الكعبة. ثم استصرخ عامر ابن الطفيل بني عامر على المسلمين، فأَبَوْا أن يُنْجِدوه، وقالوا: أبو براء قد عقد لهم عقداً وجواراً فلا نَخفِرُ ذمَّتَه، فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم عُصَيَّةَ، ورِعْلاً، وذَكْوانَ، فأجابوه وأحاطوا بالقوم، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد، فإنهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق.

وكان في سَرْحِ المسلمين عمرو بن أمية الضَّمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو ابن عوف، فَلم يُنَبِّههما على مصاب أصحابهما إلا الطير يحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذا الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم، والخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟ قال: نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر. فقال الأنصاري: ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو. ثم قاتل القوم حتى قتل، وأُخِذَ عمرو بن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر، أطلقه عامر بن الطفيل، وجزَّ ناصيته وأعتقه عن رقبة، وزعم أنها كانت عن أمه، فقدم عمرو

ابن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال: «هَذا مِن عَمَلِ أبي بَرَاءٍ، والله لقد كُنتُ كارِهاً لهذا مُتَخوِّفاً». وبلغ أبا براء فشق عليه إخفارُ عامرٍ إياه وما أصاب أصحابَ رسول الله ﷺ بسببه وجواره[1].

فقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر بن الطفيل[2]: [من الوافر]

بـنـي أُمِّ الـبَـنـيـن أَلَـم يَـرُعْـكُـم ... وأَنْـتُـم مِـن ذَوائـبِ أَهـلِ نَـجـدِ
تَـهـكُّـمُ عـامـرٍ بـأَبـي بـراءٍ ... لـيُـخـفِـرَه ومـا خَـطـأٌ كَـعَـمْـدِ
أَبُـوكَ أَبـو الـحُـرُوبِ أَبـو بـراءٍ ... وخـالُـكَ مـاجِـدٌ حَـكَـمُ بـن سـعـدِ

وقال كعب بن مالك[3]: [من الوافر]

لَـقَـد طـارَتْ شَـعـاعـاً كـلَّ وَجـهٍ ... خِـفـارةُ مـا أَجـازَ أَبـو بَـراءِ
بَـنـي أُمِّ الـبـنـيـن أَمـا سَـمـعـتُـم ... دُعـاءَ الـمـسـتَـغـيـثِ مـعَ الـمـساءِ
وتـنـويـه الـصَّـريـخِ بـلَـى ولـكـنْ ... عَـرَفـتُـم أَنَّـه صَـدقُ الـلِّـقـاءِ

قال: فلما بلغ ربيعةَ بنَ أبي بَراءٍ قولُ حسانَ وكعبٍ، حمل على عامر بن الطفيل فطعنه، فخرَّ عن فرسه فقال: هذا عمل أبي براء، إن مت فدمي لعمي لا يُتَّبعُ به، وإن أعش فسأرى فيه رأيي[4].

وقال أنس بن مالك: فأنزل الله في شهداء بئر معونة قرآناً: (بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه) ثم نسخت بعد ما قرأناها زماناً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٦٩] الآية[5]. هذا كلام الثعلبي.

ولما أطلقوا عمرو بن أمية الضمري، خرج قاصداً إلى المدينة، حتى إذا كان بالقَرْقَرة من صدر قناة، أقبل رجلان من بني عامر فنزلا تحت شجرة وناما وكان معهما عَقْدٌ وجِوارٌ من رسول الله ﷺ لم يعلم به عمرو، وكان قد سألهما: من أنتما؟ فقالا:

(١) النقل عن «السيرة»٢/ ١٨٣ـ١٨٤ .
(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٤٨ ، والسيرة ٢/ ١٨٧ .
(٣) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٤٨ـ٥٤٩.
(٤) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٤٩ .
(٥) أخرجه البخاري (٢٨١٤)، ومسلم (٦٧٧) ولم يذكر الآية الناسخة، وانظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٥٠ .

من بني عامر. فلما ناما قتلهما عمرو وهو يرى أنه قد أصاب ثأراً ممن قتل أصحابه، ثم قدم على رسول الله ﷺ فأخبره، فودى الرجلين الذين قتلهما عمرو.

ذكر أعيان شهداء بئر معونة:

أمير السرية: **المنذر بن عمرو** بن لَوْذان من الطبقة الأولى من الخزرج، وأمه هند بنت المنذر من بني سَلِمَةَ، وكان يكتب في الجاهلية بالعربية، شهد العقبة مع السبعين، وهو أحد النقباء الاثني عشر، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين طُلَيْب بن عُمَيْر، وشهد المنذر بدراً وأحداً، ولما بلغ رسول الله ﷺ خَبَرُه، قال: «مَشَى إلى الموتِ فاعتَنَقَه وهو يَعرِفُهُ»[١].

عامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وهو أخو عائشة رضي الله عنها لأمها أم رومان، وكنيته أبو عمرو، واشتراه أبو بكر فأعتقه، وكان يعذَّب في الله بمكة، من المستضعفين، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً قبل أن يدخلَ رسولُ الله ﷺ دارَ الأرقم، وهاجر مع رسول الله ﷺ، وكان يرعى الغنم لمّا كان رسول الله ﷺ في الغار، وشهد بدراً وأحداً، وقتل ببئر معونة وهو ابن أربعين سنة.

وقال عروة: كان عامر بن الطفيل يقول: من منهم الرجل الذي لما قتل رأيته قد رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه؟ قالوا: عامر بن فهيرة[٢].

وطعنه جَبَّار بن سُلمى فأنفذه، فقال: فزت ورب الكعبة. فقال جبار: فما معنى هذا؟ قالوا: الجنة، فأسلم جَبَّار.

وقال الزهري: بلغني أنهم التمسوا جسده فلم يقدروا عليه، فيرون الملائكة دفنته[٣].

الحكم بن كَيْسان مولى بني مخزوم، من الطبقة الأولى من المهاجرين[٤]، أسر في

---

(١) «الطبقات» ٣/ ٥١٤.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٩٣).

(٣) «الطبقات» ٣/ ٢١١-٢١٢.

(٤) عده ابن سعد في الطبقة الثانية من المهاجرين، «الطبقات» ٤/ ١٢٨.

العير التي أخذها عبد الله بن جحش بنخلة، فلما قدم على رسول الله ﷺ أسلم وحسن إسلامه.

وهب بن سعد بن أبي سَرْح أخو عبد الله، من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأمهما مُهانة بنت جابر من الأشعريين، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سُويد بن عمرو، فقتلا جميعاً ببئر معونة(١).

حَرام بن مِلْحان النجَّاري من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه مُلَيْكةُ بنت مالك نجارية، هو خال أنس بن مالك، وقتل معه في ذلك اليوم أخوه سليم بن مِلْحان، شهد حَرامٌ العقبة مع السبعين وبدراً وأحداً.

خالد بن ثابت بن النعمان، من الطبقة الثانية من الأنصار، ظَفَري شهد أحداً.

الحارث بن الصِّمة بن عمرو أبو سعد، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه تُماضِر بنت عمرو بن قيس عَيلان، وهو الذي كُسِرَ بالرَّوْحاءِ لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، فضَربَ له بسهمه وأجره، وبايع رسول الله ﷺ على الموت يوم أحد، وقَتَلَ يومَ أحدٍ عِتبانَ بنَ المغيرة المخزومي(٢)، وأخذ سلبه ولم يُسْلَبْ سواه، وللحارث عقب بالمدينة وبغداد، وقتل ولده سعيد بن الحارث مع علي عليه السلام بصفين(٣).

عبد الله **بن قيس** بن صِرْمة الأنصاري، من الطبقة الثانية من بني النجار، وأمه زينب بنت قيس، شهد أُحداً.

سعد بن عمرو بن ثَقْف، من الطبقةِ الثانية من الأنصار، شهد أُحداً ولم يُعْقِب.

الضحَّاك بن عبد **عمرو** بن مسعود، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه السُّميراء بنت قيس أشهلية، شهد بدراً وأحداً.

قُطبة بن عبد عمرو بن مسعود أخو الضحاك لأبويه، شهد أحداً.

---

(١) جاء في «الطبقات» ٣/ ٣٧٧ ، و«الإصابة» ٣/ ٦٤٢ ، أنهما قتلا يوم مؤتة، وعد ابن هشام وهب بن سعد في شهداء مؤتة . «السيرة» ٢/ ٣٨٨ .

(٢) هكذا هو في النسخ، وفي «الطبقات» ٣/ ٤٧١ : عثمان بن عبد الله بن المغيرة.

(٣) «الطبقات الكبرى»٣/ ٤٧١ .

مسعود بن سعد بن قيس، من الطبقة الثانية من بني زُرَيْق من الأنصار، شهد أحداً[١].

معاذ بن ماعِص بن قيس بن خَلْدة من بني زُرَيْق، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه من أشجع، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سالم مولى أبي حذيفة.

وفيها: كانت سرية مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوي إلى الرَّجِيع[٢]، وكانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مهاجرته ﷺ.

قال أبو هريرة: قدم رَهْطٌ من عَضَلٍ والقارةِ على رسول الله ﷺ بعد أُحد، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً وخيراً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يُفَقِّهونا في الدين، ويُعلِّمونا القرآنَ والشرائعَ، فبعث معهم رسول الله ﷺ نفراً ستةً من أصحابه: مَرْثَد الغَنَوي حليفَ حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن البُكَيْر حليف بني عدي بن كعب، وعاصمَ بنَ ثابت بن أبي الأَقْلح أخا بني عمرو بن عوف، وخبَيْبَ بنَ عدي أخا بني جَحْجَبى بن كُلْفة بن عمرو بن زيد[٣] بن عوف، وزيدَ بن الدَّثِنَة أخا بني بَيَاضة بن عامر، وعبد الله بن طارق حليفاً لبني ظَفر، ويقال: ومُعتِّب بن عبيد، وأمَّر عليهم مَرثد بن أبي مَرثد.

فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع ـ ماء لهُذَيل بناحية الحجاز بين أرض بني عامر وحَرَّةِ بني سُليم ـ غَدروا بهم واستصرخوا عليهم هُذيلاً، فلم يَرُعهم إلا وقد غشيهم القوم بالسيوف، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا: إنا لا نريد قتالكم، ولكن نريد أن نصيب بكم من أهل مكة شيئاً، ولكم علينا عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

فأما مَرْثَدُ بن أبي مَرْثَد، وخالدُ بن البُكير، وعاصمُ بن ثابت، فقالوا: والله لا نقبلُ من مشركٍ عهداً. وقاتلوهم حتى قُتِلوا جميعاً.

وأما زيدُ بنُ الدَّثِنَة، وخُبَيْبُ بن عدي، وعبدُ الله بن طارق فرغبوا في الحياة وأعطَوْا

---

(١) وشهد بدراً أيضاً، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى «الطبقات» ٣/ ٥٥١.

(٢) «السيرة» ٢/ ١٦٩، و«المغازي» ١/ ٣٥٤، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٥١، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٣٨، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣٢٣، و«المنتظم» ٣/ ٢٠٠، و«البداية والنهاية» ٤/ ٦٢.

(٣) ليس في نسبه «زيد» وانظر «جمهرة أنساب العرب» ص ٣٣٠.

بأيديهم. فأُسِروا، فلما وصلوا إلى مَرِّ الظَّهْران، انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران، ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه بمرِّ الظهران، وقدموا بخُبَيْبٍ وزيدٍ إلى مكة فباعوهما، فأما خُبيب فابتاعه حُجَيْرُ بن أبي إهاب التميمي أخو الحارث بن عامر لأمه ليقتله الحارث بن نوفل، وكان خُبيب قتل عامراً يوم بدر فقتله به، وأما زيد بن الدَّثِنة فقتله صفوان بن أمية(١).

ذكر ترجمة عاصم:

واسم أبي الأَقلح قَيْسُ بن عِصْمَة بن مالك من بني ضُبيعة، وكُنيَةُ عاصمٍ: أبو سليمان، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه الشَّموس بنت أبي عامر الراهب، وأمها عُميرة بنت الحارث، شهد عاصم بدراً وأحداً، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد لما انهزم الناس عنه، وبايعه على الموت، وكان من الرماة المذكورين، وقتَلَ يومَ أحدٍ أصحابَ اللواء مُسافعاً والحارث، وكانت سُلافةُ بنت سعد أُمُّهما نَذَرَتْ أن تشربَ الخمر في قِحْفِ عاصم، وجعلت لمن جاء برأسه مئة ناقة، فلما قال المشركون: إنا لا نريد قتلكم، قال عاصم: أما أنا فلا أقبل جوار مشرك. وجعل يقاتلهم حتى فني نَبْلُه، ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه، فقال: اللهمَّ إني حميت دينك أول النهار، فاحم لحمي آخره، فجرح رجلاً وقتل واحداً وقتلوه، وأرادوا أن يَحزوا رأسه، فبعث الله الدَّبْرَ فحمته، ثم بعث الله سيلاً في الليل فحمله، وكان قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك تنجساً منه. فلهذا أكرمه الله باحتمال السيل إياه، فكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول: عجباً لحفظ الله العبد في حياته وبعد مماته.

وكان لعاصم ولد اسمه محمد، وأمه هند بنت مالك، ومن ولد محمدٍ الأحوصُ الشاعرُ، وهو عبد الله بن محمد بن عاصم(٢).

خالد بن البُكَيْر بن عبدِ يَا ليل بن كِنانة شهد بدراً وأحداً، وقتل في هذا اليوم، وله أربع وثلاثون سنة.

---

(١) «السيرة» ٢/ ١٦٩ـ١٧١.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٢٨.

خُبَيْب بن عدي الأنصاري من بني عمرو بن عوف، من الطبقة الأولى من الخزرج، لما أُسر على ما تقدم، وقدم مكة ابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف. وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستَحِدَّ بها فأعارته، فدرج لها ابنٌ صَغيرٌ وهي غافِلَةٌ عنه حتى أتاه، فأخذه فوضعه على فخذه والموسى بيده، ففزعت المرأة فَزْعةً عرفها خُبيب وقالت: أصاب الرجلُ واللهِ ثأرَه. فقال خُبيب: أتحسبين أَني أقتله؟ قالت: نعم. فقال: ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله، ليس الغَدْرُ من شأنِنا. وكانت المرأة تقول: والله ما رأيت أسيراً قط مثلَ خُبَيْب، لقد رأيته يوماً يأكل قِطْفاً من عنب في يده، وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لرزق الله ساقه الله إليه، وإنه لمُوْثَقٌ في الحديد. فلما خرجوا به من الحَرَم ليقتلوه في الحِلِّ، قال لهم: دعوني أصلي ركعتين. فتركوه، فركع ركعتين وقال: والله لولا يحسبوا أن ما بي جَزَعٌ من الموت لزدت ثم قال: [من الطويل]

ولستُ أُبالي حين أُقْتَلُ مُسلِماً ... على أي جَنْبٍ كان في الله مَصْرَعي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ على أَوصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قال: اللهمَّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدَداً، ولا تبق منهم أحداً. فقام إليه عقبة بن الحارث وكنيته أبو سِرْوَعةَ فقتله، وكان خُبَيْبٌ هو الذي سنَّ الصلاة لكل مسلم قُتِلَ صَبْراً. وأَخبرَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه يومَ أُصيبوا خَبَرهم(١).

ثم أسلم أبو سِرْوعة بعد ذلك وحسن إسلامه.

وقال سعيد بن عاصم: شهدت مصرعَ خُبيب، وقد بَضَعَت قريشٌ لحمَه وحملوه على جِذْع، وقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي، وأن محمداً شِيكَ بشوكة، ثم نادى: وامحمداه، فقتلوه رضي الله عنه(٢).

وعن جعفر بن أمية، عن أبيه قال: بعثني رسول الله ﷺ وحدي عيناً إلى قريش، فجئت إلى خشبة خُبَيْب وأنا أتخوف العيون فَرَقِيتُ فيها، وحَلَلْتُ خُبيباً فوقع إلى الأرض، فانتبذت غير بعيد، ثم التفتُّ فلم أر خبيباً وكأنما ابتلعته الأرض، فلم ير

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٤٦.

لخُبَيْبٍ أثرٌ حتى الساعة[(١)].

زيد بن الدَّثِنة بن معاوية، من الطبقة الثانية من الأنصار شهد أحداً، واشتراه في هذه السرية صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فأخرجه إلى التنعيم، ثم قام إليه نِسطاس غلامُ صفوان فقتله رضي الله عنه[(٢)].

* * *

وفيها كانت سرية عمرو بن أمية الضَّمْري إلى مكة ليقتل أبا سفيان في ربيع الأول[(٣)].

* * *

وفيها كان إجلاءُ بني النَّضِير[(٤)]، في ربيع الأول، وهم حيٌّ من يهود خَيبر، دخلوا في العرب وهم على نسبهم إلى هارون عليه السلام، وسبب إجلائهم: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، صالحته اليهود على أن لا يقاتلوه ولا يظاهروا عليه، فلما ظهرَ يومَ بدرٍ على الكفار قالت النضير: هذا هو النبي المبعوث الذي لا تُردُّ له راية، فلما جرى يومَ أحد ما جرى ارتابوا، ونافقوا، وأظهروا العداوةَ لرسول الله ﷺ، وقالوا: لو كان هذا نَبياً ما جرى عليه ما جرى، وأجمعوا على الفتك به، فبعثوا إليه أنِ اخرج في ثلاثين من أصحابك، ويخرج منا ثلاثون حَبْراً حتى نلتقي بمكان كذا، وهو نَصَفٌ بيننا وبينك، فيسمعوا منك، فإن آمنوا آمنا كلّنا.

فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرجوا هم في ثلاثين حَبْراً، فلما

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٢٥٢) من حديث عمرو بن أمية الضمري.

(٢) «السيرة» ٢/ ١٧٢.

(٣) «السيرة» ٢/ ٦٣٣، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٩٠، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٤٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣٣٣، و«المنتظم» ٣/ ٢٦٥، و«البداية والنهاية» ٤/ ٦٩. وذكرها ابن الجوزي وابن كثير في حوادث السنة السادسة.

(٤) «السيرة» ٢/ ١٩٠، و«المغازي» ١/ ٣٦٣، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٥٣، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٥٠، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ١٧٦ و٣٥٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٣٨-١٣٩، و«المنتظم» ٣/ ٢٠٣، و«البداية والنهاية» ٤/ ٧٤.

أصحروا قالوا: كيف نخلُصُ إليه ومعه ثلاثون من أصحابه، وكل واحدٍ منهم يحب أن يموتَ قبله، فأرسلوا إليه: اخرُجْ في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك في ثلاثة من علمائنا، فإن الكثرة تمنع السماع، فخرجوا في ثلاثة نفر، وخرج في ثلاثة، وكانوا قد اشتملوا على الخناجر المسمومة ليقتلوه، فأرسلت امرأة من اليهود إلى أخيها وكان مسلماً من الأنصار، فأخبرته بما عزموا عليه، فسبقهم إلى رسول الله ﷺ فساره بذلك، فرجع من الطريق، فلما كان من الغد غدا عليهم بالكتائب فحاصرهم[(١)].

وقال الواقدي: وكان السبب في ذلك أن عامر بن الطُّفَيل بعث إلى النبي ﷺ يقول: إنكم قتلتم رجلين لهما منكم جِوارٌ وعَهْد، فابعث إلينا بدِيَتِهما - يريد اللَّذَيْنِ قتلهما عمرو بن أمية الضَّمْري عند مرجعه من بئر مَعونة - فانطلق رسول الله ﷺ إلى قُباء، ثم مال إلى بني النَّضير يستعين بهم في دِيَة الرجلين - وكان بين بني عامر وبني النَّضير حِلفٌ وعَقْد -، وكان معه أبو بكر وعمر وعلي وأسيد بن الحضير ﷺ، فلما استعان رسول الله ﷺ ببني النضير قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك بما أحببت.

ثم خلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا محمداً على مثل هذه الحالة - وكان رسول الله ﷺ جالساً إلى جانب دار من بيوتهم -، فقالوا: مَن يعلو هذا الجدار فيرمي عليه صخرة فيقتله ونستريح منه، فانتدب لذلك عمرو بن جِحَاشٍ، فقال سلَّام بن مِشْكَم: لا تفعلوا فوالله ليُخْبَرَنَّ بما قد عزمتم عليه، وأخذ عمرو الصخرة وعلا على الجدار، فأتى رسولَ الله ﷺ الخَبرُ من السماء، فقام من مكانه، وعاد إلى المدينة وأخبر أصحابه بما عزموا عليه، وتهيأ لحربهم، وكانت منازلهم بناحيةِ الغَرْسِ وما والاها، مقبرة بني خَطْمةَ اليوم، وخرج رسول الله ﷺ إليهم يوم السبت في ربيع الأول، وحمل لواءه علي ﷺ، واستخلف على المدينة ابنَ أُمِّ مَكتوم وسار في المهاجرين والأنصار، فتحصَّنوا بالحصون، ورَمَوه بالنَّبْل والحجارة، فقاتلهم، وقطع نخلهم وحَرَّق، ثم أرسل إليهم محمد بن مسلمة يقول: قد نقضتم العهد، وهممتم بالغدر، فاخرجوا من بلادي ولا تساكنوني أبداً.

فلما بلّغ محمدٌ الرسالة قالوا: يا محمد، ما ظننا أن يجيئنا بمثل هذه الرسالة رجل

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣٣)، وأبو داود (٣٠٠٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٧٦ .

من الأوس، فقال محمد: محا الإسلام العهود وغيَّر القُلوبَ، فقالوا: نعم نتحمَّل إلى غير هذه البلاد.

فأرسل إليهم عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول: لا تخرجوا فإنَّ معي من العرب ومن قومي ألفين، وأنا واصلٌ إليكم وداخل معكم حصونكم، وقُرَيْظة داخلون معي.

وبلغ ذلك كعب بن أسيد صاحب عهد بني قريظة، فقال: لا والله لا ينقض العهد رجل من قريظة وأنا حي، فقال سلام بن مِشْكَم لحُيَيّ بن أخطب: يا حُيي، اِقْبل ما قال محمد، فأبى عليه وقال: لا ندع ديارنا وأموالنا، فاصنع ما بدا لك، فرجع محمد بن مسلمة إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فكبَّر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون، فحاصرهم خمس عشرة ليلة، وقيل: ست ليال، ثم خذلهم حُلفاؤهم بنو غطفان وعبد الله بن أُبَيّ بن سلول، فيئسوا من النصر، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه الصُّلح على حَقْن دمائهم وله الحَلْقَةُ والمالُ، وأن يُسَيِّرهم إلى أذْرِعاتِ الشامِ، ويجعلَ لكل ثلاثةٍ منهم بعيراً(١).

وقال الزهري: إنما صالحهم على ما أقلَّتِ الإبل من شيء إلا الحَلْقة، فخرج رؤساؤهم إلى خيبر وهم: حيي وجُدَيٌّ وأبو ياسر ومالك بنو الأخطب، وسلاّم بن مِشْكَم، وكنانة بن الربيع، وسلام بن أبي الحُقَيْق، فأقاموا بخيبر، وتوجه الباقون إلى أذرعات الشام(٢).

قال ابن إسحاق: وكانت أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث شاء، فقسمها في المهاجرين الأولين دون الأنصار إلّا سهلَ بنَ حُنَيْف، وأبا دُجانة سِماكَ بنَ خَرَشَة، والحارثَ بن الصِّمة، فإنهم شكوا إلى رسول الله ﷺ فقراً وفاقة، فأعطاهم منها، ولم يُسلم من بني النضير سوى يامينِ بنِ عُمَيْر بن كعب وأبي سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما(٣).

وكان في أموال بني النضير خمسون دِرعاً، وخمسون بيضة، وثلاث مئة وأربعون

(١) «المغازي» ١/ ٣٦٤-٣٧٥.
(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٥٤.
(٣) «السيرة» ٢/ ١٩٢، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٥٤-٥٥٥.

سيفاً، ولم يخمِّسها ولم يقسمها، وكانت حُبْساً لنوائبه، ونفقة أهله سنة، وما فَضَلَ جعله في سبيل الله[١].

قال ابن الكلبي: أعطى رسول الله ﷺ منها تبرعاً أبا بكر بئر حجر، وعمر بئر جرم، والزبير البُويرة، وعبد الله بن عبد الله بن أبي حَزْناً[٢]. وحَزِنَ المنافقون وابنُ أُبي عليهم حُزْناً كثيراً.

قال عكرمة: ولما سار رسول الله ﷺ إليهم وجدهم يبكون وينوحون على سيدهم كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد، واعية على أثر واعية، وباكية على أثر باكية؟ قال: «نعم أنتم قومٌ غُدُر فُجُر». فقالوا: ذَرْنا نبكي شَجْوَنا، ثم ائتمر بأمرك، فقال: «اخرجوا من جواري»، فقالوا: الموت أهون علينا من فراق أوطاننا وأموالنا، وتَنادَوا بالحرب، ودربوا الأزقة وحصَّنوها، وقاتلوا رسول الله ﷺ، ثم صالحوه ونزلوا على حكمه كما ذكرنا.

وأنزل الله تعالى سورة الحشر بأسرها في بني النَّضير.

غزاة بدر الصغرى للموعد[٣]

خرج رسول الله ﷺ من المدينة في شعبان، وقيل: في شوال، لموعد أبي سفيان في ألف وخمس مئة من المسلمين، وعشرة أفراس، وسلاحٍ كثيرٍ وعدة. وخرج أبو سفيان من مكة في ألفين ومعه خمسون فرساً، فبلغ عُسْفان، وقيل: مَجَنَّة، وقيل: مَرَّ الظهران.

وأقام رسول الله ﷺ ببدر ينتظر أبا سفيان، فمر به مَخْشِيُّ بن عمرو الضَّمري، فقال

(١) «المغازي» ١/ ٣٧٧ـ٣٧٨.

(٢) النص في «الطبقات» ٢/ ٥٥: فكان ممن أعطى ممن سُمي لنا من المهاجرين أبو بكر الصديق بئر حجر، وعمر بن الخطاب بئر جرم، وعبد الرحمن بن عوف سوالة، وصهيب بن سنان الضراطة، والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البويلة، وسهل بن حنيف وأبو دجانة مالاً يقال له مال ابن خرشة. وانظر «المغازي» ١/ ٣٧٩ـ٣٨٠، وليس فيه ذكر عبد الله بن عبد الله بن أبي.

(٣) «السيرة» ٢/ ٢٠٩، و«المغازي» ١/ ٣٨٤، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٥٥، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٠٤، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٥٩، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣٨٤، و«المنتظم» ٣/ ٢٠٤، و«البداية والنهاية» ٤/ ٨٧.

له: يا محمد، أجئت للقاء قريش؟ قال: «نَعَم، وإن شِئتَ يا أخَا ضَمْرةَ رَدَدْنا إليك ما كانَ بينَنَا وبينَكَ، ثم جَالدْناكَ حتى يَحكُمَ اللهُ بينَنا وبينَكَ» فقال: لا والله يا محمد ما لي بذلك من حاجة(١).

وقال الواقدي: كانت هذه الغزاة في ذي القعدة، وكان نُعيم بن مسعود قد اعتمر، فلما قدم مكة للعمرة، قال له أبو سفيان: من أين؟ قال: من يثرب قال: هل رأيت لمحمد حركة؟ قال: نعم تركته على تعبئة لغزوكم، وذلك قبل أن يسلم نُعَيْم. فقال له أبو سفيان: ونحن قاصدوه. ثم خرج إلى مَرِّ الظهران، وقال لنعيم: هل لك في عشر قلائص يضمنها لك عني سُهيل بن عمرو، وترجعَ إلى يثرب فتُثَبِّطَهم عنا، فإن هذا عامُ جَدْبٍ ولا يُصْلِحُنا إلا عامٌ غَيْداق ـ أي: خصيب ـ فرجع نُعيم إلى المدينة ورسول الله ﷺ على عزم الخروج، فجعل يُثَبِّط الناس: ألم يُجْرَحْ محمدٌ في نفسه؟ ألم يُقْتَل أصحابُه، وبلغ رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده لو لم يخرج معي أحد، لخرجت بنفسي».

ثم خرج وخرج معه المسلمون، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وخرج التجار بتجاراتهم، وكان بدر سوقاً يقام في كل سنة، ولما نزل رسول الله ﷺ بدراً، وبلغ أبا سفيان، ألقى الله في قلبه الرعب وقال: كانوا يوم أُحد شِرْذِمةً يسيرة وقد جاؤونا بالحد والحديد. فرجع إلى مكة(٢)، وأنزل الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١] الآية، وأنزل الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾[آل عمران: ١٧٣] الآية.

وفيها: ولد الحسين بن علي رضي الله عنه(٣)، لخمس ليال خَلَوْنَ من شعبان، وكان بين عُلوقِ فاطمةَ عليها السلام بالحسين عليه السلام ومولد الحسن عليه السلام خمسون يوماً، وأذَّن رسول الله ﷺ في أُذُنِه وعَقَّ عنه، كما فعل بالحسن عليه السلام.

---

(١) «السيرة» ٢/ ٢١٠.

(٢) «المغازي» ١/ ٣٨٥ـ٣٨٨.

(٣) انظر «الطبقات» ٦/ ٣٩٩، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٥٥، و«المنتظم» ٣/ ٢٠٤، و«البداية والنهاية» ٤/ ٩٠.

قالت أم الفضل: قلت: يا رسولَ الله، رأيتُ في منامي كأن في حِجْري عضواً من أعضائك، قال: «تَلِدُ فاطمةُ إنْ شَاءَ اللهُ غُلاماً فَتَكفلينَهُ»، فولدت حسيناً، فدفعته إليها، فأرضعته بلبن قُثَم. قالت: فأتيت به النبي ﷺ أزورُه، فأخذه فوضعه في حِجْره، فبال فأصاب إزاره، فقلت بيدي بين كتفيه، فقال: «أَوجَعْتِ ابْني أَصلَحَكِ اللهُ». فقلتُ: أَعطِني إزارك أغسِلْه، فقال: «إنَّما يُغسَلُ بَولُ الجارِيَة ويُصبُّ على بَولِ الغُلامِ». ثم دعا بماء فحدره عليه حَدْراً[(١)].

وفيها: تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة ﵂[(٢)]، واسمها هند بنت أبي أمية، ودخل بها في شوال، ولما انقضت عِدَّتُها، بعث إليها رسولُ الله ﷺ فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ وبرسوله، أَخْبر رسول الله ﷺ أني امرأةٌ غَيْرى وأني مُصْبِيَةٌ، وأنه ليس أحدٌ من أوليائي شاهداً، فبعث إليها رسول الله ﷺ: «أما قولك: إنك مُصْبية، فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إني غيرى، فسأدعو الله أن يذهب غَيْرتك، وأما الأولياء، فليس منهم أحد شاهد أو غائب إلا سيرضى بي» فقال[(٣)]: يا عمر، قم فزوِّج رسول الله ﷺ، فزوَّجه. ثم قال رسول الله ﷺ: «أَمَا إنِّي لم أنقُصكِ عمَّا أَعطَيتُ فُلانةً»ـ وكان قد أعطى فلانة، جَرَّتينِ تضعُ فيهما حاجتها، ورَحًى، ووِسادةً من أَدَمٍ حشوها لِيفٌ ـ ثم انصرف رسول الله ﷺ[(٤)].

وقد أخرج مسلم عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِن مُسلِمٍ تُصيبهُ مُصيبةٌ، فيقولُ ما أَمَرَ اللهُ به: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ اللهمَّ أجُرْني في مُصيبَتِي واخلُفْ لي خَيراً مِنها، إلا أَخلَفَ اللهُ عليه خَيراً منها، وآجَرَه في مُصيبَتِهِ». قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أيُّ المسلمينَ خيرٌ من أبي سلمةَ، أَوَّلُ بيت هاجَرَ إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قُلْتُها، فأَخلَفَ الله لي رسولَ الله ﷺ[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٨٧٥).

(٢) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٦١، و«المنتظم» ٣/ ٢٠٦، و«البداية والنهاية» ٤/ ٩٠.

(٣) في «المسند»: قلت.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٦٦٩).

(٥) صحيح مسلم (٩١٨).

وفيها: أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود[١]، وقال: «إنِّي لا آمنُهُم على كِتَابي»[٢]. فتعلمه زيد في خمس عشرة ليلة.

وفيها: رجم رسول الله ﷺ اليهوديَّيْن في ذي القعدة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ اليهودَ جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً وامرأةً منهم زنيا، فقال: «مَا تَجِدونَ في التَّوراةِ في شَأْنِ الرَّجْمِ» قالوا: نفضحُهم ويُجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتُم إنَّ فيها الرَّجم، فأتَوْا بالتَّوراةِ فَنشروها، فَوَضع أحدُهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال ابن سلام: ارفع يدك، فرفعها فإذا آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فأمر بهما فرُجما، قال ابن عمر: فرأيت الرجل يحني على المرأةِ يقيها الحجارة. أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

وفيها: كانت قصة طُعمة بن أُبَيْرِق[٤].

فصل وفيها توفيت

زينب بنت خُزَيْمة

ابن الحارث بن عبد الله الهلالية أخت ميمونة لأمها، في ربيع الآخر، وكان رسول الله ﷺ تزوجها في رمضان سنة ثلاث، وصلى عليها رسول الله ﷺ، ودُفِنت في البقيع، ولم يمت عنده ﷺ من نسائه رضي الله عنهن إلا خديجةُ رضوان الله عليها، وزينب[٥] رضي الله عنهما.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٦١، و«المنتظم» ٣/ ٢٠٦.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٦١٨) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩).

(٤) انظر «المنتظم» ٣/ ٢٠٦، وقصته أنه سرق درعاً لعبادة بن النعمان، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب، ثم خبأها عند رجل من اليهود، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف: مالي بها علم، فنظروا في أثر الدقيق فانتهوا إلى منزل اليهودي، فقالوا له، فقال: دفعها إلي طعمة، فقال قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ لنجادل عن صاحبنا، فهم أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، فنزل قوله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]. وانظر «أسباب النزول» للواحدي ص ١٧٢-١٧٣.

(٥) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ١١١، «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٤٥، و«المنتظم» ٣/ ٢١٠، و«البداية والنهاية» ٤/ ٩٠، و«الإصابة» ٤/ ٣١٥.

أبو سلمة

عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمه: بَرَّةُ بنت عبد المطلب بن هاشم عمةُ رسول الله ﷺ، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين.

أسلم قديماً قبل أن يدخلَ رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، ومعه زوجته أم سلمة رضي الله عنها، ثم قدم مكة وهاجر إلى المدينة، وهو أول من هاجر إليها، قدمها لعشر خَلَوْنَ من المحرم، وقَدِمَها رسول الله ﷺ في ربيع الأول.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن خَيْثمةَ، وشهد أبو سلمة بدراً وأحداً، وجُرح يوم أُحد، رماه أبو أُسامةَ الجُشَمي بسهم في عَضُدِه، فأقام شهراً يداويه حتى برىء.

ثم بعثه رسول الله ﷺ في سرية على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى بني أسد بقَطَنٍ - جبلٍ لهم - في المحرم، فغاب بضع عشرة ليلة، ثم قدم المدينة، فانتقض جرحه فمات في جمادى الآخرة، فأغمضه رسول الله ﷺ، وقال عند موته: اللهمَّ اخلفني في أهلي بخير[1]. فخَلَفه رسول الله ﷺ[2]، وصارت أمُّ سلمة رضي الله عنها أمَّ المؤمنين، وصار رسول الله ﷺ رَبيبَ أولاده.

وأخرج مسلم عن أم سلمة قالت: دخلَ رسولُ الله ﷺ على أبي سلمة وقد شَقَّ بصرُه، فأَغمَضَه، ثم قال: «إنَّ الرُّوحَ إذا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ» فضجَّ ناسٌ من أهله، فقال: «لا تَدعوا على أنفُسِكُم إلَّا بخَيْرٍ، فإنَّ الملائِكَةَ يُؤَمِّنونَ على ما تَقُولونَ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ اغْفِرْ لأَبي سَلَمَةَ، وارْفَعْ دَرَجتَه في المَهْدِيينَ، واخْلُفْه في عَقِبِه في الغابِرينَ، واغْفرْ لنَا وله يا رَبَّ العَالَمِينَ، وافْسَحْ له في قَبرِهِ ونَوِّر له فيه»[3].

وكان لأبي سلمة من الولد: عمر، وزينب، ودُرَّة، وأم كلثوم، وسلمة.

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٢٢٠ ، و«المنتظم» ٣/ ٢١١، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ١٥٠ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٨٩ ، و«الإصابة» ٢/ ٣٣٥ .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٦٦٩) ضمن حديث طويل.

(٣) صحيح مسلم (٩٢٠).

عبد الله بن عثمان

ابن عفان[١] رضوان الله عليه من رقية بنت رسول الله ﷺ، نقره ديك في عينه فمات وهو ابن ست سنين، وصلى عليه رسول الله ﷺ، ونزل عثمان ﵁ في قبره.

فاطمة بنت أسد[٢]

ابن هاشم بن عبد مناف، والدة علي ﵇، وأمها: فاطمة بنت هَرِم بن رواحة، من ولد عامر بن لؤي، وتلقب: بحُبّى، وأمها: خديجة[٣] بنت وهب بن ثعلبة من بني فهر، وأمها: فاطمة بنت عبد بن معبد بن عمرو بن بَغيض[٤] بن عامر بن لؤي، وأمها: سلمة[٥] بنت عامر بن ربيعة بن هلال، من فهر، وأمها: عاتكة بنت أبي همهمة من فهر، وأمها: تماضر بنت أبي عمرو بن عبد مناف، وأمها: حبيبة، وهي: أمة الله بنت عبد يا ليل ثقفية، وأمها: حُبَّى بنت الحارث بن النابغة من هوازن.

وفاطمة بنت أسد أول امرأة هاشمية تزوجت هاشمياً، وأول من بايعت رسول الله ﷺ من النساء بعد خديجة، وأول هاشمية ولدت خليفة هاشمياً.

وقال بريدة: سمعت فاطمةُ بنت أسد رسولَ الله ﷺ يقول: «يُحشَرُ النَّاس يومَ القِيامةِ عُراةً»، فقالت: واسوأتاه، فقال لها رسول الله ﷺ: «إنِّي أَسأَلُ الله أن يَبعَثَكِ كاسِيَةً».

قال: وسمعته يذكر ضَغطةَ القبر، فقالت: واضعفاه، فقال: «إنِّي أَسأَلُ اللهَ أَنْ يَكفِيَكِ ذَاكَ».

وكانت صالحة تنقل الماء إلى بيت فاطمة ﵍، وتذهب للحاجة.

وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيلُ في بيتها، ولما توفيت ألبسها رسول الله ﷺ

(١) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٥٥، و«المنتظم» ٣/ ٢١٠، و«البداية والنهاية» ٤/ ٨٩، و«الإصابة» ٣/ ٦٢.

(٢) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٥١ و٢١١، و«المنتظم» ٣/ ٢١٣، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ١١٨، و«الإصابة» ٤/ ٣٨٠.

(٣) في المحبر ١٦: جدية.

(٤) في المحبر ١٦: فاطمة بنت عبيد بن منقذ بن عمرو بن معيص.

(٥) في المحبر: سلمى.

قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقال له أصحابه: ما رأيناك صنعتَ بأحد مثل ما صنعتَ بهذه؟ فقال: «إنَّه لم يَكُن بعدَ أبي طالبٍ أَحدٌ أبرَّبي منها، وإنَّما أَلْبَستُها قَميصِي لِتُكسَى مِن حُلَلِ الجنَّةِ، وإنَّما اضطَجَعتُ مَعَها لِيُهوِّنَ اللهُ عليها ضَغْطَةَ القَبرِ»[١].

ودفنت بالبقيع إلى جانب رُقية رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، وروت الحديث عن رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٩٣٥) من حديث ابن عباس، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٢٥٧ وقال: وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وقال الذهبي في «السير» ٢/ ١١٨ : غريب.

السنة الخامسة من الهجرة

فيها كانت غزاةُ ذات الرِّقاع على خلاف في ذلك[١]، غزا رسول الله ﷺ نَجداً يريد بني مُحارب وغَطَفان، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه[٢]، وتقارب الناس للقتال، ولم يَجْرِ بينهم حرب، وغاب رسول الله ﷺ عن المدينة خمس عشرة.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في هذه الغزاة ونحن ستةُ نفر بيننا بعير نَعْتَقِبُه، قال: فَنَقِبَت أقدامُنا، وسقطت أظفاري، فكنا نَلُفُّ الخِرَق على أقدامنا وأرجلنا، فَسُمّيت غزاةَ ذاتِ الرقاع لما كنا به نَعْصب على أرجلنا من الخرق. قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك وقال: وما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يفشي شيئاً من عمله[٣]. لأن عمل السر أفضل من عمل العلانية.

قال المصنف رحمه الله: هذا الحديث يدل على أن غزاة ذات الرقاع كانت بعد خيبر، لأن أبا موسى قدم على رسول الله ﷺ بعد خيبر.

وكذا روى ابن إسحاق القصة عن أبي هريرة، وأبو هريرة إنما قدم على رسول الله ﷺ بعد خيبر[٤].

---

(١) اختلف في زمنها، فمن ذكرها في سنة أربع ابن هشام في «السيرة» ٢/ ٢٠٣، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٥٥، والذهبي في «السيرة» ١/ ٤٥٧، وابن كثير في «البداية والنهاية» ٤/ ٨٣.
وذكر الواقدي في «المغازي» ١/ ٣٩٥، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٥٧، والبلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ٤٠٥، وابن الجوزي في «المنتظم» ٣/ ٢١٤ أنها في سنة خمس.
وذكر البخاري في باب غزوة ذات الرقاع قبل (٤١٢٥) أنها بعد خيبر.

(٢) ويقال: أبا ذر الغفاري «السيرة» ٢/ ٢٠٣.

(٣) أخرجه البخاري (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦).

(٤) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٥٦. وقال البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٧٢: وروينا عن الواقدي في الغزوة التي غزاها محارباً وبني ثعلبة أنها سميت ذات الرقاع لأنه جبل كان فيه بقع حمرة وسواد وبياض، فإن كان الواقدي حفظ ذلك فيشبه أن تكون الغزوة التي شهدها أبو موسى وأبو هريرة وعبد الله بن عمر غير هذه والله أعلم.
وانظر «فتح الباري» ٧/ ٤١٧.

وفي هذه الغزاة صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف، وفي هذه الغزاة نزل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة: ١١] الآية.

قال جابر بن عبد الله ﵄: غزونا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد، فلما قَفل ومعه الناس أدركتهم القَيلُولة في وادٍ كثير العِضَاهِ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلَّقَ سيفَه بغُصْنٍ من أغصانها، وتفرق الناس يَستظلون بالشجر، قال: فنمنا نومةً، وإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه وعنده أعرابي، فقال: «إنَّ هذا أَتَاني وأَنَا نَائمٌ فاخْتَرَطَ سَيفِي، وهو قَائمٌ على رَأسي والسَّيفُ بيدِهِ صَلتاً، قال: مَن يَمنَعُكَ منِّي؟ قلت: الله، فَشَامَ السَّيفَ». أي: أعاده إلى جفنه، قال جابر: فلم يَعرِض له رسول الله ﷺ ولم يعاقبه[١].

وفيه: فأخذ رسول الله ﷺ السيف من يد الرجل، وقال: «مَن يَمنَعُك منِّي»؟ فقال الرجل: كُن خَيْرَ آخذٍ، فقال: «أَتَشهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وأَنِّي رسولُ اللهِ». قال: لا، ولكن أُعاهِدُك على أن لا أُقاتِلَك، ولا أكونَ مع من يقاتلُك. فخلّى سبيله، فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس[٢].

وفيها: كانت غزاةُ دُومَةِ الجَنْدَل[٣]، وهي أرض فيها زرع ونخل وعيون، ولها مدينة وحصنٌ منيعٌ يدعى مارداً، ويقال في المثل: تمرَّد ماردٌ وعزَّ الأَبلق[٤].

وهي أول غزاة غزاها رسول الله ﷺ إلى الشام، خرج إليها على رأس تسعة وأربعين شهراً من مُهاجَرِه، واستخلف على المدينة سِباعَ بنَ عُرْفُطَةَ الغِفاري، وكان قد بلغه أن بها جمعاً من الأعراب، فكان يَكمُن نهاراً ويسير ليلاً، ومعه دليل من بني [عُذرة يقال له:][٥] مذكور، فهجم عليهم فهربوا، فأخذ رِجالاً منهم فأسلم بعضهم، ورجع إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٣)، ومسلم (٨٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٩٢٩) وفيه صلاة الخوف، وقد جمع المصنف هنا بين حديثين.

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٢١٣، و«المغازي» ١/ ٤٠٢، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٥٨، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٠٦، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٦٤، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣٨٩، و«المنتظم» ٣/ ٢١٥، و«البداية والنهاية» ٤/ ٩٢.

(٤) والأبلق حصن للسموءل بن عادياء قصدته الزباء هو ومارداً فلم تقدر عليهما فقالت: تمرد مارد وعز الأبلق، فذهب مثلاً. «مجمع الأمثال» ١/ ١٢٦.

(٥) ما بين معقوفين زيادة من «الطبقات» ٢/ ٥٩.

المدينة ولم يلق كَيداً.

وفي هذه الغزاة وادع رسول الله ﷺ عُيَيْنَةَ بنَ حِصْن الفَزاري على أن يكفَّ عنه ويرعى بتَغْلَمَيْن إلى المَراضِ من أرض الحجاز، وذلك لأن بلادَ عُيَيْنة أجدبت، وأخصبت تغلَمَيْنِ والمَراضُ لسحابةٍ وقعت فيها، فوادعه على أن يرعى هناك.

وفيها: قدم وفد مُزَيْنَة[١] في رجب في أربع مئة، فجعل رسول الله ﷺ لهم الهجرة في دارهم، وقال: «أَنتُم مُهاجِرُونَ حيثُ ما كُنتُم»[٢]. فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم.

وأجدبت مكة في هذه السنة، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مالاً فقبلوه[٣].

وفيها: كانت غزاة المُرَيْسِيع[٤]، ويقال لها: غزاة بني المُصطَلِق، في شعبان، وكان الحارث بن أبي ضِرار سيدُ بني المصطلق قد جمع لحرب رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ بُرَيْدة بنَ الحُصَيْبِ الأسلمي ليَعْلم له خبر القوم، فأتاهم فلقي الحارث، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبَره، فخرج من المدينة لليلتين خلتا من شعبان في المهاجرين والأنصار وكثيرٍ من المنافقين فيهم عبد الله بن أبي، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة[٥] وكان معه ثلاثون فرساً، وبلغ الحارثَ فخاف، وتفرق عنه من كان معه من الأعراب.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى المُريسيع ومعه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، وكان تحته فرسُه

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٥٢، و«المنتظم» ٣/ ٢١٧، و«البداية والنهاية» ٥/ ٤١.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٥٢ وورد الحديث في قصة أخرى عن سلمة بن الأكوع قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ابدوا يا أسلم، فتنسموا الرياح، واسكنوا الشعاب» فقالوا: إنا نخاف يا رسول الله أن يضرنا ذلك في هجرتنا قال: «أنتم مهاجرون حيث كنتم». أخرجه أحمد (١٦٥٥٣).

(٣) انظر «المنتظم» ٣/ ٢١٦.

(٤) اختلف في زمن هذه الغزوة، فذكرها الواقدي في «المغازي» ١/ ٤٠٤، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٥٩، والبلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ٤٠٧، وابن الجوزي في «المنتظم» ٣/ ٢١٨ في السنة الخامسة، ورجحه في «الفتح» ٧/ ٤٣٠.
وذكرها ابن إسحاق «السيرة» ٢/ ٢٨٩، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٦٠٤، وابن كثير في «البداية والنهاية» ٤/ ١٥٦ في سنة ست، وانظر «فتح الباري» ٧/ ٤٣٠.

(٥) ويقال: استعمل عليها أبا ذر الغفاري، انظر «السيرة» ٢/ ٢٨٩.

لِزاز، ودفع رايةَ المهاجرين إلى أبي بكر رضي الله عنه، ورايةَ الأنصار إلى سعد بن عُبادة، وثبت الحارث في قومه واصطفُّوا للقتال، وترامَوْا بالنبل ساعة، ثم حمل رسول الله ﷺ وأصحابه فانهزم الحارث، وقُتِلَ من أصحابه عَشرةٌ، وسبى المسلمون مئتي أهل بيت من الرجال والنساء والذُّرِّيَّة، وأخذوا من الإبل ألفي بعير، ومن الشاة خمسة آلاف.

قال ابن عمر: أغار عليهم رسول الله ﷺ وهم غارُّون، فقتل وسبى وقدم بالسبي إلى المدينة، وكان في السَّبي جُوَيْرية بنت الحارث سيد القوم[١]، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شَمَّاس وابن عمه فكاتباها على تِسْعِ أواقٍ.

قالت عائشة: وكانت امرأةً حُلْوةً لا يكاد أحد أن يراها إلا أخذت بنفسه، فبينا رسول الله ﷺ عندي إذ دخلت عليه جُويرية تسأله عن كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتُها فكرهتُ دخولَها عليه، وعرفت أنه سيرى منها الذي رأيتُ، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيدِ القوم، وقد أصابني من الأمر ما قد علمتَ، فوقعتُ في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عمه فكاتباني فأعنيّ في كتابتي، فقال: «أَوَ خَيْرٌ من ذلك»؟ قالت: وما هو؟ قال: «أُؤدِّي عنكِ كِتَابتَكِ وأَتزوَّجُكِ». قالت: نعم. قال: «قَد فَعَلتُ».

وخرج الخَبرُ إلى الناس، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يُسْتَرَقُّون. فأعتق الناس ما كان بأيديهم من نساء بني المصطلق، فبلغ عتقهم مئة بيت بتزويجه إياها، قالت عائشة: فلا أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها[٢]، وجعل عِتقَها صَداقَها.

وكان اسمها بَرَّة فغيره رسول الله ﷺ بجويرية[٣].

وفي هذه الغزاة قال عبد الله بن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ. وسبب ذلك:

ازدحم الناس على الماء، ومع عمر بن الخطاب رضي الله عنه جَهْجاه الغِفاري يقود فرس

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤١)، ومسلم (١٧٣٠)، وانظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ٦٠ .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٣٦٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عمر، فزحمه رجل من الأنصار يقال له: سِنان الجُهَني حليف الخزرج، فاقتتلا على الماء، فصرخ الجهني: يا معاشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معاشر المهاجرين، فأعانه رجل من المهاجرين يقال له: جُعال وكان فقيراً، فقال له عبد الله بن أُبي بن سَلول: وإنك لهناك؟! فقال: وما يمنعني أن أفعل ذلك؟! واشتد لسان جُعال على ابن أُبي، فغضب ابن أبي وقال: والذي يُحلَف به لأُرِيَنَّك غير هذا، وعند عبد الله رهط من قومه منهم: زيد بن أرقم وكان غلاماً حَدَثاً، وقال ابن أبي: أَوَقد فعلوها، قد نافرونا في بلادنا وكاثرونا، والله ما مَثَلُنا ومَثَلُهم إلا كما قال القائل: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ، أما والله، أما والله، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وعنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ زاده فضلاً وشرفاً وعزة وتعظيماً.

ثم أقبل على قومه وقال: ما فعلتم بأنفسكم؟ أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عن جُعالٍ وذويه فضلَ طعامكم يركبوا رقابكم، ولأَوشكوا أن يتحولوا عن بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم، فلا تنفقوها عليهم حتى ينفضوا مِنْ حَوْلِ محمد. فقال له زيد بن أرقم: أنت والله الذليلُ الحقيرُ القليل المُبْغَضُ إلى قومك، ورسول الله ﷺ في عِزٍّ من الرحمن ومودةٍ من المؤمنين، والله لا أحبك أبداً، فقال له عبد الله: اسكت، فإنما كُنْتُ أَلْعَبُ.

وجاء زيد إلى رسول الله ﷺ فأخبره، وذلك بعد فراغه من الغزو وعنده عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عُنُقَ هذا المنافق، فقال: «إذاً تَرعُفُ له آنُفٌ كَثيرةٌ بيثرب»، فقال له عمر: فإن كرهتَ يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر سعد بن معاذ أو محمد بن مَسْلَمةَ فليقتلوه. فقال رسول الله ﷺ: «أتُريدُ يا عمرُ، أن يَتَحدَّثَ النَّاسُ أنَّ محمداً يَقتُلُ أَصحابَهُ، ولَكِنْ أَذِّنْ بالرَّحيلِ» وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي فأتاه، فقال له: «أنتَ صاحِبُ الكلامِ الذي بلغَني عَنكَ»؟ فقال عبد الله: والذي أنزل عليك الكتابَ ما قلتُ شيئاً من ذلك، ولقد كذب زيدٌ.

وكان عبد الله شريفاً في قومه عظيماً، فقال مَنْ حضر من الأنصار: يا رسول الله، شيخُنا وكبيرُنا، تُصَدِّقُ كلامَ غُلامٍ من غِلْمان الأنصار؟! عسى أن يكون هذا الغلامُ

وَهِمَ في الحديث، فعذره رسول الله ﷺ، وفشت الملامة في الأنصار لزيد وكذَّبوه، وقال له عمر ـ وكان زيد معه ـ: ما أردتَ إلا أن كَذَّبك رسولُ الله ﷺ والناسُ، ومَقَتوك.

وكان زيدٌ يسايرُ رسول الله ﷺ فاستحيى بعد ذلك أن يدنوَ منه، فلما استقل سائراً لقيه أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ فسلَّم عليه، وقال: يا رسول الله، لقد رُحتَ في ساعة مُنكَرة ما كنتَ تروح فيها، فقال له رسول الله ﷺ: «أَوَ ما بَلَغَكَ ما قالَ صاحبُكُم ابنُ أُبَيٍّ؟». قال: وما قال؟ قال: «زَعَم أَنَّه إذا رَجَع إلى المَدينَةِ يُخرِجُ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ». فقال أسيد: أنت والله تخرجه إن شِئتَ، هو والله الذليلُ وأنت الأعزُّ، ثم قال: يا رسول الله، ارْفِقْ بِهِ، فوالله لقد جاء اللهُ بِك، وإن قومه لَيَنْظِمون له الخَرز لِيُتَوِّجوه، فهو يرى أنك سلبته ملكاً(١).

وبلغ عبدَ الله بنَ عبدِ الله بن أُبيّ ما كان من أمر أبيه، فقال: يا رسول الله، بلغني أنك تريد قتلَ عبدِ الله بن أُبَيّ لِما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني لأحملَ إليك رأسه، فواللهِ لقد عَلِمَتِ الخزرجُ ماكان بها رجلٌ أَبرُّ بوالديه مني، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتلَه، فلا تطيبُ نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، وكان عبد الله بن عبد الله رجلاً مؤمناً صالحاً، فقال له رسول الله ﷺ: «تَرَفَّقْ به، وأَحْسِنْ صُحبتَهُ ونحن كذلك ما بقي معنا»(٢).

وسار بهم رسولُ الله ﷺ يومَهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ، فنزل، فما هو إلا أن وجدوا مسَّ الأرضِ وقعوا نِياماً، وإنما فعل رسولُ الله ﷺ ذلك ليشغَلَ الناسَ عن الحديث الذي جرى من ابن أبي.

ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النَّقيع يقال لها: بَقعاء، فهاجت ريح شديدة فآذتهم وتخوَّفوا منها، وضلَّت ناقة رسول الله ﷺ ليلاً، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَخافُوا الرِّيحَ، فإنَّما هَاجَت لِموتِ عَظيمٍ من الكفَّار بالمدينة»، فقيل: من هو؟ قال: «رِفاعة بن التابوت»، فقال رجل من المنافقين: يزعمُ أنه يعلم الغيب ولا يعلمُ مكانَ ناقته، فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته، فأخبر رسول الله ﷺ

(١) «السيرة» ٢/ ٢٩٠ـ٢٩٢.

(٢) «السيرة» ٢/ ٢٩٣.

أصحابَه، وقال: «ما أَعلَمُ الغَيبَ ولكِنَّ اللهَ أَخْبَرني أنَّ النَّاقَةَ في شِعْبِ كَذا وكَذا، قد تَعلَّقَ زِمامُها بشَجَرةٍ». فذهبوا إلى الشعب فوجدوها كذلك.

ولما قَدِموا المدينة وجدوا رِفاعةَ بنَ التابوت ـ وكان من عظماء اليهود وكَهْفَ المنافقين ـ قد مات في ذلك اليوم[١].

ولما قَرُبَ رسول الله ﷺ من المدينة وجاء عبد الله بن أبي ليدخُلَها جاء ابنه عبد الله فأَناخَ على مجامع طريق المدينة وصاح بأبيه: وراءك، فقال: مالك ويلك؟ فقال: لا والله لا تدخُلُها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولَيُعْلَمَنَّ اليومَ منِ الأعزُّ مِنَ الأذلِّ. فجاء عبد الله إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه ما صنع به ابنُه، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى ابنه يقول: «خَلِّ عنه». فقال: أمّا إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنَعَم، فدخل[٢].

فقال زيد بن أرقم: فجلستُ في بيتي والله أعلم ما بي من الهمِّ والحُزن والحَياء من رسول الله ﷺ والمسلمين، فأنزل الله تعالى في تصديق زيد وتكذيب ابن أبي سورة المنافقين، فأخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد وقال: «يَا زَيدُ، إنَّ اللهَ قد صَدقكَ وأَوْفى بأُذُنِكَ»[٣].

ولما نزلت هذه الآياتُ، قيل لعبد الله: يا أبا حُباب، قد أنزل الله فيك آياتٍ شِداداً، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفرْ لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أُؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أُعطيَ زكاةَ مالي فأعطيتُ، وما بقي إلا أن أسجدَ لمحمد. وأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾[٤] [المنافقون: ٥].

وجعل قومُ عبد الله يلومونه ويوبِّخونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر رضوان الله عليه: «وكيف ترى؟ أما والله لو قتلته يوم أشرتَ بقتله لَرعُفَت له أُنوفٌ لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلته». فقال عمر: إن رأي رسول الله ﷺ أَعظَمُ بركةً من رأيي.

(١) «السيرة» ٢/ ٢٩٢.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ٦١.
(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري (٤٩٠٠) بلفظ: «إن الله قد صدقك يا زيد».
(٤) انظر «أسباب النزول» للواحدي ص ٤٦١.

وفي هذه الغزاة قتل رجلٌ من رهطِ سَعْدِ بن عُبادةَ هشامَ بنَ صُبابة من بني عامر خطأً، لأنَّه ظنَّه من المشركين، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قدم أخوه مِقْيَسُ بنُ صُبابةَ من مكة، فدخل على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، جئتك مُسْلِماً وأريد دِيَةَ أخي، فأمر له بِدِيَتِهِ، وأقام بالمدينة أياماً، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً وقال[1]: [من الطويل]

شَفَى النَّفسَ أن قد بات بالقاعِ مُسنَداً ... تُضَرِّجُ ثَوْبَيْهِ دِماءُ الأَخادعِ
وكانت همومُ النفس من قبل قتلهِ ... تُلِمُّ فتَحْميني وِطاءَ المضاجعِ
حَلَلْتُ به وِتْري وأدركت ثُؤرَتي ... وكنت إلى الأوثانِ أَوَّلَ راجعِ

وبلغ رسولَ الله ﷺ قوله، فأهدرَ دمَه، وقُتِلَ يوم الفتح لِما نذكر.



وفي هذه الغزاة كان حديث الإفك، وحديثه في «الصحيحين»[2].

قال الإمام أحمد بن حنبل ؓ: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمر، عن الزُّهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيِّب وعروةُ بن الزبير وعلقمةُ بن أَبي وقَّاص وعبيدُ الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود عن حديث عائشة ؓ حين قال لها أهلُ الإفْكِ ما قالوا فَبرَّأَها الله تعالى ممّا قالوا، قال الزهري: كلُّهم قد حدَّثني بطائفةٍ من حديثها، وبعضُهم

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٢٩٣.
(٢) وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم وقيل في غير هذه الغزوة، أخرج البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧) عن عائشة ؓ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناسُ معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة أقامت رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء ليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا، فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فأصبنا العقد تحته.
وانظر الاختلاف في وقت نزول التيمم في «فتح الباري» ١/ ٤٣٤.

كان أوعى لحديثها من بعض، وبعضُ حديثهم يَصْدقُ بعضاً، ذكروا أنَّ عائشةَ قالت:

كان رسول الله ﷺ إذا أَراد سَفَراً أَقْرعَ بين نسائهِ، فأَيَّتهُن خرج سهمُها خرج بها معه؛ قالت: فأقرع بيننَا في غزاةٍ غَزاها، فخرج فيها سَهمي فخرجتُ معه، وذلك بعدما أُنزِل الحِجابُ، وكُنتُ أُحملُ في هَوْدَجي وأنزل فيه أو وأُتْرَكُ فيه، حتى إذا فرغَ رسول الله ﷺ من غزوتهِ تِلك وقَفَلَ يريدُ المدينةَ ودَنَوْا منها، آذَنَ ليلةً بالرَّحيلِ، فقُمتُ ومشيتُ حتى جاوزتُ الجيشَ، فلمَّا قضيت شأني، أَقبلتُ إلى الرَّحْلِ فلمستُ صَدْري فإذا عِقْدٌ لي من جَزْعِ أَظفارٍ قد انقطع، فرجعتُ أَلتِمِسُ عِقْدي فحبسني ابتغاؤه، وأَقبل الرَّهط الذين كانوا يَرْحَلونَ لي فاحتملوا هَودجي، فَرَحلوه على بعيري وهم يَحسَبُون أني فيه، وكان النساءُ إذ ذاك خِفافاً لم يُهَبِّلْهُنَّ ولم يَغْشَهُنَّ اللحمُ ولم يَثْقُلْنَ، وإنما كُنَّ يأكُلْنَ العُلْقَةَ من الطعامِ، فلم يستنكرِ القومُ حين حملوا الهَودَج وكنتُ جاريةً حديثةَ السِّنِّ، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدتُ عِقدي بعدما استمرَّ الجيشُ، فجئتُ منازِلَهم وليس فيها داعٍ ولا مجيب، فتَيمَّمتُ منزلي الذي كنتُ فيه وظننتُ أن القوم سَيفقدونني فيرجعُون إليَّ، فبينَا أَنا جالسةٌ غلبَتْني عينايَ فنمتُ، وكان صفوان بن المُعطَّل السُّلَمي ـ ثم الذَّكواني ـ قد عرَّس من وراء الجيش، فادَّلَج فأَصبح عند منزلي، فَرَأى سوادَ إنسانٍ نائمٍ، فأَتاني فعرَفَني حين رآني، وقد كان يراني قَبْلَ أن يُضربَ الحجابُ، فاستيقظتُ باسْتِرجَاعِه حين عرَفَني، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، ووالله ما كلَّمني كلمةً ولا سمعتُ منه غيرَ اسْتِرجاعِه، وهَوَى حتى أناخ راحلته ووطىء على يدَيْها فركبتُها، وانطلقَ بي يقودُها حتى أتينا الجيشَ ـ أو فانطلق يقود بي راحلتَه حتى أَتينا الجيشَ ـ بعدما نزلوا معرِّسين أَو مُوغِرين في نَحْرِ الظَّهيرةِ.

قالت: فهلك مَنْ هلك في شأني، وكان الذي تولَّى كِبْرَهُ منهم عبدُ الله بن أُبيٍّ بن سَلول، وقدِمنا المدينةَ فاشتكيتُ بها شهراً، والناسُ يُفيضون في قول أَهلِ الإفكِ، ولا أشعر بشيءٍ من ذلك، وقد يَريُبني في وجعي أَنِّي لا أرى من رسول الله ﷺ اللُّطْفَ الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنَّما يدخُلُ فيقول: «كيفَ تِيكُم» ثم ينصرفُ، فذلك الذي يَريبني، ولا أشعر بالشرِّ حتى خرجتُ بعدما نَقِهْتُ من مرضي، وخرجَتْ معي أُمُّ

مِسْطَح قِبَلَ المناصِعِ وهو مُتَبَرَّزُنا، وكنَّا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليلٍ، وذلك قَبلَ أن نَتَّخِذَ الكُنُفَ قريباً من بيوتِنا.

فانطلقتُ أنا وأُمُّ مِسْطَح ـ وهي ابنة أبي رُهْم بن المُطَّلب بن عبد مناف، وأُمها بنت صخر بن عامر، خالةُ أبي بكرٍ الصديق، وابنها مِسْطَح بن أُثاثة بن عبَّاد بن المطَّلب ـ وأَقبلنا قِبَل بيتي حين فَرَغنا من شأنِنا، فعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَح في مِرطِها فقالت: تَعِسَ مِسْطَح، فقلتُ لها: بئسَ ما قُلتِ! أَتَسُبِّين رجلاً قد شهد بدراً؟ فقالت: ألم تسمعي يا هَنَتاه ما قال؟ قلتُ: وما ذاك؟ فأخبرَتْني بقولِ أَهلِ الإفكِ، فازدَدْتُ مَرَضاً على مرضي، فلمّا رجعتُ إلى بيتي، دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: «كيفَ تِيكُم»؟ فقلت: أَتَأْذَنُ لي أَن آتي أَبَوَيَّ؟ وأنا أُريدُ أن أتيقَّنَ الخبرَ منهما، فأذِنَ لي فجئتُ أَبويَّ فقلتُ لأُمي: يا أُمَّاه، ماذا يتحدَّثُ الناسُ؟ فقالت: يا بُنَيَّةُ، هوِّني عليكِ، فوالله لقلَّما كانت امرأةٌ قطُّ وَضيئة عند رجلٍ يحبُّها ولها ضرائر إلاّ أكثرن عليها، فقلتُ: سُبحان الله، أَوَ قَدْ تحدَّث الناسُ بهذا؟ قالت: نعم.

فبكيتُ ليلتي حتى أَصبحتُ، لا يَرْقَأُ لي دمعٌ ولا أكتَحِلُ بنومٍ، وأَصبحتُ أَبكي، فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ وأُسامةَ بن زَيدٍ حين استلبثَ الوحيُ يستشيرُهما في فِراق أَهله، فأما أُسامةُ فأشار عليه بما يعلمُ من براءة أهله، وبالذي يعلمُ في نفسِه من الوُدِّ لهم وقال: يا رسولَ الله، هم أهلُك ولا نعلمُ إلا خَيْراً، وأما علي فقال: لم يُضيّقِ الله عليكَ، النساءُ سواها كثير، وإن تسألِ الجاريةَ تَصْدُقْكَ، قالت: فدعا رسولُ الله ﷺ بَرِيْرةَ وقال لها: «هَلْ رَأَيتِ من عَائشةَ ما يَريبُكِ»؟ فقالت: لا والذي بعثك بالحقِّ، إنْ رَأيتُ منها أَمراً أَغْمِصُه عليها أكثرَ من أنّها جاريةٌ حديثةُ السنِّ، تنامُ عن عجينِ أَهلها، فيأتي الدَّاجنُ فيأكلُه.

فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أُبيّ فقال: «يَا مَعَاشِرَ المُسلِمينَ، من يَعْذِرُني مِن رَجُلٍ قَد بَلَغَني أَذاهُ في أَهْلِي، وواللهِ مَا عَلِمتُ على أَهْلِي إلاَّ خيراً، [ولَقَد ذَكَروا رَجَلاً مَا] كانَ يَدخُلُ على أَهْلِي إلاَّ مَعي، ومَا عَلِمتُ عليه إلاَّ خَيراً» فقام سعد بن معاذ الأنصاري أحدُ بني عبد الأشهل فقال: يا رسولَ الله، أنا أُعذرك منه، إنْ كان من الأَوسِ، ضربنا عُنُقَه، وإن كان من إخواننا الخزرج، أَمَرْتنا

ففعلنا فيه أَمركَ، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحَميّةُ، وكانت أُم حسّان بن ثابت بنتَ عمِّه من فَخذِه، فقال لسعدِ بن معاذ: لعَمْرُ الله لا تقتلُه ولا تقدرُ عليه، فقام أُسَيْد بن حُضَير وهو ابن عمّ سعد بن معاذ فقال لسعد بنُ عُبادة: كذبتَ لعَمْرُ اللهِ، إنَّك لمُنافقٌ تجادل عن المنافقين، فثار الحيّانِ: الأوسُ والخزرجُ، حتى هَمُّوا أن يَقْتَتِلُوا، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ على المِنْبر، فلم يَزَل يُخفّضهم حتى سَكَتُوا وسكَتَ.

قالت: وبكيت يومي وليلتي القابلةَ، لا يرقأُ لي دمعٌ ولا أَكتحلُ بنومٍ، وأَصبح عندي أَبواي، وأَنا أَظن البكاء قد فَلَق كبدي، فبينما هما جالسانِ عندي وأنا أبكي استأذَنَتْ عليّ امرأة من الأنصارِ فدخَلَت فجلَسَت تبكي معنا، ودخل رسول الله ﷺ فسلَّم وجَلَس، ولم يكن يَجلِسُ عندي منذُ قِيلَ ما قِيل، وقد مَكَث شهراً لا يُوحَى إليه في أَمري بشيءٍ، فتشهَّد حين جَلَس ثم قال: «أمَّا بَعدُ يَا عَائشةُ، فإنَّه قد بَلَغَني عنكِ كَذا وكَذا، فإن كُنتِ بَريئةً، فسيُبَرِّئُكِ اللهُ، وإن كُنتِ ألمَمتِ ـ أو هَمَمتِ ـ بذَنبٍ فاستَغفِري اللهَ وتُوبي إليه، فَإنَّ العبدَ إذا اعتَرَفَ بذنبٍ ثم تَابَ تَابَ اللهُ عليه».

قالت: فلمّا قضى مقالته قَلَص دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قَطرةً، وقلت لأَبي: أَجبْ عنِّي، فقال: واللهِ لا أَدري ما أَقولُ، فقلت لأُمِّي: أَجيبي عني، فقالت كما قال أبي، فقلت ـ وأنا جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ لا أقرأُ كثيراً من القرآن ـ: والله قد عرفتُ أَنَّكم سمعتم بهذا حتى استقرَّ في نُفوسِكُم وصدَّقتُم به، ولئن قلتُ: إنِّي بريئةٌ ـ والله يعلمُ أَني بريئةٌ ـ ما تصدِّقوني، [ولئن اعترفت لكم بأمرٍ ـ واللهُ عز وجلَّ يعلم أني بريئةُ ـ تصدّقوني] وما أَجد لي ولكم مَثَلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ثم تحوَّلتُ واضطجعتُ على فراشي وأنا أعلم أن الله يُبرِّئني، ولكن ما كنتُ أَظُنُّ أَن الله يُنزِلُ في شأني قُرآناً أو وحياً يُتلى، أَنا أَحقَرُ في نفسي من أَن يتكلَّمَ اللهُ فيَّ بقُرآنٍ يُتلى، وإنّما كنتُ أَرجو أن يُريَ اللهُ رسولَه في المنامِ رؤيا يبرّئني بها.

قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ من البيتِ، حتى أَنزل الله على نبيه، فأَخذه ما كان يأخذُه من البُرَحاءِ عند الوحي، حتى إنه ليتحدَّر منه مثلُ الجُمانِ من العَرَقِ في اليوم الشاتي من ثِقَلِ القول الذي أُنزل عليه.

قالت: فَسُرِّيَ عنه وهو يضحك، فكان أولُ كلمةٍ تكلَّم بها أن قال: «يَا عَائِشَةُ، احمَدي اللهَ وأَبشِري، فإنَّ الله قد برَّأَكِ» فقالت لي أُمي: قومي إلى رسولِ الله ﷺ، فقلت: لا أَقومُ إليه، ولا أَحمَدُ إلا اللهَ الذي أَنزل براءتي من السماء. وأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] العشر آيات.

قالت: وكان أَبو بكرٍ يُنْفِقُ على مِسْطَحٍ لِقَرابته منه وفقرِه، فقال: والله لا أُنفق عليه أبداً بعدما قال في عائشة، فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] فقال أبو بكر: بلى، إني أُحبُّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مِسْطَح ما كان يُجري عليه، وقال: والله لا أنزعُها عنه أَبداً.

وكان رسول الله ﷺ سأل زينبَ بنتَ جَحْشٍ عن أَمري فقال: يا زينبُ، ما رأيتِ؟ ما بلغَكِ؟ فقالت: يا رسول الله، أَحمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ عليها إلّا خيراً، قالت عائشة: وهي التي كانت تُساميني من أَزواجه فعصمها الله بالورعِ، وطَفِقَت أُختُها حَمْنةُ بنت جحش تجادلها فهلكَت فيمن هلك من أَصحابِ الإفك. قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمرِ هؤلاء الرهط. أخرجاه في «الصحيحين»(١).

وأَمَرَ رسول الله ﷺ بحسّان بن ثابت وحمنةَ بنت جحش ومِسْطَح فضُربوا الحدَّ لأنهم الذين أشاعوا الفاحشة(٢).

وقال مسروق: دخلتُ على عائشة وعندها حسان بن ثابت يُنشدها وقد أَلقت له وسادةً بعدما عمي: [من الطويل]

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ وتُصبحُ غَرْثى من لُحومِ الغوافلِ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٦٢٣)، والبخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠)، وما بين معقوفين زيادة من مسند أحمد. قولها: يهبلن: من هبله اللحم إذا كثر عليه وركب بعضه بعضاً، و«العلقة»: أي قدر ما يمسك الرمق. «عرس» أي: نزل آخر الليل. «فاستعذر من عبد الله» أي: طلب العذر من عقوبته، أي: بيَّن أنه إن عاقبه فهو معذور. «البرحاء» شدة الكرب. «الجمان»: اللؤلؤ الصغار.

(٢) «السيرة» ٢/ ٣٠٢، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٠٦٦) دون تصريح بأسمائهم من حديث عائشة قالت: لما نزل عذري، قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم.

فقالت له عائشة: لكنك لستَ كذلك، فقلتُ لها: أَتأذنين لهذا أَن يدخُلَ عليك وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] فقالت: وأيُّ عذابٍ أشدُّ من العمى، أليس قد ذهب بصره وكَسَعَ[١].

وهذا البيت من أبياتٍ يعتذر بها حسان إلى عائشة هو أولها، وبعده[٢]: [من الطويل]

حَليلَةُ خيرِ النَّاس دُنيا ومَنصِبا ... نبيُّ الهُدى والمَكْرُماتِ الفَواضِلِ[٣]
عقيلةُ حيٍّ من لؤيِّ بن غالبٍ ... كرامِ المساعي مجدُهم غيرُ زائلِ
مهذَّبةٌ قد طيَّب الله ذكرها ... وطهَّرها من كل شرٍّ وباطلِ[٤]
فإن كان ما قد قيل عَنِّيَ قلتُه ... فلا رفَعَت سوطي إليَّ أناملي
وإن الذي قد قيل ليس بلائطٍ ... بكِ الدهرَ، بل قولُ امرئٍ بيَ ماحِلِ[٥]
وكيف ووُدّي ما حَيِيتُ ونُصرتي ... لآل رسولِ الله زَيْنِ المحافلِ
له رُتَبٌ يعلو على الناسِ فضلُها ... تُقَصِّرُ عنها سَوْرَةُ المتطاولِ[٦]

فقالت عائشة رضوان الله عليها لمسروقٍ: إنه كان يُنافح عن رسول الله ﷺ. وقالت: ما سمعت أحسن من قول حسان، وما تمثَّل به إلا رجوت له الجنة، فإنه هو القائل لأبي سفيان[٧]: [من الوافر]

هَجوتَ محمداً فأَجبتُ عنه ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨) وفيه: وأي عذاب أشد من العمى؟ قالت له: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ. وتزن: تتهم، وغرثى: أي خميصة البطن، كناية عن عدم استغابة الناس وأكل لحومهم.

(٢) الأبيات في «السيرة» ٢/ ٣٠٦.

(٣) لم نقف على هذا البيت في ديوان حسان، ولا في غيره من المصادر.

(٤) في الديوان: «خيمها» بدل ذكرها، والخيم: الطبع والأصل.

(٥) اللائط: اللصيق، والماحل: الواشي النمام.

(٦) السورة: الوثبة.

(٧) الأبيات في ديوانه ص ٦٤ والخبر أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإشراف على منازل الأشراف» (٥٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٦٤٠).

فَـإنَّ أبـي ووالـدَتـي وعـرضـي لـعِـرْضِ مـحـمَّـدٍ مـنـكـم وِقـاءُ
أتـشـتُـمُـهُ ولـسـتَ لـه بـكـفءٍ فَـشـرُّكُـمـا لـخـيـرِكُـمـا الـفِـداءُ

وقال الزهري: قال لي الوليد بن عبد الملك: أَبَلَغَكَ أن علياً كان فيمن قذف عائشة؟ فقلت: لا، ولكن قد أخبرني رجلان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن عائشة قالت لهما: إنَّ علياً كان مُسلِّماً في شأنها[(١)].

وقال الزهري: كتب إليَّ الوليد بن عبد الملك: الذي تولى كِبْرَه منهم علي بن أبي طالب. قال: فكتبت إليه: حدثني سعيد بن المسيب، وعروة، وعلقمة وعبيد الله بن مسعود كلهم يحدث عن عائشة، أن الذي تولى كِبْرَه منهم عبد الله بن أبي[(٢)].

وقالت امرأةُ أبي أيوب الأنصاري لأبي أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ فقال: سبحانكَ، هذا بهتان عظيم، ثم قال: يا أم أيوب، لو كنتِ بدلَ عائشة أكنتِ تفعلينه؟ فقالت: لا والله. فقال: فعائشة والله خيرٌ مِنْكِ وأَطْهرُ[(٣)].

وقال الواقدي: غاب رسول الله ﷺ في هذه الغزاة ثمانية وعشرين يوماً، وقدم المدينةَ لهلال رمضان[(٤)].

وفيها: تزوج رسول الله ﷺ بزينبَ بنت جَحْش في ذي القعدة، في قول الواقدي[(٥)]. والأصح أنه تزوجها قبل حديث الإفك[(٦)]، لِما رَوَيْنا عن عائشة أنها قالت: وهي التي كانت تُساميني، ولقولها: وذلك بعد ضرب الحجاب، والحجاب إنما ضُرِب في تزويجه ﷺ بزينب بنت جحش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرَةَ بن مرة، من بني أسد بن خُزَيْمَةَ، وأمها أُمَيْمَةُ بنت عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٩) مختصراً دون ذكر قصة الوليد بن عبد الملك، وأخرجه مطولاً وبتمامه عبد الرزاق في «تفسيره» ٣/ ٥٢، والطبراني في «الكبير» ٢٣/ (١٤٥).

(٣) «السيرة» ٢/ ٣٠٢.

(٤) «المغازي» ١/ ٤٠٤.

(٥) انظر طبقات ابن سعد ١٠/ ١١٠-١١١، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٦٢، و«المنتظم» ٣/ ٢٢٥.

(٦) وقيل كان في السنة الثالثة، انظر «الإصابة» ٤/ ٣١٣، والذي في «الفتح» ١/ ٣٧٨: أنه تزوجها في السنة الخامسة.

قال ابن عباس: خطب رسول الله ﷺ زينب من أخيها عبدِ الله بن جحشٍ على زيد ابن حارثةَ مولاه، وكان قد تبناه، فكان زيد مولى في الإسلام، غريباً في الجاهلية، فلما خطبها رسول الله ﷺ لنفسه أجابت، فلما علمت أنه خطبها لزيد أنكرت وأبت وقالت: أنا بنت عمتك، تزوجني مولىً لا أرضاه. وأبى أخوها عبد الله ذلك، وكانت بيضاءَ جميلة فيها حِدَّةٌ، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فقالت: رضيت. وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ، وفعل أخوها كذلك، فزوَّجها زيداً وساق إليها عشرة دنانير وستين درهماً ودرعاً وخماراً ومِلْحَفَةً وإزاراً، وخمسين مُدّاً من طعام، وثلاثين صاعاً من تمر، فأقامت عند زيد حيناً، فقال له رسول الله ﷺ: «هل رابك منها شيء؟» قال: هي سيئة الخلق، وتتعظَّمُ علي بشرفها، وتؤذيني بلسانها.

وكان رسول الله ﷺ لا يصبر عن زيدٍ ساعة، فغاب عنه يوماً فجاء إلى بيته يطلبه فلم يجدْه، وقامت إليه زينب فقالت: ليس ها هنا، فادخلْ، فداك أبي وأمي. وعَجِلت زينب أن تلبس ثوبها لمّا قيل لها رسول الله ﷺ على الباب، فوثبت عَجِلَةً فأَعْجبتْ رسولَ الله ﷺ، فولى يُهَمْهِمُ بشيء لم يُفْهَمْ منه إلا «سبحان مُقَلِّبِ القلوبِ أو مصرِّفِ القلوب...» وجاء زيدٌ إلى بيته فأخبرته زينبُ بما كان، فقال: هلّا عرضتِ عليه الدخول؟ قالت: قد فعلت وأبى. قال: فهل قال شيئاً؟ قالت: نعم، قال كذا وكذا. فجاء زيد إليه فقال: يا رسول الله، بلغني أنك جئت إلى منزلي فهلّا دخلت؟ لعل زينب أعجبتك، أأُفارقها؟ فقال له: «أَمسكْ عَليكَ زَوجَكَ». فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم، ففارقها واعتزلها.

فبينا رسولُ اللهﷺ عند عائشة إذْ أخذته غَشيةٌ فأفاق، ثم قال: «من يذهبُ إلى زينب فيبشِّرها، أن الله قد زَوَّجنيها من السماء، ثم قرأ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] الآيات[١].

(١) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٩٩، وقد ردَّالعلماء هذا الخبر وأمثاله، ونزهوا النبي ﷺ عما نسب إليه فيها، انظر أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٥٣١، والشفا للقاضي عياض ٢/ ٤٢٥، والمفهم للقرطبي ٤٠٦/١، وفتح الباري ٨/ ٥٢٣.

قال ابن عباس: فلو كتم رسول الله ﷺ شيئاً لكتم هذه الآية: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧][١].

قال ابن مسعود: ما نزل على رسول الله ﷺ آيةٌ أشدُّ عليه منها.

ولما تزوجها رسول الله ﷺ قال المنافقون: أيتزوجُ الرجلُ زوجةَ ابنه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٢] [الأحزاب: ٤٠]، وما كانوا يدعون زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، إنما كانوا يدعونه زيد بن محمد، حتى نزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾[٣] [الأحزاب: ٥].

قالت عائشة: فأخذني ما قَرُبَ وما بَعُد لِما أَعْلَمُ مِن جمالها، وأخرى وهي أعظم الأمور، وهي: أن الله زَوَّجها، فكانت تَفْخَر علينا بذلك، وخرجت سَلْمى خادم رسول الله ﷺ فبشرتها بذلك فأعطتها أوضاحاً كانت عليها[٤].

وقال أنس: لما انقضت عِدَّةُ زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «اذهَبْ فَاذكُرني لها». قال زيد: فلمّا قال لي ذلك عَظُمت في عيني أو في نفسي، فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب وقلت: يا زينب، إن رسول الله ﷺ يذكُرُكِ، وقد بعث بي إليك. فقالت: ما كُنْتُ لأُحدِثَ شيئاً حتى أُؤامر ربي. فقامت إلى مسجدها، وأنزل الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن. انفرد بإخراجه مسلم[٥].

ومن حديث أنس قال: وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حتى أنزل الله، وكان أول ما نزل في مُبْتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، أصبح رسول الله ﷺ بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي رَهْطٌ منهم عند النبي ﷺ فأطالوا المُكْثَ، فقام وخرج وخرجتُ معه لكي يخرجوا، فمشى ومشيتُ معه حتى جاء

(١) لم نقف عليه من حديث ابن عباس، وأخرجه البخاري (٤٦١٢)، ومسلم (١٧٧) من حديث عائشة ﵂.
(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤١ .
(٣) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤١ .
(٤) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٩٩ .
(٥) صحيح مسلم (١٤٢٨) (٨٩).

إلى عَتَبَةِ حُجْرةِ عائشة، وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخلَ على زينب فإذا هم جلوسٌ لم يقوموا، فرجعَ ورجعتُ معه، حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا فَضُرِبَ بيني وبينه السترُ وأُنزلَ الحِجابُ. أخرجاه في «الصحيحين»[1].

وفيه: فلم أر رسول الله ﷺ أولم على امرأة من نسائه ما أَوْلَم على زينب، فإنه ذبح شاة وأطعم خبزاً ولحماً[2].



وفي هذه السنة كانت غزاة الخندق[3] ـ وهي غزاة الأحزاب ـ في شوال، وقيل: في ذي القعدة.

وسبب هذه الغَزاةِ: أن رسولَ الله ﷺ لما أجْلى بني النضير عن ديارهم، خرج سلَّامُ بن أبي الحُقَيْق، وحُيَيّ بن أخْطَب، وكِنانةُ بن الربيع، في نفر من اليهود، فقَدِموا مكة ودَعَوْا قريشاً إلى حربِ رسولِ الله ﷺ، وقالوا: نحن معكم حتى نستَأْصِلَ شأن هذا الرجل. فقالت لهم قريشٌ: أَنتم أصحاب كتابٍ وعلمٍ، أَدينُنا خيرٌ أم دينُ محمد؟ فقالوا: دينُكم، وأنتم أَوْلى بالحق منه، فَسَرَّ قُرَيْشاً ذلك، ونَشِطوا لحرب رسول الله ﷺ، واتفقوا معهم على ذلك، وأرسل أبو سفيان إلى القبائل، فجاؤوا إليه من كل وجه، وجَمعَ الأَحابيشَ، وانضمت إليه أَسَد وغَطَفان وغيرُهم، فعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن أبي طلحة، وساروا في عشرة آلاف، ومعهم ثلاث مئة فرس، وألفَا بعيرٍ، وقيل: وخمس مئة، وأربعة آلاف دارع، ووافاهم عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ في أُلوفٍ من غَطَفانَ وفَزارةَ.

ولمانزل أبو سفيان مَرَّ الظهران، وافته سُلَيْمٌ في سبع مئة رجل عليهم سفيان بن عبد شمس السُّلَمي أبو أبي الأعور الذي كان مع معاوية بِصِفِّين، وكان سفيان حليفاً لأبي

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٦٦)، ومسلم (١٤٢٨) (٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٧١)، ومسلم (١٤٢٨) (٩٠).

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٢١٤، و«المغازي» ٢/ ٤٤٠، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٦٢، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٠٩، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٦٤، و«دلائل النبوة» ٣/ ٣٩٢، و«المنتظم» ٣/ ٢٢٧، و«البداية والنهاية» ٤/ ٩٢.

سفيان بن حرب، وجاءت بنو أسد يقودها طُليحة بن خُوَيْلد الأسدي في ألف، وجاءت أشجع في أربع مئة يقودهم مسعود بن رُخَيْلة، وجاءت بنو مُرَّةَ في أربع مئة يقودها الحارث بن عوف، ووافاهم جميع اليهود فصاروا عشرين ألفاً.

وبلغ رسولَ الله ﷺ، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق وقال: هو عندنا في بلاد فارس. وأشار أيضاً بعمل المِنْجَنيق وقال: إنه يعمل عندنا بفارس يدفع العدو. وسلمان يومئذ حر(١).

وقال الواقدي: هذا أول مشهد شهده(٢).

وخط رسول الله ﷺ الخندق من أُطُم الشيخين، طَرفِ بني حارثة إلى المَذادِ، وجعل كلَّ أربعين ذراعاً بين عشرة(٣).

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين نزلوا قريباً من سَلْعٍ جعلوه وراء ظهورهم، والخندق بينهم وبين الكفار.

واستخلف على المدينة ابنَ أُمِّ مَكْتوم، وأَمَر رسول الله ﷺ بالذراري والنساء والضُّعفاء، فَرُفِعُوا في الآطام.

قال: وخرج يوم الاثنين لثمانِ ليالٍ مَضَيْنَ من ذي القعدة، وحمل لواءه زيد بن حارثة، وحمل لواءَ الأنصارِ سعدُ بن عبادة، وصار المسجد والبنيان وراءَ الخندق، ورتَّب على المدينةِ الحرسَ، فيهم: سلمةُ بن أسلم، وزيد بن حارثه، وجَعلَ شِعارَ المسلمين «حم لا ينصرون».

قال ابن إسحاق: فبينمَا هم على ذلك إذ طلعت طلائع الأحزاب، فقال المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾(٤) [الأحزاب: ٢٢]. وأقبل أبو سفيان في قريش، فنزل بمُجْتَمعِ الأسيال بين الجرفِ

(١) إشارة سلمان بالمنجنيق كانت في غزوة الطائف، كما في «المغازي» ٣/ ٩٢٧، و«تخريج الدلالات» ص ٤٩١.
(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٦٧.
(٣) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٦٨.
(٤) «السيرة» ٢/ ٢٤٧.

والغابةِ[1] في عشرة آلاف، وجاءت غَطفان وأهل نجد فنزلوا بِذَنَبِ نَقَمَى إلى طرف أُحد، وأحدق باقي القبائل بالمدينة، وأبطأ على رسول الله ﷺ جماعة من المسلمين، وجعلوا يتسللون إلى أهاليهم.

وكان جُعيلٌ عمل مع جماعة فسماه رسول الله ﷺ عمراً[2].

وكان سلمانُ رجلاً قوياً، فاختصم فيه المهاجرون والأنصار، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمانُ مِنّا أهلَ البيت»[3].

قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان، وحُذَيفة بن اليَمان، والنعمان بن مُقْرِّن المُزَني، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، قال حذيفة: فظهرت علينا في الخندق صخرةٌ كسرت مَعاوِلنا، فأتى سلمانُ إلى رسول الله ﷺ وهو على جانب الخندق فأخبره بها، فقام ونزل إلى الخندق وضربها فانصدعت، وبرق منها بَرْقَةٌ أضاءت منها ما بين لابتيها - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح، وكبَّر رسول الله ﷺ، ثم ضربها ثانياً وثالثاً وهي تَبْرُقُ كذلك، فسأله سلمان فقال: «أَمَّا في البَرْقَةِ الأُولى: فإنِّي رَأَيتُ منها قُصُورَ الحِيرَةِ ومَدائنَ كِسْرَى، كأَنَّها أَنْيَابُ الكلَابِ، فأَخبرَني جبريلُ عليه السلام أنَّ أُمَّتي سَتَظهرُ عَليها، وأَمَّا في الثَّانية: فأَضاءَتْ لي القُصُورُ الحُمْرُ من أَرضِ الشَّام والرُّوم، وأَخبرَني جبريلُ أنَّ أُمَّتي سَتَظهرُ عليها، وأمَّا في الثَّالثة: فَأَضاءتْ لي قُصُورُ صَنْعَاءَ، وأَخبرني جبريلُ أنَّ أُمَّتي سَتَظهرُ عليها». فاستبشر المسلمون، فقال المنافقون: يا عجباً، أيمنِّيكم الباطلَ، يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن صنعاء والشام، وأنها ستُفْتَحُ لكم وأنتم تحفِرون الخندق، ولا تستطيعون أن تخرجوا من المدينة! وأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾[4] [الأحزاب: ١٢].

---

(١) هكذا جاءت في النسخ الخطية، وهي كذلك عند الطبري ٢/ ٥٧٠ ، وفي «السيرة» ٢/ ٢١٩ : زَغَابة، وهو ما رجحه ياقوت في «معجم البلدان» ٣/ ١٤١ .

(٢) انظر «السيرة» ٢/ ٢١٧ ، و«المغازي» ٢/ ٤٤٧ ، وصار المسلمون يرتجزون:

سماه من بعد جعيل عمراً ... وكان للبائس يوماً ظهراً

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٠٤٠)، والحاكم ٣/ ٦٩١ من حديث عبد الله المزني، وانظر «السيرة» ٢/ ٢٢٤ .

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٧٧، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٦٧-٥٧٠، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤١٩-٤٢٠ .

فكان أبو هريرة يقول لما فتحت هذه الأمصار في زمن عُمَر وما بعده: افتحوا ما بدا لكم فوالذي نفسُ أبي هريرة بيده مافتحتم مدينة ولاتفتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطي محمدٌ ﷺ مفاتيحَها[(١)].

وقال جابر: مكث النبي ﷺ وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثاً لم يذوقوا طعاماً، فقالوا: يا رسول الله، إن ها هنا كُدْيَةً من الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «رُشُّوهَا بالمَاءِ»، فرشوها، ثم جاء النبي ﷺ فأخذ المِعْوَل والمِسْحاة، ثم قال: «بِسْمِ اللهِ»، وضرب ثلاثاً فصارت كثيباً مُهالاً. قال جابر: فحانت مني التفاتة، فإذا رسول الله ﷺ قد شد على بطنه حجراً. أخرجاه في «الصحيحين»[(٢)].

وقال البراء بن عازب: رأيت رسولَ الله ﷺ ينقلُ معنا التراب ويقول:

واللهِ لــولا اللهُ مــا اهــتــدَيْــنــا ... ولا تــصــدَّقْــنــا ولا صَــلَّــيْــنــا
فــأَنْــزِلَــنْ سَــكــيــنــةً عَــلَــيْــنــا ... وثــبِّــتِ الأقــدامَ إن لاقَــيْــنــا
والــمُــشــرِكــونَ قــد بَــغَــوا عــلــيــنــا ... إذا أرادوا فــتــنــةً أبــيــنــا

يرفع صوته وقد وارى التراب بياضَ إبطيه. أخرجاه في «الصحيحين»[(٣)]، والأبيات لعبد الله بن رواحة.

قال أنس: وكانوا يُؤْتَوْنَ بملء كَفٍّ من شعير، فَيُصْنَعُ لهم بإهالَةٍ سَنِخَةٍ، ويوضع بين أيديهم والقوم جياعٌ وهي بشِعَةٌ في الحَلْق ولها ريح منكرة. انفرد بإخراجه البخاري[(٤)].

ولما استقر نزول الكفار على المدينة، خرج حُيَيُّ بنُ أَخْطَب إلى كعب بن أسد صاحبِ عَقْدِ بني قريظة، وكان كعب قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاهده أن لا يُعينَ عليه، فلما علم كعب بمجيء حيي، أغلق باب الحصن دونه، فناداه: يا كعب،

---

(١) «السيرة» ٢/ ٢١٩، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٧٠.

(٢) البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩) بقصة المجاعة التي أصابتهم ووضعه ﷺ الحجر على بطنه، وهذا لفظ أحمد في «مسنده» (١٤٢١١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٤)، ومسلم (١٨٠٣)، واللفظ للحميدي في «الجمع بين الصحيحين» (٨٥٢).

(٤) البخاري (٤١٠٠).

افتح لي. فقال: لا أفتح لك، إنك امرؤ مَشؤوم، وقد عاهدتُ محمداً فلم أرَ منه غيرَ الوفاءِ والصدقِ، فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينه، فقال: ويحك افتح الباب، فقال: ما أنا بفاعل، فقال: والله ما أغلقتَ بابَك دوني إلا خوفاً على جَشيشتك[1] لئلا آكلَ مَعك منها، فأَحْفَظَ ذلك كعباً ففتح له الباب، فدخل وقال: يا كعب قد جئتك بعِزِّ الأبد وببحرٍ طام: أبي سفيان في قريش، والأحابيش، وقبائل العرب، فأنزلْتُهم حولَ المدينة في عشرين ألفاً، وعاهدتهم أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه، فقال له كعب: جئتني بذل الدهر، وجَهامٍ[2] قد أُهريقَ ماؤه، ورعد وبرق ليس فيه مطر، فَدَعْني وما أنا عليه مع محمد، فلم أر منه ما أكره، فلم يزل بكعب يفتله في الذِّرْوَةِ والغارب[3] حتى سمح له بنقض العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ، وأنه إن رجعت قريش وغَطَفانُ، ولم يصيبوا من محمد شيئاً أنه يدخل معه حصنه فيصيبَه ما أصابه.

ولما بلغ النبيَّ ﷺ ذلك، ندب جماعة من أصحابه منهم: سعد بن عبادة، وعبد الله ابن رواحة، وخوّاتُ بن جُبَير، وقال: «انطلقوا إلى قريظة، واعْلَموا لنا عِلْمَها فإن كان حقّاً فالْحَنوا لَحْناً ولا تفشوه، فَتَفُتُّوا في أعضاد الناس وإن كان كعب على الوفاء فأذيعوه». فخرج إليهم، فإذا هم أبلغ مِمّا بلغه عنهم، فعادوا وأخبروا رسول الله ﷺ، فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»[4].

واشتد الحصار على المسلمين، وجاؤوهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم حتى ظن المؤمنون الظنونَ، ونَجمَ النفاقُ وتحدث المنافقون، وقال معتِّب أخو بني عمرو بن عوف: يَعِدُنا محمدٌ أن نأكل كنوزَ كِسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهبَ إلى الغائط[5].

---

(١) الجشيشة: طعام يصنع من البر، يطحن غليظاً.

(٢) الجهام: السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه.

(٣) الذروة والغارب على ظهر البعير، وأراد بذلك أنه لم يزل يخدعه كما يخدع البعير إذا كان نافراً فيمسح باليد على ظهره، حتى يستأنس فيجعل الخطام على رأسه.

(٤) انظر «السيرة» ٢/ ٢٢٠ـ٢٢٢ ، و«المغازي» ٢/ ٤٥٥ـ٤٥٩ ، وعندهما أن النبي ﷺ قال: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين».

(٥) انظر «السيرة» ٢/ ٢٢٢ .

وقال أوسُ بن قَيْظي أحد بني حارثة: يا رسولَ الله، إن بيوتنا عورةٌ ـ أي خالية ـ، فَأْذَنْ لنا أن نرجع إلى ديارنا فإنها خارجَ المدينة. وكان ذلك عن رأي رجال من قومه المنافقين(١).

فلم يأذن لهم وأقاموا محاصَرين بضعاً وعشرين، ولم يكن بينهم قتال إلا الرميُ بالنبل يتناوبون عليهم.

قال أنس: لما اشتد القتال جاءهم أبو سفيان بن حرب، وخالد بن الوليد، وعكرمة ابن أبي جهل، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب الفهري، ووجوه القبائل والأحابيش، واستمر القتال بينهم عامَّةَ النهار، وفاتَ رسولَ الله ﷺ أربعُ صلوات، فلما رجع الناسُ إلى منازلهم، أمر بلالاً فأذَّنَ وأقام لكل صلاة(٢).

ولما طال الأمر، كتب أبو سفيان إلى النبي ﷺ: باسمك اللهمَّ أحلف باللات والعُزَّى، وإساف ونائلة وهُبَل، لقد سِرْتُ إليك لأستأصِلَكَ وأصحابَك، فرأيتُك قد اعتصمتَ بمكيدة ما كانت العرب تعرفها، وإنما تَعرفُ ظِلَّ رماحها وشبا سُيوفها، وما فعلتَ هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا، وإن لك مني يوماً كيوم أُحدٍ والسلام.

وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجُشَمي، وأراد بالمكيدة الخندق، فقرأه أبي بن كعب على رسول الله ﷺ، فأمره أن يكتب جوابه، فكتب: «بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم، من محمدٍ رَسول الله إلى صَخرِ بن حربٍ، أما بعد، فقد أتاني كتابك يا أحمقَ بني [غالب] وسفيهَهم، وقديما غرَّك بالله الغرور، وسيحولُ الله بينكَ وبينَ ما حَاولتَ، ويجعلُ لنا العاقِبَةَ، ولَيأتينَّ عليكَ يومٌ أكسِرُ فيه اللاَّت والعُزَّى، وإسافَ ونَائلةَ، وهبلَ، والسلام(٣)».

ولما اشتد الحصارُ على الناس، بعث رسول الله ﷺ إلى عُيَيْنَةَ بنِ حِصْن، والحارثِ ابنِ عَوْفٍ بن أَبي حارثة المُرِّي(٤)، وهما قائدا غطفان، فصالحهما على أن يعطيَهما

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٢٢٢ و٢٤٦ .
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ٦٥ .
(٣) انظر «المغازي» ٢/ ٤٩٢ـ٤٩٣ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤١١ ، وما بين معقوفين زيادة منه.
(٤) في النسخ: المزني، وكذا جاء في «الإصابة» ١/ ٢٨٦ ، وفي «السيرة» ٢/ ٢٢٣: المري، ولعله هو الصواب. انظر «جمهرة النسب» ص ٤١٨ .

ثُلُثَ ثمار المدينة، ويرجعا بمن معهما. فأجابا وكتب بينهما كتاب الصُّلح، ولم يبق إلا الإشْهادُ. فاستشار رسول الله ﷺ سعدَ بن معاذ وسعدَ بن عبادة في ذلك، فقالا: يا رسول الله، آلله أمرك بهذا أم رأيٌ رأيتَ من عندك؟ فقال: «لَو أَمَرني اللهُ ما شَاوَرتُكُما، ولكنْ رأيتُ العربَ قد رَمَتكُم عن قَوسٍ واحدَةٍ، وكَالَبُوكُم من كلِّ جانبٍ، فأردتُ أن أكسِرَ شَوكَتَهم عنكم». فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وإياهم على شِرْكٍ وعبادةِ أوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يَطْمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قِرىً أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزَّنا بك نعطيهم أموالنا، والله ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله ﷺ: «أَنتُم وذَاكَ». فتناول سعد الكتاب فَمحاه وقال: ليَجْهَدوا علينا جهدهم.

وكان عيينة بن حصن والحارث بن عوف قد جاءا مُستخفيين من أبي سفيان ليشهدوا الصلح، فمد عيينة بن حصن رجليه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له أسيد بن حضير: يا عينَ الهِجْرِسِ[(١)]، اقبضْ رِجلَيْكَ عن رسول الله ﷺ، وإلا أخذت الذي فيه عيناك، والله لا نُعطيكم إلا السيف، والله يا رسول الله إن كانوا ليأكلون العِلْهِزَ من الجَهْد، وما طمعوا بهذا. فقاما وهما يقولان: والله لا نُدْرِكُ من هؤلاء شيئاً[(٢)].

وكان فوارسُ من قريش يقاتلون ويترامَون منهم: عَمرو بن عَبد وُدّ بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله، وضِرار بن الخطاب الفِهْري، ومِرْداسُ[(٣)] من بني محارب بن فِهْر، وغيرُهم قد لبسوا للقتال، فجاؤوا يوماً للقتال مشاة وركباناً، فوقفوا على الخندق، فلما تأملوه عجبوا وقالوا: مكيدة ما كانت العرب تعرفها، فقال بعضهم: مع محمد رجل من فارس يدلُّه على مثل هذا ،يعنون سلمان الفارسي .

ثم قصدوا مكاناً ضَيِّقاً من الخندق فاقتحموه، وجالت خَيْلُهم في السَّبْخَةِ بين

---

(١) الهجرس: ولد الثعلب.

(٢) «المغازي» ٢/ ٤٧٨-٤٧٩ ، والخبر فيه مطول.

(٣) هكذا جاءت العبارة في النسخ، وفي «السيرة»: ضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس، وهو الصواب، انظر «الإصابة» ٢/ ٢٠٩

الخندق وسَلْع، وأقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من الصحابة رضي الله عنهم، فأخذ عليهم الثُّغْرة التي اقتحموها وأقبلتِ الفرسانُ تُعْنِقُ نحوهم[١].

ذكرُ مَقْتَلِ عمرو بن عبد وُدّ:

قال الواقدي: لم يشهد عمرو أحداً، وإنما قاتل يوم بدر قتالاً شديداً، فأُثخِنَ بالجِراحات وهرب إلى مكة، فلما كان يومُ الخندق خرج مُعْلماً ليُرى مكانه، وهو يومئذ ابنُ سبعين سنةً، وكان يُعَدُّ بأَلْفِ مقاتل، فدعا إلى البِراز، فلم يبرز إليه أحد، فقال رسول الله ﷺ: «مَن لهُ»؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّم وجهه: أنا، فعمَّمه بيده وأعطاه سيفه ذو الفقار، فبرز إليه وناداه: يا عمرو، إنك عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خَطْبَيْن[٢] إلا أجبته إلى أحدهما. قال: أجل. قال: فإني أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام. فقال: لا حاجة لي في ذلك. قال: فأنا أدعوك إلى البراز. فعرفه، فقال: ولم يا ابن أخي فوالله ما أُحِبُّ أن أَقْتُلَكَ. فقال علي رضي الله عنه وأرضاه: ولكني أُحِب أن أقتلك. وناداه رسول الله ﷺ: تقدم على اسم الله. فعند ذلك غضب عمرو وأنشد: [من مجزوء الكامل]

ولــقــد بُــحِــحْــتُ مــن الــنِّــدا ءِ لــجــمــعِــهــم هَــل مِــن مُــبــارِزْ
وَوَقــفــتُ إذ جَــبُــنَ الــشُّــجــا عُ تــوقُّــفَ الــبَــطَــلِ الــمــنــاجِــزْ
إنِّــي كــذلِــكَ لــم أزلْ مــتــســرِّعــاً نــحــو الــهَــزاهِــزْ
إنَّ الــشــجــاعــةَ فــي الــفــتــى والــجــودَ مــن خــيــر الــغــرائــز

فأجابه عليٌّ رضوان الله عليه: [من مجزوء الكامل]

لا تــعــجــلــنَّ فــقــد أتــا كَ مُــجــيــبُ صــوتِــك غــيــرُ عــاجــزْ
ذو نــيَّــةٍ وبَــصــيــرةٍ والــصِّــدقُ مــنــجــى كــلِّ فــائــزْ
إنَّــي لأرجــو أن أُقــيـ ـمَ عــلــيــكَ نــائــحــةَ الــجــنــائــزْ
مِــن ضَــربــةٍ فــوهــاءَ يَــبْـ ـقَــى ذكــرُهــا عــنــد الــهــزاهــزْ

(١) «السيرة» ٢/ ٢٢٤، «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٧٣ـ٥٧٤.

(٢) في «السيرة»: خلتين.

وفي رواية: فقال له عمرو: فارجع فإنك شاب. فأغلظ له علي ﷺ في القول، فغضب وعَرْقَبَ فرسه. ثم تجاولا ساعةً وثار بينهما الغبار، فانجلى عن عمرو وهو قتيلٌ، اختلفا ضربتين سبقه علي ﷺ ففلق رأسه، ويقال: أن عمراً جَرح علياً عليه السلام في رأسه، ولما قَطع يَدَ عَمرٍو انقضَّتْ عُقابٌ فأخذت كفه وفي خِنْصَره خاتمُه، فحملتِ الخِنْصَر وطارت إلى مكة فألقته فعرفته أُختُه، فقالت: قتل أخي. فلما عاد أبو سفيانَ إلى مكةَ، قالت: من قتلَ أخي؟ قالوا: علي بن أبي طالب، فقالت[1]: [من البسيط]

لـو كـان قـاتـلُ عـمـرٍو غَـيْـرَ قـاتِـلِـهِ ... لـطـال حـزنـي عـلـيـه آخـر الأبـدِ
لـكـنَّ قـاتـلَـه مَـنْ لا يُـقـادُ بـه ... مـن كـان يُـدْعى أبـوه بـيـضـةَ الـبـلـدِ

ولما قُتِلَ عمرو ولَّت خيولُ أهله وأصحابه خارجةً من الخندق منهزمة، وقتل معه رجلان: مُنَبِّه بنُ عُثمان بن عبيد بن السبّاق بن عبد الدار، أصابه سهم فأثْخَنه فمات بمكَّةَ منه، ومن بني مخزوم نَوْفل بن عبد الله بنِ المُغيرة، وكان ممن اقتحم الخندق، فرمَوْه بالحجارةِ وقد تورّط فيه فنادى: يا معاشر العرب، قِتْلَةٌ أحسنُ من هذه. فقتله علي رضوانُ الله عليه، وقيل: الزبير رضوان الله عليه. فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ ليبيعَهم جُثَّته، فقال: «لا حاجَةَ لنا في جِيفَتِهِ ولا في ثَمَنِهِ، فإنَّه خبيثٌ، خُذوه». فأخذوه[2].

وقال ابن إسحاق: وكانت عائشة رضوانُ الله عليها وأمُّ سعدِ بن معاذ ﷺ في أُطُمٍ من آطامِ بني حارثة، فمر سعدُ بن معاذ وعليه دِرْعٌ مُقَلَّصة قد خرج منها ذِراعُه وهو يقول: [من الرجز]

لـبِّـثْ قـلـيـلاً يـشـهـدِ الـهـيـجـا حَـمَـلْ ... لا بـأسَ بـالـمـوتِ إذا جـاءَ الأَجَـلْ

قالت عائشة: فقلت: يا أمَّ سَعْد، وَدِدْتُ أن دِرْعَ سَعْدٍ أسبغُ مما هي، فإني أخاف عليه. قالت: فرماه حِبّان بن قيس بن العَرِقَة بسهم فقطع أكحله، وقال: خُذْها وأنا ابن العَرِقَةِ، فقال سعد ﷺ: عَرَّقَ الله وَجْهَكَ في النار، اللهمَّ إن كنتَ أبقيتَ من حَرْبِ

(١) البيتان في «ثمار القلوب» ص ٤٩٦ وفيه أن القائلة ابنته، وفي «المنتظم» ٣/ ٢٣٤ أنها أمه.

(٢) سياق القصة مأخوذ من عدة مصادر لا عن الواقدي وحده، وقد وردت في «المغازي» ٢/ ٤٧٠-٤٧١، كما ذكر المصنف، والسياق من ابن إسحاق كما في «السيرة» ٢/ ٢٢٤-٢٢٥، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٧٣-٥٧٤ - وهي عندهم دون ذكر أبيات الشعر - والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٣٧-٤٣٩، و«المنتظم» ٣/ ٢٣٢.

قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قومَ أحبُّ إلي أن أجاهدَهم من قومٍ كذَّبوا رسولَك، وآذَوْه، وأخرجوه، اللهمَّ ولا تُمِتْني حتى تُقِرَّ عَيْني من بني قريظة، واجعله لي شهادة[1]. وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية.

قالت عائشة رضي الله عنها: واقتحمتُ حَديقةً فيها نفرٌ من المسلمين، فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيهم رجل عليه تَسْبِغَةٌ لا يُرى منه إلا عيناه، والتسبغة: المِغْفر. فقال لي عمر: إنك لجريئةٌ ما جاء بك؟ وما يدريك لعله يكون تحوُّزٌ أو بلاءٌ. فوالله مازال يلومُني حتى وَدِدْتُ أن الأرض انشقت ساعتئذٍ فدخلت فيها، فكشف الرجل عن وجهه فإذا هو طلحة بن عُبَيْد الله، فقال لعمر: ويحك يا عمر، قد أكثرتَ، فأين الفرار؟ أين التحوُّزُ إلا إلى الله تعالى[2]؟

وقال عبدُ الله بن كعبِ بن مالك: ما أصاب سَعْداً يومئذٍ إلا أبو أُسامةَ الجُشَمي، حليفُ بني مخزوم، رماه بالسهم في أكحله[3].

حديث نُعَيْم بن مسعود الغطفاني:

قال علماءُ السِّيَرِ: كان نُعيمُ بنُ مسعودٍ صديقاً لبني قُريظة، نديماً لكعب بن أسد يَقْدمُ عليه فيكرمُه ويُزَوِّدُه من التمر، فلما اشتد الأمر برسول الله ﷺ والمسلمين، قال نُعَيْمٌ: فأوقع الله الإسلام في قلبي، فكتمت قومي ذلك، وأتيتُ رسولَ الله ﷺ ليلاً، فقال: «مَا جَاءَ بِكَ؟» فأخبرته بإسلامي، وقلت: قد كتمتُه عن قومي، فَمُرْني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: «خَذِّل عنَّا ما استطعت، فإن الحربَ خَدْعَةٌ». فخرج نُعيمٌ فأتى بني قُريظة، فرحَّبوا به وقالوا: ما جاء بك؟ فقال: قد عرفتم وُدِّي إياكم، وكان صديقاً لهم في الجاهلية، قالوا: صدقت ولا نَتَّهِمُك في شيء. فقال: إن قريشاً وغطفانَ ليسوا من أهل هذه البلاد، وإنما جاؤوا طلباً للغنائم، فإن أصابوها وإلا رجعوا إلى بلادهم، وخلَّوْا بينكم وبين محمدٍ، ولا طاقةَ لكم به، فلا تقاتلوه معهم

---

(١) «السيرة» ٢/ ٢٢٦_٢٢٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٧٥.

(٢) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٧٦.

(٣) «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٧٦_٥٧٧.

حتى تأخذوا رهائنَ من أشرافهم. فقالوا: نِعْمَ الرأيُ رأيتَ، ونِعْمَ ما أشرتَ به.

ثم خرج من عندهم وأتى أبا سفيان ومن معه من قريشٍ، فقال: يا معاشرَ قريش، قد علمتم وُدي إياكم وفِراقي محمداً، وقد بلغني أمرٌ فاكتموه عَليَّ. قالوا: وما هو؟ قال: إن بني قريظةَ قد ندِموا على نقضِ العهد بينهم وبين محمدٍ ﷺ، وقد أرسلوا إليه يقولون: قد نَدِمْنا على ما فعلنا، فهل ترضى عنا بأن نأخذَ من أشراف قريش وغطفانَ أُناساً رهائن، فندفعَهُم إليك فتضربَ أعناقهم؟ قال: نعم، فإن بَعَثَتْ إليكم يهودُ تطلبُ رهائنَ فلا تُعْطوهم.

ثم خرج فأتى غَطَفانَ، فقال لهم كما قال لقريش، فلما كانت ليلةُ السبت، أرسل أبو سفيان ورؤوسُ غطفانَ إلى بني قريظةَ يقولون: لسنا بدار مُقام، وقد هلك الخُفُّ والحافِر فأعِدُّوا للقتال غداً حتى نناجزهم. وكان الرسول عكرمةَ بنَ أبي جهل ووجوهَ قريشٍ وغطفان، فقالت بنو قريظة: إن غداً يومُ السبت، والعملُ علينا فيه حرامٌ، ومع هذا فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهائنَ من أشرافكم يكونوا بأيدينا ثِقةً، فإننا نخشى أن تُضَرِّسكُم الحرب فترحلوا عنا وتتركونا ومُحمَّداً في قُطْرٍ واحد، فيستأصلَنا. فلما رجعت الرسل إليهم قالوا: صدق نُعيمٌ والله. ثم أرسلوا إلى قريظة: إنّا لا ندفع إليكم أحداً، فإن شئتم أن تخرجوا فتقاتلوا وإلا فلا. فقالت قريظة: صدق والله نعيم. وانخذل الفريقان(١).

حديثُ صَفيةَ بنتُ عبد المطلب ﵂ مع اليهودي:

كانت صفيةُ ﵂ في حِصْنِ فارعٍ، وهو حصنُ حسّانَ بنِ ثابتٍ، قالت: وكان حسانُ معنا فيه مع النساء والصبيان، فجاء يهودي فجعل يُطيفُ بالحصنِ وليس بيننا وبين قريظة من يَدْفَعُ عنا، ورسولُ الله ﷺ والمسلمون في نُحور أعدائهم لا يقدرون أن يصلوا إلينا، ولا يدفعون عنا.

قالت: فقلت: يا حسان، والله ما آمنُ هذا اليهوديَّ أن يَدُلَّهم على عَوْراتِ الحِصن فيأتون إلينا، فانزل فاقتله.

---

(١) «السيرة» ٢/ ٢٢٩_٢٣١، و«المغازي» ٢/ ٤٨٠، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٧٨.

فقال حسان: يا بنت عبد المطلب، قد عَرَفْتِ ما أنا بصاحبِ هذا، وكان حسانُ من أجبن الناس. قالت: فلما يَئِستُ منه اعتَجَرْتُ وأخذتُ عموداً ونزلتُ ففتحتُ باب الحصن، وأَتَيْتُه من خلفِه فضربته بالعمود حتى قتلتُه، وصعدتُ الحصن فقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعْني من سَلْبه إلا أنه رجل. فقال: يا بنت عبد المطلب، ما لي بِسَلَبِهِ حاجةٌ(١).

حديث رحيلهم:

خذلهم اللهُ وأَيْبَسَ ضُرُوعَ مواشيهم، وأرسل عليهم رياحاً شديدة باردة فأظلمتِ الدُّنيا، وجعلت تكفأُ قدورهم وترمي آنيتهم. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[الأحزاب: ٩] الآيات. وتقلَّعتِ الأوتادُ، وطَفِئت النيرانُ، وجالت الخيل بعضُها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعبَ، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيدُ كلِّ حي يقول: يا بني فلان، هَلمُّوا إلي. فإذا اجتمعوا إليه، قال: النجاءَ النجاءَ أُتيتم، فانْهَزموا من غير قتال.

وقال محمد بن كعب القُرَظي: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفةَ بن اليمانِ: يا أبا عبد الله، رأيتُم رسولَ الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: وكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نَجْهَدُ، قال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناهُ يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا ولفعلنا، فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتُني ليلة الأحزابِ مع رسول الله ﷺ يوم الخندق في ليلة باردة لم أجد قبلها ولا بعدها برداً أشدَّ منه، فصلى رسول الله ﷺ هُوِيّاً من الليل، ثم التفت إلينا وقال: «مَن يَقومُ فَيذهَبُ

---

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٢٢٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٧٧، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٤٤٢-٤٤٣.
وقال السهيلي في «الروض الأنف» ٢/ ١٩٣-١٩٤: ومحمل هذا الحديث عند بعض الناس أن حساناً كان جباناً شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، وقال: لو صح هذا لهجي به حسان، فإنه كان يهاجي الشعراء، كضرار وابن الزبعرى وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردون عليه، فما عيَّره أحد منهم بجبن ولا وسمه به، فدلَّ هذا على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلاً في ذلك اليوم بعلة، منعته من شهود القتال، وهذا أولى ما تأول عليه. وانظر «سبل الهدى والرشاد» ٤/ ٥٦٤.

إلى هَؤلاءِ القَومِ فَيأتِينَا بخَبرهِم، أَدخَلَه الله الجنَّةَ» فما قام أحد منا من الخوفِ والبردِ والجوعِ، فعل رسولُ الله ﷺ ذلك ثلاثاً. فلما لم يقم أحدٌ، دعاني فقال: «قُم يا حُذيفةُ» فلم يكن لي بُدٌّ من القيام حين دعاني، فقلت: لبيك يا رسول الله، وقمت حتى أتيته وإن جَنْبَيَّ ليضربان، فمسح على رأسي ووجهي ثم قال: «ائتِ هَؤلاءِ القومَ حتى تأتيَني بخبرهم، ولا تُحدِثَنَّ شيئاً حتى تَرجِعَ إليَّ»، ثم دعا لي فقال: «اللهمَّ احفظهُ من بَين يَدَيْه ومِن خَلفِهِ، وعن يَمينِهِ وعن شِمَالِهِ، ومِن فَوقِهِ ومِن تَحتِهِ».

قال: فشددت عليّ أَسلابي، وأخذت قوسي وأَسْهُمي، وانطلقت أمشي كأنما أمشي في حَمَّامٍ حتى دخلت في القوم، وأرسل الله عليهم ريحاً قَطَعَتْ أَطنابَ خيامهم، وذهبت خيولهم، فلم تدع لهم شيئاً حتى أهلكته، وأبو سفيان قاعد يصطلي، فأخذتُ سهماً ووضعتُه في كَبِد قَوْسي وأردتُ أن أرميَهُ، فذكرتُ قولَ رسول الله ﷺ: «لا تُحدِثَنَّ حَدَثاً حتى ترجعَ» فرددت سهمي إلى كنانتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريحُ وجنودُ الله بهم، قام فقال: يا معاشر قريش، ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو، فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت؟ فقال: سبحان الله ما تعرفني؟! أنا فلان بن فلان، فإذا هو رجل من هَوازن، فقال أبو سفيان: يا معاشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام، ولقد هلك الكُراع والخُفُّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلَغَنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذا الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل.

ثم قام إلى جَمَلِهِ وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوقف على ثلاث قوائم، فما أطلق عِقاله إلا وهو قائم، وسمعتْ غطفانُ بما صنعت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم، وهزم الله الأحزاب، فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر، فضحك حتى بدت ثناياه في سوادِ الليل، وذهب عني الدِّفْءُ، فأدناني رسول الله ﷺ فأنامَني عند رجليه، وألقى عليّ طرف ثوبه، وألزق صدري ببطن قدمه[1].

وقد أخرج مسلم بمعناه عن حذيفة فقال فيه: فقال رسول الله ﷺ: «قُم يا حُذَيفَةُ» فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي إلّا أن أقوم، فقال: «لا تَذْعَرْهُم»، قال: فأردت أن أَرْميَ

(١) «السيرة» ٢/ ٢٣١-٢٣٣، و«المغازي» ٢/ ٤٨٨-٤٩٠، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٧٩-٥٨٠.

أبا سفيان ولو رميته لأصبتُه، فرجعت فأخبرت النبي ﷺ، فلما فرغتُ قُرِرْتُ فألبسني فَضْلَ عباءة كانت عليه، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فقال: «قم يا نَوْمانُ» وفيه: فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمّام[1]. معناه: من شدة الخوفِ، يشير إلى حرارة الفَزَع.

وللبخاري، عن سليمان بن صُرَد قال: قال رسول الله ﷺ - حين أُجْليَ الأحزابُ عنه -: «الآنَ نَغزُوهُم ولا يَغزُونَنَا، نحنُ نسِيرُ إلَيهم»[2] أي: نغزوهم في ديارهم. فغزاهم عام الفتح.

وقال الواقدي: دعا رسول الله ﷺ في مسجد الأحزاب يوم الإثنين والثلاثاء، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر. قال جابر: فعرفنا البِشْرَ في وجهه[3]. وكان من دعائه: «اللهمَّ مُنْزِلَ الكتاب سريعَ الحساب، اهزم الأحزاب» وفي رواية: «ومجري السحاب اهزمهم وزلزلهم». أخرجاه في «الصحيحين»[4].

قوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أي: من فوق الوادي من قِبل المشرق، عليهم مالك ابن عوف النَّصْري، وعيينةُ بن حِصْن، وطُليحةُ بن خويلد الأسدي، وحُييُّ بن أخطب في بني قريظة، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني: من بطن الوادي من قِبَل المغرب: أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه من الأحابيش، وأبو الأعور عمرو بن سفيان من قبل الخندق، ولم يقتل من المسلمين في غزاة الخندق سوى ستة نفر من الأنصار:

منهم: **عبد الله بن سهل** بن زيد الخزرجي من الطبقة الأولى، وأمه: الصَّعْبة بنت التيِّهان بن مالك، شهد عبد الله بدراً وأحداً، ورماه رجل من بني عوف بسهم في الخندق فقتله.

ومنهم: **كعب بن زيد بن قيس**، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه: ليلى بنت عبد الله الأنصارية، شهد بدراً، وأحداً، وبئر معونة، وارتُثَّ في ذلك اليوم، واستُشْهِدَ بالخندق، قتله ضِرار الفِهْري، وليس له عَقِبٌ.

---

(١) مسلم (١٧٨٨).

(٢) البخاري (٤١١٠).

(٣) «المغازي» ٢/٤٨٨.

(٤) البخاري (٤١١٥)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

وفيها: كانت غزاة بني قريظة(١).

قال علماء السير: لما انصرف الأحزاب عن المدينة، لحق أبو سفيان بمكة، وعُيينةُ بنجد، والأعراب بأماكنها، دخل رسول الله ﷺ بيت عائشة ﵂، ووضع المسلمون سلاحهم، فجاء جبريل ﵇ مُعْتَجِراً بعِمامةٍ من إستبرق، وقيل: كانت سوداء، قد أرخى ذُؤابتيها بين كتفيه، وهو على بَغْلةٍ عليها قَطيفةٌ أو رِحالةٌ من ديباج، فوقف عند موضع الجنائز، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال له: «يا محمد، عَذيرُكَ(٢) من مُحارِبٍ! أَوَ قَدْ وَضعتَ السِّلاح، واللهُ يأمُرُكَ أن تَسيرَ إلى بني قُريظَةَ». فخرج راكباً على حمار عُرْيٍ والناس يمشون بين يديه، ودعا علياً رضوان الله عليه فدفع إليه لواءه، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مَكتوم، وسار إليهم في ثلاثة آلاف من المسلمين، وستة وثلاثين فرساً، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة، أو القعدة(٣).

وقال له جبريل ﵇: إني مُزلزلٌ عليهم حُصونَهم.

وقد روى الإمام أحمد رحمة الله عليه، عن عائشة رضوان الله عليها: أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب، دخل إلى المُغْتَسلِ ليغتسل، فجاءه جبريل ﵇ فقال: أَوَقَدْ وضعتم السلاح، ما وضعت الملائكة أسلحتها، أو ما وضعنا سلاحنا أو أسلحتنا بَعْدُ، اِنْهَدْ إلى بني قريظة.

قالت عائشةُ: كأني أنظر إلى جبريل من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار في زقاق بني غَنْم(٤).

فسار إليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم بضع عشرة ليلة. وفي رواية: خمس عشرة

(١) «السيرة» ٢/ ٢٣٣، و«المغازي» ٢/ ٤٩٦، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٧٠، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤١٤، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٨١، و«المنتظم» ٣/ ٢٣٨، و«البداية والنهاية» ٤/ ١١٦.

(٢) أي: هات من يعذرك.

(٣) «المغازي» ٢/ ٤٩٧، و«الطبقات» ٢/ ٧٠.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٩٩٤)، وقوله: «في زقاق بني غنم» هو من حديث أنس الآتي، ولم نقف عليه من حديث عائشة.

ليلة، فاشتد عليهم البلاء ولم ينصرهم أحد، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ وكان مُثْخَناً من الجرح الذي أصابه يوم الخندق.

وللبخاري، عن أنس قال: كأنّي أَنظُرُ إلى غُبار ساطع في سكة بني غَنْم، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة[١].

وعن ابن عمر قال: لما رجع النبي ﷺ من الأحزاب قال: «لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العَصرَ إلّا في بَني قُريظَةَ». فأدرك بعضهم العصرَ في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يُرِدْ ذلك مِنّا. فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فلم يُعَنِّفْ منهم أحداً. أخرجاه في «الصحيحين»[٢].

قال ابن إسحاق: وسار علي عليه السلام بالراية حتى إذا دنا من الحصون، سَمع مقالةً قبيحة في حق رسول الله ﷺ فرجع، فلقيه في الطريق فقال له: يا رسول الله، لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: «أَظنُّكَ سَمعتَ لي مِنهم أَذًى» قال: نعم، قال: لو قد رأوني لم يقولوا شيئاً من ذلك.

فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم، ناداهم: «يَا إخْوَةَ القِرَدَةِ والخَنازِيرِ، هَل أَخْزاكُمُ اللهُ وأَنزَلَ بِكُم نِقْمتَهُ؟» فقالوا: يا أبا القاسم، ما كنتَ جهولاً. ومرَّ رسولُ الله ﷺ على أصحابه فقال: «هل مرَّ بكم أحدٌ؟» قالوا: نعم، مرَّ بنا دِحْيَةُ بنُ خليفةَ الكَلْبي على بغلة شهباء عليها قَطيفةٌ من ديباج. فقال رسول الله ﷺ: «ذَلكَ جبريلُ عليه السلام بُعِثَ إلى بَني قُريظَةَ، يُزَلزِلُ عَليهم حُصُونَهُم، ويَقذِفُ الرُّعبَ في قُلُوبهم». ثم نزل رسول الله ﷺ على بئر من آبارهم، وتلاحق به الناس[٣].

وقال الواقدي: لما دخل رسول الله ﷺ بيت عائشة رضوان الله عليها، جاءه جبريل عليه السلام وعلى ثناياه النَّقع، فقال له: سر إلى بني قريظة[٤].

وضرب رسول الله ﷺ على سعد بن معاذ في المسجد قبة، وترك عنده امرأة من

(١) أخرجه البخاري (٤١١٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠)، وعند مسلم: الظهر بدل العصر.
(٣) «السيرة» ٢/ ٢٣٤، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٨٢.
(٤) «المغازي» ٢/ ٤٩٧.

المسلمين يقال لها: رُفَيْدَة، كانت تداوي الجرحى، وتقوم على المرضى تحتسب فعلها عند الله تعالى، وكان كَلْمُ سَعْدٍ قد انفجرَ[(١)].

وقال هشام[(٢)]: حاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وكان حُيَي بن أخطب قد دخل في حصن كعب بن أسد وفاءً لكعبٍ بما عاهده عليه، فلما تيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يُناجزَهم، اجتمعوا وتشاوروا، فقال لهم كعب بن أسد: قد نزل بكم ما تَرَوْنَ فاختاروا إحدى ثلاث: إما أن نبايعَ هذا الرجل ونصدِّقَه وقد علمتم أنه نبي مُرْسَلٌ، وأنه الذي قد وجدتم نَعْتَه في كتابكم، فآمنوا به، واحقنوا دِماءَكم، وأحرزوا أموالكم وأولادكم ونساءكم، فأَبَوْا وقالوا: لا نتركُ دينَنا، قال: فتعالَوْا حتى نقتلَ أبناءَنا ونساءنا، ونخرجَ بسيوفنا، فإما أن نُقْتَلَ أو نَظْفَرَ، فإن قُتِلنا لم يكن وراءنا هَمٌّ، وإن ظَفِرنا فما نعجزُ عن اتخاذ الأبناء والنساء. قالوا: فإذا قتلنا أهلنا فأي عيش يبقى لنا بعدهم.

قال: فإن أبيتم فالليلةُ ليلةُ السبت ومحمدٌ وأصحابه آمنون من خروجنا إليهم، فاخرجوا فلعلنا أن نصيب منهم غِرَّة، فقالوا: لا تُفْسِدْ علينا سبْتَنا فنُمْسَخَ كما مُسِخَ غيرُنا. فقال لهم: يا إِخْوَةَ القِرَدَةِ، والله ما بات أحدكم منذُ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً!

ثم اتفقوا فيما بينهم أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ يطلبوا منه أبا لُبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ليستشيروه في أمرهم، وكانوا حلفاء الأوس.

قال أبو لبابة: فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهَب إلى حُلفَائِكَ، فإنَّهم أَرسَلُوا إليكَ من بَينِ الأَوسِ والخَزرَجِ»، فدخلت إليهم فمشَوْا إلي، وبكى النساءُ والصبيانُ وقالوا: نحن مواليك دون الناس كلهم، وقد عرفت ما صنعنا في أمرك وأمر قومك يومَ الحدائقِ ويومَ بُعاثٍ، وكلَّ حَرْبٍ كنتم فيها، وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا، وخيَّرنا بأن [لا]يفارقنا حتى ننزل على حكمه، فماذا ترى؟ فإنا قد اخترناك على غيرك. فرقَّ لهم وقال: نعم فانزلوا على حكمه. وأشار إلى حلقه إنه الذبح.

---

(١) «السيرة» ٢/ ٢٣٩ .

(٢) هكذا جاء في النسخ، ولعله ابن هشام.

قال أبو لُبابةَ: فوالله مازالَتْ قدمي عن مكانها حتى ندمت واسترجعت، وقلت: خُنْتُ الله ورسولَه، ونزلتُ، وإنَّ لحيتي مبتلةٌ بالدموع والناس ينتظرون رجوعي إليهم، فأخذت طريقاً من وراء الحِصْنِ إلى المسجد، فربطت نفسي إلى ساريةٍ، وبلغ النبي ﷺ صنيعي. فقال: «دَعُوه حتَّى يُحْدِثَ الله فيهِ ما يَشَاءُ، لو كانَ جاءَني لاسْتَغفَرتُ له، فإذْ لم يَأتِني وذَهَب، فَدعُوهُ». فأقام سبعاً لا يأكل ولا يشرب في حَرٍّ شديد وقال: لا أزال كذا حتى أفارقَ الدنيا أو يتوبَ الله علي.

قالت أم سلمة: فرأيتُ رسولَ الله ﷺ يَحُلُّ رباطه، وإن رسول الله ﷺ ليرفع صوته يكلمه ويخبره بتوبته، وما يدري كثيراً مما يقول من الجَهْدِ والضعفِ، ولقد كان الرباط حَزَّ في ذراعه، وكان من شَعَرٍ، وكان يداويه بعد ذلك دهراً[١].

وقال ابن إسحاق: نزلتْ توبةُ أبي لبابة ورسولُ الله ﷺ في بيت أم سَلَمةَ. قالت: فقلت: ألا أُبَشِّره؟ قال: «بَلَى». فناديته: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. فثار الناس ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكونَ رسولُ الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده. فجاء رسول الله ﷺ فأطلقه[٢].

قال الواقدي: وأسلم في تلك الليلة جماعة من قُرَيظة والنَّضير منهم: عمرو بن سُعْدى القُرَظي، وكان قد أبى أن ينقض ما بينه وبين رسول الله ﷺ لما نقضت قريظة، وقال: لا أَغْدِرُ بمحمد. فخرج في تلك الليلة، فمر بحرسِ رسول الله ﷺ، وفيهم محمد بن مسلمة فلم يعرض له، فذهب فلا يدرى أين سلك[٣].

قال البلاذري: ومن أشراف قريظة أسيد بن أعصم الساحر أخو لبيد، ورفاعة بن زيد بن التابوت، والزَّبِير بن باطا، وقردم بن كعب، وكعب بن أسد، وكان المشار إليهم، في آخرين[٤].

---

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٢٣٥-٢٣٧، و «المغازي» ٢/ ٥٠٣-٥٠٨، وسياق القصة منهما جميعاً.

(٢) «السيرة» ٢/ ٢٣٧.

(٣) «المغازي» ٢/ ٥٠٣-٥٠٤.

(٤) «أنساب الأشراف» ١/ ٣٣٣، وذكرهم البلاذري في معرض حديثه عن عظماء اليهود فذكرهم، لا أنهم أسلموا.

ولما أصبحوا، نزلوا على حُكْمِ رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس وقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دونَ الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج ما فعلت، يشيرون إلى بني قينقاع الذين شفع فيهم عبد الله بن أبي. فقال لهم رسول الله ﷺ: «يَا مَعَاشِرَ الأَوْسِ، أَمَا تَرْضَوْن أَن يحكُمَ فيهم رَجلٌ مِنكُم؟» قالوا: بلى. قال: «فَذَاكَ سعدُ بنُ معاذٍ». قالوا: رضينا، فقال: «عَليَّ بسَعدِ بن مُعاذٍ». فجيء به على حمار وعليه إكافٌ من ليف، فجعلوا يقولون: يا أبا عمرو، حُلفاؤك ومواليك ومَنْ قَدْ عَلِمْتَ. وسعد يقول: أنا لا أبالي في الله لومة لائم. فقال له رسول الله ﷺ: «احكُم فِيهم». فقال: أحكم فيهم أن يُقْتَلَ مُقاتِلُهم، وتُسبى ذراريهم، وتُقْسَمَ أموالُهم، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله ورسوله، وأنزلهم رسول الله ﷺ دار ابنة الحارث، امرأةٍ من بني النجار[1].

وكان من حكم سعد أن يقتل كل من جَرت عليه الموسى[2]. قال عطية القُرَظي: وكانوا يقتلون من أنبت، فكنت فيمن لم يُنْبِت[3]. ثُمَّ كُتِّفوا، وجعل عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن سلام، ثم جلس رسول الله ﷺ في السوق الذي هو اليوم سوقُ المدينة، وحفر لهم الخنادق، وخدَّ لهم الأخاديد، وأُخْرِجوا رَسْلاً فضربت أعناقهم، وكان عِدَّتُهم من الست مئة إلى السبع مئة أو ثمان مئة، وقيل: أربع مئة، وفيهم كعب بن أسد، وحُيَيُّ بن أخطب، وعَزَّال بن شمويل[4].

ولما جيء بحُيِيِّ بنِ أخطب، كان عليه حُلَّةٌ قضاعية[5] قد شقَّقها من كل جانب لئلا يلبسَها غيرُه، ويداه مجموعةٌ إلى عُنُقه، فلما رأى رسولَ الله ﷺ قال: والله ما لمتُ نفسي في عداوتك، ولكنه من يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلْ، وهذا أمر قَدَّره الله، ومَلْحمةٌ كتبها على بني إسرائيل، ثم قُدِّمَ فَضُرِبَتْ عنقه[6].

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٢٣٩-٢٤٠.
(٢) انظر «المنتظم» ٣/ ٢٣٩.
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٦٥٩).
(٤) انظر «السيرة» ٢/ ٢٤٠-٢٤١، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٩٠.
(٥) هكذا في النسخ، وفي «السيرة»: «فقَّاحية» وهي التي تضرب إلى الحمرة.
(٦) «السيرة» ٢/ ٢٤١.

وكان الزَّبير بنُ باطا يكنى أبا عبد الرحمن قد منَّ على ثابت بن قيس بن شمّاس؛ أخذه يوم بُعاث أسيراً، فجز ناصيته وأطلقه. وكان الزَّبير شيخاً كبيراً فرآه ثابت في ذلك اليوم فعرفه وقال له: هل تعرفني؟ فقال: وهل أجهلك؟ قال: فإني أريد اليوم أن أجزيك بِيَدِكَ عندي، فقال: إن الكريم يجزي الكريم.

فجاء ثابتٌ إلى رسول الله ﷺ فاستوهبه منه وعرَّفه يَدَهُ عنده فوهبه له، فقال له: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك. فقال: شيخٌ كبيرٌ لا مال ولا أهل، فما يصنع بالحياة؟ فاستوهب ثابت ماله، وأهله وولده وأتاه فأخبَره، فقال: أي ثابت ما فعل الذي كأَنَّ وَجْهَه مرآةٌ صَقيلةٌ يترآى فيها العذارى وجوههن، كعبُ بن أسد؟ قال: قتل، قال: فما فَعَل سيِّدُ الحاضِر والبادي حُيَيُّ بنُ أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مُقَدَّمُنا إذا شَدَدْنا، وحامينا إذا كررنا: عَزّال بن شمويل قال: قتل. وعدَّ جماعة، وثابت يقول: قتلوا. فقال له: يا ثابت، فإني أسألك بيدي عندك إلَّا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعدهم خَيْر حتى ألقى الأحبة. فقال له: تلقاهم في نار جهنم، فقتله[(١)].

وقالت عائشة رضوان الله عليها: لم يقتلْ من نسائهم إلا امرأةٌ واحدة، والله إنها لقاعدة عندي تتحدث وتضحك ظَهْراً وبطناً، ورسول الله ﷺ في السوق يقتلُ رجالَهم، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ فقالت: ها أنا والله. فقلت لها: مالك ويلك؟ قالت: أُقتلُ. قلت: ولم؟ قالت: لحَدَثٍ أحدثته. فذهبوا بها فضربوا عنقَها، فلا أنسى طيبَ نَفْسِها، وكثرةَ ضحكها. وقد عَرَفَتْ أنها تُقْتَلُ، وهذه المرأة رمت على خَلَّاد بن سويد رحاً فقتلته، فقتلها رسول الله ﷺ[(٢)].

وقسم رسول الله ﷺ أموالهم، ونساءهم وأولادهم بين المسلمين، ووُجِدَ في حصونهم ألفٌ وخمس مئة سيف، وألف رمح، وألف وخمس مئة ترس، وأموالٌ عظيمة، ومواشي كثيرة، فكانت السُّهمانُ بعد ما أَخرجَ رسول الله ﷺ الخُمْسَ على ثلاثة آلافٍ ونَيِّفاً وسبعين سهماً، للفارس سهمان[(٣)]، وللراجل سهم، واستعمل على

---

(١) «السيرة» ٢/ ٢٤٢_٢٤٣ ، والقائل له هذه المقالة هو أبو بكر الصديق ﷺ.

(٢) «السيرة» ٢/ ٢٤٢ .

(٣) في «السيرة»: للفرس سهمان، ولفارسه سهم.

الخُمس مَحْمِيَةَ بنَ جَزْءٍ الزُّبيدي، وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري إلى نجد بسبايا من قريظة، فابتاع له بها خيلاً وسلاحاً[١].

وكان رسول الله ﷺ يَهب ويَعتق من الخُمس، واصطفى رَيحانة بنت عمرو بن جُنافة، وكانت عنده حتى توفي عنها وهي في مِلكه، وكان أراد أن يتزوجها فأبت، وقالت: إذا كنت في المِلْكة، كان أخفَّ عليَّ وعليك. ولما سباها، أقامت مدة على يهوديتها، فهجرها حتى أسلمت، وبشره بإسلامها ثعلبةُ بنُ سَعْيَةَ فَسُرَّ بها[٢].

* * *

وفيها: سقط رسول الله ﷺ من الفرس، فجُحش على شقه الأيمن.

قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا علي بن خلَّاد، عن أبيه، عن ثابت، عن أنس قال: سَقَط رسول الله ﷺ من فَرَس، فَجُحِشَ شِقُّه الأَيمنُ، فدخلوا عليه فصلى بهم قاعداً وأشار إليهم أن اقعدوا، فلما سلم قال: «إنَّما جُعِلَ الإمامُ إماماً ليُؤْتَمَّ به، فلا تَختَلِفوا عليه، فَإذا كَبَّر فكَبِّروا، وإذا قرأ فأنصتوا، وإذا صَلَّى قاعِداً فَصلُّوا خلفه قعوداً». أخرجاه في «الصحيحين[٣]».

* * *

وفيها فُرِضَ الحج[٤]، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، عن مَعْمر، عن الزهري، عن نافع، عن ابن عمر قال: قدم وفْدُ ضِمام بن ثَعلبةَ من بني سَعْد على رسول الله ﷺ سنة خمس من الهجرة، فذكر لهم فرائض الإسلام من الصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحجِّ[٥].

(١) «السيرة» ٢/ ٢٤٤-٢٤٥، وانظر ٢/ ٣٦١.

(٢) «السيرة» ٢/ ٢٤٥.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٦٥٦)، والبخاري (٨٠٥)، ومسلم (٤١١)، وقوله: «فلا تختلفوا عليه» هو من حديث أبي هريرة عند البخاري (٧٢٢) ومسلم (٤١٤).

(٤) في «البداية والنهاية» ٤/ ١٨٠: أنه فرض في سنة ست وهو الأصح كما رجحه ابن حجر في «الفتح» ٣/ ٣٧٨.

(٥) لم نقف عليه في «المسند» من حديث ابن عمر، وهو في «المسند» (٢٢٥٤) من حديث ابن عباس، وليس فيه ذكر للسنة الخامسة.

فصل وفيها توفي

جُلَيبيبٌ(١)

من بني ثعلبةَ، حليفُ الأنصار، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، وقال ابن سعد: حدثنا عارم قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن كِنانة بن نُعَيم العَدَوي، عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي: أن جُلَيبيباً كان امرءاً من الأنصار، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا كان لأحدهم أيِّمٌ، لم يزوِّجْها حتى يُعْلِمَ رسولَ الله ﷺ؛ ألَهُ فيها حاجةٌ أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار: «أتُزوِّجني ابْنَتَك»؟ قال: نعم. قال: «لَستُ أُريدُها لِنَفْسِي» قال: فَلِمَن؟ قال: «جُلَيبيب»، قال: حتى أستأمر أُمَّها، فأَخبرها. فقالت: حَلْقى، لَعَمْرُ اللهِ لا أُزوِّجُها، فلما قام أبوها ليأتيَ رسولَ الله ﷺ، قالت الفتاةُ من خِدرها: من خطبني إليكما؟ قالا: رسولُ الله ﷺ، قالت: أفتردَّانِ على رسول الله ﷺ أمره؟ ادْفَعاني إليه، فإنه لا يُضَيِّعُني.

فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: شأنك بها، فزوِّجْها من شئت. فزوَّجها جُلَيْبياً، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ صُبَّ عليهمُ الخَيْرَ صَبّاً، ولا تَجعَل عَيشَهُما كدّاً». فبينا رسول الله ﷺ في مغزى له، قال: «هَل تَفْقِدُونَ من أَحَدٍ»؟ قالوا: نفقد فلاناً وفلاناً. فقال: «ولَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيبيباً. فَاطْلُبُوه»، فوجدوه في القتلى إلى جانب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «هَذا منِّي وأنا مِنهُ»، فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه حتى حفروا له، ماله سَريرٌ إلّا ساعِدَيْ رسول الله ﷺ حتى وضعه في قبره. قال ثابت: فما كان في الأنصار أيِّمٌ أنْفَقَ منها(٢).

وقول المرأة: «حلقى» بإسكان اللام مخففة معناه: أصابها وجع في حلقها.

خلّاد بن سُوَيْد

ابن ثعلبةَ الأنصاري الخزرجي(٣) من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه عَمْرة بنت

(١) «الطبقات الكبرى» ٥/ ٣٩٣، و«المنتظم» ٣/ ٢٤١، و«الإصابة» ١/ ٢٤٢.

(٢) أخرجه ابن سعد «الطبقات الكبرى» ٥/ ٣٩٣_٣٩٤، وأحمد في «مسنده» (١٩٧٨٤).

(٣) «الطبقات الكبرى» ٥/ ٤٩١، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٩٣، و«المنتظم» ٣/ ٢٤٢، و«الإصابة» ١/ ٤٥٤.

سعد خزرجية، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً، وأحداً، والخندق، ووثبت عليه بَنانةٌ من حِصْنٍ لبني قريظة فشدخت رأسه، فقتلها رسول الله ﷺ به ـ وقد ذكرناه ـ ولمّا قتل، جاءت أمه مُنْتَقِبَةً فقيل لها: أتنتقبين وقد قُتِلَ خَلادٌ؟ فقالت: إن كنت رُزِئتُ خَلّاداً فما رُزِئتُ حياءَ وجهي.

سعد بن معاذ[1]

ابن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، أبو عمرو، من الطبقة الأولى من الأخيار، وأمه: كَبْشةُ بنتُ رافع بن معاوية خزرجية، أسلمت وبايعت. وأسلم سعد على يَدَيْ مُصْعَبِ بن عمير، فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل، وشهد بدراً وأحداً وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين أبي عُبيدة بن الجراح، وقيل: بينه وبين سعد ابن أبي وقاص.

وقال أبو المتوكل: إن نبي الله ﷺ قال: «الحمَّى حظُّ كلِّ مُؤمِنٍ مِنَ النَّارِ»، فسألها سعد فلزمته، فلم تفارقه حتى مات[2].

قال أبو سعد: وكواه رسول الله ﷺ بالنار مرتين بسبب جرحه، وكان جُرِحَ في الخندق.

وقال سعدٌ لمّا جرح: اللهمَّ إنك تعلمُ أنه ليس أحدٌ أحبَّ إلي أن أجاهدَهم فيك من قومٍ كذَّبوا رسولك وأخرجوه، اللهمَّ و إني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا و بينهم، فإن كان قد بقي من حرب قريش شيء فأبقني أجاهدهم فيك، اللهمَّ إن كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم فافْجُرْها واجعل موتي فيها . فانفجرت من ليلته، فلم يَرُعْهُم ـ وفي المسجد معه قومٌ من بني غِفار ـ إلاّ والدمُ يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قِبَلِكُم؟ فإذا جرح سعد يَغْذو دَماً، فما زال يسيل حتى مات[3].

---

(١) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٨٨ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٤٢ ، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٧٩ ، و«الإصابة» ٢/ ٣٧، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٢٦ .

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٣٨٩ .

(٣) أخرجه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩) (٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال جابر: رُمِيَ سعدُ بنُ معاذٍ يومَ الأحزاب فَقُطِعَ أكحلُه، فحسمه رسول الله ﷺ بالنار، فحسمه أخرى فانتفخت يده فنزفه، فلما رأى ذلك قال: اللهمَّ لا تُخرجْ نفسي حتى تُقِرَّ عيني من بني قريظة. فاستمسك عِرْقُه فما قطر منه قطرة، فلما نزلوا على حكمه ـ وكانوا أربع مئة ـ فَقُتِلوا، انفتق عِرْقُه فمات(١).

وقالت عائشة رضوان الله عليها: انفجر جرح سعد وقد كان برأ، فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، والذي نفسي بيده إني لأَعْرِفُ بكاء أبي من بكاء عمر. قيل لها: فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عيناه لا تدمعان على أحد ولكنه إذا وَجِدَ فإنما هو آخذ بلحيته(٢).

وقال ابن إسحاق: إنما توفي سعد قبل قتل بني قريظة وقسمة أموالهم، ويقال: مرت به عَنْز وهو مضطجع في المسجد فأصابت جُرحه، فما رَقَأ حتى مات.(٣)

وقال الواقدي: كانت وفاتُه في ذي القعدة وهو ابن سبع وثلاثين سنةً، وصلى عليه رسول الله ﷺ، وحمل جِنازته بين العَمودَيْنِ مقدار ثلاثين ذراعاً، وحفروا قبره فوجدوا منه رائحة المسك، ودفن بالبقيع(٤).

وعزّى رسول الله ﷺ أمه فيه وقال لها: «ابنك أول من ضحك الله إليه»(٥).

وقال ابن سعد، يرفعه إلى رجل من الأنصار قال: لما قَضى سعدٌ في بني قريظة ثم رجع، انفجر جرحه، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فأتاه فأخذ رأسه فوضعه في حِجره، وسُجِّيَ بثوب أبيض إذا مُدَّ على وجهه خرجت رجلاه، وكان رجلاً أبيضَ جسيماً، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إنَّ سَعْداً قد جَاهَدَ في سَبيلِكَ، وصَدَّقَ رَسولَكَ، وقَضَى الذي عَليه، فَتقبَّلْ رُوحَهُ بِخَيرِ ما تَقَبَّلْتَ بهِ رُوحاً». وسمع سعد كلام رسول الله ﷺ ففتح

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٨) مختصراً، والترمذي (١٥٨٢)، وأحمد في «مسنده» (١٤٧٧٣).

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٩١.

(٣) لم نقف عليه في «السيرة» ولا غيرها من المصادر التي تأخذ عن ابن إسحاق، وأورده ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٧٣.

(٤) «المغازي» ٢/ ٥٢٧ـ٥٢٨.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٥٨١) من حديث أسماء بنت يزيد بن السكن.

عينيه، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، أما إني أشهد أنك رسول الله. فلما رأى أهل سعد أن رسول الله ﷺ قد وضع رأسه في حجره ذُعِروا من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أمَر مِنْ ملائكتِه عَدَدَكُم ليشهدوا وفاة سعد»(١).

وقال الحسن: لما مات سعد، وكان سميناً جَزْلاً، جعل المنافقون وهم يمشون خَلْفَ جِنازته يقولون: لم نرَ كاليوم رجلاً أخف. وقالوا: تدرون لم ذلك؟ لِحُكْمِه في بني قريظة، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «والذي نَفْسِي بيَدِه لَقَد كَانَتِ المَلائِكَةُ تَحمِلُ سَرِيرَهُ»(٢).

وقال ابن عمر رضوان الله عليهما: بلغني أنه شهد سعد بن معاذ سبعون ألف ملك لم ينزلوا إلى الأرض. وقال رسول الله ﷺ: «لقد ضُمَّ صاحبُكم ضمَّةً، ثم فُرِّجَ عنه(٣)».

وفي رواية: فخرج رسول الله ﷺ يمشي في جنازته على رؤوس أصابعه، فقيل له في ذلك: فقال: «مَا قَدَرتُ أن أَضعَ قَدمي على الأَرْضِ مِن كَثْرةِ ما نَزَلَ مِنَ الملائِكَةِ في جَنَازتِه(٤)».

وفي رواية ابن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «هَذا العَبدُ الصَّالِحُ الذي تَحرَّكَ له العَرشُ، وفُتِحتْ له أَبوابُ السَّماءِ، وشَهِدَه سَبعونَ ألفاً مِنَ الملائِكَةِ لم يَنزِلوا الأرضَ قبلَ ذَلكَ، ولَقَد ضُمَّ ضَمَّةً، ثم أُفرِجَ عنه(٥)».

وفي رواية عن سعيد المقبري قال: لما دَفَنَ رسول الله ﷺ سعداً قال: لو نجا أحدٌ من ضَغْطَةِ القبر، لنجا سعد، ولقد ضُمَّ ضمة اختلفت منها أضلاعه من أثر البول(٦).

وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: «لَقَد اهتَزَّ العَرشُ لمَوتِ سَعدِ بنِ مُعاذٍ»(٧).

---

(١) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٩٥.
(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٩٧.
(٣) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٩٧.
(٤) لم نقف على هذه الرواية.
(٥) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٩٨.
(٦) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٩٨.
(٧) أخرجه البخاري (٣٨٠٣).

وقالت أسماء بنت يزيد: إن رسول الله ﷺ قال لأم سعد بن معاذ: «أَلَا يَرقأُ دَمعُكِ ويَذهَبُ حُزنُكِ، فإنَّ ابنَكِ أَوَّلُ مَن ضَحِكَ الله لَه، واهتَزَّ له العَرشُ»(١).

وروى الحسن، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَقَد اهتَزَّ عَرشُ الرَّحمنِ لوفاةِ سَعدٍ». فرحاً به، قوله: فرحاً به، تفسير من الحسن(٢).

وقال البخاري يرفعه إلى جابر بن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «اهتَزَّ العَرشُ لموتِ سَعدِ بن معاذٍ». فقال رجل لجابر: فإن البراءَ يقول: «اهتَزَّ السَّريرُ». فقال: إنَّه كان بين هذين الحيين ضغائنُ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اهتَزَّ عَرشُ الرَّحمنِ لموتِ سَعدِ ابن معاذٍ»(٣).

وعن البراء: أن رسول الله ﷺ أُتيَ بثوبِ حريرٍ فَجعلَ أصحابُه يتعجَّبون من لينه، فقال رسول الله ﷺ: «لَمناديلُ سَعدِ بن مُعاذٍ في الجنَّةِ أَلْيَنُ مِن هَذا»(٤).

وأُتِيَ النبي ﷺ وسلم بجُبَّةٍ من ديباجٍ منسوجةٍ بالذهب، بعث بها أُكَيْدِرُ دُوْمةِ الجَنْدَل في غَزاةِ تبوك، فعجب الناسُ منها، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَتعجَبونَ منها، لَمَناديلُ سَعدٍ في الجنَّة أَحسَنُ مِمَّا تَرونَ»(٥).

وكان لسعد رضي الله عنه من الولد: عمرو وعبد الله، أمهما هند بنت سِماك بن عتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل.

وكان لعمرو بن سعد من الولد تسعة نفر وثلاث نسوة، منهم: عبد الله بن عمرو، قُتِلَ يومَ الحَرَّة، ولسعدِ بن معاذٍ عَقِبٌ(٦).

أسند سعد الحديث عن رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٥٨١) وتقدم قريباً.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٠١ .

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٠٢)، ومسلم (٢٤٦٨).

(٥) أخرجه البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٢٤٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٨٩ .

ذكر أخي سعد لأبيه وأمه:

واسمه: عمرو[(١)]، من الطبقة الأولى من الأنصار وليس له عقب، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عُمَيْر بن أبي وقاص، شهد عمرو بدراً، وقتل: يوم أحد، وكان له يومَ قُتِلَ ثنتان وثلاثون سنةً.

عَمرة بنت مسعود[(٢)]

ابن قيس بن عمرو، أم سعد بن عُبادة الخزرجي، توفيت وسعدٌ مع رسول الله ﷺ بدُوْمَةِ الجندل، فلما قدم رسول الله ﷺ أتى قبرها فصلى عليها، وسأله سعد عن نَذْرٍ كان عليها، فقال: «اقضِهِ عَنها»[(٣)]

أسلمت عمرة، وبايعت، وتوفيت في شهر ربيع الأول.

وقال ابن عباس: قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، إن أمي ماتت وأنا غائب عنها، أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: «نَعَم». قال: يا رسول الله، فإني أُشهِدُك أن حائطي المِخْرافَ صدقةٌ عنها[(٤)].

وقال قتادة: سمعت الحسن يحدث عن سعد بن عبادة أن أمه ماتت، فقال: يا رسول الله، إن أمي ماتت فأتصدق عنها؟ قال: «نعم». قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «سَقْيُ المَاءِ». قال: فتلك سقايةُ آلِ سعد بالمدينة[(٥)].

وكان الحسن يقول: قد شرب أبو بكر وعمر من سقاية أم سعد[(٦)].

وهب بن مِحْصَن بن حُرْثان[(٧)]

أبو سنان الأسدي أخو عُكّاشة، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، وتوفي ورسول الله ﷺ يحاصر بني قُريظة، وله أربعون سنة.

---

(١) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٠٢، و«الإصابة» ٣/ ١٧.

(٢) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٤١٩.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦١)، ومسلم (١٦٣٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦٢).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٤٥٩).

(٦) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٦٨.

(٧) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٨٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٩٣، و«الإصابة» ٤/ ٩٦.

السنة السادسة من الهجرة

فيها: كانت سرية محمد بن مَسْلَمة الأنصاري[١] لعشرٍ خَلَوْنَ من المحرم إلى القُرَطاءِ، بطنٍ من بني كلاب، كانوا ينزلون ماءً يقال له: البَكَرات قريباً من ضَرِيَّةَ، وبين ضَرِيَّةَ والمدينةِ سبعُ ليال، فشنَّ عليهم الغارة، وأسر ثُمامةُ بن أُثال الحَنَفي وقتل منهم جماعة، وساق مئة وخمسين بعيراً، وثلاثة آلاف شاة، وغاب عن المدينة تسع عشرة ليلة.

وفيها: كانت غزاةُ بني لِحيان[٢] في ربيع الأول، وقيل: في جمادى الأولى. خرج رسول الله ﷺ من المدينة في مئتي رجل، واستخلف عليها ابنَ أم مَكتوم، وأظهر أنه يريد الشام، وسار نحو عُسْفانَ في طلب ثأر خُبَيْب بن عدي وأصحابه، وسلك على جبل يقال له: غُراب قريباً من المدينة في طريق الشام، ثم عطف نحو ناحية المَحَجَّة فنزل على ماء لبني لَحيان يقال له: غُرَان، في واد بينه وبين عُسْفان خمسُ ليالٍ حيث كان مُصابُ أصحاب بئر مَعونة، فنزل هناك فترحَّم عليهم واستغفر لهم.

وسمعتْ به بنو لحيان فهربوا إلى رؤوس الجبال، وبعث أبا بكر رضوان الله عليه في عشرة، فوصل إلى كُراعِ الغَميم ليُرْعِبَ أهلَ مكة، وقيل: في هذه الغزاة مر رسول ﷺ بقبر آمنة بعُسْفان.

وفيها: كانت غزاة الغابة[٣] في ربيع الأول، ويقال لها: غزاة ذي قَرَدٍ، وهي على بَريدٍ من المدينة.

---

(١) «المغازي» ٢/ ٥٣٤ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٧٤ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٤ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٤٩، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٤٩ .

(٢) «السيرة» ٢/ ٢٧٩ ، و«المغازي» ٢/ ٥٣٥ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٧٤ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤١٥ـ٤١٦ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٩٥ ، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣٦٤ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٤٩، و«البداية والنهاية» ٤/ ٨١ .

(٣) «السيرة» ٢/ ٥٨١ ، و«المغازي» ٢/ ٥٣٧ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٧٦ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤١٦ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٩٦ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٥١ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٥٠ .

قال ابن إسحاق: رجع رسول الله ﷺ من غزاة بني لحيان، فأغار عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن بن بدر الفَزاري في خيل غَطَفان على لِقاحِ رسول الله ﷺ، وكانت عشرين لَقْحةً ترعى بالغابة، وفيها رجل من بني غَطَفان وامرأة، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة، وكان عيينة في أربعين فارساً. وقيل: إن الرجل الراعي كان ابن أبي ذر، وجاء الصَّريخُ إلى المدينة فنودي: يا خيلَ اللهِ اركبي. وهي أول ما نودي بها في المدينة، وبعث رسول الله ﷺ أبا عُبيدة بن الجرَّاح وسَلَمة بن الأكوع في آثارهم.

قال البخاري: حدثنا حسان، عن محمد بن طلحة، عن حُميد، عن ثابت، عن سَلَمة بن الأكوع قال: خرجتُ قبل أن يؤذَّن بالأولى، وكانت لِقاحُ رسول الله ﷺ ترعى بذي قَرَد، فلقيَني غلامٌ لعبد الرحمن بن عوف، فقال: أُخِذَتْ لِقاحُ رسول الله ﷺ. قلت: من أخذها؟ قال: غطفان. فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاهُ. قال: فأسمعتُ مابين لابَتَيْها ـ أو لابَتَيِ المدينةِ ـ ثم اندفعت على وجهي فأدركتهم يسقون على الماء، فجعلت أرميهم بنبلي وكنت رامياً، وأقول: أنا ابن الأكوع، اليومُ يومُ الرُّضَّعِ. وأَرْتَجِزُ حتى استَعَدْتُ اللِّقاح منهم، واستلبت ثلاثين بُرْدَةً.

قال: وجاء النبي ﷺ والناس معه، فقلت: يا نبي الله، قد حَمَيْتُ القومَ الماءَ. فقال: «يا ابنَ الأَكْوَعِ، مَلَكْتَ فَأَسْجِح». قال: فرجعنا، وأَرْدَفَني رسول الله ﷺ ناقته حتى دخلنا المدينة. وهو حديث طويل متفق عليه[(١)].

وفيه قال سلمة: فرجعنا من[(٢)] الحديبية إلى المدينة، فنزلنا منزلاً، بيننا وبين بني لحيان جَبَلٌ ـ وذكر ما يدل على أن هذه الغزاة بعد غزاة الحديبية ـ وبنو لحيان مشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رَقِيَ ذلك الجبلَ في تلك الليلة طليعةً لرسول الله ﷺ وأصحابه. قال سلمة: فرقيته مرتين أو ثَلاثاً، ثم قَدِمْنا فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع غلامه رَباح، فخرجت معه بفرس طلحة، وذكر غارةَ عبد الرحمن الفزاري على المدينة، وأَخْذَهُ ظَهْرَ رسول الله ﷺ وقَتْلَ راعيه.

قال سلمة: فقلت: يا رَباحُ، خذ هذا الفرسَ، فأبلغه طلحةَ بن عُبَيْد الله، وأَخْبر

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٩٤)، ومسلم (١٨٠٦) والحديث بهذا السياق انفرد بإخراجه مسلم كما سيأتي.

(٢) في النسخ: إلى؟!

رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سَرْحِه، ثم قمت على أَكَمَةٍ فاستقبلت المدينة وناديت: يا صَبَاحَاهُ ثلاثاً، ثم خرجتُ في آثار القوم أرميهم بالنبل، فألحقُ رجلاً فأصكُّه[1] سَهْماً حتى خَلَصَ نَصْلُه إلى كتفيه، وأقول: خذها وأنا ابن الأكوع، فما زلت أرميهم وأعْقِرُهم، فإذا رجع فارس إليَّ جلست في أصل شجرة ثم أرميه فأعقِره، حتى دخلوا في مضايق الجبل، فجعلت أعلو على الجبل وأرميهم بالحجارة حتى خَلَّصْتُ ظَهْرَ رسول الله ﷺ أجمَعَهُ، وألقَوْا أكثر من ثلاثين بُردةً، وثلاثين رمحاً، ولا يطرحون من شيء إلا جعلت عليه آراماً[2] من الحجارة يعرفها النبي ﷺ وأصحابه، حتى إذا أتوا متضايِقاً من ثَنِيَّةٍ أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يَتَضَحَّوْنَ، وجلست على رأس قَرْنٍ، فقال الفزاري: ما هذا؟ فقالوا: لقينا منه البَرْحَ، ما فارقنا منذ غَلَّس، يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا، فقال: فليقم إليه نفر منكم أربعة.

قال: فصعد إلي منهم أربعة، فلما أمكنوني من الكلام قُلْتُ لهم: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، قلت: أنا سلمة بن الأكوع والذي كَرَّمَ وَجْهَ محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيُدركَني. فرجعوا، وإذا بفوارسِ رسول الله ﷺ يتخلَّلون الشجَرَ وفي أوائلهم الأَخْرَمُ الأَسَدي على إثره أبو قَتادَةَ الأنصاري، وعلى إثره المِقدادُ بن الأسود الكِندي.

قال: فأخذت بِعِنان الأَخرَم، وقلت: يا أَخْرَم، احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحقَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فقال: يا سلمة، إن كنتَ تؤمنُ بالله واليوم الآخر، وتعلم أنَّ الجنةَ حقٌّ والنار حق، فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة. قال: فخلَّيته، فالتقى هو وعبد الرحمن الفزاري، فعثر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحوّل على فرسه، ولحق أبو قتادةَ فارسُ رسول الله ﷺ عبدَ الرحمن فطعنه فقتله، فوالذي كرَّم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رِجْلَيَّ حتى ما أرى ورائي من أصحاب رسول الله ﷺ أحداً ولا غبارهم شيئاً حتى يعدِلُوا قبل غروب الشمس إلى شِعْبٍ فيه ماء يقال له: ذا قَرَدٍ ليشربوا منه وهم عطاش قد ولَّوْا هاربين، قال: فحلَّيْتُهم عنه[3]، فما ذاقوا منه

(١) صكه: ضربه.

(٢) الآرام: الأعلام.

(٣) أي: أجليتهم عنه.

قطرة. قال: ويخرجون فَيشتدون في ثَنِيَّةٍ، فأعدو فألحق منهم رجلاً فأصكُّه بسَهْم في نُغض[١] كتفه وقلت: خذها وأنا ابن الأكوع. فقال: يا ثكلته أمه، أكْوَعُه بُكْرَةَ[٢]؟ قلت: نعم يا عدوَّ نفسه.

قال: وأوردوا فرسين على ثنيَّةٍ، فجئت بهما أسوقُهما إلى رسول الله ﷺ. ولحقني عامرٌ بسطيحةٍ فيها مَذْقَةٌ من لبن، وسطيحةٍ فيها ماءٌ فتوضأت وشربت، فأتيت رسولَ الله ﷺ وهو على الماء الذي حَلَّيْتهم عنه، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبلَ، وكلَّ بُرْدَةٍ ورُمحٍ استنقذته من المشركين، وكلَّ شيءٍ خلَّصتُه، وإذا بلال قد نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم وهو يشوي منها لرسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، خَلِّني، وأَنْتَخِبُ من القوم مئة رجل فأتبعُ القوم فلا أُبقي منهم مُخبِّراً إلا قتلته. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ظل النار، وقال: «يا سَلَمةُ، أَتُراكَ كُنتَ فَاعِلاً»؟ قلت: نعم والذي أكرمك، فقال: «إِنَّهم الآنَ ليُقْرَوْنَ في أَرضِ غَطَفانَ». فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جَزوراً، فلما كشطوا جلده رأوا غباراً، فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «خَيرُ فُرسانِنَا اليَومَ أَبو قَتَادَةَ، وخَيرُ رَجَّالَتِنا سَلَمةُ».

قال: وأعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم للفارس وسهم للراجل، فجمعهما لي جميعاً، ثم أردفني رسول الله ﷺ على العَضْباءِ راجعين إلى المدينة.

قال: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ[٣]. وسنذكر تمام الحديث إن شاء الله تعالى في غزاة خيبر.

---

(١) هو العظم الرقيق الذي على طرف الكتف، وقيل هو أعلى الكتف.

(٢) أي: أأنت الأكوع الذي كنت بكرة هذا النهار.

(٣) إلى هذا الحد الذي ذكره المصنف انفرد بإخراجه مسلم (١٨٠٧). وأما ذكر قصة خيبر فهي من المتفق عليها، وقال الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» ١/ ٥٨٧ : في هذا الحديث ذكر الإغارة على السرح، وقصة عامر وارتجازه، وقوله ﷺ: «لأعطين الراية» مما قد اتفق البخاري معه على معناه، ولكن فيه من الزيادة والشرح ما يوجب كونه من أفراد مسلم.

وفيها: كانت سرية عُكَّاشَةَ بن مِحْصَن إلى الغَمْر[١]، في ربيع الآخرة، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فَيْد، ويقال له: غَمْر مرزوق، خرج رسول الله ﷺ[٢] في أربعين رجلاً منهم ثابت بن أَقْرَم، وشجاع بن وهب، فنزل ماءهم فهربوا، فساق مئتي بعير إلى المدينة.

وفيها: كانت سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القَصَّةِ[٣]، في ربيع الآخر، وبين ذي القَصَّةِ والمدينةِ أربعةٌ وعشرون ميلاً من ناحية الرَّبَذةِ، وكان مع محمد عشرة من الأنصار، فَبَدرهُم العدوُّ فقتلوهم، ونجا محمد جريحاً مُثْخناً.

وفيها: كانت سرية أبي عبيدةَ بن الجراح ﷺ إلى ذي القَصَّة أيضاً[٤]، يطلب ثأراً له، للذين قُتِلوا مع محمد، وكان هناك أنمار، وثعلبة، ومحارب، وكان أبو عبيدة في أربعين رجلاً، فلما بلغهم مجيئه هربوا في الجبال، فاستاق نَعَمَهُم إلى المدينة،

(١) «المغازي» ٢/ ٥٥٠ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨١ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٥ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٠ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٥٣ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٨ .
(٢) كذا ، والذي في المصادر أن الذي خرج هو عكاشة.
(٣) «المغازي» ٢/ ٥٥١ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨١ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٥ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤١ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٥٤ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٨ .
(٤) «المغازي» ٢/ ٥٥٢ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٢ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٥ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤١ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٥٥ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٨ .
وقد جعل المصنف خروج أبي عبيدة لطلب الثأر وسريته خروجاً واحداً، وقد ذكر علماء السير أن خروج أبي عبيدة خروجان، الأول: بعثه رسول الله ﷺ في أربعين رجلاً إلى مصارع القوم، فلم يجدوا أحداً، ووجدوا نعماً وشاء فساقه ورجع كما ذكر ذلك ابن سعد ٢/ ٨٢ ، والبلاذري ١/ ٤٥٥ ، وابن الجوزي في «المنتظم» ٣/ ٢٥٥ عقب سرية محمد بن مسلمة.
وأما الثاني: السرية التي خرج فيها كانت بعد شهر من سرية محمد بن مسلمة، وقصتها: قالوا: أجدبت بلاد بني ثعلبة وأنمار، ووقعت سحابة بالمِراض إلى تَغْلَمَين، والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفا ـ موضع على سبعة أميال من المدينة ـ فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً من المسلمين حين صلوا المغرب، فمشوا إليهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح، فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً، فأسلم وتركه، فأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه ورثّة من متاعهم، وقدم بذلك المدينة، فخمَّسه رسول الله ﷺ، وقسم ما بقي عليهم.

وأصابوا رجلاً واحداً فأسلم، فتركه رسول الله ﷺ.

وفيها: كانت سرية زيد بن حارثة[١] إلى بني سُليم في ربيع الآخر، وكانوا بمكان يقال له: الجَموم، بينه وبين المدينة أربعةُ بُرُدٍ، فمروا بامرأة من مُزَيْنَةَ يقال لها: حليمة، فدلَّتهم على العدو وساعدهم زوجها[٢]، فأصابوا من بني سُليم نَعَماً وأسرى وشاءً، فلما عاد زيد إلى المدينة، حمل المرأة وزوجها ووهب الجميع لزوجها[٣].

وفيها: كانت سرية زيد أيضاً إلى العيص[٤]، في جمادى الأولى، وبينه وبين المدينة أربعة أميال، في مئة وسبعين راكباً يطلب عِير قريشٍ، جاءت من الشام، أخذها وما فيها، وأسر أبا العاص بن الربيع زوج زينب ﷺ بنت رسول الله ﷺ، فقدم به المدينة.

وقال الواقدي: هرب أبو العاص من زيد، فدخل المدينة ليلاً وأتى باب زينب ﷺ فاستجار بها فأجارته، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الفجر، صاحت زينب ﷺ: أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع.

فلما سلَّم رسول الله ﷺ قال: «سَمِعتُم ما سَمِعتُ»؟ قالوا: نعم، قال: «فوَالذي نَفسِي بِيَده ما عَلِمتُ بشَيءٍ ممَّا كَانَ، حتى سَمِعتُ ما سَمعتُم، إنه يُجِيرُ على النَّاس أدناهُم، وقد أَجرتُ مَن أَجارَتْ زَينَبُ»، ثم قال: «يا بُنَيَّةُ، أَكرِمي مَثواهُ، ولا يَخْلُصْ إليكِ؛ فإنَّك لا تَحِلِّينَ له» ثم ردَّ عليه ماله. وخرج أبو العاص إلى مكة، ثم عاد إلى المدينة مسلماً.

وذكر موسى بن عقبة: أن الذي أسر أبا العاص إنما هو أبو بَصير وأبو جَندل، قال: لما قال رسول الله ﷺ لأبي بصير بعد قتل جُحيش: «اذهَبْ أَينَ شِئتَ». خرج في خمسة نفرٍ كانوا قدموا معه من مكة مسلمين، فنزلوا بين العِيص وذي المَروْة يقطعون الطريق

---

(١) «الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٥، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤١، و«دلائل النبوة» ٤/ ٨٤، و«المنتظم» ٣/ ٢٥٦، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٨.

(٢) الصواب أنهم أسروه فيمن أسر.

(٣) العبارة في «الطبقات»: وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها.

(٤) «المغازي» ٢/ ٥٥٣، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٥، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٨٤، و«المنتظم» ٣/ ٢٥٦، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٨.

على قريش، وأفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو في سبعين راكباً أسلموا وهاجروا، وكرهوا أن يَقْدموا على النبي ﷺ في هدنة المشركين، فلحقوا بأبي بَصير، وكان أبو بَصير يَؤُمُّ بأصحابه، فلما قدم أبو جندل كان هو الإمامَ، واجتمع إليهم أُناس من بني غِفار وأسلمَ وجُهَيْنَة، وطوائفُ مسلمون حتى بلغوا ثلاث مئة مقاتل، فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم أن يَقْدِموا عليه، وشكَوْا إليه ما يلاقون منهم، ولم يزل أبو بصير وأبو جندل وأصحابُهما بذلك المكان حتى مرَّ بهم أبو العاص من الشام في رِفْقة من قريش، فأخذوهم وأخذوا ما معهم، ولم يقتلوا منهم أحداً لأجل أبي العاص وخَلَّوْا سبيله، فقدم المدينة فجاء إلى زينب ﷺ، واستجار بها، وكلَّمها في أصحابه وما أُخِذَ لهم. فكلَّمت رسول الله ﷺ في ذلك، فقام خطيباً وقال: «إنَّا صَاهَرنَا أُناساً، وصَاهَرنا أَبا العاصِ فَنِعم الصِّهْرُ وجَدناهُ، وإِنَّه أَقبَل من الشَّام ومَعَه رِفقَةٌ، فأَخَذَهم أَبو جَنْدَلٍ وأَبو بَصِيرٍ، وأَخَذوا ما كانَ مَعَهم، وقد سَأَلتني زَينبُ أَن أُجِيرَهُم، فَهَل أَنتُم مجيرونَ أَبا العاصِ وأَصحابَه»؟ قال الناس: نعم.

وبلَغ أبا بصيرٍ وأبا جندلٍ، فردوا عليهم جميع ما أخذوه حتى العِقالَ، وكتب لهم رسول الله ﷺ يأمرهم بالقدوم عليه[1].



وفيها: كانت سريةُ زيدٍ ـ أيضاً ـ إلى الطَّرَفِ[2] ما دون النُّخَيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة قريباً من المِراضِ في خمسةَ عشر رجلاً، فأغار على بني ثعلبة وعاد سالماً.



(١) «دلائل النبوة» ٤/ ١٧٤ـ١٧٥ .

(٢) «المغازي» ٢/ ٥٥٥ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٤ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٥ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤١ ، و«دلائل النبوة» ٢/ ٨٤ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٥٧ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٨ .

وفيها: كانت سرية زيد ـ أيضاً ـ إلى حِسْمى[1] وراء وادي القُرى، فيها جبالٌ شواهقُ مُلْسُ الجوانب لا يكاد القتامُ[2] يفارقها في جمادى الآخرة.

قال الواقدي: وسببها: أن رسول الله ﷺ بعث دِحْيَةَ بنَ خليفةَ الكَلْبي إلى قيصر ملك الروم بكتابه، ثم عاد وقد أجازه قيصر وكساه، فلقيه الهُنيد بن عارض في ناسٍ من جُذام فقطعوا عليه الطريق، وأخذوا ما كان معه وأسروه. فسمع قوم من بني الضُّبَيب فاستنقذوه منهم، فلما قدم دِحية على رسول الله ﷺ أخبره، فبعث زيداً في خمس مئة وردَّ معه دِحْيَةَ، وكان يسير ليلاً ويكمُنُ نهاراً حتى بغتهم، فقتل الهُنيدَ وأباه وابنه، وجماعةً من قومه، وسبى مئة من الرجال والنساء، وأخذ ألف بعير، وخمسة آلاف شاة، وكان فيهم قومٌ من جُذام، فقدم زيد بن رِفاعة الجُذامي المدينة بكتاب كان رسول الله ﷺ كتبه له ولقومه ليالي الهجرة، فأسلم وقومه، فرد عليه رسول الله ﷺ جميع ما أخذوه منهم، وقال له زيد بن رفاعة: يا رسول الله، لا تحرِّم علينا حلالاً ولا تحل حراماً. فقال: «كَيفَ أَصنَعُ بالقَتْلَى»؟ فقال أبو يزيد بن عمرو ـ وكان من قوم رفاعة ـ: أطلق لنا من كان حياً، ومن قتل فهو تحت قدميَّ هاتَيْن. قال: صدق، فردَّهم عليه.

قال المصنف رحمه الله: وقول الواقدي إن هذه الواقعة كانت بسبب دحية عند رجوعه من عند قيصر، وهمٌ لأنَّ رسولَ الله ﷺ إنما كتب إلى قيصرَ وغيرِه بعد غزاة الحديبية في آخر هذه السنة، وجاءه الجواب في سنة سبع من الهجرة.

وفيها: كانت سرية عبد الرحمن بن عوف[3]، إلى دُوْمة الجندل إلى كلب، وعمَّمه رسول الله ﷺ بيده وقال له: «اغْزُ بسْمِ اللهِ، وعلى بَرَكةِ اللهِ، ولا تَغُلَّ ولا تَغْدِر، ولا تَقتُلْ وَليداً ولا امْرأَةً». فسار حتى وصل إلى ماء بين خيبر وفَدَك يقال له: الهَمَج، فوجد

(١) «السيرة» ٢/ ٦١٢، و«المغازي» ٢/ ٥٥٥، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٤، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٦، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤١-٦٤٢، و«دلائل النبوة» ٤/ ٨٤، و«المنتظم» ٣/ ٢٥٨، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٩.

(٢) القتام: الغبار.

(٣) «السيرة» ٢/ ٦٣١، و«المغازي» ٢/ ٥٦٠، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٥، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٦، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٨٥، و«المنتظم» ٣/ ٢٥٩، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٩.

رجلاً فأمّنه وسأله عنهم، فدلَّه عليهم، فصَبَّحهم وقت الغارة، فأسر سيدهم الأصبغ بن عمرو الكلبي فأسلم، وتزوج عبد الرحمن ابنته تماضر، فهي أم ولده سلمة بن عبد الرحمن، وهرب بعضهم فأخذ منهم خمس مئة بعير وألفي شاة[١].

وفيها: كانت سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى فَدَكَ[٢] في شعبان وفيها بنو سعد بن بكر، وكانوا قد عزموا على إمداد يهود خيبر، فأغار عليهم، وأخذ منهم خمس مئة بعير وألفي شاة، وكان معه مئة راجل.

وفيها: في رمضان كانت سرية زيد بن حارثة إلى أم قِرْفَةَ[٣] بوادي القرى، على سبع مراحل من المدينة.

وسببه: أن زيدَ بن حارثة خرج إلى الشام تاجراً في جماعة، فلما عاد إلى وادي القرى لقيه جماعة فيهم أمُّ قِرْفةَ، فأخذوا ما كان معهم، وقتلوهم، وأثخنوا زيداً بالجراح، فارتُثَّ بين القتلى ثم تحامل في الليل إلى المدينة، وأقام حتى اندملت جراحه، وكان قد نذر أن لا يغتسل من جنابةٍ حتى يغزوَ أُمَّ قرفة، فسار إليها في جيش كثيف فقتل مَن كان بالوادي، وأخذ أم قرفة فربطها بين بعيرين وساق بها حتى قطعها نصفين، ومثَّل بها. وكانت عجوزاً كبيرة منيعة يضرب بها المثل: لو كنت أعز من أم قرفة، ما زاد على هذا. واسمها: فاطمة بنت ربيعة، وقيل: بنت ربعة، وقيل: بنت حذيفة بن بدر، وأخذ سلمة بن الأكوع ابنتها سلمى، وقيل: حارثة بنت مالك، فسأله النبي ﷺ يهبُها له، فأهداها لخاله حَزْن بن أبي وهب، فولدت له عبد الرحمن بن حزن، ولما عاد زيد إلى المدينة طرق باب رسول الله ﷺ فقام إليه عرياناً واعتنقه وقبله.

وقال الهيثم بن عدي: كان أبو بكر رضي الله عنه أمير هذه السرية، والأصح: أن السرية التي كان أبو بكر رضوان الله عليه أميرها، وجرت له الواقعة مع سلمة كانت في سنة تسع.

---

(١) هذا السياق لهذه السرية مخالف لما ورد في المصادر، بل فيه خلط سريتين: سرية عبد الرحمن وسرية علي رضي الله عنهما.

(٢) انظر «المغازي» ٢/ ٥٦٢، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٦، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٦، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٢، و«دلائل النبوة» ٤/ ٨٤ـ٨٥، و«المنتظم» ٣/ ٢٦٠، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٨.

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٦١٧، و«المغازي» ٢/ ٥٦٤، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٦، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٦، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٢، و«المنتظم» ٣/ ٢٦٠.

قال سلمة: خرجت مع أبي بكر في سرية، فأخذتُ امرأةً معها ابنةٌ لم يكن في العرب أحسنُ منها، فلما قدمنا المدينة، قال رسول الله ﷺ: «ياسَلَمةُ، هَبْها لي». فقلت: هي لك يا رسول الله، والله ما كشفت لها ثوباً. فبعث بها إلى مكة ففدى بها أسارى من المسلمين(١).



وفيها: كانت سرية عبد الله بن رَواحة(٢) إلى أُسَيْرِ بن رِزام(٣) اليهودي بخيبر في شوال، وكانت اليهود قد أمَّرته عليها بعد قتل أبي رافع، فسار في القبائل يحرضهم على رسول الله ﷺ، فبعث إليه عبدَ الله ابن رواحة، وعبدَ الله بن أُنَيس، وآخرَ، فلما جاؤوا إليه قالوا له: إن رسول الله ﷺ قد استعملك على خيبر، فاقدم عليه ليحسن إليك. فخرج معهم فلما وصل قَرْقَرَةَ، ندم وعزم على الهرب، ففهم عبد الله بن أنيس حاله فقال: أغَدْراً يا عدو الله، فقتله.



وفيها: كانت سرية كُرْز بن جابر إلى العُرَنِيِّين(٤)، في شوال، في عشرين فارساً.

قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا ابن أبي عدي، عن حُمَيد، عن أنس قال: أسلَمَ ناسٌ من عُرَيْنَةَ فاجتوَوا المدينة، فقال لهم النبي ﷺ: «لو خَرَجتُم إلى ذَوْدٍ لَنا فَشَرِبتُم من أَلْبانِها» ـ ما قال حميد، وقال قتادة عن أنس: «وأَبْوَالِها» ـ فلما صَحُّوا كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي رسول الله ﷺ وساقوا الذَّوْدَ وهربوا، فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم، فأُخِذوا، فقَطَّعَ رسول الله ﷺ أيديَهم وأرجلَهم، وسَمَر أَعينهم، وتركهم في

---

(١) سيذكرها المصنف في السنة السابعة.

(٢) انظر «السيرة» ٢/ ٦١٨، و «المغازي» ٢/ ٥٦٦، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٨، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٧، و«المنتظم» ٣/ ٢٦٢.

(٣) في «السيرة»: اليسير بن رزام، وقال ابن هشام: ويقال: رازم.

(٤) انظر «السيرة» ٢/ ٦٤٠، و«المغازي» ٢/ ٥٦٨، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٨٩، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٥٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٤، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٨٥، و«المنتظم» ٣/ ٢٦٣، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٧٩.

الحَرَّةِ حتى ماتوا. أخرجاه في «الصحيحين[(١)]».

قال الواقدي: وكانت اللِّقاح خَمْس عشرة غِزاراً، فردّها إلى المدينة، وفقدوا منها واحدة نحروها، ويقال لها: الحناء، والذي خرج في آثارهم يسار مولى رسول الله ﷺ في ثلاثة نفر، وقيل: هم الرعاة، فعطفوا عليهم فقطعوا يد يسار ورجله، وغَرسوا في لسانه وعينيه شوكاً حتى مات، فبعث رسول الله ﷺ كُرْز بن جابر الفهري في خمسين فارساً، فجاء بهم إلى المدينة، ففعل بهم ما ذكر أنس، وهذا كُرز هو الذي أغار على سَرْح المدينة، وخرج رسول الله ﷺ خلفه فلم يدركه، ثم منَّ الله عليه بالإسلام، وقتل يوم الفتح، لما يذكر إن شاء الله تعالى.



وفيها: كانت غزاة الحُدَيْبية[(٢)]، وهي شجرة حَدْباء على تسعة أميال من مكة، وقيل: هي اسم بئر.

قال ابن إسحاق وغيره: خرج رسول الله ﷺ من المدينة معتمراً في ذي القعدة لا يريد حرباً، واستنفر مَنْ حوله من الأعراب الذين يسكنون قريباً من المدينة ليسيروا معه مخافة أن تَصُدَّهُ قريش عن البيت، فأبطأ عليه كثير منهم، فخرج في المهاجرين والأنصار، ولحقه بعض القبائل فصلى ركعتين، وركب راحِلَته القصواءَ بعد ما أحرمَ بعُمْرةٍ ليأمن الناس منه، وساق الهَدْيَ ليعلمَ الناسُ أنه جاء معظِّماً للبيت، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وخرج يوم الإثنين لهلال ذي القعدة، ولم يأخذ معه من السلاح إلا السيوف في القُرُبِ، وأشْعَرَ بُدْنَهُ في شقها الأيمن، وساق الصحابة بُدْنَهم وأشعروها، وكان في البُدْنِ جَمَلُ أبي جهل الذي غنمه يوم بدر، وكان في رأسه بُرَةٌ من فضة ليغيظ به الكفار.

وفي «المسند»: عن ابن عباس قال: أهدى رسول الله ﷺ مئة بَدَنَةٍ فيها جملُ أبي

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٠٤٢)، والبخاري (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١).

(٢) انظر «السيرة» ٢/٣٠٨، و«المغازي» ٢/ ٥٧١، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٩١، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤١٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٢٠، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٩٠، و«المنتظم» ٣/ ٢٦٧، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٦٤.

جهل، في أنفه بُرَةٌ من فضة ليغيظ به المشركين(١). ولم يذكر في الحديبية.

وقال هشام(٢): كان معه سبعون بَدَنةً، البَدَنَةُ عن عشرة أنفس، وهذا يدل على أنهم كانوا سبع مئة.

وفي الصحيح: أنهم كانوا بضع عشرة مئة(٣). وقال ابن عباس: كانوا ألفاً وخمس مئة، وقيل: ألفاً وثلاث مئة(٤)، ويحتمل أنهم كانوا حين خرجوا من المدينة سبع مئة، ثم لحقهم الناس فزادوا على ألف فارس.

قال الواقدي: وأخرج رسول الله ﷺ معه أم سلمة، فلما كان بعُسْفان لقيه بُسْر بن سفيان الخزاعي، وقيل: إنما لقيه بغَدير الأَشْطاط، فقال له: يا رسول الله، أو يا محمد، هذه قريش سمعت بمسيرك، فأَجْمَعَتْ على صدِّك عن البيت الحرام، وقد خرجوا بالعُوذِ المَطافيل، قد لبسوا جلود النمور، ونزلوا بذي طُوى يَأْلونَ بالله لا تدخُلُها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدَّموه إلى كُراع الغَميمِ، وقدَّموا مئتي فارس مع خالد(٥).

قال المصنف ـ رحمه الله ـ: وذكر الطبري في «تاريخه»: أن خالد بن الوليد كان مع رسول الله ﷺ يومئذ مسلماً، وأن عكرمة بن أبي جهل خرج من مكة في خمس مئة فارس، وأن النبي ﷺ قال لخالد بن الوليد: «هَذا ابنُ عَمِّكَ قَد أَتَاكَ في الخَيلِ». فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله، قال: فيومئذ سمي سيف الله. ثم قال خالد: يا رسول الله، ارم بي حيث شئت، فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشِّعب فهزمه، فأنزل

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٦٢).

(٢) لعله ابن هشام، انظر «السيرة» ٢/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) الحديث مروي عن عدد من الصحابة: فأخرج البخاري (٤١٥٣)، ومسلم (١٨٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه قال: كانوا خمس عشرة مائة. وأخرج البخاري (٤١٥٥)، ومسلم (١٨٥٧) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمئة. وللبراء بن عازب رضي الله عنه عند البخاري (٤١٥٠) قال: كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مئة. ولسلمة بن الأكوع عند مسلم (١٨٠٧) قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مئة.

(٤) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٦٢١.

(٥) «المغازي» ٢/ ٥٧٩-٥٨٠.

الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾[الفتح: ٢٤] الآية[١].

قال المصنف ـ رحمه الله ـ: والعجب من الطبري أن يذكر مثل هذا، ولا خلاف بين عُلماء النقل أن خالد بن الوليد أسلم في سنة ثمان من الهجرة.

قال ابن إسحاق: ولما قال بِشر لرسول الله ﷺ ما قال، قال: «يا وَيْحَ قُريشٍ، ماذا عليهم لو خَلُّوا بَيني وبَين سائِرِ العربِ، فإنْ هُم أَصابُوني كان الذي أَرادُوا، وإِنْ أَظْهَرَني اللهُ عليهم دَخَلُوا في الإِسلامِ وافِرينَ، واللهِ لا أَزالُ أُجاهِدُهم حتى يُظْهِرَ اللهُ أَمْرَه، أَو يَفْرق بَين سَالِفَتي وذاقِنَتي»، ثم قال: «مَن يخرج بنا على غير الطَّريقِ التي هُم عليها»؟ فقال رجل من أسلم: أنا. فسلك بهم طريقاً وَعِرَةً بين الشِّعاب، فشق ذلك على المسلمين، ثم خرجوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قُولُوا: نَستَغفِرُ اللهَ ونَتُوبُ إليهِ». فقالوها، فقال: «والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّها لَلحِطَّةُ التي عُرِضَت على بني إِسْرائِيلَ، فلم يَقبَلُوها، وبدَّلُوها، ولم يَقُولُوها»، ثم قال: «اسْلُكُوا ذَاتَ اليَمينِ» في طريق يخرجه إلى ثَنِيَّةِ المُرار على مهبط الحديبية من أسفل مكة. فلما رأت قريش قَتَرَة الجيش، وأنه قد خالفهم في طريقهم، رجعوا ناكصين إلى مكة.

ولما سلك رسول الله ﷺ في ثَنِيَّةِ المُرار، بَركت ناقتُه، فقال الناس: خَلأَتِ القَصْواءُ. فقال رسول الله ﷺ: «ما خَلأَت، ولا هُو بخُلُقٍ لها، ولكِنَّها حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ عن مَكَّةَ، أَمَا والله لا تَدْعُوني قُرَيشٌ اليومَ إلى خُطَّةٍ يَسأَلوني فيها صِلَةَ الرَّحِم أو رُشْداً إلا أَعطَيتُهم إيَّاها»[٢].

وقد أخرج الإمام أحمد والبخاري ـ رحمهما الله ـ حديثاً رفعاه إلى المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمة ومروان بن الحكم، قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يُريد زيارة البيت، لا يُريد قتِالاً، وسَاق معه الهَدْيَ سبعين بَدَنَةً، وكان الناس سبعَ مئةِ رجلٍ، فكانت كل بدنة عن عَشَرَةٍ، حتى إذا كان رسول الله ﷺ بعُسْفان، لقيه بُسر بن سفيان الكَعْبي، فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجت معها العُوذُ المَطَافيل قد لبسوا جُلودَ النُّمور، معاهدون الله أن لا تدخُلَها عليهم عَنْوَةً أبداً، وهذا خالد بن الوليد

---

(١) «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٢٢.

(٢) «السيرة» ٢/ ٣٠٩-٣١٠.

في خيلهم قد قدَّموه إلى كُراع الغَميم. فقال رسول الله ﷺ: «يا وَيْحَ قُرَيشٍ، لَقد أَكَلَتهُمُ الحَربُ، ماذا عليهم لو خَلَّوْا بيني وبينَ سائرِ النَّاسِ، فإنْ أَصابُوني كانَ الذي أَرَادُوا، وإنْ أَظْهَرَني اللهُ عليهم دَخَلُوا في الإسلامِ وهم وَافِرُونَ، وإنْ يَفعَلُوا قَاتَلُوا وبهم قُوَّةٌ، فماذا تَظنُّ قُرَيشٌ؟ واللهِ لا أَزَالُ أُجَاهِدُهم على الذي بَعَثَني اللهُ عليه - أوله - حتى يُظهِرَه اللهُ، أو تَنفَرِدَ هذه السَّالِفَةُ»، ثم أمر الناس فَسَلكوا ذات اليمين بين ظَهري الحَمْض على طريقٍ تخرجه على ثَنِيَّةِ المُرار والحديبية من أسفل مكة.

قال: فسلكوا بالجيش تلك الطريق، فلما رأت قريش الجيش قد خالفوهم عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى مكة، ولما سلك رسول الله ﷺ ثَنِيَّةَ المُرار بركت ناقته، فقال الناس: خَلأَتْ. قال: «ما خَلأَت وما هو بخُلُقٍ لها، ولكِنْ حَبَسَها حَابِسُ الفيلِ، أما والله لا تَدعُوني قُرَيشٌ اليومَ إلى خُطَّةٍ يَسأَلوني فيها صِلةَ رَحِمٍ إلا أَعطَيتُهم إيَّاها».

ثم قال للناس: «انزِلُوا». فقالوا: يا رسول الله، ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس. فأخرج رسول الله ﷺ سهماً من كِنانته، فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل في قَليب من تلك القُلُبِ فغرزه فيه، فجاش الماء حتى ضرب الناس عنه بعَطَن، فلما اطمأن الناس[1] إذا بِبُدَيْل بن وَرْقاءَ الخُزاعي في رجال من خُزاعة، فقال لهم كقوله لبُسْر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش، فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تَعجَلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، إنما جاء زائراً لهذا البيت معظِّماً لحقه، فاتهموهم.

قال محمد بن إسحاق: قال الزهري: وكانت خزاعةُ عَيْبَةَ نُصْحٍ لرسول الله ﷺ مشركُها ومسلمها، لا يُخفون عنه شيئاً كان بمكة، قالوا: وإنْ كان إنما جاء لذلك، فلا والله لا يدخلها أبداً علينا عَنْوةً، ولا تتحدث بذلك العرب.

ثم بعثوا إليه مِكْرَزَ بن حَفْص أحدَ بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هذا رَجُل غَادِرٌ». فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، كلَّمه بنحو ما كلَّم به أصحابه، فرجع إلى قريش فأخْبَرهم.

فبعثوا إليه الحِلْسَ بنَ علقمة الكِنَاني وهو يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله

---

(١) في «المسند»: فلما اطمأن رسول الله ﷺ.

ﷺ قال: «هذا مِن قَوم يَتأَلَّهونَ، فابعَثُوا الهَدْيَ». فلما رأى الهَدْيَ يسيل عليه من عُرْض الوادي في قلائده قد أكل أوبارَه من طول الحبس عن مَحِلِّه، رجع ولم يصلْ إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال: يا معاشر قريش، قد رأيتُ مالا يَحلُّ صَدُّه، الهَديَ في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن مَحِلِّه، فقالوا: اجلس، فإنما أنت أعرابي لا علم لك.

فبعثوا إليه عُرْوةَ بن مسعود الثقفي فقال: يا معاشر قريش، إني قد رأيت ما يلقى منكم من تبعثون إلى محمد من التعنيف وسوءِ اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد، وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعتُ من أطاعني من قومي، ثم جئت حتى آسيتكم بنفسي. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتَّهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه فقال: يا محمد، قد جمعتَ أوباشَ الناس وجئت بهم لبيضتك لتفُضَّها، إنها قريش قد عاهدت الله أن لا تدخلها عليهم عَنوةً أبداً، وايْمُ اللهِ لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً.

قال: وأبو بكر رضي الله عنه قاعدٌ خَلْفَ رسول الله ﷺ، فقال له: امْصَصْ بَظْر اللّاتِ والعزى، أنحن ننكشف عنه؟ فقال: من هذا يا محمد؟ فقال: «ابنُ أَبي قُحافَةَ». فقال: أما والله لولا يدٌ كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها، ثم تناول لحية رسول الله ﷺ، والمغيرةُ بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد، فقرع يده بقائم سيفه وقال: اكفُفْ يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل والله أن لا تصلَ إليك، فقال: يا محمد، من هذا؟ قال: «ابنُ أَخيكَ المُغيرةُ بنُ شُعبةَ». قال: يا غُدَرُ، وهل غَسَلْتَ سوأتك إلا بالأمس؟! فكلَّمه رسول الله ﷺ بما كلَّم به أصحابه، فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ وضوءاً إلا ابتدروه، ولا يَبْصُق بُصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شَعْرِه شيءٌ إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال: إني والله جئت قيصرَ وكِسْرى والنجاشي في مُلكهم، والله ما رأيت مَلِكاً قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فَرَوْا رأيكم.

قال: وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خِراشَ بنَ أُمية الخُزاعي إلى مكة وحمله على جمل له يقال له: الثَّعلب، فأرادت قريش قتله فمنعهم الأحابيش حتى أتى

رسول الله ﷺ، فدعا عمر ليبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بها من بني عدي أحدٌ يمنعني، وقد عَرَفَتْ قريشٌ عداوتي إيَّاها، وهذا عثمان بن عفان أعزُّ مني.

فبعث إليهم رسولُ الله ﷺ عثمان بن عفان يخبرهم أنه لم يأت لحرب أحد، وإنما جاء مُعَظِّماً لحُرْمةِ هذا البيت، وزائراً له.

فخرج عثمان حتى أتى مكة، فلقيه أبانُ بنُ سعيد بن العاص فنزل عن دابته، وحمله بين يديه، وردف خلفه، وأجاره حتى يُبَلِّغ رسالة رسول الله ﷺ، فأتى عثمانُ أبا سفيان ووجوهَ قريش، فبلَّغهم رسالةَ رسول الله ﷺ فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، قال: واحتبسته قريش عندها، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمانَ قد قتل.

قال محمد بن إسحاق: فحدثني الزهري: أن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو، وقالوا: ائت محمداً، فصالحه على أن يَرْجِعَ عنا العام، فو الله لا تتحدَّثُ العرب أنه دخل علينا عَنْوة أبداً. فأتاه سهيل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «قَد أَرادَ القَومُ الصُّلحَ حينَ بَعَثوا هذا الرَّجلَ» فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، تكلَّما وطال الكلام بينهما، وتراجعا، واستقر الصلح.

فلما الْتَأم الأمر ولم يَبْقَ إلا الكِتابُ، وثب عمر فأتى أبا بكر فقال له: يا أبا بكر، أَوَلَيْسَ برسولِ الله، أَوَ لسنا بالمسلمين، أَوَليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلامَ نُعطي الذِّلَّةَ في ديننا، فقال أبو بكر: الزم غَرْزَهُ حيث كان، فإني أشهد أنه رسول الله. قال عمر: وأنا أشهد.

ثم أتى عمرُ رسولَ الله ﷺ فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال: «أَنَا عبدُ اللهِ ورَسُولُه، لَن أُخَالِفَ أَمرَهُ ولن يُضَيِّعَني». قال عمر: فمازلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتقُ مِنَ الذي صنعتُ مَخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خَيْراً.

ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «اكْتُب: بِسْمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيمِ»، فقال له سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهمَّ. فقال

رسول الله ﷺ وسلم: «اكتُب: [باسْمِكَ اللَّهمَّ] هذا ما صَالَحَ عليه رسولُ اللهِ ﷺ سُهَيلَ ابنَ عَمْرٍو». فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله، لما قاتلتك، ولكن اكتب: محمد ابن عبد الله. قال: اكتُب: فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عَشْرَ سنين يأمنُ فيها الناس، ويكفُّ بعضُهم عن بعض، وعلى أنه من أتى محمداً بغير إذن وليه ردَّه عليهم، ومن أتى قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه، وأن بيننا عَيْبَةً مكفوفةً، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأن من أحب أن يدخل في عَقْد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عَقْد قريش وعهدهم دخل فيه.

فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وكان في الكتاب: أن يَرْجِعَ عنا عامنا هذا فلا يدخلَ مكة، وإذا كان العام القابل خرجنا عنها، فدخلها بأصحابه ويقيم فيها ثلاثاً معهم سلاح الراكب، لا يدخلها بغير السيوف في القُرُبِ.

فبينا علي يكتب الكتاب إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد، قد أَفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ حين خرجوا لا يشكُّون في الفَتْح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأَوْا ما رأَوْا من الصلح والرجوع وما تحمَّل رسول الله ﷺ على نفسه، دخلهم من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا يَهْلِكون. ولما رأى سهيلٌ أبا جندلٍ، قام إليه فضرب وجهه وقال: يا محمد، قد تَمَّتِ القضيةُ بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: «صَدَقتَ» فقام إليه فأخذ بتلابيبه. فصرخ أبو جندل بأعلى صوته: يا معاشرَ المسلمين، أتردونَني إلى المشركين فيفتنونني عن ديني. قال: فزادَ الناسَ شراً إلى ما بهم. فقال رسولُ الله ﷺ : «يا أبا جَندَلٍ، اصبِرْ واحْتَسِب، فإنَّ اللهَ جَاعِلٌ لكَ ولِمَن مَعَك من المُستَضعَفينَ فَرَجاً ومَخْرَجاً، إنَّا قد عَقَدنا بَيننا وبينَ القَومِ صُلْحاً، فأعطيناهُم على ذَلكَ عَهداً، وأعطونا على ذلك عهداً، وإنَّا لن نَغْدِرَ بهم».

قال: فوثب عمر بن الخطاب وجعل يمشي إلى جنب أبي جَنْدَل ويقول: اصبر أبا جَنْدَل، فإنما هم المشركون وإنما هم دم كلب. ويُدْني إليه قائمَ السيفِ رجاءَ أن يأخذَهُ منه فيضربَ به أباه.

قال: فضَنَّ الرجل بأبيه، فلما فرغا من الكتاب وكان رسول الله ﷺ يصلي في

الحَرم وبعضه في الحل، فقام وقال: « أَيُّها النَّاسُ، انْحَروا واحلقُوا». فما قام أحد، فدخل رسول الله ﷺ على أمِّ سَلَمةَ فشكا إليها الناسَ، فقالت: يا رسول الله، قد دخلهم ما رأيتَ فلا تكلِّمَنَّ منهم إنساناً، واعْمِدْ إلى هَدْيكَ حيث كان فانحره واحلق رأسك، فلو قد فعلتَ ذلك فعله الناس. فخرج رسول الله ﷺ ففعل ذلك، فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وَسَطِ الطريق نزلت سورة الفتح.

وجاء نِسْوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]، فطلّق عمر رضوان الله عليه امرأتين كانتا له في الجاهلية، فتزوج إحداهما معاويةُ بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة[١].

قال موسى بن عقبة: وتفلّت رجلٌ من أهل الإسلام من ثقيف يقال له: أبو بَصير بن أُسَيْد، فأتى رسولَ الله ﷺ مسلماً مهاجراً، فبعث في أثره الأخنسُ بن شَريق رجلين من بني مِنْقَر، أحدهما مولى، والآخر جحش بن خليفة من أنفسهم، وجعل لهما جُعْلاً في إحضاره، فدفعه رسول الله ﷺ إليهما، فخرجا به حتى إذا كانا بذي الحُلَيْفةِ سلَّ جحش سيفه ثم هزه وقال: سأضرب بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل. فقال له أبو بَصير: أَوَ صارِمٌ سيفُك هذا؟ قال: نعم. قال: ناولنيه لأنظر إليه. فلما قبضه ضربه به حتى بَرد، ويقال: بل تناول سيف المِنْقري وهو نائم فقطع به إسارَه ثم ضربه به حتى برد، وطلب الآخر ففرَّ مذعوراً حتى دخل المسجد على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لقد رأى هذا ذُعْراً». فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي، وإني والله لمقتول. وجاء أبو بَصير بسَلَبِ المقتول فقال: يا رسول الله، خمِّسْه. فقال: «إذا خَمَّسْتُه لم أَفِ لهم بالذي عَاهَدتُهم عليه، ولكِنْ عليك بسَلَبِ صاحِبِكَ واذهَب حيثُ شِئتَ».

وقيل: جاء أبو بَصير إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم. فقال رسول الله ﷺ: «ويلُ امِّه مِسْعَرُ حَرْبٍ لو كان له رجال». فلما سمع

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٩١٠)، والبخاري (٢٧٣١).

ذلك، عرف أنه سيرجع إليهم فخرج إلى سِيفِ البحر، وتفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عِصابة، فما يسمعون بعِيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوها، فقتلوهم وأخذوا أموالَهم، فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ تناشده الله والرَّحِمَ لَما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فإنه آمن، فأرسل إليهم. وأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾، وكانت حَمِيَّتُهم أنه لم يُقِرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت. وقد أخرجه الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» أتم من هذا(١).

قال ابن إسحاق: والذي نزل بالسهم إلى القَليبِ ناجيةُ بن عمير الأسلمي سائقُ بُدْن رسولِ الله ﷺ، ولما نزل وقفت عليه جارية من الأنصار وقالت: [من الرجز]

يا أَيُّها المائِحُ دَلْوِي دُونَكا
إنِّي رَأَيتُ النّاس يَحْمَدونكا
يُثنُونَ خيراً ويُمجِّدونَكا

فقال وهو في القليب:

قد علمتْ جاريةٌ يمانِيَهْ
أنِّي أنا المائِحُ واسمي نَاجِيَهْ(٢)

وقد فرقت العرب بين المائح والماتح، فجعلت النقطتين اللتين من تحت لمن تحت، واللتين من فوق لمن فوق.

وقال جابر بن عبد الله: عَطِشَ الناس يوم الحديبية، وبين يدي رسول الله ﷺ رَكْوَةٌ يتوضأ منها، إذ جهش الناس إليه أو نحوه، فقال: «ما شأنكم»؟ قالوا: يا رسول الله، ليس لنا ماء نشرب منه ولا نتوضأ به إلا ما بين يديك. فوضع رسول الله ﷺ يده في الرَّكوة فجعل الماء يفيض من بين إصبعيه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قال سالم بن أبي الجعد: فقلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئة ألف لكفانا، لكنا كنا خمس عشرة مئةً.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٩٢٨)، والبخاري (٢٧٣١)، والحميدي في «الجمع بين الصحيحين» (٢٨٦٠).
(٢) «السيرة» ٢/٣١٠-٣١١.

أخرجاه في «الصحيحين»[١].

تفسير الألفاظ الغريبة:

«العوذ المطافيل»: هي النِّياق التي وَضَعَت، لأن أولادَها تعوذ بها وأطفالها يأوون إليها.

و«قَتَرةُ الجيش»: غبرته.

و«خَلَأَت الناقة»: مثل حَرَنتِ الفرس.

وقوله ﷺ: «حَبَسَها حَابسُ الفيلِ» وهو الله تعالى، فعل بها كما فعل بالفيل لما جيء به لهدم البيت.

فإن قيل: فرسول الله ﷺ جاء زائراً معظِّماً للبيت، فما معنى حِران الناقة؟

فالجواب: إن فيه إشارةً إلى تعظيم البيت، أي: من جاء معظماً له، هكذا حاله. فكيفَ من جاء مقاتلاً.

وأما قوله ﷺ: «وإنَّما أُحِلَّت ليَ ساعةً من نهارٍ» لمكان الضرورة.

و«جاش»: اضطرب وزخر. و«الجَهْشُ»: أن يفزعَ الإنسان إلى غيره، وهو يريد البكاء.

وقوله: «ضَرب الناس بعَطَن» أي: تُرِكَت الإبل لتشرب من كثرة الماء. و«المعاطن»: مبارك الإبل عند الماء للشرب.

قال الواقدي: ولما رجع الحُلَيْس إلى قريش، وأنكر عليهم حبس البُدْن وقالوا له: أنت أعرابي لا علم لك. غضب وقال: والله ما على هذا حالفناكم، ولا عليه عاقدناكم، أن تصدوا عن بيت الله من جاء له معظِّماً، والذي نفسُ الحليسِ بيده لتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأُنْفِرَنَّ بالأحابيش نفرةَ رجل واحد. فقالوا: كُفَّ عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٥٢)، ومسلم (١٨٥٦) (٧٢)، ولم يخرج مسلم إلا قوله: لوكنا مائة ألف لكفانا...وانظر «الجمع بين الصحيحين» (١٥٧٧).

(٢) «المغازي» ٢/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠.

و«الأوباش»: الأخلاط من الناس.

وبيضة كل شيء: حوزته، ويقال: هم الأهل.

وقول أبي بكر ﷺ: «امصص بَظْرَ اللّات والعزى»: هو سب لطاغية ثقيف وهي صنمهم.

وأَخْذُ عُروةَ بلحية رسول ﷺ: إنما هو على عادة العرب في الملاطفة عند الكلام.

والغَرْزُ: موضع الركاب.

وقول عمر ﷺ ما قال إنما كان إعزازاً للدين لا اعتراضاً على رسول الله ﷺ، ولم يعلم باطن الأمر فوقف مع الظاهر، ثم ندم واستغفر ربه.

وقوله: «بيننا عيبةٌ مكفوفةٌ» أي: مُشْرَجة، وأراد بالعِياب القلوب، ومعناه: في صدورنا بقية من الغِلِّ والخِداع.

وقوله: «لا إسلال» أي: السرقة الخفيفة و«الإغلال»: الخيانة.

و«الثمد»: الماء القليل، وقيل: البئر لا مادة لها، وأعداد مياه الحديبية، العَدُّ: الذي لا انقطاع لمادته.

وقوله ﷺ: «وَيلُ أُمِّه مِسعَرُ حَربٍ». معناه: كلمة تعجُّبٍ من الإقدام، و«سِيْفُ البحر» جانبه.

واسم أبي بَصير: عتبة بن أَسيد، والرجلان: حبيش بن جابر، ومولاه: كوثر، والمقتول: حبيش، والهارب: كوثر.

ولما بلغ سهيل بن عمرو، قتلُ أبي بَصير صاحبهم أسند ظهره إلى الكعبة وقال: والله لا يفارق ظهري الكعبة حتى يَدُوا الرجل. فقال له أبو سفيان: إن هذا والله السَّفهُ، والله لا يَدُوه أبداً[١].

والمرأة التي طلقها عمر ـ رضوان الله عليه ـ: قريبة بنت أبي أمية، فتزوجها معاوية، وابنة جَرْوَل الخزاعي، وهي: أم كلثوم بنت عمرو بن جرول، وهي: أم عبد

---

(١) «السيرة» ٢/ ٣٢٤.

الله، تزوجها أبو جهم(١).

قال المِسْوَر: كانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن هاجر إلى رسول الله ﷺ يومئذ بعد ما شرط سهيل بن عمرو على رسول الله ﷺ أن يرد إليهم من جاء مسلماً، وكانت أم كلثوم عاتق فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يُرْجِعها إليهم، فلم يرجعها لِما نزل فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(٢) [الممتحنة: ١٠].

قال عروة: فأخبرتني عائشة أن النبي ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية إلى قوله ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠].

قال: فمن أقرت بهذا الشرط منهن، قال رسول الله ﷺ: «قد بايَعْتُكِ» كلاماً يُكلِّمُها به، والله ما مسَّتْ يده يد امرأة قط في المبايعة، وما بايعهن إلا بقوله(٣).

وقال ابن عباس: لما كتب رسول الله ﷺ بينه وبين أهل مكة الكتاب، وفيه: من أتاه منهم رده عليهم، ومن أتى مكة من أصحابه لم يردوه عليه، وختم الكتاب، جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة، وزوجها مسافر من بني مخزوم وكان كافراً ـ وقال مقاتل: إن زوجها صيفي بن الراهب ـ فقال: يا محمد، اردد علي زوجتي فقد شرطتَ لنا ما شرطتَ، وهذه طينةُ الكتاب لم تجفَّ بعد. فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾(٤) [الممتحنة: ١٠] أي: اختبروهن، فيستحلفن أنهن ما خرجن بسببٍ غير الإسلام، فحلفت سُبيعةُ فأعطى زوجَها مهرَها، وما أنفق عليها ولم يردَّها عليه. فتزوجها عمرُ بن الخطاب ﷺ فكان رسول الله ﷺ يردُّ من جاءَهُ من الرجال، ولا يردُّ من جاءه من النساء بعد الامتحان، ويعطي أزواجهن مهورَهن وما أنفقوا عليهن.

وقال مجاهد: كان عند طلحةَ بن عُبَيْدِ الله أروى بنتُ ربيعةَ بن الحارث بن عبد

(١) «السيرة» ٢/ ٣٢٧.
(٢) أخرجه البخاري (٢٧١١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٧١٣).
(٤) انظر «تفسير البغوي» ٤/ ٣٣٢.

المطلب، فَفَرَّقَتْ بينهما هذه الآيةُ يعني قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وكان طلحةُ قد هاجرَ وهي على دينها بمكة، ثم أسلمت فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وكانت فيمن فرَّ من نساء الكفار فلم يردَّها رسولُ الله ﷺ وزوَّجها خالداً.

وكانت آمنة بنت بشر عند ثابت بن الدحداحية ففرت منه وهو يومئذ كافر، فزوجها رسول الله ﷺ سهلَ بنَ حُنَيفٍ فولدت له عبدَ الله بنَ سَهْلٍ.

قال ابن عباس: وكان جميعُ من لحق بالكفار من نساء المسلمين المهاجرين راجعاتٍ عن الإسلام ستَّ نِسْوَةٍ:

أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب كانت تحت عِياض بن شدّاد الفهري.

وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أراد أن يهاجر أبت وارتدت.

وأم كلثوم بنتُ جَرْوَل كانت تحت عمر أيضاً.

وبَرْوَع بنت عقبة كانت تحت عثمان بن عفان[1] رضي الله عنه .

وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود.

وهند بنت أبي جهل كانت عند هشام بن العاص بن وائل. فأعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنائم[2] .

وقال سلمة بن الأكوع: قدمنا الحديبية مع النبي ﷺ ونحن أربعَ عشرة مئة وعلينا خمسون شاةً لا تُروينا، فقعد رسول الله ﷺ على جَبَا الرَّكيّةِ، فإمَّا دعا وإما بَصَقَ فيها فجاشت فسَقَيْنا واستَقَيْنا، ثم دعانا رسول الله ﷺ للبيعة في أصل الشجرة، قال: فبايعتُه أَوَّلَ الناس، ورآني أَعزلَ فأعطاني حَجَفَةً أوْ دَرَقَةً، ثم قال في أوسط الناس: «بَايِعْ»، فبايعته، ثم قال في آخر الناس: «أَلَا تُبايْعِني يا سَلَمةُ» فقلت: يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم وآخرهم، قال: فبايعته الثالثة، ثم قال لي: «يا سَلَمةُ، أينَ

---

(١) في تفسير البغوي ٤/ ٣٣٣ ، وفتح الباري ٥/ ٣٤٨ أنها كانت تحت شماس بن عثمان .

(٢) انظر «تفسير البغوي» ٤/ ٣٣٤ .

حَجَفَتُك ـ أو دَرَقَتُك ـ التي أَعْطَيتُكَ»؟ فقلت: يا رسول الله، لقيني عمي عامر وهو أعزل فأعطيته إياها فَضحِكَ فقال: «إنَّكَ كالذي قَال: اللَّهمَّ ابْغِني حَبِيباً هو أَحَبُّ إليَّ مِن نَفْسِي».

ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشينا بعضُنا في بعض واصطلحنا، قال: وكنت تبيعاً لطلحة بن عُبَيْد الله أسقي فرسه وأَحُسُّه وأَخْدُمه وآكُل من طعامه، وتركتُ أهلي ومالي مهاجراً إلى الله ورسوله، فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا في بعض أتيت شجرة فكَسَحْتُ شوكَها واضطجعت في أصلها وإذ قد أتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فتحولت إلى شجرةٍ أُخرى فعلَّقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينا هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادي: يا لَلْمهاجرين، قُتل ابن زُنَيم فاخْتَرَطْتُ سيفي ثم شَدَدْتُ على أولئكَ الأربعةِ وهم رقود فأخذت سلاحَهم فجعلته ضِغْثاً في يدي، ثم قلت: والذي كرَّم محمداً لا يرفع أحدٌ منكم رأسه إلا أخذتُ الذي فيه عيناه، ثم جئت بهم إلى رسول الله ﷺ ، وجاء عمي عامر برجل من العَبَلاتِ يقال له: مِكْرز بن هَوْذَةَ يقودُه على فرسٍ مُجَفَّفٍ في سبعين من المشركين يقودهم إلى رسول الله ﷺ ، فنظر إليهم رسولُ الله ﷺ وقال: «دَعُوهُم، يَكُنْ لَهم بَدءُ الفُجورِ وثِناهُ» فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ . . .﴾ [الفتح: ٢٤] الآية، قال: ثم رجعنا إلى المدينة فنزلنا منزلاً وبيننا وبين بني لِحْيان جَبَلٌ وهم مشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رَقى الجبل طليعةً، قال: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً(١) .

وعن أنس بن مالك قال: لما كان يومُ الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابهِ ثمانونَ رجلاً من أهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غِرَّة رسول الله ﷺ ، فدعا عليهم وأُخِذوا فَعفا عنهم، ونزل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ . . .﴾ الآية(٢) .

تفسير ألفاظ غريبه:

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٧) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٨) .

«الجَبَا»: بالفتح مقصور: نَثيلةُ البئر وهي ترابها الذي حولها تَراه من بعيد، و«الرَّكية»: البئر قبل أن تُطوى.

وقوله: «قتل ابن زُنَيم»: ليس في الصحابة من يقال له ابن زنيم إلَّا سارية وأخوه أنس.

و«الضِّغث»: الحزمة من العيدان تجمع.

و«العَبَلات»: حي من قريش نُسِبوا إلى أمهم يقال لها: عبلة، وأمية الصغرى يقال لهم: العبلات، لأن أمهم اسمها عبلة.

و«التجافيف»: كل ما يمنع وصول الأذى إلى الإنسان.

وعن جابر قال: نحرنا بالحديبية مع رسول الله ﷺ البَدَنَةَ عن عشرة والبقرة عن سبعة. متفق عليه(١).

وقوله: «بايعت رسول الله ﷺ مراراً» هذه بيعة الرضوان، وسببها أن رسول الله ﷺ بعث عثمان إلى مكة فاحتبسته قريش عندها وبلغ المسلمين أنهم قتلوه فقال رسول الله ﷺ: «لا أبرح حتى أناجزهم»، وكان هذا قبل الصلح.

وقال إياس بن سلمة [عن أبيه]: بينا نحن على الحديبية إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: يا أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس، قال: فَثُرْنا إلى النبي ﷺ وهو تحت الشجرة فبايعناه(٢).

قال الواقدي: وأول من بايعه سنان بن أبي سنان الأسدي(٣)، وقيل: أبو سنان(٤)، وهو وهم؛ أبو سنان قُتِل في حصار بني قريظة(٥).

وضرب رسول الله ﷺ بيمينه على شماله وقال: «هذِه عن عُثْمانَ» يعني: أنه ما غاب إلا في حاجة الله ورسوله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣١٨)، وهو من أفراده كما في «الجمع بين الصحيحين» (١٦١٣).

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٣٢. وما بين معقوفين زيادة منه.

(٣) انظر «المغازي» ٢/ ٦٠٣.

(٤) انظر «السيرة» ٢/ ٣١٦.

(٥) بل صوب ابن حجر أنه أبو سنان، وأن الذي مات في حصار بني قريظة غيره. انظر «الإصابة» ٤/ ٩٥ - ٩٦.

قال ابن إسحاق: ولم يتخلف عن البيعة أحد[١]، وفيهم نزل: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

قال يزيد بن أبي عبيد: قلت لسلمة بن الأكوع: على أيِّ شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت. أخرجاه في «الصحيحين»[٢].

وقال جابر بن عبد الله: بايعنا نبي الله يومَ الحديبية على أن لا نَفِرَّ[٣].

وعن مَعْقِل بن يسار أنه شهد مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو رافعٌ غصناً من أغصان الشجرة بيده عن رأس رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس، قال: فبايعوه على أن لا يفروا، وهم يومئذ ألف وأربع مئة[٤].

قال جابر: إلّا الجَدَّ بنَ قَيْسٍ فإنه اختفى تحت شجرة، وفي رواية: تحت بطن بعيره يستتر به من الناس[٥]. وكان منافقاً.

وعن جابر بن عبد الله عن رسول لله ﷺ أنه قال: «لا يَدخُلُ النَّارَ أَحَدٌ ممَّن بايَعَ تَحتَ الشَّجَرةِ»[٦].

وقال جابر: جاء عبدٌ لِحاطبِ بنِ أبي بلتعة يشكو سيِّده فقال: والله يا رسول الله، ليدخُلَنَّ حاطبٌ النار، فقال له رسول الله ﷺ: «كَذَبتَ لا يُدخُلُها، إنَّه قد شَهِدَ بَدراً والحُديبِيَةَ». انفرد بإخراجه مسلم[٧].

وقال جابر: كنَّا يوم الحديبية ألفاً وأربع مئة فقال لنا رسول الله ﷺ: «أَنتُمُ اليَومَ خَيْرُ أَهلِ الأَرضِ». أخرجاه في «الصحيحين»[٨].

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٣١٦.
(٢) أخرجه البخاري (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤١١٤).
(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٨).
(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٦) (٦٩)، ولم نقف على الرواية الأولى.
(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٧٧٨).
(٧) أخرجه مسلم (٢٤٩٥).
(٨) أخرجه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦) (٧١).

وقال ابن عمر: بايعت رسول الله ﷺ يوم الشجرة أنا وأبي، ثم رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان تحتها، كانت رحمة من الله، قيل لنافع: فعلى أي شيء بايعوه؟ على الموت؟ قال: لا، على الصبر[١].

وقال ابن إسحاق: كانوا إذا مروا على الشجرة صلوا عندها، فأمر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بقلعها لئلا يتخذوها حَناناً[٢].

وقال حبيب بن أبي ثابت: أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء الذين قتلهم عليٌّ رضوان الله عليه بالنَّهْروان، فقال: كنا بصِفِّين، فلما استحرَّ القتل بأهل الشام اعتصموا بتلٍّ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى عليٍّ بمصحف وادْعُهُ إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل و قال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فقال علي رضي الله عنه: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتابُ الله، قال: فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القرَّاء وسيوفهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين هم على التل؟ ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فتكلم سهل بن حُنَيف وقال: أيها الناس، اتَّهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية ـ يعني الصلح ـ الذي كان بين رسول الله ﷺ والمشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمرُ فقال: أَلَسنا على الحقِّ وهم على الباطل؟ قال: «بَلَى»، قال: أَلَيس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بَلَى»، وذكر بمعنى ما تقدم، قال: وأنزل الله سورة الفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه ذلك فقال: أَوَفَتْحٌ هو؟ قال: «نعم» فطابت نفسه ورجع[٣].

وقال أبو وائل: قال سهل بن حُنَيْفٍ: اتَّهموا رأيكم، فلقد رأيتُنا يوم أبي جندل لو نستطيع أن نردَّ أمر رسول الله ﷺ لرددناه ـ أو أرددناه يعني: أبا جندل ـ والله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر أفظعناه إلا أَسْهَل بنا إلى أمرٍ نعرفه، إلا هذا الأمر

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٨) من قوله: رجعنا من العام المقبل.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ٩٦ .

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٩٧٥).

ما ندري كيف هو، ما شددنا منه خُصْماً إلا انفتح خُصْمٌ آخرُ[(١)] .

«الخُصْمُ»: جانب العِدْلِ وزاويتُه، وخُصْمُ كل شيء جانبه وناحيته. وأشار سهل إلى يوم صفين وهو كناية عن انتشار الأمر وصعوبة تلافيه.

ومعنى قوله: «اتهموا رأيكم» أن الإنسان قد يرى رأياً والصواب في غيره كما رأى عمر رضوان الله عليه ثم بان له أن الصواب ما رآه رسول الله ﷺ، ومعناه أن عامة من صَدَّ رَسولَ الله ﷺ عن البيت أسلموا كأبي سفيان وسهيلِ بن عمرو وغيرِهما، وقد أظهر الله تعالى من أصلابهم من أَعزَّ بهم الدينَ .

قال ابن إسحاق: ولما فرغوا من الكتاب أَشهدوا رجالاً من المسلمين منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن عوف وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومن المشركين مِكْرَز بن حَفْص وحويطب بن عبد العزى وغيرهما[(٢)] .

وقال المِسْوَرُ: إن رسول الله ﷺ نحر قبل أن يَحْلِقَ وكان الذي حلق رأسَه خِراشُ ابنُ أمية بن الفضل الخزاعي[(٣)] .

وقال البخاري: الذي حلق رأس رسول الله ﷺ معمر بن نضلة بن عوف[(٤)] .

وقال ابن عباس: حلق رجالٌ يوم الحديبية وقصَّر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ المُحلِّقينَ» قالوا: يا رسول الله، والمقصِّرين، فقال: «يَرحَمُ اللهُ المُحلِّقينَ» قالوا: والمقصِّرين، فقال: «يَرحَمُ اللهُ المُحلِّقينَ» قالوا: والمقصِّرين، قال لهم «والمُقَصِّرينَ» قالوا: فلم ظاهَرْتَ التَّرحمَ على المحلِّقينَ دون المقصِّرين؟ قال: «لأَنَّهمُ لم يَشُكُّوا»[(٥)] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨١)، ومسلم (١٧٨٥) (٩٥)، وأحمد (١٥٩٧٤) .

(٢) انظر «السيرة» ٢/ ٣١٩ ، ووقع في «السيرة»: محمود بن مسلمة بدل: محمد، وهما أخوان .

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٣١٩ ، وأخرجه البخاري (١٨١١) شطره الأول .

(٤) لم يذكره البخاري في «صحيحه» بل هو من زيادات الحميدي في «الجمع» (١٣٥٢)، قال: قال أبو مسعود: زاد ابن جريج: وزعموا أن الذي حلق رسول الله ﷺ معمر بن عبد الله بن عوف بن نضلة. وانظر «الفتح» ٣/ ٥٦٢ .

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٣١١) .

وقال الواقدي: أقام رسول الله ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً، وقيل: عشرين يوماً ثم انصرف راجعاً إلى المدينة فنزل عليه﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝﴾[الفتح: ١] فهنأه المسلمون[١]. وقال عمر: أَفَتْحٌ هُو؟ قال: «نَعَم».

قال جابر: ما كنا نَعُدُّ فتح مكة إلا يوم الحديبية بهذه السورة.

ولما قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر لم يُعْطِ إلا من شَهِدَ الحديبية.

وقال البراء: أنتم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية[٢].

وقال الشَّعْبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝﴾ قال: فتح الحديبية، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفتح عليه خيبر وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، وفرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على المجوس[٣].

وقال أنس: المراد به فتح مكة. وقال مجاهد: خيبر. والأول أشهر.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا عبد الرزاق عن مَعْمَر عن قتادة عن أنس قال: نزلت على النبي ﷺ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢] الآية مَرْجِعَهُ من الحديبية، فقال: «لَقَد أُنزِلَت عليَّ آيةٌ أَحبُّ إليَّ مما على الأرضِ» ثم قرأها رسول الله ﷺ فقالوا: هنيئاً لك مريئاً فنحن ما يُفعلُ بنا؟ فنزلت: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾[الفتح: ٥] إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. أخرجاه في «الصحيحين»[٤].

وقال الواقدي: دخل رسول الله ﷺ في العام المقبل في الشهر الذي صُدَّ عنها فيه، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[٥] [البقرة: ١٩٤].

وفي هذه الغزاة مرَّ رسول الله ﷺ على قبر أمه بالأبواء فنزل وصلى عندها ركعتين وبكى وأبكى الناس[٦].

---

(١) «المغازي» ٢/ ٦١٦ و ٦١٨ .

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٣/ ٢٢٥ .

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٠٣٥)، والبخاري (٤١٧٢)، ومسلم (١٧٨٦).

(٥) «المغازي» ٢/ ٧٣١ ـ ٧٣٢ .

(٦) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٥ .

ولمسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: استأذنت ربي في زِيارَةِ قَبرِ أُمِّي، فأَذِنَ لي، واسْتَأْذَنتُه في الاستِغْفارِ لها فزُجِرْتُ، أو لم يُؤذَن لي»[١].

وقال كعب بن عُجْرة: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ونحن محرمون وقد حصره المشركون، وكانت لي وَفْرَةٌ فجعَلَتِ الهوامُّ تسَّاقَطُ على وجهي، فمر بي النبيﷺ فقال: «أيُؤذيكَ هَوامُّ رَأسِكَ»؟ قلت: نعم، فأمره أن يحلق، ونزل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾[٢] [البقرة: ١٩٦] الآية.

وفي هذه الغزاة صاد أبو قتادة حمار وحش، قال: خرجت مع النبي ﷺ زمن الحديبية فأحرم أصحابي ولم أحرم، فرأيت حمار وحش فحملت عليه فصدته وأتيت به إلى رسول الله ﷺ وذكرت له أني لم أكن محرماً وإنما صِدْتُه لكَ، فأمر أصحابه فأكلوا ولم يأكل حين أخبرته أنه صيد له[٣].

وعن نافع مولى أبي قتادة: أن أصحابه أحرموا عام الحديبية ولم يحرم، ورأى حمار وحش وشدّ عليه فعقره، ثم جاء به فأكلوا منه، قال: وخبأت عضده معي فأدركنا رسول الله ﷺ فسألناه عن ذلك فقال: «إنَّما هوَ طُعمَةٌ أَطعَمَكُم اللهُ، فَكُلوا فهو حَلالٌ»[٤].

وأخرجه الحميدي وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «هَل مَعَكم منه شيءٌ»؟ قلت: نعم، فناولته العضد فأكلها وهو محرم[٥].

وفي هذه الغزاة نزل قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥] قال زيد بن خالد الجهني: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هَل تَدرُونَ مَاذا قَال

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٩١)، ومسلم (١٢٠١) (٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٢٢)، ومسلم (١١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩١٤)، ومسلم (١١٩٦) (٥٧)، وأما قوله: «فكلوا فهو حلال» فهو من رواية صالح بن كيسان عن نافع عن أبي قتادة، انظر «الجمع بين الصحيحين» (٧٢١).

(٥) الجمع بين «الصحيحين» (٧٢١).

رَبُّكُم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال أَصبَحَ من عبادي مُؤمِنٌ بي كافِرٌ بالكَوكَبِ، مُؤمِنٌ بالكَوْكَبِ كافِرٌ بي، فأمَّا مَن قالَ: مُطِرْنا بِنَوءِ كَذا وكَذا فذلِكَ كافِرٌ بي مُؤمِنٌ بالكَوْكَبِ، ومَن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب»[١] . ولمسلم بمعناه، وفيه: فنزل قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾[٢] .

«السماء»: المطر، لأنه يأتي من السماء فنسب إليها.

و«الأنواء»: ثمانية وعشرون نوءاً، أي: نجماً معروفة، فكانت العرب تنسب إليها المطر.

* * *

وفيها: بعث رسول الله ﷺ الرسلَ، قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ ستةَ نفر في ذي الحجة عند مرجعه من الحديبية مصطحبين: حاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقَوْقِس، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني صاحب دمشق، ودِحْيَة بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وسَليط بن عمرو العامري إلى هَوْذَة بن علي الحنفي، وعبد الله بن حُذافة السَّهمي إلى كسرى، وعمرو بن أمية الضَّمْري إلى النجاشي[٣] .

قال عكرمة: وكان كل رسول يتكلم بلسان القوم الذي أرسل إليهم. وقيل: إنهم خرجوا أول المحرم سنة سبع من الهجرة.

قال الواقدي: لما كتب الكتب قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ الخاتم من فضة وفصه منه.

قال ابن سعد: فقيل لأبي العالية: ما كان نقشه؟ قال: صدق الله. وإنما الخلفاء

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (١٧٠٦١) .

(٢) أخرجه مسلم (٧٣) من حديث ابن عباس ﷺ ، ولفظه: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء «كذا وكذا» قال: فنزلت هذه الآية ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ .

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٢٢ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٤ . وانظر «السيرة» ٢/ ٦٠٦ ـ٦٠٧.

بعده ألحقوا «لا إله إلا الله» سطر «محمد» سطر «رسول الله» سطر(١).

وقال أنس: لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب كتاباً إلى الروم قالوا: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة، قال أنس: كأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله ﷺ نقشه: محمد رسول الله(٢).

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «إنِّي قدِ اتَّخذْتُ خاتماً، ونَقَشْتُ عليه محمدٌ رسُولُ اللهِ، فلا تَنقُشُوا عليه»(٣).

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «لا تَسْتَضيئوا بنارِ المُشرِكينَ، ولا تَنْقُشُوا في خَواتِيمِكُم عَربيًّا»(٤).

أما الاستضاءةُ بنار المشركين فأخْذُ آرائهم، وأما النقش العربي فقال الحسن: لا تنقشوا عليه محمد رسول الله.

وعن الشعبي: أن رسول الله ﷺ كتب في هذه الكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: وكان يكتب في صدر الإسلام باسمك اللهمَّ كما كانت تكتب قريش حتى نزل قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]، فكتب بسم الله، حتى نزل قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] فكتب: بسم الله الرحمن، حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتبها(٥).

وفي رواية: وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين(٦).

قال ابن سعد: وقد كتب لجماعة لم يضبط لهم تاريخ، وكتب لأساقفة نجران

---

(١) الخبر عند ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٤٠٩ : ما كان نقش خاتم نبي الله ﷺ قال: صدق الله، ثم ألحق، بعده محمد رسول الله.

وأخرج أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» عن أنس قال: كان فص خاتم النبي ﷺ حبشياً وكان مكتوباً عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، «لا إله إلا الله» سطر، و«محمد» سطر و«رسول الله» سطر.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣٨)، ومسلم (٢٠٩٢) (٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٧٧)، ومسلم (٢٠٩٢).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٩٥٤).

(٥) «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٢٧ .

(٦) انظر «السيرة» ٢/ ٦٠٧ .

ورهبانهم: «أن لا يُغيِّرَ عليهم ما هُم فيه وما تَحتَ أيديهم، ولا يُغَيَّرَ أُسْقُفٌ عن أُسْقفته، ولا راهِبٌ عن رَهبانيَّته، ولا كاهنٌ عن كهانَتِه»[(١)].

قال المصنف رحمه الله: وقد بعث رسول الله ﷺ رسلاً إلى الأطراف إنما الكلام فيمن بعثه في هذه السنة.

فصل: فأما حاطب حليفُ بني أسد بن عبد العزى فإنه سار إلى المُقَوْقِس صاحبِ الإسكندرية، فقبله وأكرمه، وكتب إلى رسول الله ﷺ جوابه: قد علمت أنه قد بقي نبي وقد أكرمتُ رسولك، وأهدى إليه هدية، وجعل كتاب رسول الله ﷺ في حُقٍّ من عاج وختم عليه ودفعه إلى قَهْرمانته وقال: احتفظي به[(٢)].

وعاد حاطب من عنده في سنة سبع من الهجرة، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

فصل: وأما شجاع فهو حليف حرب بن أمية، شهد بدراً، كتب رسول الله ﷺ على يده كتاباً إلى الحارث بن أبي شَمِر: سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له وأني رسوله، فأجب ليدوم لك ملكك. والسلام[(٣)].

قال شجاع: فأتيتُه وهو بغوطة دمشق يهيئ الأموال لقيصر وكان قاصداً إلى البيت المقدس، فأقمت على بابه أياماً لا أصل إليه، وكان له حاجب يقال له: مري، فقلت له: أخبره بأني رسولُ رسولِ الله ﷺ، فقال: إنك لا تصل إليه [حتى يخرج] في يوم كذا وكذا، وجعل يسألُني عن رسول الله ﷺ وصفته وما يدعو إليه، فكنت أحدثه فيرق حتى يغلِبَهُ البكاءُ ويقول: هذه والله صفته في الإنجيل، وأنا أؤمن به وأصدقه وأخاف من الحارث أن يقتلني، قال: وكنت في ضيافة الحارث وإكرامه إلى أن جلس يوماً ووضع تاجَه على رأسه وأذن لي في الدخول عليه، فدخلت ودفعت إليه الكتاب فقرأه ورمى به وقال: من ينتزع مني ملكي، أنا سائر إليه ولو كان باليمن، ثم عرض الناس

(١) «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٢٩ .

(٢) انظر «الطبقات» ١/ ٢٢٤ .

(٣) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٥٢ .

وأمر بالخيل أن تُنْعَلَ وقال: أخبرْ صاحبك بما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره بالخبر وبما قد عزم عليه، فكتب إليه قيصر لا تَسِرْ إليه ولا تتعرضْ له، فدعاني وأمر لي بمئة مثقال من الذهب، ووصلني حاجبه مري بنفقة وكِسْوة وقال: اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام. قال: فقدمت على رسول الله ﷺ وأبلغته ما جرى فقال: «بادَ مُلكُه» وأقرأتُه سلام مري فقال: و عليه السلام.

ومات الحارث عام الفتح وتمزق ملكه(١).

فصل: وأما دِحْيَةُ فقدم بكتاب رسول الله ﷺ [على قيصر] قال الإمام أحمد رحمه الله: حدَّثنا يعقوب، حدَّثنا ابنُ أخي ابنِ شِهاب، عن عمه محمدِ بنِ مُسلم، أخبرني عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عبدَ الله بن عباس أخبره أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام وبعث بكتابه مع دِحْيَةَ الكلبي وأمره رسول الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بُصرى ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيمُ بُصرى إلى قيصر، وكان قيصرُ لما كَشَفَ الله عنه جنود فارس، مَشَى من حِمصَ إلى إيلْيَاء على الزَّرَابي تُبسَطُ له، قال ابن عباس: فلما جاء قيصرَ كتابُ رسول الله ﷺ قال حين قرأه: التمسوا لي من قومه من أسألُه عنه.

قال ابن عباس: فأخبرني أبو سُفيان بنُ حَرب أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تِجاراً، وذلك في الهدنة التي كانت بين يدي رسول الله ﷺ وبين قريش، قال أبو سفيان: فأتاني رسول قيصر فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلْيَاء فأُدخلنا عليه، وإذا هو جالس في مجلس ملكه، عليه تاجه، وحوله عظماء الروم، فقال لتَرْجُمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً إليه، قال: ما قرابتُك منه؟ قلت: هو ابن عمي، وقال أبو سفيان: وليس في الرَّكب يومئذ رجل من بني عبد مَناف غيري، فقال قيصر: ادن مني، فدنوت، وأمر أصحابي فَجُعِلوا خلف ظهري عند كتفي ثم قال لتَرْجُمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا عن هذا الرجل

(١) «الطبقات» ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٨٩ .

الذي يزعم أنَّه نبي، فإن كَذبَ فكَذِّبوه، قال أبو سفيان: فوالله لولا الاستحياء أن يأْثُر عني أصحابي الكذب لكذبته حين سألني، ولكن استحييت أن يأْثُروا عني الكذب فصدقته، ثم قال لتَرْجُمانه: قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ فقلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القولَ فيكم أحدٌ قبله؟ قال: قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس اتَّبعوه أم ضُعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أفيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتدُّ أحد منهم سَخْطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قال: قلت: لا. قال: فهل يَغْدِرُ بأَحدٍ؟ قال: قلت: لا، ونحن الآن في مدَّةٍ ونحن نخاف ذلك. قال أبو سفيان: ولم تُمكِّني كلمةٌ أُدْخِلُ فيها شيئاً أنتَقِصه بها غيرها لأني أخاف أن يؤثر عني. قال: فهل قاتَلْتُموه أو قَاتلَكُم؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان حربكم وحربه؟ قلت: سجالاً نُدَال عليه مرَّةً، ويُدال علينا أُخرى. قال: فما يأمرُكم؟ قلت: يأمرُنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاةِ والصِّدْق، والوَفاء والعَفاف، والمحافظة على العهود، وأداء الأمانة، وصلة الأرحام. قال: فقال لتَرْجُمانه حين قلت ذلك له: قل له: إني سألتك عن نسبه فزعمتَ أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله قط؟ فزعمت أنْ لا؛ فقلتُ: لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله، قلت: رجلٌ يأتمُّ بقولٍ قيل قبله. وسألتك: هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أنْ لا، فقلتُ: لم يكنْ ليكذبَ على الناس فكيف على الله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت أنْ لا، فقلتُ: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجلٌ يطلب مُلْكَ آبائه. وسألتك: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمتَ أن ضعفاءَهُم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتمَّ. وسألتك: هل يرتد أحد سَخْطةً لدينه. بعد أن يَدْخُلَ فيه؟ فزعمت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشَتُه القلوبَ لا يَسْخَطُه أحد. وسألتك هل يغدِر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرسل. وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنه قد فعل وأن الحرب بينكم تكون دُوَلاً تُدالون عليه ويُدالُ عليكم، وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة.

وسألتك: ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصدق، والصلاة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وهذه صفة نبي، قد كنتُ أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يكن ما قلت فيه حقًّا فيوشك أن يملك موضع قدميَّ هاتين، والله لو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لُقيَّهُ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فأمر به فقرئ عليه فإذا فيه: «بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم: من محمَّدٍ عبدِ اللهِ ورَسولِهِ إلى هِرَقْلَ عظيم الرُّوم سَلامٌ على من اتَّبع الهُدَى، أمَّا بعدُ: فإنِّي أدعوكَ بدِعَايةِ الإسلامِ، أَسلِمْ تَسلم، يُؤْتِكَ الله أجرَكَ مرتين، فإن توليت فعليكَ إثمُ الأَرِيسيِّينَ ـ يعني الأكَرَة ـ و ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال أبو سفيان: فلما قضى مقالته، علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم، وكثر لَغَطُهم، فما أدري ماذا قالوا، وأمر بنا فأخرجنا.

قال أبو سفيان: فقلت لأصحابي: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كَبْشَةَ؛ هذا ملك بني الأصفر يخافه، قال أبو سفيان: فوالله ما زلت ذليلاً مُستَيقِناً أن أمره سيظهر حتى أدخل الله الإسلام قلبي، وأنا كاره.

أخرجاه في «الصحيحين» و«المسند»[1].

وللبخاري: وكان ابن الناطور ـ صاحبُ إِيلْيَاء وهِرَقْلَ ـ أُسْقُفَّهُ على نصارى الشام، فحدَّث أن هِرَقْلَ حين قدم إِيلْيَاء أصبح يوماً خبيث النَّفْس، فقال بعض بَطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناطور: وكان هرقل حزَّاءً ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: رأيت الليلة حين نظرتُ في النجوم مَلِكَ الخِتان قد ظهر، فمن يَخْتَتنُ من هذه الأمة؟ فقالوا: اليهود فلا يُهِمَّنَّكَ شأنُهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيها من اليهود، فإنه ليس يختتنُ سواهم، فبينا هم على ذلك إذ أُتي هرقلُ برجل أرسله إليه ملكُ

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، وأحمد (٢٣٧٠).

غسَّان يخبره عن خبر رسول الله ﷺ، فقال هرقلُ: انظروا أمختتن هو أم لا؟ قال: فنظروا فإذا هو مختتن، فأخبروه، فسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا مَلِكُ هذه الأمةِ قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومِيَةَ وكان نظيره في العلم يخبره، وسار هرقل إلى حمص ولم يَرِمْ حِمْصَ حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافقُ رأي هرقل على خروج رسول الله ﷺ وأنه نبي، فأَذِن هرقل لعظماء الروم: هل لكم في الصلاح والرشد وأن يَثْبُتَ ملكُكُم فَتُبايِعُوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصةَ حُمُرِ الوَحْشِ إلى الأبواب فوجدوها مُغَلَّقة فقال: عليّ بهم فدعاهم وقال: إني اختبرت شدتكم في دينكم، فرأيت منكم الذي أَحْبَبْتُ، فسجدوا له ورضوا عنه، وكان ذلك آخر شأن هرقل(١).

وقد ذكر هذا الحديث أرباب السير، فقالوا:

قال ابن عباس، حدثني أبو سفيان قال: كنا قوماً تِجاراً وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله ﷺ قد أنهكتنا وذهبت أموالنا، فلما كانت الهدنة بيننا وبينه، خرجتُ في نَفَر من قريش تجاراً إلى الشام، وكان وجهُ متجرنا غزَّةَ، فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرض الشام من فارس وأخرجهم منها، وانتزع صليبه الأعظم، وكانوا قد سَلَبوه إيَّاه، وكانت حِمص منزله، فخرج يمشي على قدميه حين ردَّ الله عليه ما ردَّ، فصلى في بيت المقدس شكراً لله تعالى وكانت تُبْسَطُ له البُسُطُ، ويلقى عليها الرَّياحينُ، فلما وصل إلى إيلْيَاء وقضى صلاته فيها ومعه بطارقته، أصبح ذات يوم مهموماً يُقلِّبُ طرفه في السماء، فقيل له: ما لك؟ فقال: رأيت مَلِكَ الخِتانِ قد ظَهَر، فقال له بطارقته: ما نعلم أنَّه يختتن إلا اليهود، وذكر بمعنى ما تقدم، وقال: فبينا هم على ذلك إذ أتى رسولُ صاحبِ بُصرى برجل من العرب وكانت الملوك تَهادى الأخبار بينَها، فقال الرسول: أيها الملك، هذا من العرب من أهل الشاء والإبل، يحدث عن أمر عَجَبٍ حَدَثَ في بلادهم فَسَلْهُ عنه، فقال قيصر لتَرْجُمانه: سَلْهُ عن هذا الحديث الذي حدث ببلاده؟ فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي وقد اتَّبعه ناسٌ، وخالفه ناس، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة وقد تركتهم على ذلك.

(١) صحيح البخاري (٧).

فقال قيصر: جَرِّدوه، فجرَّدوه فإذا هو مختونٌ فقال قيصر: هذا والله الذي رأيت، لا ما تقولون، فأطلقه ثم دعا صاحب شُرطَتِه، وقال: اقلب لي الشام ظهراً وبطناً حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل الذي قد ظهر بالحجاز.

قال أبو سفيان: فوالله إننا بغَزَّةَ إذ هجم علينا صاحب الشُّرطةِ فقال: أنتم من قوم هذا الرجل؟ قلنا: نعم، فقال: قوموا إلى الملك، قال: فانطلق بنا فدخلنا عليه فقال: أنتم من رَهْطِ هذا الرجل؟ قلنا: نعم، قال: فأيكم أمسُّ به رحماً؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا ـ وايْمُ الله ما رأيت رجلاً كان أمكرَ من ذلك الأَقلف ـ فقال: ٱدْنُهْ، وأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي، وقال: إني مسائله، فإن كذب فردوا عليه.

قال أبو سفيان: فوالله لو كذبت ما ردوا علي ولكني كنت امرأً سيداً أتكرم على الكذب، وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتُه أن يحفظوا ذلك عليّ، ثم يتحدثوا به عني، فلم أكذبه، ثم قال: أخبرني عن هذا الرجل ما يدعي؟ فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أمره وهو لا يلتفت إلي، وقال: أنبئني عما أسألك عنه من شأنه، فقلت: سل. فقال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: هو من أَمْحضِنا نَسَباً.

قال: فهل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به؟ قُلت: لا. قال: فهل كان فيكم ملكاً فسلبتموه ملكه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه؟ قلت: لا. قال: فأخبرني عن أتباعه من هم؟ قلت: الضعفاء والمساكين وأحداث من الغِلمان والنِّساء، فأما ذوو الأنساب والأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد. قال: فأخبرني عمن تبعه أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه؟ قلت: ما تبعه أحد ففارقه. قال: فهل يَغْدِر؟ قلت: بيننا وبينه هدنة ولا نأمن فيها من غدره. ولم أجد شيئاً مما سألني عنه أن أغمزه فيه غيرها فوالله ما التفتَ إليها مني، ثم كر علي الحديث.

فقال: سألتك عن نسبه فقلت: إنه محض من أوسطكم نسباً، وكذلك الأنبياء، فإن الله لا يختار نبياً إلا من أوسط قومه نسباً... وذكر بمعنى ما تقدم، وقال لأبي سفيان: قم، قال: فقمت من بين يديه وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأنا أقول: لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة إذ أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه بالشام[1].

(١) «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٦ ـ ٦٤٨، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٣٨١ ـ ٣٨٣.

قال الزهري: فحدثني أسقفٌ للنصارى أدركته زمن عبد الملك بن مروان أنه أدرك ذلك من أمرِ رسول الله ﷺ وهرقل وعَقَلَهُ قال: لما قدم عليه دِحْيَةُ بكتابِ رسول الله ﷺ كتب إلى صاحب له بروميَةَ كان يقرأُ الكتبَ يخبره بأمر الكتاب ويصف له ما فيه، فكتب إليه صاحبه وكان يكتب بالعبرانية والعربية: إنه النبي الذي كنَّا ننتظره، لا شك فيه فاتَّبِعْهُ وصدِّقْهُ، فجمع بطارقته في دسكرةٍ[1] ثم أغلق الأبواب واطَّلع عليهم من عُلّيةٍ له، فخافهم على نفسه، وقال: يا معاشر الروم إنه قد أتاني كتابُ هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله النبي الذي كنَّا ننتظره ونجده في كتبنا فهلموا نصدِّقه ونتَّبِعه فتسْلَم لنا دُنْيانا وأُخرانا. قال: فنخروا نَخْرةَ رجلٍ واحد، ثم ابتدروا الأبواب فوجدوها مغلَّقةً فردَّهم وقال: إنَّما اختبرتكم فسجدوا له ورضوا عنه.

وقال ابن إسحاق: قال هرقل لدحية: والله إني لأعلم أنه نبي ولكني أخاف على نفسي، ولكن اذهب إلى ضغاطر الأسقف واذكر له أمر صاحبك.

فجاء إليه دِحيَةُ وعرَّفَهُ صفةَ رسول الله ﷺ وما يدعو إليه فقال: هذا صاحبك والله نبي، وهو الذي نجد صفته في كتبنا، ثم دخل بيتاً فنزعَ السواد عنه واغتسل ولبس ثياباً بيضاء وأخذ عصاه وخرج إلى الروم في الكنيسة فقال: يا معاشر الروم إنه قد جاء كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله تعالى، وأنا أشهد أن لا إله إلى الله وأن أحمد عبده ورسوله. فوثبوا إليه فقتلوه، فرجع دحية إلى هرقل فأخبره بما جرى فقال: والله إن ضغاطر عندهم والله أعظم مني وأجوزُ قولاً، فكيف آمنهم على نفسي[2]؟!

وفي رواية: أن هرقل قال لهم: هذا هو النبي المبعوث الذي بشر به عيسى وإني مُخيِّركم بين ثلاثةِ أَشياء: إما أن نَتَّبِعه فتسلم لنا بلادنا ودماؤنا وأموالنا، وإما أن نؤدي إليه الجزية فنكسر بها شوكته، وإما أن نصالحه على أرض سورية ويدع لنا الروم.

فقالوا: أما دُخُولُنا في طاعته فكيف نفعل هذا ونحن أكثر أموالاً ورجالاً وأبعد بلاداً، وأما أداء الجِزْية فكيف نعطي العرب الذل والصَّغارَ ونحن أَعزُّ منهم، وأما أن

(١) بناء على هيئة القصر، فيه منازل للخدم والحشم.

(٢) «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠، و«دلائل النبوة» ٤/ ٣٨٤.

نعطيه أرض سورية ويدع لنا الروم فكيف نعطيه بلادنا وأموالنا وأوطاننا، لا كان ذلك أبداً، فوالله ما دعتنا ضرورة إلى ذلك.

فقال: والله لتُوَدُّنَّ أحد الأشياء الثلاثة إذا ضغطكم في بلادكم، ثم سار حتى وصل الدرب والتفت إلى الشام وقال: السلام عليك يا سورية، سلامَ مودِّع، ثم مضى حتى دخل القسطنطينية[١]. فكان آخر العهد به. ويقال: إنه مات مسلماً. وسورية أرض الشام وحَدُّها درب الروم.

ورجع دِحْيَةُ إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخَبَرَ فقال: كان أحزمَ القوم.

وقال موسى بن عقبة: خرج أبو سفيان إلى الشام تاجراً فقدم على قيصر فأرسل إليه قيصر يسأله عن رسول الله ﷺ فلما جاءه قال: أخبرني عن هذا الرجل أيظهر عليكم؟ قال: ما ظهر علينا إلا مرَّةً وأنا غائب، ثم غزوتهم مرتين فبقرنا البطون وجدعنا الأنوف وقطعنا الذكور. فقال قيصر: أتراه كذاباً أو صادقاً؟ قال: بل هو كاذب. فقال قيصر: لا تقولوا هكذا، فإن الكذب لا يظهر به أحد، فإن كان فيكم نبياً فلا تقتلوه فإن أفعلَ الناس لذلك اليهودُ[٢].

فصل: وأما سَليطُ بن عمرو العامري فإنه قدم على هَوذة بن علي الحنفي ودفع إليه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فقرأه وكتب إليه: ما أحسنَ ما تدعونا إليه وأجلَّه وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك.

وأجاز سَليطاً بجائزة ونفقةٍ وثياب من نسج هَجَر، فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «والله لو سألني سيابةً من الأرض ما أعطيته، باد ملكه» فمات عام الفتح، وكان من عقلاء الملوك[٣].

والسَّيابة بفتح السين: البلحةُ.

(١) «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٥١.

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ عن موسى بن عقبة.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦، و«المنتظم» ٣/ ٢٩٠.

فصل: وأما عبدُ الله بنُ حُذافةَ السَّهْمي فقدم على كسرى.

قال الواقدي: بعث رسول الله ﷺ إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب إليه:

«بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم، من محمدٍ رَسولِ اللهِ إلى كِسْرَى عَظيمِ فارِسَ، سَلامٌ على من اتَّبع الهُدَى وآمَن باللهِ ورَسولِهِ، وشَهِدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ إلى الناس كافة ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] الآية، أما بعدُ: فإنِّي أَدعوكَ بِداعِيَةِ اللهِ، فأَسْلِم تَسلَم، فإن أبيتَ فعليكَ إثمُ المجوسِ. والسَّلامُ».

فلما قرأ كتابه خرقه وقال: يكتبُ إلي مثلُ هذا وهو عبدي، ثم كتب إلى باذان عاملِه باليمن أنِ ابعث إلى هذا الرجلِ الذي بالحجاز رجلين من عندك جَلْدين فليأتياني به.

فبعث قَهرمانَه بابَوَيْه وكان كاتباً حاسباً ورجلاً آخر من الفرس يقال له: خُرَّخُسره وكتب معهما كتاباً إلى رسول الله ﷺ يأمره بالانصراف معهما إلى كسرى، وبلغ قريشاً ففرحوا، وقالوا: كفيتم أمره فقد نصب له العداوة ملك الملوك كسرى، فقدم الرجلان على رسول الله ﷺ ودخلا عليه وكلَّمه القهرمان وقال: إن شاهنشاه قد كتب إلى الملك باذان يأمره بإنفاذك إليه، وقد بعث بي لتنطلق معي، فإن فعلت كتب فيك الملك كتاباً إلى ملك الملوك ينفعك عنده ويكف عنك، وإن أبيت فهو مَن قد علمت، وإنه مهلكُكَ وقومَك ومخرب بلادك، وكانا قد حَلقا لِحاهما وأعفيا شواربهما، فكره رسول الله ﷺ النظر إليهما فقال: «وَيلَكُما مَن أَمَركُما بهذا»؟ قالا: ربنا، يعنيان كسرى، فقال رسول الله ﷺ: «لكنَّ ربِّي اللهُ أَمَرَني بإعفَاءِ لِحيَتي وقصِّ شَارِبي» ثم قال: «ارجِعا حتى تأتِياني غداً» وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء أنَّ الله قد سَلَّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا في ليلة كذا، فدعاهما فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول؟ فإنَّا قد نَقِمْنا عليك ما هو أيسر من هذا؟ أفنكتب عنك بهذا إلى الملك، قال: نعم وقولا له: «إنَّ دِيني وسُلطَاني سَيبلُغُ مُلكَ كِسْرَى، ويَنتهي إلى مُنتَهى الخُفِّ والحافرِ، وقولا له إن أَسْلَمتَ أعطيتك ما تحت قَدَمَيكَ ومَلَّكتك على قومِكَ من الأَبناء» ثم أعطى خُرَّخسره مِنطَقَةً بها ذهب وفضة أَهداها له بعضُ الملوكِ، وخَرَجا من عنده، فقدما على باذان فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا ملك، وإني لأراه كما يقول نبياً، ولننظر ما قال،

فإن كان حقًّا فهو نبيٌّ مُرسلٌ، وإن لم يكن فسنرى فيه رَأْيَنا.

فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شِيرُويه بن كسرى يقول فيه: أما بعد: فإنِّي قد قتلتُ كِسْرَى ولم أقتله إلا غَضَباً لفارس لِما كان استحل من قتل أشرافها وسوءِ سيرته، وما قتلته إلّا برأيهم، فانظر من قبلك فخذ عليه الطاعة،والرجل الذي كتب إليك أبي بسببه فلا تُهِجْهُ حتى يأتِيكَ أمري فيه.والسَّلام.

فلما قرأ كتابه قال: آمنت أن هذا الرجل رسول الله ﷺ فأَسلَم وأسلم معه الأبناء ومن كان باليمن من فارس، فكانت حمير تقول: لخُرَّخسره: ذو المِعْجَزة، للمنطقة التي أعطاه إياها رسول الله ﷺ وهي بلسان حمير كذلك، فبنُوه اليوم ينسبون إليها[1].

وسأل باذان قَهْرمانَه: هل مع الرجل شُرَطٌ؟ قال: لا، قال: هو نبي.

وقال الزهري: كتب كسرى إلى باذان: بلغني أن رجلاً خرج بمكة يزعم أنه نبي، فسر إليه فاستتبه، فإن تاب وإلَّا ابعث إليَّ برأسه. فبعث باذان كتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ قَد وَعَدَني أَن يَقتُلَ كِسْرى في وَقتِ كَذا في شَهرِ كَذا» فقُتل في الوقت الذي ذكره رسولُ الله ﷺ، فأسلم باذان ومن كان عنده من الفرس باليمن[2].

وقال الواقدي: قُتل كسرى ليلة السبت لست ساعات مضين من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة. وقيل: لعشر مضين منه سنة ست من الهجرة.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَهُ، وإذا هَلَك قَيصَرُ فلا قَيصَرَ بعدَهُ، والذي نَفْسِي بيَدِه لَتُنْفقَنَّ كُنوزُهُما في سبيلِ الله». متفق عليه[3].

وكان كما قال، لأن أمر فارس انحل بعد أبرويز، وكذا هرقل ما عاد إلى الشام واستولى المسلمون في مدة يسيرة على العراق والشام.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٥٤ - ٦٥٧، و«المنتظم» ٣/ ٢٨٢ - ٢٨٣، وانظر «الطبقات الكبرى»١/ ٢٢٣.

(٢) «السيرة» ١/ ٦٩.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨).

فصل: وأما عمرو بن أمية الضمري فإنه قدم على النَّجاشي الأصحم ملك الحبشة، وكان قد كتب إليه رسول الله ﷺ:

«سَلامٌ عليك، أما بعدُ: فإنِّي أَحمد إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هُو، الملكُ القدوسُ السَّلامُ المؤمِنُ المُهيمنُ العزيزُ الجبَّارُ المتكبِّرُ، وأَشهَدُ أنَّ عيسى بنَ مريمَ روحُ اللهِ وكلمتُه أَلْقاها إلى مريمَ العذراءِ البَتُول الطيِّبة الحَصِينة، فحملَت بعيسَى فَهو مِن روح اللهِ، وإنِّي أدعوكَ إلى الله وحدَهُ لا شَريكَ له، وأن تَتَّبعني وتُؤمِنَ بي، فإنِّي رسولُ الله وحدَه لا شَريكَ له واستوصِ خيراً بابن عمِّي جعفر وبمَن مَعَه من المُسلِمينَ وتواضَع لهم ولا تتكَبَّر عليهم، والسَّلام».

فكتب إليه النجاشي:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النَّجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، والحمد لله الذي هداني للإسلام، وقد بلغني كتابك فيما ذكرت [من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت] ثُفروقاً وقد عرفتُ ما بعثتَ به إلينا، وقد قرَّبنا ابن عمك وأصحابَه، وأشهد أنَّك رسول الله، وقد أسلمتُ على يد ابن عمِّك وبايعته وأسلمت لله رب العالمين، وقد بعثتُ إليك بابني أرها بن الأصحم، وإنِّي لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيكَ بنفسي فعلت(١)، والسَّلام.

قال ابن إسحاق: فذكروا أنه بعث بابنه في ستين من الحبشة في سفينة ومعه هدايا حَبِرَة، فغرق في وسط البحر.

وقال الواقدي: لما قرأ النجاشي كتاب رسول الله ﷺ نزل عن سريره وجلس على الأرض تواضعاً لله تعالى وقال: لو قدرت على إتيانه لأتيته.

«الأصحم»: الأسود يضرب إلى الصفرة، وقيل: هو لقب لملوك الحبشة و«الثفروق» قمع البُسْرةِ وقيل: قمعُ التمرة.

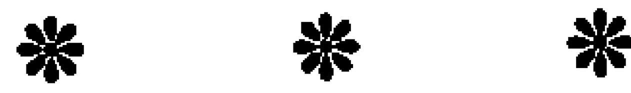
---

(١) في النسخ: وإن شئت أتيتك بنفسي فعلت، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٥٢ـ٦٥٣، و«المنتظم» ٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

قال ابن إسحاق[١] : ثم كتب رسول الله ﷺ بعد ذلك كتاباً آخر إلى النجاشي بأن يزوِّجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ويبعث إليه بجعفر ومن عنده من المسلمين، فأخذ الكتاب وجعلهما في حُقٍّ من عاج وقال: لا تزال الحبشة بخير ما دام هذان الكتابان بين أظهرهما.

قال أنس: وليس بالنجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ[٢] .

قال المصنف: وظاهر هذا القول أنه كان في زمن النبي ﷺ نجاشي آخر ولم ترد الأخبار بذلك، والظاهر أن المشار إليه هو الذي صلى عليه رسول الله ﷺ.



وفيها: ذبح أبو بُردة بن نِيَار قبل صلاة العيد فأمره رسول الله ﷺ أن يُعيد الأضحية.

قال البراء بن عازب: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إنَّ أَوَّلَ ما نَبدَأُ بهِ في يَومِنا هذا: أَن نُصلِّي، ثم نَرجِع فَنَنْحر، فَمَن فَعَل ذلِكَ فَقَد أَصابَ سُنَّتنا، ومَن ذَبَح قَبلَ الصَّلاةِ، فإنَّما هوَ لَحمٌ قَدَّمه لأَهلِهِ ليسَ مِنَ النُّسُك في شيءٍ». قال: وذَبح خالي أبو بُردة بن نِيَار فقال: يا رسول الله، ذبحتُ قبل الصلاة وعندي جَذَعةٌ خيرٌ من مُسِنَّةٍ، قال: «اجعَلْها مَكانَها، ولَن تجزئَ ـ أو توفي ـ عَن أَحَد بَعدَكَ». أخرجاه في «الصحيحين»[٣] .



وفيها: وقع طاعون بالمدينة فأفنى الخلق، وهو أول طاعون وقع في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : «إذا وَقَعَ بأَرضٍ وأَنتُم بها، فَلا تَخرُجُوا منها، وإِنْ سَمِعْتُم بهِ في أَرضٍ فَلا تَقْرَبُوها»[٤] .



(١) في «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٥٣ عن الواقدي.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٤)، وقال ابن حجر في «الفتح» ٨/ ١٢٩ : والجمع بين القولين أنه كاتب النجاشي الذي أسلم وصلى عليه لما مات، ثم كاتب النجاشي الذي ولي بعده وكان كافراً.

(٣) أخرجه البخاري (٩٦٨)، ومسلم (١٩٦١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢٢١٨) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وفيها: تزوج عمر بن الخطاب رضوان الله عليه جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح، فولدت له عاصم بن عمر فطلقها عمر رضي الله عنه بعد ذلك فتزوجها يزيد بن جارية[(١)] ، فولدت له عبد الرحمن بن يزيد، فهو أخو عاصم لأمه.



وفيها: أجدبت الأرض فاستسقى رسول الله ﷺ[(٢)] .

قال أنس بن مالك: أصابت الناسَ سَنةٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا أن يسقينا، فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قَزَعةٌ، فثار سحابٌ أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته، قال: فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره، فقال: يا رسول الله، غرق المال وتهدم البناء، ادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللَّهمَّ حَوَالينَا ولا عَلينا» قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة مثل الجَوْبةِ، حتى سال وادي قناة شهراً، ولم يجئ أحد من ناحيةٍ إلّا حدّث بالجَوْدِ. أخرجاه في «الصحيحين»[(٣)] .

وقد رواه الهيثم بن عدي، وفيه أن الأعرابي أنشد: [من الطويل]

أتيناك والعذراء يَدمى لبانُها ... وقد شُغِلَتْ أُمُّ الرّضيع عن الطِّفْلِ

وليس لنا إلا إليك فِرارُنا ... وليس فِرار الناس إلّا إلى الرُّسلِ

فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء وقال: «اللَّهمَّ اسْقِنا غَيثاً مُغِيثاً، عامًّا طَبَقاً سحًّا» فنشأت سحابةٌ من وراء سَلْعٍ مثلُ التُّرس ثم انتشرت وأمطرت سبعاً، فشكى الناس إلى رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهمَّ على الآكَامِ والظِّرابِ والجبالِ والأوديةِ ومنابتِ

(١) في النسخ: عبد الرحمن بن زيد بن حارثة، والمثبت من «الطبقات الكبرى» ٧/ ٨٦ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٢ ، وانظر «المنتظم» ٣/ ٢٩١ .

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٦٤٢ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٩١ .

(٣) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧) (٩) .

الشَّجرِ». قال: فتقطعت وخرجنا نمشي في حر الشمس.

وفي رواية: فانجاب السحاب مثل الإكليل عن المدينة فضحك رسول الله ﷺ وقال: «للهِ دَرُّ أبي طالبٍ لو كان حيًّا لَقَرَّت عينُه، فمن يُنشِدُنا قوله؟ فقام علي رضي الله عنه فقال: تريد قوله[١] : [من الطويل]

وأبيض يُستسقى الغَمامُ بوجهِهِ ... ثِمالُ اليَتامى عِصمةٌ للأَراملِ

يَلُوذُ به الأَقْيالُ مِن أَهلِ هاشمٍ ... فهم عندَه في نِعمةٍ وفَواضلِ

وهذان البيتان لأبي طالب في أبيه عبد المطلب لما استسقى فسُقي.

وفيها: وَقَفَ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أمواله[٢] .

قال ابن عمر: أصاب عمر أرضاً بخيبر فاستأمر النبي ﷺ بها فقال: «إن شِئتَ حَبَستَ أَصْلَها وتَصَدَّقت بها». فتصدق بها في الفقراء والقربى والرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضَّيف، لا جناح على مَن وَلِيها أن يأكل منها بالمعروف غير متأثِّلٍ فيها مالاً. أخرجاه في «الصحيحين»[٣] .



وفيها: ظاهرَ أوس بن الصامت من امرأته، واسمها خولة بنت مالك بن ثعلبة، وقيل في نسبها غير ذلك، وقيل: خويلة، وقيل: فاطمة، وقيل: جميلة. والأول أشهر[٤] .

قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن تميم بن سَلَمة، عن عروة، عن عائشة، قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءَت المُجادلةُ إلى النَّبي ﷺ وأنا في ناحية البيت لا أسمع ما تقول، فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾[٥] [المجادلة: ١] الآية.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢١٨٠)، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ١٤١ .

(٢) انظر «المنتظم» ٣/ ٢٩١ .

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٤)، ومسلم (١٦٣٢) .

(٤) انظر «المنتظم» ٣/ ٢٩١ .

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤١٩٥) .

وقد حكى الثعلبي عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن اسمها جميلة، وكانت حسنة الجسم، فرآها أوس بن الصامت ساجدة في صلاتها، فنظر إلى عجزها، فلما انصرفت أرادها فامتنعت عليه، فغضب وكان امرءاً فيه سرعة ولَمَم، فقال: أنت عليَّ كظهر أمي، وكان الظهارُ والإيلاءُ من طلاق الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمت علي، فقالت: لا تقل ذلك، ائت رسول الله ﷺ فسله، فقال: إني لأستحي منه أن أسأله عن مثل هذا، قالت: فدعني أسأله، قال: سليه، فأتت رسول الله ﷺ وأنا أغسل شق رأسه فقالت: يا رسول الله، إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابةٌ غَنِيَّةٌ ذاتُ مالٍ وأهلٍ، حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي، وتفرق أهلي، وكبر سني، ظاهر مني، وقد ندم، فهل من شيء تبعثني به؟ فقال لها رسول الله ﷺ : «حَرُمْتِ عليه». فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، قد طالت صحبتي ونفضتُ له بطني. فقال لها رسول الله ﷺ: «ما أراك إلا حرمت عليه، ولم أُؤمر في شأنك بشيء» فجعلت تراجع رسول الله ﷺ فإذا قال لها حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي، اللهمَّ فأنزل على لسان نبيك، وكان هذا أوَّلَ ظِهارٍ كان في الإسلام. فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت: انظر في أمري جُعلتُ فداك يا رسول الله، فقالت لها عائشة: اقصري حديثك ومجادلتك أما تَرَيْنَ وجه رسول الله ﷺ؟ وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه أخذه مثل السُّبات، فلما مضى الوحي قال: «ادْعِي زَوجَكِ» فجاء فتلا عليه الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[المجادلة: ١] الآيات، وبيَّن حُكْمَ الظِّهار، وجعل فيه الكفارة، ثم قال له رسول الله ﷺ : «هَل تَستَطيعُ أنْ تَعتِقَ رَقَبةً»؟ قال: إذاً يذهب مالي كله وأنا قليل المال. فقال رسول الله ﷺ: «فَهَل تَستَطيعُ أن تَصُومَ شَهرين مُتَتابعَينِ»؟ فقال: يا رسول الله، إني إن لم آكل في النهار ثلاث مرات كَلَّ بصري وخشيت أن تَعْشوَ عيني. قال: «فَهَل تَستَطيعُ أن تُطْعِمَ سِتينَ مِسكِيناً»؟ قال: لا إلَّا أن تعينني على ذلك.

فقال رسول الله ﷺ: «إني مُعينُكَ بخمسةَ عَشَر صاعاً، وأنا داعٍ لكَ بالبركةِ» فأعانه

رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾[المجادلة: ٢] الآية[١].

قال الزهري: كان الظهار طلاقاً في الجاهلية، فنقل الشرع أصله، ونقل حكمه إلى تحريم مؤقت بالكفارة. وكذا الإيلاء.

وخولة هذه هي التي مرَّ بها عمر بن الخطاب ﷺ بعدما ولي الخلافة ومعه الجارود العبدي فسلَّم عليها، فقالت له: إيهاً يا عمر، عهدتك بالأمس في سوق عكاظ تدعى عُميراً تَزَعُ الصبيان بعصاك، ثم لم تذهب الأيام والليالي حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام والليالي حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أن من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن حذر الموت خشي الفوت. فبكى عمر، فقال لها الجارود: لقد أغلظت لأمير المؤمنين، فقال له عمر: مه، دعها، أما تعرفها؟ هذه خولةُ التي سمع الله كلامها من فوق سبع سماواته، فعمر أولى أن يسمع كلامها[٢].



وفيها: سابق رسول الله ﷺ بناقته العضباء وهو اسمها، فَسُبِقَتْ.

قال أنس: كانت ناقة رسول الله ﷺ تُسمَّى العضباء، وكانت لا تكاد تُسْبَقُ، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، حتى عرف رسول الله ﷺ ذلك في وجوههم وقالوا: يا رسول الله سُبقت العضباء، فقال: «حقٌّ على اللهِ أنْ لا يرفعَ شيئاً من الدُّنيا إلاَّ وَضَعه». أخرجه البخاري[٣]. وفي رواية: أن لا يُرْفَعَ شيءٌ من الدنيا... وذكره[٤].



(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٢٥ـ ١٢٦.
(٢) أخرج الخبر ابن شبة في «أخبار المدينة» (٧٦٠).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٧٢).
(٤) أخرجها النسائي في «الكبرى» (٤٤١٧).

فصل وفيها توفيت

أم رُومان[١]

بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس، وقيل: أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذُهْل، وذكره إلى كنانة، وقيل: أم رومان بنت الحارث بن الحويرث بن قيس بن غنم. امرأة الحارث بن سَخْبَرة بن جُرثومة بن عاديةَ الأزدي، قدم بها من السَّراة إلى مكة وولده منها، فحالف أبا بكر الصديق رضي الله عنه ثم مات بمكة، فتزوجها أبو بكر رضي الله عنه فولدت له عائشة وعبد الرحمن رضي الله عنهما.

أسلمت أم رومان بمكة قديماً وبايعت وهاجرت إلى المدينة مع أهل رسول الله ﷺ وبناته، وكانت امرأةً صالحةً، توفيت في ذي الحجة سنة ست من الهجرة، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها وقال: «مَن سَرَّه أن يَنظُرَ إلى امرأةٍ من الحُورِ العِينِ فَلينظُر إلى أُمِّ رُومان».

وقال بعض العلماء: عاشت بعد رسول الله ﷺ دهراً طويلاً وروت عنه الحديث[٢]. وأخرج لها البخاري حديثاً واحداً[٣].

عتبة بن أَسِيد[٤]

ابن جاريةَ الثقفي أبو بصير، وأمه سالمة، قرشية، وهو من الطبقة الأولى من

---

(١) «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٢٦٢، و«المنتظم» ٣/ ٢٩١، و«الإصابة» ٤/ ٤٥٠.

(٢) هو قول أبي نعيم في «معرفة الصحابة»، ونفى الخطيب سماع مسروق من أم رومان وجعله من المرسل كما في «تحفة الأشراف» ١٣/ ٧٩-٨٠، وقال ابن حجر في «الفتح» ٧/ ٤٣٨: وعمدة الخطيب ومن تبعه في دعوى الوهم الاعتماد على قول من قال: إن أم رومان ماتت في حياة النبي ﷺ سنة أربع، وقيل: سنة خمس، وقيل: ست، وهو شيء ذكره الواقدي، وهو لا يتعقب الأسانيد الصحيحة، وذكر الزبير بن بكار بسند منقطع فيه ضعف: أن أم رومان ماتت سنة ست في ذي الحجة، وقد أشار البخاري إلى رد ذلك في «تاريخه الأوسط» و«الصغير» فقال بعد ذكر أم رومان في فصل من مات في خلافة عثمان: روى علي بن يزيد، عن القاسم قال: ماتت أم رومان في زمن النبي ﷺ سنة ست، قال البخاري: وفيه نظر، وحديث مسروق أسند. أي أقوى إسناداً وأبين اتصالاً.

(٣) وهو حديث الإفك (٣٣٨٨) عن مسروق قال: سألت أم رومان، الحديث.

(٤) انظر «الطبقات» ٥/ ١٨٠، و«المنتظم» ٣/ ٢٩٢، و«الإصابة» ٢/ ٤٥٢.

المهاجرين، وقد ذكرنا قصته زمن الحديبية، وأن قريشاً سألوا رسول الله ﷺ أن يدخله ومن معه إلى المدينة، فكتب إليه فجاءه كتاب رسول الله ﷺ وهو مريض قد أشرف على الموت، فوضعه على عينيه وجعل يقرأُه ويبكي، ومات وهو في يده، فغسله أصحابه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه بناحية العِيصِ وبنوا عليه مسجداً، وقدموا المدينة، فأخبروا رسول الله ﷺ فترحم عليه واستغفر له.

قال موسى بن عقبة: تولى أمره أبو جندل بن سهيل.

مُحرِز بن نَضْلَة[1]

ابن عبد الله بن مُرَّة، أبو نَضْلَة الأسدي، من الطبقة الأولى من المهاجرين، وكان يلقب: فُهَيرة، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عُمارة بن حَزم. شهد محرز بدراً وأحداً والخندق، وقتل يوم الغابة، وهي غزاة ذي قَرَد سنة ست مع رسول الله ﷺ.

قال صالح بن كيسان: قال محرز بن نضلة: رأيت سماء الدنيا فرجت لي حتى دخلتُها، فانتهيت إلى السماء السابعة وسدرة المنتهى، فعرضتها على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان أعبر الناس، فقال: أبشر بالشهادة، فقتل بعد ذلك بيوم.

خرج مع رسول الله ﷺ إلى الغابة يوم السَّرْح، وهي غزوة ذي قَرد سنة ستٍّ، قتله مسعدة بن حكمة.

شهد محرز بدراً، وهو ابن إحدى أو اثنتين وثلاثين سنة، وكان يوم قتل ابن سبع أو ثمان وثلاثين سنة. والله أعلم[2].



(١) انظر «الطبقات» ٣/ ٨٩، و«الإصابة» ٣/ ٣٦٨.

(٢) جاء في آخر الجزء الثاني من نسخة كوبريللي: تم الجزء الثاني من مرآة الزمان بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله